إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان: موقف الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني من الغزو الفكري

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب: ممدوح عمر محمود زعرب

Signature: التوقيع: ممدوح

Date: التاريخ: ٢٩/٧/٢٠١٣م



الجامعـــــة الإسلاميـة بغــزة
عـمادة الدراســـات العلـيـا
كليــــة أصــــول الديـــن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

موقف الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ من الغزو الفكريِّ

إعداد

الطَّالب/ ممدوح عمر محمود زعرب

إشراف

الدُّكتور/ يحيى علي يحيى الدجني

قدِّم هذا البحث استكمالاً لمتطلَّبات الحصول على درجة الماجستير
في العقيدة والمذاهب المعاصرة

1434 هـــ – 2013 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza



عمادة الدراسات العليا

هاتف داخلي: 1150

الرقم: ج س غ/35/
Ref
التاريخ: 2013/07/14
Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **ممدوح عمر محمود زعرب** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

موقف الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني من الغزو الفكري

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الأحد 05 رمضان 1434هـ، الموافق 2013/07/14م الساعة الحادية عشرة صباحاً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. يحيى علي الدجني	مشرفاً ورئيساً	....	
د. أحمد جابر العمصي	مناقشاً داخلياً	....	
أ.د. موسى حسن محمد	مناقشاً خارجيًا	....	(جمهورية السودان العربية)

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية.**

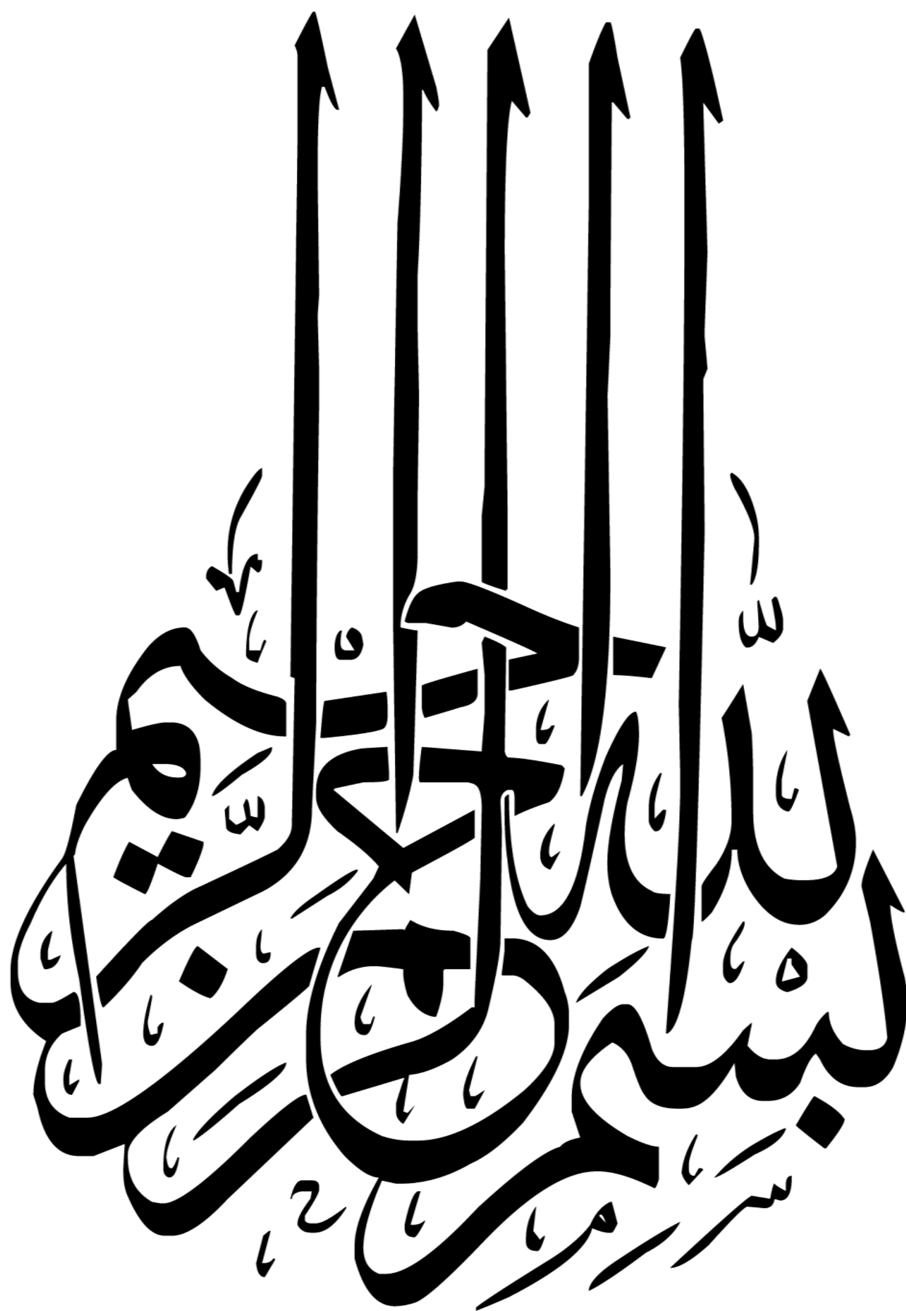
واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد الدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ
تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦]

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى مـن نـذرت عمرهـا في أداء رسـالةٍ صـنعتها مـن أوراق الصَّـبر، وطرَّزتهـا في ظـلام الدَّهر، على سراج الأمل، بلا فُتورٍ أو كللٍ... إلى أمِّي الحبيبة، أمدَّ الله في عمرها بالصَّالحات.

إلى مـن حصـد الأشـواك عـن دربي ليمهِّـد لي طريـق العلـم، إلى القلـب الكبـير ... إلى والدي العزيز، أطال الله بقاءه، وألبسه ثوب الصِّحة والعافية، ومتَّعني ببرِّه وردِّ جميله.

إلى من سارت معي نحو الحلم، خطوةً بخطوةٍ، بـذرناه معـاً، وحصـدناه معـاً، وسـنبقى معاً، بإذن الله ... إلى رفيقة دربي زوجتي الغالية، حفظها الله، وبارك فيها.

إلى من حبُّهم يسري في عروقي ، ويلهج بذكراهم فؤادي ... إلى أختي الغاليـة وأخـوَيَّ الحبيبين، حفظهم الله ورعاهم ومتَّعهم بفضله ونعمه.

إلى ثمرات الفؤاد، وفلذات الأكبـاد، وقـرة الأعـين... إلى بنـاتي الغاليـات رؤى ورويـدا وريتاج ولانا وليان، وفَّقهنَّ الله لطاعته وخدمة دينه.

أُهدي هذا البحث المتواضع راجياً من الله القَبول

شكر وتقدير

الحمد لله القائل: ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [القمر:35]، فللّه الحمدُ من قبلُ ومن بعدُ على ما أنعم به عليَّ ومنَّ، فوفَّقني لإتمام هذا البحث وإنجازه، والصَّلاة والسَّلام على معلِّم البشريَّة، وهادي الإنسانيَّة، ومزعزع كيان الوثنيِّة سيدنا محمدٍ ﷺ، وبعد:

فانطلاقاً من قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان:12]، وقول النَّبيِّ ﷺ في الحديث الَّذي رواه أبو هريرة ﷺ: **(مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللهَ)**[1]، فإنَّه يُشرِّفني أنْ أتقدَّم بعظيم شُكري وامتناني إلى أُستاذي وشيخي فضيلة الدُّكتور/ **يحيى علي يحيى الدجني (**حفظه الله**)**؛ لكثرة صبره عليَّ، ولِمَا بذله من عناءٍ في توجيهي، وتصويب أخطائي، وتقويم زلَّاتي، طيلة فترة إشرافه على هذا البحث، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء.

كما أتقدَّم بالشُّكر الجزيل إلى أُستاذَيَّ الكريميْن عُضوَي لجنة المُناقشة:

فضيلة الدُّكتور/ **أحمد جابر محمود العمصي (**حفظه الله**)**، مناقشاً داخليَّاً.

وفضيلة الأستاذ الدُّكتور/ **موسى حسن محمد عثمان (**حفظه الله**)**، مناقشاً خارجيَّاً.

وذلك لقَبولهما مناقشة هذا البحث، ولجهدهما في إثرائه ورفع مستواه.

والشُّكر موصولٌ إلى منارة العلم والعلماء، الجامعة الإسلاميَّة الغرَّاء، ومكتبتها والعاملين فيها، كما وأشكر أساتذتي في كليَّة أصول الدِّين، وقسم العقيدة والمذاهب المُعاصرة، الَّذين لم يبخلوا عليَّ بعلمٍ أو نصيحةٍ أو توجيهٍ، فجزاهم الله عنِّي وعن وطنهم وأمَّتهم خير الجزاء.

كما وأتقدَّم بالشُّكر والامتنان إلى كلِّ من له عليَّ فضلٌ، وإلى كلِّ من ساعدني في إنجاز أو تنسيق هذا البحث، وأخصُّ بالذِّكر أخي/ **محمود عمر محمود زعرب**، وصديقي/ **موسى سليمان موسى زعرب**، والأخ/ **موسى رشيد موسى زعرب**، فجزاهم الله عنِّي أحسن الجزاء.

الباحث

ممدوح عمر محمود زعرب

---

(1) أخرجه الترمذي، واللفظ له، سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تعليق، محمد ناصر الدين الألباني، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث: (1954)، 445، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط1، بدون تاريخ، وأخرجه أبو داود، سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، بتعليق محمد ناصر الدين الألباني، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، رقم الحديث: (4811)، 872، دار المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط1، بدون تاريخ. قال الألباني: صحيح.

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أَنفسنا ومن سيِّئات أَعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أَنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا*يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أَمَّا بعد:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد خلق النَّاس وأمرهم بالعبادة، وتحقيق التَّوحيد الصَّحيح، فقال ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:١٩]، وهذا الاعتقاد يحتاج من أبنائه بذل الطَّاقة، واستفراغ الجهد في الدَّعوة إليه، والذَّود عنه، بكافة الوسائل والأساليب المُتاحة والمُمكنة، من أجل ترسيخ العقيدة في نُفوس المسلمين، وحماية عقولهم وقلوبهم من الغزو الذي تقوده تيَّارات البغي والعُدوان، من صليبيَّةٍ حاقدةٍ حاسدةٍ، وصُهيونيَّةٍ متربِّصةٍ ماكرةٍ.

فهذا المكر الصَّليبيُّ الصُّهيونيُّ، لم يترك باباً من أبواب تلويث الفكر الإسلاميِّ السَّويِّ، وعقيدة التَّوحيد الصَّحيحة، إلَّا ولجه، وما ترك حيلةً إلا جرَّبها، ولولا وعد الله بحفظ دينه، ووعد نبيِّه ﷺ بأنَّ الأرض لن تخلوَ من طائفة من أُمَّته ﷺ على الحقِّ ظاهرين، لعدوِّهم قاهرين، لَأَعمل أعداء الله في دينه تحريفاً وتصحيفاً وتضليلاً.

لذا فلمَّا همَّ أعداء الإسلام بكيدهم ضدَّ دين الله، وكيدهم لأُمَّة رسول الله ﷺ، وأعلنوا حربهم على الله ورسوله والمؤمنين، واستلُّوا سيوف الغزو الفكريِّ المقيت لاجتثاث العقيدة الإسلاميَّة من قلوب وعقول الأجيال المسلمة، قيَّض الله رجالاً من أُمَّة خير أنبيائه ورسله ليذودوا عن حياض الدِّين، ويدفعوا هذا البلاء عن المسلمين، وكان من بينهم العالم الرَّبانيُّ المفكِّر الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، فوقف لأعداء الأُمَّة كالطَّود الشَّامخ والجبل الأشمِّ، ينافح عن الإسلام بما حَباه الله من ملكةٍ بيانيَّةٍ، وذاكرةٍ وقَّادةٍ، وفكرٍ مستنيرٍ، إلى جانب قوَّة الحجَّة، وسلامة الدَّليل،



المستمدِّين من قوَّة الحقِّ المتمثِّلة في العقيدة الإسلاميَّة الصَّافيَة، فكان بحقٍّ شوكةً في حلق أعداء الإسلام من مستعمرين ومبشِّرين ومستشرقين ومستغربين ومتمدِّنين ومُلحدين.

لقد قضى الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ جلَّ حياته مُنافحاً عن بيضة الإسلام، وتشهد مؤلَّفاته الضَّخمة، وآثاره العامرة من برامجَ إذاعيَّةٍ وتلفزيونيَّةٍ وغيرها على بعض ما قام به من جهودٍ لردِّ كيد أعداء الإسلام إلى نحورهم، وتخليص المسلمين من شرورهم، وظلَّ هذا عهده إلى أن لقيَ ربَّه ﷻ، وسيُحاول الباحث من خلال هذا البحث المتواضع أنْ يسلِّط الضَّوْء على بعض مجهودات الميدانيِّ الَّتي تصدَّى من خلالها للغزو الفكريِّ، وما قام به من تعريَةٍ للمذاهب الباطلة المُنحرفة، والرد على أربابها ومبتدعيها، سائلاً المولى ﷻ العون والتَّوفيق والسَّداد، إنَّه نِعْمَ المولْى ونِعْمَ النَّصير.

أهميَّةُ الموضوع:

١- يبصِّر الموضوع بما قام به الشَّيخ الميدانيُّ من مجهوداتٍ ضخمةٍ للرَّدِّ على المتربِّصين والمتآمرين على الإسلام من المبشِّرين والمستشرقين والعلمانيين والقوميين والشيوعيين ودعاة الإلحاد.

٢- يسلِّط الموضوع الضَّوْء على حقيقة المؤامرة التي تستهدف حضارة وتاريخ المسلمين، والنَّيل من عقولهم وتربيتهم وثقافتهم الإسلاميَّة المُستمدَّة من معين الدِّين الإسلامي الحنيف.

أسبابُ اختيار الموضوع:

١- من حقِّ المسلمين لاسيَّما المُهتمين بالجانب الفكريِّ منهم أخذ العبر والدُّروس من سيرة الشَّيخ وجهاده الفكريِّ، والتَّعرُّف على دوره العظيم في التَّصدِّي للغزو الفكريِّ بمختلف أشكاله وأنواعه.

٢- عدم تطرُّق الباحثين إلى جهود الشَّيخ الميدانيِّ فيما يتعلَّق بجهوده الفكريَّة في مواجهة الغزو الفكريِّ، والتَّصدي للمذاهب الفكريَّة المعاصرة والرَّدِّ على أربابها.

الدِّراسات السَّابقة:

بعد البحث والاستقصاء ومراسلة مركز الملك فيصل تبيَّن أنَّ هناك ثلاثَ رسائلَ علميَّةٍ منجزةٍ بخصوص الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ، واحدةٌ منها في التَّفسير، وأخرى في الثَّقافة الإسلاميَّة، والثَّالثةُ تتعلَّق بآراء الشَّيخ الاعتقاديَّة، وهي على النَّحو التَّالي:

١- رسالة ماجستير بعنوان منهج عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ في التَّفسير للباحث نادي حسن صبرا من الجامعة الأردنيَّة عام ٢٠٠٦م.

٢- رسالة ماجستير بعنوان جهود الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ الدَّعويَّـــة والثَّقافيَّـــة للباحثة أمل اسليم العتيبي من جامعة أمِّ القرى عام ١٤٢٩هـــ.

٣- رسالة بعنوان آراء عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ العقديَّة للباحثة آمنة عامر علي البشري من جامعة أمِّ القرى عام ١٤٣٢هـــ.

ولم تتطرَّق أيٌّ من هذه الرَّسائل الثَّلاث بشكلٍ مستقلٍّ إلى جهود الشَّيخ ومواقفه من الغـــزو الفكريِّ المعاصر.

منهج البحث:

استخدام المنهج الوصفيِّ التَّحليليِّ الَّذي يقوم بدراسة شخصيَّة المفكِّر الشيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ وجهوده العلميَّة بالتَّحليل، من خلال مواقفه الواضـــحة تجـــاه الغـــزو الفكـــريِّ والمذاهب الفكريَّة المعاصرة، وبعض الفلسفات الغربيَّة الوافدة، والردِّ عليها في ضوْء المعـــايير الإسلاميَّة الأصيلة، وفي إطار وسطيَّة الإسلام الحنيف.

طريقة التَّوثيق في البحث:

١- تخريج الآيات القرآنيَّة بذكر اسم السُّورة ورقم الآيـــة، وتمييـــز الآيـــات القرآنيَّـــة بوضعها بين هلالين بهذا الشَّكل ﴿ ﴾.

٢- تخريج الأحاديث من كتب السُّنَّة، فإنْ كانت في الصَّـــحيحين أو أحـــدهما اكتفـــى الباحث بتخريجها منهما، أو من أحدهما، وإلَّا اجتهد في تخريجها من كتب السُّـــنة الأخرى ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ونقل حكم العلماء عليهـــا، وتمييـــز الحـــديث الشَّريف بوضعه بين هلالين بهذا الشَّكل ( ).

٣- توثيق المصدر أو المرجع كاملاً عند أوَّل اقتباسٍ منه، وذلك بذكر اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم المحقِّق، اسم المترجم، رقم الجزء، رقم الصَّفحة، دار النَّشـــر، رقـــم الطَّبعة وتاريخها، وفي حالة عدم وجود دار النَّشر أو رقم الطَّبعة أو تاريخها، يـــتم الإشارة إلى ذلك بكتابة: بدون دار نشر أو رقم طبعة أو تاريخ.

٤- في حالة وجود عدَّة محقِّقين يتم ذكر اسم أشهرهم وإتباعه بـــ وآخرون.

٥- في حالة الاقتباس من نفس الكتاب بعد ذلك، يكون التَّوثيق بذكر اسم الكتاب، ورقم الصَّفحة فقط، وإذا كان الاقتباس من نفس الكتاب بعده مباشرة، يُكتـــب: المصـــدر السَّابق، ورقم الصَّفحة إلَّا إذا تبعه في صفحةٍ جديدةٍ.

٦- في حالة وجود نفس الاسم لأكثر من كتاب، يذكر الباحث اسم المؤلِّف للتمييز.

٧- في حالة الاقتباس النَّصِّي، يتم وضع النَّص بين علامتي تنصيص بهذا الشَّـــكل " "،

ثُمَّ توثيقه في الحاشية دون لفظ انظر، أمَّا في حالة الاقتباس بالمعنى، فلا علامات تنصيص، ثُمَّ الإشارة إليه في الحاشية بلفظ انظر.

٨- في حالة الاقتباس النَّصِّيِّ، وترك شيءٍ من النَّصِّ الأصليِّ، فإذا كان المتروك من النَّصِّ سطراً أو دون ذلك، يتمُّ وضع ثلاث نقاطٍ مكانه، أمَّا إذا زاد النَّصُّ المتروك عن سطرٍ، فيتم وضع خمس نقاطٍ مكانه.

٩- في حالة الاقتباس من المجلَّات أو الصَّحف أو الدَّوريَّات، يكون التَّوثيق بذكر اسم المقال، كاتب المقال، الصَّحيفة أو المجلَّة أو الدَّوريَّة، البلد، العدد، السَّنة، التَّاريخ، الصَّفحة، وإذا تكرَّر الاقتباس من نفس الصَّحيفة أو المجلَّة أو الدَّوريَّة، يتم الاكتفاء بذكر عنوان المقال، اسم الصَّحيفة أو المجلَّة أو الدَّوريَّة، رقم الصَّفحة.

١٠- حين الاقتباس من موقع الشَّبكة العنكبوتيَّة (الإنترنت)، يكون التَّوثيق بذكر يوم وتاريخ البحث، اسم الموقع الَّذي تَمَّ الاقتباس منه، وإذا تكرَّر الاقتباس من نفس الموقع ، يتم الاكتفاء بذكر اسم الموقع فقط.

١١- بيان معنى بعض الكلمات الَّتي يرى الباحث الحاجة لبيانها، وذلك في الحواشي.

١٢- التَّرجمة لبعض الأعلام المؤثِّرين المذكورين في البحث، بالرُّجوع إلى كتب الرِّجال والتَّراجم، ومواقع الشَّبكة العنكبوتيَّة (الإنترنت).

١٣- وضع فهارسَ متعدِّدةٍ لتيسير الاستفادة من البحث، وهي على النَّحو التَّالي:

أ- فهرس الآيات القرآنيَّة، وترتيبها حسب موضع سورها في المصحف، وآيات كلِّ سورة.

ب- فهرس الأحاديث النَّبويَّة، وترتيبها حسب الأحرف الهجائيَّة.

ت- فهرس الأعلام المترجم لها، وترتيبها حسب الأحرف الهجائيَّة.

ث- فهرس المصادر والمراجع.

ج- فهرس الموضوعات.



خطَّة البحث:

تشتمل خطَّة البحث على مقدِّمةٍ، وفصلٍ تمهيديٍّ، وثلاثة فصولٍ، وخاتمـــةٍ، علـــى النَّحـــو التَّالي:

الفصل التَّمهيديُّ:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، عصره وحياته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: عصر الشَّيخ الميدانيِّ.

المطلب الثَّاني: حياة الشَّيخ الميدانيِّ.

المبحث الثَّاني: تعريف الغزو الفكريِّ وبيان أهدافه ونظرة الميداني له.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: التَّعريف بالغزو الفكريِّ وبيان أهدافه.

المطلب الثَّاني: نظرة الميداني للغزو الفكريِّ.

الفصل الأوَّل: موقف الميدانيِّ من التَّبشير والاستشراق.

وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: التَّبشير وموقف الميدانيِّ منه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: التَّبشير وتعريفه وأهدافه ووسائله.

المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من التَّبشير.

المبحث الثَّاني: الاستشراق وموقف الميداني منه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: الاستشراق وتعريفه وأهدافه ووسائله.

المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من الاستشراق.

الفصل الثَّاني: موقف الميدانيِّ من التَّغريب.

وفيه تمهيدٌ وثلاثة مباحث:

تمهيد: تعريف التَّغريب ونشأته وأهدافه ووسائله.

المبحث الأوَّل: العلمانيَّة وموقف الميدانيِّ منها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: العلمانيَّة وتعريفها ونشأتها وأهدافها.

المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من العلمانيَّة.

المبحث الثَّاني: القوميَّة وموقف الميدانيِّ منها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: القوميَّة وتعريفها ونشأتها وأهدافها.

المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من القوميَّة.

المبحث الثَّالث: المرأة، وفيه مطلبان.

المطلب الأوَّل: مكانة المرأة في الإسلام.

المطلب الثَّاني: قضايا مثارة حول المرأة وموقف الميدانيِّ منها.

الفصل الثَّالث: موقف الميدانيِّ من بعض الفلسفات الإلحاديَّة.

وفيه تمهيدٌ وثلاثة مباحث:

تمهيد: تعريف الإلحاد وموقف الميدانيِّ منه.

المبحث الأوَّل: الشُّيوعيَّة وموقف الميدانيِّ منها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: الشُّيوعيَّة وتعريفها وأسسها وأهدافها.

المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من الشُّيوعيَّة .

المبحث الثَّاني: نظرية فرويد وموقف الميداني منها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: نظريَّة فرويد وتعريفها وأسسها وأهدافها.

المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من نظريَّة فرويد.

المبحث الثَّالث: الفلسفة الوجوديَّة وموقف الميدانيِّ منها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: الفلسفة الوجوديَّة وتعريفها وأسسها وأهدافها.

المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من الوجوديَّة.

الخاتمة: وفيها أهمُّ النَّتائج والتوصيات.

دليل محتويات لمعاني المصطلحات المهمة في البحث

الرقم	المصطلح	التعريف
١	الغزو الفكري	تغيير أحوال المسلمين السِّياسيَّة والثَّقافيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة عن طريق استعمار القلوب والعقول، وتبديل الأفكار والقِيم والعقائد، فيصبح المغزو فكريًّا خاضعاً بشكلٍ تامٍّ لقادة الغزو وجنوده.
٢	التبشير	حركةٌ دينيَّةٌ سياسيَّةٌ استعماريَّةٌ تهدف إلى نشر النَّصرانيَّة بين الأُمم، وإحكام السَّيطرة على الشُّعوب المستهدَفة.
٣	الاستشراق	دراسة الغرب لكلِّ ما يتعلَّق بالمشرق الإسلامي؛ وذلك بُغية تحقيق أهدافٍ دينيَّةٍ عدائيَّةٍ واستعماريَّةٍ توسُّعيَّةٍ ضدَّ الإسلام وأُمَّته.
٤	التغريب	تيارٌ فكريٌّ كبيرٌ ذو أبعادٍ سياسيَّةٍ واجتماعيَّةٍ وثقافيَّةٍ وفنيَّةٍ، يرمي إلى صَبغ حياة الأُمَم بعامَّةٍ، والمسلمين بخاصَّةٍ، بالأسلوب الغربيِّ؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيَّتهم المُستقلَّة، وخصائصهم المتفرِّدة، وجعلهم أسرى التَّبعيَّة الكاملة للحضارة الغربيَّة.
٥	العلمانية	عزل الدِّين عن الدَّولة وحياة المجتمع، وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد، لا يتجاوز العَلاقة الخاصَّة بينه وبين ربِّه، فإن سُمح له بالتَّعبير عن نفسه، ففي الشَّعائر التَّعبُّديَّة، والمراسم المُتعلِّقة بالزَّواج والوفاة، ونحوها.
٦	الديمقراطية	حكم الشعب نفسه، بنفسه، لنفسه" أو حكم الشعب للشعب ومن الشعب.
٧	الرأسمالية	نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسيَّة، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضروريَّة والكماليَّة، وتنمية الملكيَّة الفرديَّة والمحافظة عليها، مُتوسعِاً في مفهوم الحريَّة، مُعتمِداً على سياسة فصل الدين نهائياً عن الحياة.

٨	**القومية**	نزعةٌ تربط الفرد بقومه بروابطَ متجانسةٍ، كالقرابة واللُّغة والعادات والتَّقاليد والتَّاريخ، وتُوحِّد بينهم أهدافٌ مشترَكةٌ كالوَحدة والتَّحرُّر والحرِّيَّة والعدالة.
٩	**القومية العربية**	حركةٌ سياسيَّةٌ فكريَّةٌ متعصِّبةٌ، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولةٍ موحَّدةٍ لهم، على أساسٍ من رابطة الدَّم والقُربى واللُّغة والتَّاريخ، وإحلالها محلَّ رابطة الدِّين، وهي صدىً للفكر القوميِّ الَّذي سبق أن ظهر في أوروبا.
١٠	**تحرير المرأة**	رسم مجرى حياة المرأة وَفق تطلُّعاتها، مع تحريرها من كلِّ ما يعرقل تلك التَّطلُّعات، خاصَّة الضَّوابط والتَّنظيمات الدِّينيَّة، معتبرةً إيَّاها قيوداً رجعيَّةً تعرقل طموحات المرأة، ومن ثَمَّ تحديد الهدف في محاربة تلك القيود وإضعاف شوكتها.
١١	**الإلحاد**	مذهبٌ فلسفيٌّ قائمٌ على أساسين، وهما إنكار وجود خالقٍ متصرِّفٍ في الكون، والقول بأزليَّة المادَّة.
١٢	**الشيوعية**	مذهبٌ فلسفيٌّ فكريٌّ، يحمل تصوُّراً إلحاديَّاً ماديَّاً شاملاً عن الإله والكون والحياة والإنسان.
١٣	**الديالكتيكية**	المبدأ الاعتقاديُّ الجذريُّ العامُّ الَّذي اتَّخذه ماركس والماركسيُّون أساساً لكلِّ أفكارهم ونظمهم الفرعيَّة، فهي قاعدةُ الإلحاد، والشُّيوعيَّة، أو ما يُسمَّى بالاشتراكيَّة العلميَّة، والحكم الدِّيكتاتوريِّ القائم على ديكتاتوريَّة الطَّبقة الكادحة، وصراع الطَّبقات، والدَّاروينيَّة، وغير ذلك من أفكارٍ ونظمٍ يؤمن بها الشُّيوعيُّون الماركسيُّون.
١٤	**نظرية فرويد**	مدرسةٌ في التَّحليل النَّفسيِّ أسَّسها اليهوديُّ سيجموند فرويد، وهي تفسِّر السُّلوك الإنسانيَّ تفسيراً جنسيَّاً، وتجعل الجنس هو الدَّافع وراء كلِّ شيءٍ، كما أنَّها تَعُدُّ القِيَم والعقائد حواجزَ وعوائقَ تقف أمام الإشباع الجنسيِّ، ممَّا يورِّث الإنسان عُقَداً وأمراضاً نفسيَّةً.
١٥	**الفلسفة الوجودية**	مذهبٌ فلسفيٌّ أدبيٌّ ملحدٌ، وهو أشهر مذهب استقرَّ في الآداب الغربيَّة في القرن العشرين.

الفصلُ التَّمهيديُّ

❖ المبحث الأوَّل: الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، عصرُه وحياتُه

❖ المبحث الثَّاني: تعريفُ الغزوِ الفكريِّ وأهدافُه ونظرةُ الميدانيِّ له

المبحث الأوَّل

الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، عصرُه وحياتُه

- المطلب الأوَّل: عصر الشَّيخ الميدانيِّ
- المطلب الثَّاني: حياة الشَّيخ الميدانيِّ

المطلب الأوَّل

عصرُ الشَّيخ الميدانيِّ

ما من شكٍّ أنَّ للبيئة التي يُعايشها الإنسان تأثيرٌ كبيرٌ على شخصيَّتِه، وطباعِه، وسمتِه وأخلاقِه، ويكون تأثيرها على العلماء والمفكِّرين أشد، حيث تُساهم إسهاماً كبيراً في تشكيل تصوُّراتهم للواقع والحُكم عليه، كما وتُساهم في صَوْغ هُويَّتهم الفكريَّة والأخلاقيَّة، لذا فإنَّه من الأهميَّة بمكان دراسة البيئة التي عاصرها الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ؛ لمحاولة استنتاج واستنباط جزءٍ كبيرٍ من مصادر الإلهام لديه، وسوف يقوم الباحث بتسليط الضوْء على الحياة الاجتماعيَّة، والحياة الدينيَّة، والحياة السِّياسيَّة التي عاصرها الشَّيخ، والَّتي كان لها أثرٌ كبيرٌ في تشكيل فكره، كما يظهر في بعض مواقفِه ومؤلَّفاتِه، وذلك على النَّحو التَّالي:

المسألة الأولى: الحياةُ الاجتماعيَّة:

واجهت سوريَّا بعد استقلالها مشكلةً كبرى بفعل التَّراكم التَّاريخيِّ، وهي مشكلة بناء مجتمعٍ متلاحمٍ يلتزم أفراده بانتمائهم إلى الدَّولة، فقد أصبحت سوريَّا بعد الاستقلال كياناً سياسيَّاً وليست مجتمعاً سياسيَّاً؛ لأنَّ المجتمع السُّوريَّ مجتمعٌ تعدُّديٌّ مليءٌ بالانقسامات العِرقيَّة والدِّينيَّة والطَّائفيَّة والعشائريَّة، إلى جانب وجود الشُّروخ بين سكان المُدن والأرياف، وبين الحَضَر والبَدْو، وكذلك وجود تباينٍ عميقٍ بين الطَّبقات الاجتماعيَّة، وقد أفرزت هذه التعدُّدية قيام مجموعةٍ من الولاءات المتعدِّدة على حساب الولاء للدَّولة؛ بفعل عواملَ عدَّةٍ، من بينها: تراث الماضي، وبعض التَّطوُّرات التَّاريخيَّة الحديثة، وبنية المُجتمعات الاقتصاديَّة، وظهور العقائد الجديدة، ما أدَّى إلى الانخراط في وَلاءاتٍ ضيِّقةٍ على حساب الولاء للوطن سوريَّا(١).

لقد عايش الشَّيخ الميدانيُّ هذه الانقسامات والتباينات في المجتمع السُّوريِّ، وكان في مُقتَبَل عمره في ذلك الوقت، فأثَّرت في وجدانه وفكره، وقد ظهر ذلك في حديثه خلال لقاءٍ تلفزيونيٍّ أُجريَ معه، حيث أشار الشَّيخ إلى فترة السِّتينيَّات في سُوريَّا، وشُيوع الكفر والإلحاد وقتئذٍ وانتفاشهما، وظهور بعض التَّنظيمات المتَّصلة بالخروج عن الفكر الإسلاميِّ ومعاداته، فتأثَّر الشَّيخ بهذا الواقع الاجتماعيِّ الذي بات يهدِّد العقيدة الإسلاميَّة بشكلٍ صارخٍ، فأبى إلَّا أنْ يكون له دورٌ في مواجهة هذه الانحرافات العَقَديَّة الخطيرة.

فعندما شكا له بعض الشباب الملتزم الغيور على دينه من انتشار كُتيِّبٍ لـ صادق جلال العظم – وهو دمشقيٌّ أعلن إلحاده – بعنوان: نقد الفكر الدينيِّ، وأنَّ بعض السفارات الأجنبيَّة

---

(١) انظر: دراسة في تاريخ سوريا السياسي المعاصر، أمل ميخائيل بشور، ٢١، ٢٢، توزيع جروس برس، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

تُساهم في نشره بين أوساط الشباب، سارع إلى تأليف كتابٍ يردُّ فيه على ما جـاء فـي كتيِّـب صادق العظم مُستخدماً التَّوريَة في عنوان كتابه وهو بعنوان: صراعٌ مع المَلاحِدة حتَّى العَظْـم، حيث تتبَّع فِقَراته فِقَرةً فِقَرة مبيِّناً عِوارها، وتهافتها الفكريَّ، وسقوطها وتضـليلها مـن خـلال عباراته، وكذلك قام بتأليف كتابٍ بعنوان: الكيد الأحمر والَّذي عمل فيه على تعرية الشُّـيوعيَّة فِكراً وسُلوكاً ومَبدأً[1]، وألَّف كذلك كتاباً بعنوان: التَّحريف المعاصر في الدِّين يردُّ فيه على كتابٍ للمهندس الشُّيوعيِّ الدُّكتور محمَّد شحرور بعنوان: الكتاب والقرآن (قراءةٌ معاصرةٌ) والَّذي ملأه بالآراء التَّحريفيَّة الغريبة لنصوص كتاب الله ﷻ، باسم تأويل القرآن، وتحت ذريعة قراءته قراءةً معاصرة[2]، فردَّ عليه الشيخ وأخرس لسانَه وفنَّد أضاليلَه.

---

(١) انظر: لقاء تليفزيوني سُجل مع الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني بتاريخ ٢٠٠١/١٠/٣٠م، ضمن برنـامج (علماء مبدعون)، موقع يوتيـوب، http://www.youtube.com/watch?v=aX1KORDfdcU، تـاريخ الاقتباس: ٢٠١٢/١١/٢٢م.

(٢) انظر: التحريف المعاصر في الدين – تسلل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق –، عبد الـرحمن حبنكـة الميداني، ١١، ١٢، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.



المسألة الثَّانية: الحياةُ الدينيَّةُ:

تُعدُّ سُوريًّا من الدُّول التي تتعدَّد فيها الانتماءاتُ الدِّينيَّةُ بشكلٍ كبيرٍ، إلَّا أنَّ غالبيَّة سكانها ينتمون إلى طائفة المسلمين السُّنَّة، حيث ينتسب ٦٩% منهم إلى طائفة المسلمين السُّنَّة، وينتسب ١١,١% إلى الطائفة العلويَّة (النُّصيْريَّة)، وينتسب ٣,١% إلى طائفة الدروز، وينتسب ١% إلى الطَّائفة الإسماعيليَّة، وينتسب ٠,٥% إلى الشِّيعة، وينتسب ١٤% إلى الدِّين النَّصرانيِّ، وينتسب ١% إلى الدِّين اليهوديِّ(١).

لقد كان لهذا التَّنوُّع الدِّينيُّ والطَّائفيُّ دورٌ كبيرٌ في الصِّراعات السياسيَّة في سُوريًّا، لذا فعندما قام كلٌّ من ميشيل عَفْلَق وهو مسيحيٌّ من الرُّوم الأرثوذكس، وصلاح الدِّين البيطار وهو مسلمٌ سُنِّيٌّ بتأسيس حزب البعث في سُوريًّا عام ١٩٤٠م، لُوحظ أنَّ نُفوذ الحزب كان أكبر في المناطق الرِّيفيَّة الفقيرة التي تقطنها الأقليَّات الدِّينيَّة المُتحدِّثة بالعربيَّة منها في المدن الكبرى التي يقطنها المسلمون السُّنَّة، فكان من المنطقيِّ أن يكون الأعضاء المسيطرون داخل حزب البعث ينتمون إلى الأقليَّات الدِّينيَّة، وقد كانت الحركة القوميَّة العربيَّة داخل سوريًّا ممتزجة مع موقف بعض المسلمين السُّنَّة الذين كانوا يقومون بدورٍ بارزٍ فيها، وكانوا يميلون لاعتبار أعضاء الحركة ممَّن ينتمون إلى الأقليَّات الدِّينيَّة عَرَباً منقوصين باعتبارهم مبتدِعين، وفي المقابل كانت الأقليَّات الدِّينيَّة تعتبر الحركة القوميَّة مجرد قناعٍ لهيمنة السُّنِّيين، وقد وجدت هذه الأقليَّاتُ ضالَّتها في الأيديولوجيَّة التي طرحها حزب البعث، والتي تقوم على المناداة بمجتمعٍ عربيٍّ مُوَحَّدٍ ذي نظامٍ اشتراكيٍّ، فأصبحوا يأملون أن يُساعدهم حزب البعث في تحريرهم من وضعهم كأقليَّات، ومن الإطار الضيِّق الذي تفرضه عليهم الرَّوابط الطَّائفيَّة والإقليميَّة والعشائريَّة، وتُخلِّصهم من الهيمنة السُّنِّيَّة على الحياة السياسيَّة السوريَّة(٢).

وقد تمكَّن حزب البعث من الوُثوب على حكم سُوريًّا في ١٩٦٣/٣/٨م، وكان أول إجراءٍ يقوم به الحزب عقب تسلُّمِه للسُّلطة هو تسريح كبار القادة والضبَّاط، وأتباعهم من الضبَّاط الصِّغار وكلُّهم تقريباً من المسلمين السُّنَّة، واستدعاء الضبَّاط الاحتياطيين من العلويين والدروز والإسماعيليين(٣)، ومنذ ذلك الحين ظلَّ حافظ الأسد يصارع من أجل الوصول إلى سُدَّة الحكم في سُوريًّا، فقام بما أسماه الثورة التَّصحيحيَّة في تشرين الثاني من عام ١٩٧٠م ضدَّ شُركائه من

---

(١) انظر: سوريا مزرعة الأسد، عبد الله الدهامشة، ١٩، دار النواعير – بيروت، ط٢، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م. نقلاً عن: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٨٣/١٠.

(٢) انظر: الصراع على السلطة في سوريا – الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة ١٩٦١ – ١٩٩٥ –، نيقولاوس فان دام، ٣٨–٤١، مكتبة مدبولي – القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.

(٣) انظر: سوريا مزرعة الأسد، ١٩–٢١.

قادة حزب البعث ورموز الطَّوائف، ليصبح أول رئيسٍ للجمهوريَّة السُّوريَّة من غير الطَّائفة السُّنِّيَّة(١)، وقد نُصِّب رئيساً للجمهوريَّة السُّوريَّة في ١٩٧١/٠٣/١٢م بعد استفتاءٍ شعبيٍّ(٢).

وفور وصول الأسد لحكم سُوريَّا قام بإجراءاتٍ صارمةٍ بمساندة طائفته النُّصَيْريَّة لإحكام قبضته على البلاد، وتمتين حُكمه لها، وقد كانت هذه الإجراءات على النحو التَّالي(٣):

١- توفير الأمن للحُكم وللطَّائفة النُّصيريَّة.

٢- السَّيطرة على القوَّات المسلَّحة مع الاعتماد على كتلة الضبَّاط المُوالين له من طائفته.

٣- تسخير الاقتصاد السُّوريِّ لازدهار منطقة العلويين.

٤- صدُّ كلِّ تحرُّكٍ شعبيٍّ معارضٍ، وسحق الاتِّجاهات السُّنِّيَّة ومُطاردة أصحابها في كلِّ الأقطار.

٥- مَحْو المقوِّمات الإسلاميَّة للشَّعب السوريِّ، ومَحْو هُويَّته وأخلاقه، ونشر الفساد بكلِّ أشكاله.

لقد كانت هذه الإجراءاتُ التَّعسفيَّةُ الَّتي قام بها حافظ الأسد امتداداً لما انتهجه حزب البعث النُّصيريُّ منذ سيطرته على الحكم في سُوريَّا عام ١٩٦٣م من محاربةٍ لكلِّ ما يمتُّ للإسلام بصلةٍ، حيث مُلئت السُّجون البعثيَّة بكبار العلماء والشَّباب من دعاة الإسلام، ولقد طالت هذه الإجراءات الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ حين أصدرت السُّلطاتُ البعثيَّة قراراتٍ بتسريحه هو ووالده وعمِّه وبعض العاملين في معهد التَّوجيه الإسلاميِّ، ومنعتهم من أيِّ نشاطٍ إسلاميٍّ، واعتقلتهم جميعاً باستثناء الشَّيخ الميدانيّ الذي نجَّاه الله من الاعتقال على الرَّغم من الجهود التي بذلتها السُّلطات للقبض عليه، ولكنَّه نجح في مغادرة سُوريَّا إلى المملكة العربيَّة السَّعوديَّة بعد التَّعاقد مع كليَّة الشَّريعة بالرِّياض الَّتي أصبحت فيما بعد جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة(٤).

---

(١) انظر: موقع شبكة طريق السلف، الواقع المعاصر، مقال لمحمد بن عبد الرحمن اليحي، http://www.alsalafway.com/cms/topic.php?action=topic&id=10926، تاريخ الاقتباس: ٢٠١٣/٠٢/١٠م.

(٢) انظر: سوريا مزرعة الأسد، ٩٣.

(٣) انظر: موقع شبكة طريق السلف، الواقع المعاصر، لمحمد بن عبد الرحمن اليحي، موقع سابق. نقلاً عن: كتاب الديكتاتورية محنة الإسلام والعالم، لمحمد عبد الواحد حجازي، ١٥٦.

(٤) انظر: علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ٦١، دار الشواف – الرياض، طـ٤، ١٩٩٢م.



المسألة الثَّالثة: الحياةُ السِّياسيَّةُ:

تُعتبر سُوريًّا أحد الأقطار الأربعة التي كانت تُشكِّل بلاد الشَّام قبل تقسيمها من قِبَل الاستعمار الأجنبيِّ عام ١٩١٦م بموجَب معاهدة سايكس بيكو[١]، إلى جانب كلٍّ من لبنان والأردنَّ وفلسطين، وقد أُعلن استقلالُ سُوريًّا لأول مرَّةٍ في ١٩٢٠/٣/٨م من خلال مندوبين عن أقطار بلاد الشَّام الأربعة، ونُصِّب الأمير فيصل الأوَّل مِلِكاً عليها، وفي الرَّابع والعشرين من تموز يوليو من العام نفسه قام الجيش الفرنسيُّ بمهاجمة سُوريًّا بقيادة الجنرال غورو تنفيذاً لاتفاقيَّة سايكس بيكو، ونجح في احتلال دمشق، وصدح لدى دخوله العاصمة السُّوريَّة بمقولته الشهيرة "ها قد عُدنا يا صلاح الدِّين، وعادت الحروبُ الصليبيَّة"[٢]، ولكنَّ الشَّعب السُّوريَّ وقف في وجه الاحتلال، وقام بالعديد من الثَّورات والانتفاضات الشعبيَّة، كثورة إبراهيم هنانو، وثورة الشَّيخ صالح العلي في مطلع العشرينيَّات، والثَّورة الوطنيَّة عام ١٩٢٥م، وفي الثَّلاثينيَّات وأوائل الأربعينيَّات عمَّت الإضراباتُ والمظاهراتُ دمشق وسائر المحافظات السُّوريَّة، وتصدَّت الجماهير السُّوريَّة للعدوان العسكريِّ الفرنسيِّ في ١٩٤٥/٥/٢٩م، واستمر نضال الشعب السُّوريُّ ضدَّ الاحتلال حتى جلاء آخر جنديٍّ أجنبيٍّ عن أرضه في ١٩٤٦/٤/١٧م[٣].

لقد كان للشَّيخ حسن حبنَّكة الميدانيِّ – والد الشَّيخ عبد الرَّحمن – دورٌ بارزٌ في نضال الشَّعب السُّوريِّ في هذه الحقبة التَّاريخيَّة المهمَّة، فقد كان في مُقْتَبَل شبابه حين قامت الثَّورةُ السُّوريَّة في أوائل العشرينيَّات، فاندفع لقتال المُحتلِّين الفرنسيين مع الثَّائرين المُخلِصين من أبناء سُوريًّا من أمثال الشَّيخ محمد الأشمر، والشيخ محمَّد الفحل، وغيرهما، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ مثالَ المجاهد الصَّادق، والعالم الأمين، والمؤمن الغيور، فاستفاد الثُّوار من شجاعتِه وعلمِه ودينِه، فأحبُّوه وأحبَّهم والتفُّوا حوله، وكانوا يستجيبون لدعوته إذا دعاهم[٤].

---

(١) اتفاقية سايكس بيكو، اتفاقية تم إبرامها بين كلٍ من بريطانيا وفرنسا سنة ١٩١٦م، بقيادة وزيري خارجية البلدين سايكس وبيكو، وتعد من أخطر المؤامرات على العالم العربي، فقد قضت بتقسيم المنطقة العربية بحيث تكون كل من العراق والأردن ومنطقة حيفا وما حولها تحت السيطرة البريطانية، وسوريا ولبنان تحت السيطرة الفرنسية، وتوضع فلسطين تحت إشراف دولي. انظر: فلسطين .. التاريخ المصور، طارق السويدان، ٢٢٤، الإبداع الفني، ط٣، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) من تاريخ سوريا المعاصر (١٩٤٦م – ١٩٦٦م)، غسان محمد رشاد حداد، ١٠، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية – عمان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٩–١١.

(٤) انظر: موقع نسيم الشام، تراجم وأعلام، مقال لكريم راجح، http://www.naseemalsham.com/ar/Pages.php?page=readTragm&pg_id=25360، تاريخ الاقتباس: ٢٠١٢/١١/٢٣م.



ويرى الباحث أنَّ صدق الشَّيخ حسن حبنَّكة وإخلاصه، وحسن بلائه، جعل منه شخصيَّةً فذَّةً يُتأسَّى بها، فكان قُدوةً لتلاميذه في أخلاقه وعلمه وجهاده، وللثَّائرين والمُجاهدين داخل سُـوريَّا وخارجها، ويمكن استقراء ذلك بوضوحٍ من خلال مطالعة سيرة هذا العالم المجاهد، فكان لـذلك بالغُ الأثر في صَقل شخصيَّة الابن – الشَّيخ عبد الرَّحمن – الَّذي كان ينظر لوالده كمَثَلٍ أعلـى له، وكان الوالد يُعِدُّه ليكونَ خليفةً له، فتأثَّر بوالده أيَّما تأثُّر، فقد صار الابنُ في نفـس طريـق والده، يواصل جهادَه، ويكمل مشوارَه، حاملاً لواء الدِّفاع عن الحقِّ، والذود عن الدِّين من كـل دخيلٍ، فجرَّد قلمه لينافح عن الإسلام ضدَّ كلِّ من يُعاديه من دعاة التَّغريب والتَّمـدين وسـائر صُور الغزو الفكريِّ، فقام بتأليف سلسلةٍ من المؤلَّفات التي عرَّى مـن خلالهـا الكثيـر مـن المخطَّطات والمؤامرات التي تستهدف الإسلام كدِّين والمسلمين كأمَّة، أطلق عليها اسم: سلسـلة أعداء الإسلام، وظلَّ شاهراً سيف الحقِّ في وجه أعداء الإسلام إلى أنْ لقيَ ربَّه ﷻ.

وبعد أن تخلَّصت سُوريَّا من الاحتلال الفرنسيِّ تعاقبت على حُكمها عـدَّة وزاراتٍ بقيـادة الرَّئيس شكري القوتليِّ، قبل أن تغرق سُوريَّا في بحرٍ من الانقلابات العسكريَّة المتواليَة، فقد قاد القائد العام للقوات المُسلَّحة حينئذٍ حُسني الزَّعيم انقلاباً عسكريَّاً في ١٩٤٩/٣/٣٠م، فقام باعتقال الرئيس القوتليِّ، ورئيس وزرائه خالد العظم، وعددٍ من رجال الدَّولة الموالين له، ثم قاد العقيـد سامي الحنَّاوي انقلاباً آخر في ١٩٤٩/٨/١٤م، ثمَّ قام العقيد أديب الشيشكلي بانقلابٍ آخر فـي ١٩٤٩/١٢/٩م، وفي ١٩٥٤/٢/٢٥م جرى انقلابٌ آخر أطاح بالشيشكليِّ من قيادة البلاد، وفي ١٩٥٨/٢/٢٢م تمت الوحدة بين مصرَ وسُوريَّا تحت اسم: الجُمهوريَّة العربيَّة المُتَّحدة بزعامـة جمال عبد النَّاصر، إلى أن حدث انقلابٌ عسكريٌّ جديدٌ باسم: القيادة الثوريَّـة العربيَّـة العُليـا للقوَّات المسلَّحة في ١٩٦١/٩/٢٨م، انتهى بـإعلان سُـوريَّا انفصـالها عـن مصـر، وفـي ١٩٦٣/٣/٢م اندلعت الثَّورة السُّوريَّة التي انتهت بتولِّي حزب البعث العربيِّ الاشتراكيِّ السُّلطة في سُوريَّا(١).

ولقد نال الشيخ ما ناله في هذه الفترة من الظُلم حين شنَّت السُّلطات البعثيَّة حرباً ضروسـاً ضدَّ كلِّ نشاطٍ إسلاميٍّ في سُوريَّا، حيث قضت حكمة الله أن ينجوَ الشيخ من الاعتقـال عنـدما أصدرت السُّلطات الحزبيَّة الحاكمة في سُوريَّا في العام ١٩٦٦م قراراتٍ بتسريحه هـو ووالـده وعمِّه وغيرهم من العاملين في معهد التوجيه الإسلاميِّ، ومنعهم مـن أيِّ نشـاطاتٍ إسـلاميَّةٍ، ولاسيَّما الخِطابة في المساجد، فتعطَّلت جمعيَّة التوجيه الإسلاميِّ، وسائر مؤسَّسـاتها التَّعليميَّـة

(١) انظر: من تاريخ سوريا المعاصر، ٣١، ٣٢، ٥٣، ٦٣، ٨٧، ١٣٥، ١٧٠، ٢٠٧، وانظر: سوريا ١٩١٨ – ١٩٥٨ (التحدي والمواجهة)، وليد المعلم، ٩٥، ١١٧، ١٣٣، ١٥٣، ١٦٩، مطبعة عكرمة – دمشـق، طـ١، ١٩٨٥م.



والتوجيهيَّة والاجتماعيَّة، ثمَّ أقدمت هذه السُّلطات على اعتقال الشيخ حسن – الوالــد – وأخيــه وبعض أولاده وأعوانه، وصادرت أمواله، واستولت على ممتلكات الجمعيَّة بأسرها، ولم تنجَــلِ هذه الغُمَّة إلا بعد هزيمة عام ١٩٦٧م، فكانت السبب في الإفراج عنهم، ومنحهم فرصة التَّحرُّك في حدود السعيِّ لطلب الرِّزق(١).

(١) انظر: علماء ومفكرون عرفتهم، ٦١.

المطلب الثَّاني
حياةُ الشيخِ الميدانيِّ

لا شكَّ أنَّ حياة العظماء تُعدُّ مدرسةً تزخر بكثيرٍ من الفوائد والدُّروس، ويعمُّ نفعها وخيرها كلَّ طارقٍ لبابها، وكواحدٍ من العظماء تُعتبر سيرة الشَّيخ الميدانيِّ نبراساً يُحتذى به، لذا فقد لزم تقديم حياة الشَّيخ الميدانيِّ؛ لإلقاء الضَّوء على نشأته، والتَّعرف على مسيرته العلمية، وكيف تدرَّج حتى صار واحداً من كبار علماء ومفكِّري الأمة الإسلامية، وذلك على النَّحو التَّالي:

المسألة الأولى: حياتُه الشَّخصيَّة: اسمُه ونسبُه ومولدُه ووفاتُه:

أوَّلاً: اسمُه:

هو الشيخ الدُّكتور عبد الرَّحمن حسن حَبَنَكَّة الميدانيُّ.

ثانياً: نسبُه:

يرجع نسبه إلى قبيلة حَبَنَّكَة، وهي عائلةٌ تعود في أصولها إلى عرب بني خالدٍ المعروفة من قبائل العرب، وتمتدُّ منازلُها إلى بادية حماة من أرض الشَّام[١].

أما لقب الميدانيِّ الذي اشتهر به والد الشيخ، ثم جرت الشُّهرة به على سائر العائلة، فهو نسبة إلى حيِّ الميدان الذي يقطنونه، وسُميَ بذلك لأنَّه كان قديماً ميدان سباق الخيل، وكان خارج سُور دمشق الجنوبيِّ من جهة باب الجابية، وكان يُسمَّى ميدان الحَصى[٢].

١- **جدُّه لأبيه:** هو الحاج مرزوق بن عرابي بن غنيم، وكان من الأتقياء الورعين، المُحبِّين للعلم والعلماء، المُحافظين على الجمعة والجماعات في المسجد الأثريِّ جامع مَنْجَك القريب من مسكنه، ومُواظباً على مجالس العلم التي تُقام فيه[٣].

٢- **والدُه:** هو العالم الفذُّ، المُربي والموجِّه للأجيال، عضو المجلس التأسيسيِّ لرابطة العالم الإسلاميِّ، والمعروف بمواقفه الجريئة ضدَّ الاستعمار الفرنسيِّ، سماحة الشيخ حسن حبنَّكة الشهير بالميدانيِّ (أبو عبد الرحمن)[٤].

---

(١) انظر: الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني قصة عالم مجاهد حكيم شجاع، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ٣٥، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، وانظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر – زوجي كما عرفتُه –، عائدة راغب الجرَّاح، ١٢، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٢) انظر: الوالد الداعية المربي، ٣١.

(٣) انظر: زوجي كما عرفته، ١١.

(٤) انظر: المصدر السابق، ١١.

٣-والدتُه: السَّيِّدة الصَّابرة الورعة المُكافحة نَظميَّة إبراهيم السُّودان (أم عبد الرحمن)، اقترنت بالشيخ حسن وهي لم تتجاوز الثانية عشرة سنة - كعادة ذلك العصر - وهو في سنِّ الخامسة عشر، فكانت له خير مسعفٍ ومعينٍ، حيث كانت خادمة للعلم وطلابه الذين يتلقَّوْن العلم على يد زوجها دون كللٍ أو مللٍ حتى لُقبت بـ ستِّ الشَّام وأمِّ طلبة العلم، وكانت - رحمها الله - ودوداً ولوداً، أنجبت للشَّيخ حسن اثني عشر ولداً، سبعةَ ذكورٍ أكبرهم الشيخ عبد الرَّحمن، وخمسَ إناثٍ ماتت كُبراهُنَّ وهي البِكر في سنِّ الرَّضاع(١).

ثالثاً: مولدُه:

وُلد الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ عام ١٣٤٥هـ المُوافق لعام ١٩٢٧م في حيِّ الميدان، الذي يُعتبر من أحياء دمشق العريقة، المحافظة على التقاليد العربيَّة الأصيلة، والمواريث الدِّينيَّة والأخلاقيَّة الكريمة(٢).

رابعاً: وفاتُه:

قضى الله قضاءه الحقَّ بوفاة الشَّيخ عبد الرَّحمن حَبَنَّكَة المَيدانيِّ في ليلة الأربعاء الموافق الخامس والعشرين من شهر جُمادى الآخرة من عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، على إثر مرضٍ خبيثٍ ألَمَّ به ، وقد شُيِّعَت جِنازةُ الشيخ عصر يوم الأربعاء، وكانت جِنازةً حافلةً مشهودةً، أَمَّها آلاف المُشيِّعين من العلماء والكُبَراء والعامَّة، تملؤُهم الحسرة وتَمُضُّهُمُ الأحزان، وصُلِّي عليه في جامع الأمير مَنْجَك في حيِّ المَيدان، وقام شيخُ قرَّاء الشَّام فضيلة الشَّيخ محمد كريِّم راجح بتأبينه عقب الصّلاة، وألقى ولدُه الدُّكتور وائل قصيدةَ رثاءٍ فيها، ثُمَّ وُوريَ في مثواهُ الأخير من دار الدُّنيا بمقبرة الجُورَة في الميدان(٣).

رحم الله الشَّيخ عبد الرَّحمن، وأسكنه فسيح جنَّاته، وجزاه الله خيرَ ما يجزي به المُحسنين لِما قدَّم للإسلام والمسلمين في ميادين الفكر والدَّعوة، وخدمة كتاب الله، فقد قضى عمره يهدم صروح الباطل مُدافعاً عن دينه وأمَّته.

---

(١) انظر: زوجي كما عرفته، ١٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ١١.

(٣) انظر: موقع الإسلام في سوريا، ركن تراجم العلماء - علماء مفسرون، مقال لمجد مكي بعنوان: العلامة المُفكِّر المُفسِّر الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، http://www.islamsyria.com/cvs.php?action=details&CVID=14، تاريخ الاقتباس: ٢٦/٠١/٢٠١٣م.

المسألة الثَّانية: حياتُه العلميَّة: مسيرتُه، وشُيوخُه، وتلاميذُه، ومؤلَّفاتُه.

أوَّلاً: مسيرتُه:

درس الشَّيخ عبد الرَّحمن منذُ صغره في معهد والده معهد التوجيه الإسلاميِّ، الــذي كــان يعتمد نظام الحلقات، فيُعلِّم السابقُ فيه اللاحقَ، فكان كلُّ طالبٍ فيه يُعلِّم ويتعلَّم في نفس الوقــت؛ لذا فقد أصبح الشَّيخ مُعلِّماً وهو في الخامسة عشر من عمره حين صار قادراً على نقل العلم إلى غيره، ولمَّا تخرَّج من هذا المعهد عام ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٧م أُسند إليه تدريس بعض الموادِّ فيه منها: علوم الفقه والأُصول والتَّوحيد والمنطق والبلاغة، وغيرهــا مــن العلــوم الشــرعيَّة والعقليَّة، وظلَّ مُدرِّساً في معهد والده حتى عام ١٣٧٠هـ حيث انتسب إلى كليَّة الشَّريعة فــي الأزهر الشريف بمصرَ حتى حصل على الشهادة العاليَة منها، وهي تُعادل ليسانس الشَّريعة، ثُمَّ حصل منها على شهادة العالميَّة مع إجازة في التَّدريس، وهي تُعادل ماجستير في التَّربيَة وعلــم النَّفس، ثم عاد إلى دمشق وعمل أستاذاً في ثانويات دمشق الشرعيَّة والعامَّــة، بالإضــافة إلــى تدريسه في معهد والده، ثم تولَّى إدارة مديريَّة التعليم الشرعيِّ، وحقَّق فيهــا إنجــازاتٍ، منهــا: تأسيس عدد من المدارس الشرعيَّة في بعض المحافظات السُّوريَّة، وتأسيس ثانويتين شــرعيَّتين للإناث في دمشق وحلب لأول مرةٍ، ثُمَّ أصبح عُضواً في هيئة البُحوث في وزارة التربيَّة والتَّعليم في سُوريَّة، ثُمَّ انتقل إلى المملكة العربيَّة السَّعوديَّة بعد حرب ١٩٦٧م، وعمل أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة في الرِّياض لمدة عامين، ثُمَّ انتقل إلى مكَّة المكرَّمــة، وعمــل أُستاذاً في جامعة أمِّ القُرى قُرابةَ ثلاثين عاماً، ولمَّا بلغ السَّبعين من عمره أُعفــيَ مــن العمــل الرَّسميِّ الأكاديميِّ في جامعة أمِّ القرى، ثُمَّ اختير عُضواً في المجلس التأسيسيِّ لرابطــة العــالم الإسلاميِّ في مكَّة المكرَّمة، والتي كان والدُه الشيخ حسن عُضواً فيها حتى وفاته، كما واختيــر أيضاً عُضواً في مجلس هيئة الإغاثة الإسلاميَّة العالميَّة العُليَا والتَّنفيذيَّة(١).

قال عنه نجله الطَّبيب وائل عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ ما نصُّه: "رحم الله الشَّــيخ عبــد الرَّحمن، بدأ الشيخ رحلة التَّأليف بكتاب العقيدة الإسلاميَّة وأُسُسها، فعَّد فيه الشيخ علــم العقيــدة ووضع له منهجاً مُبسَّطاً نقل فيه هذا العلم من مُحيطات الكُتب الصَّفراء ليجعله كتابــاً أكاديميَّــاً مُبسَّطاً يصلح أن يكون مرجعاً لذوي الاختصاص، وللطُّلَّاب على حدٍّ سواء، وبفضل الله كان هذا الكتاب مُقرَّراً أساسيَّاً في كثيرٍ من الجامعات العربيَّة والإسلاميَّة إمّا كتاباً كاملاً أو أبحاثاً مجتزئةً من الكتاب على شكل أُملياتٍ أو كتيِّباتٍ، كلُّ جامعةٍ حسب حاجتها، ثُمَّ توالت كتب الشَّــيخ فــي سلسلة أعداء الإسلام بدايةً بمكايد يهوديَّة عبر التَّاريخ ومن ثَمَّ سلسلة الكتب التي تعرفونها.

(١) انظر: زوجي كما عرفته، ١٨، ١٩.

لقد فتح الله على الشَّيخ بأن كشف له خوافيَ وأساليبَ ومخططاتِ ومكرَ أعداء الإسلام من خلال رصده لهم ولتاريخ عَدائهم مُعتمداً على القرآن والسُّنَّة، وقد تتبَّع آثارَهم بعقلٍ رشيدٍ، ونظرةٍ ثاقبةٍ، وحِنكةٍ وعدلٍ، ولم يخدعه بريق إعلامهم ولم تخفَ عليه مطويات مكرهم فكان لهم بالمرصاد، وما ترك لهم باباً ينفُذون منه إلَّا ووقف لهم فاضحاً، ولأفكارهم كاشفاً، ولمخطَّطاتهم مفنِّداً متصيِّداً.

ولم يكن ممَّن تنطلي عليه لُعبة الألفاظ البرَّاقة، ولا المُصطلحات المزيَّفة، ولا كان ممَّن يقبلون بأن تزحف المُصطلحات إلى أبعد من مدلولاتها، ولا أن تُستخدمَ التَّعريفاتُ بغير مقاصدها، ومن هنا كان تصيُّده لمكرهم سهلاً ومُقنِعاً، ومدعوماً بالحُجَّة والدَّليل، ولم ينجرفْ مع السائد في الفَهم إذا وجد أنَّ هذا الفهم يُجانب الصَّواب ولا يَرضى بالمنقولات إذا لم تكنْ مدعومةً بشواهدَ من القرآن والسُّنَّة، كان حُرَّاً في الفهم، ومُقيَّداً بالثَّوابت من العقيدة والقرآن والسُّنَّة، يُرجِّح قول الله ورسوله على قول سواهما إذا وجد اختلافاً، كائنٌ من كان القائل"(١).

ثانياً: شُيوخُه:

يُعتبر والده الشيخ حسن حبنَّكة الميدانيُّ شيخه الأول، إذ كان الشَّيخ عبد الرَّحمن واحداً من تلاميذ معهد أبيه الذي يُطلَق عليه معهد التوجيه الإسلاميِّ، والذي يقوم فيه التَّعليم على شكل حلقاتٍ علميَّةٍ على طريقة علماء المسلمين الأقدمين، والدِّراسة فيها دراسةٌ موسوعيَّةٌ، وطلابها طلابُ علمٍ حقيقيون يتعلَّمون ويُعلِّمون، وكانت الدِّراسة في هذا المعهد تعتمد على دراسة المادَّة بدءاً من جذورها ثُمَّ التَّدرُّج نحو أعلى مستوياتها، إلى جانب تربيَّة الشَّيخ حسن تلاميذه تربيَّةً عمليَّةً في الدَّعوة، إذ كان يقوم بتكليف تلاميذه بإعداد الدُّروس والخُطَب والمواعظ، وإلقائها في المساجد، ممَّا جعلهم يتمرَّسون بالخطابة والوعظ منذ نعومة أظفارهم(٢).

وعن فضل والده الشَّيخ حسن حبنَّكة ومعهده في تربيته وتعليمه وتأديبه يقول الشَّيخ عبد الرَّحمن الميداني: "ولِوالدي يعود فضلُ تربيتي وتأديبي، وتعليمي علوم الإسلام، وانتظامي في سلك طلَّاب الشَّريعة الإسلاميَّة في مدرسته الشَّرعيَّة؛ التي أسَّسها وربَّى طلابها وعلَّمهم بنفسه حتى آتت أُكلها طيِّبةً مباركةً، وقد كنت أحدَ من تعلَّم في حلقاتها، وتربَّى في كَنَفِها، واسم هذه المدرسة معهد التَّوجيه الإسلاميِّ، وهي قائمة في حيِّ الميدان من مدينة دمشق الشَّام، وقد تخرَّجتُ منها سنة ١٣٦٧هـ" (٣).

---

(١) رسالة أرسلها نجل الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني إلى الباحث بتاريخ ٢٠١٣/٠٥/٢٦م، الساعة السابعة مساءً، بعد اتصال هاتفي أجراه معه الباحث في نفس اليوم الساعة ٦:٥٢ مساءً.

(٢) انظر: زوجي كما عرفته، ١٥، ١٦.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، مقدمة الكتاب، ١١، دار القلم – دمشق، ط١٦، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.



وقد كان الشَّيخ عبد الرَّحمن شديدَ التَّعلُّق بوالده الشَّيخ حسن ممَّا دفعه للاقتداء بوالده في أخلاقِه وعلمِه وهمَّتِه التي تطاول الجبال، ويمكن لمس ذلك وملاحظته بجلاءٍ من خلال تدوينه لسيرة والده في مُؤلَّفٍ خاصٍّ ترجم فيه لحياة والده سمَّاه الوالد الداعية المربِّي الشَّيخ حسن حبنَّكة الميدانيُّ (قصَّة عالمٍ مجاهدٍ حكيمٍ شُجاعٍ)، وعدَّد فيه صفات والده وعلمه وأخلاقه وحكمته وشجاعته وجهاده.

وممَّن تأثَّر بهم الشَّيخ كذلك من خلال قراءاته الإمام أبو حامدٍ الغزالي، حيث أعجبه طريقة الغزاليِّ في تحرير المسائل، مع تحفُّظه على كتابه إحياء علوم الدِّين الذي اعتبر الشيخ أنَّ فيه نقصٌ يرجع إلى عدم تمكُّن الغزاليِّ من علم الحديث، كما وتتلمذ أيضاً على علماء الأزهر الشريف بمصر، وتأثَّر بكتب الأدب، حتى أُوتيَ ملكةً بيانيَّةً، لدرجة أنَّ الشَّيخ اعتبر أنَّه لو تَرك تأليف ما كتب من مؤلَّفاتٍ، وتفرَّغ للأدب لفتح الله عليه بالعشرات من الدواوين(١).

ثالثاً: تلاميذُه:

تأثَّر الكثير من الطُّلَّاب الذين درسوا على يديه بأفكاره وتوجيهاته، خاصةً في مجال تأسيس العقيدة، والتوعيَة ضدَّ الغزو الفكريِّ، وتأثَّروا كذلك بمذهبه التربويِّ الدَّعويِّ الذي يعتمد على الإقناع الفكريِّ بمختلف الوسائل الإقناعيَّة المؤثِّرة، وعلى الموعظة الحسنة في الدَّعوة إلى دين الله، ونُصح المسلمين، وقد كان طائفةٌ من زملاء الشَّيخ ينادونه بـ شيخنا، ويُجلُّونه لعلمه وسَعة أفقه، ولقَّبه بعضُهم بـ غزاليِّ عصره، وآخرون بـ أبو الغزو الفكري والثقافة الإسلاميَّة، ووصفه بعضهم بقوله: جمع فأوعى، وكتب فوعَّى، وعلى كثرة طُلَّابه ومُعجبيه ومُريديه لم يقف الباحث على أسماء أيٍّ من طلابه، غير أنَّ زوجته السيدة عائدة الجراح – رحمها الله – نقلت قصيدةً في مدحه نَظَمَها أحدُ مُعجبيه وهو الأستاذ إبراهيم أمين فودة، وهو أوَّل مديرٍ عامٍّ للإذاعة السَّعوديَّة، وأوَّل رئيس مجلس إدارةٍ لنادي الوحدة الرياضيِّ السَّعوديِّ، وأوَّل رئيسٍ لنادي مكَّة الثَّقافيِّ الأدبيِّ(٢).

رابعاً: مؤلَّفاتُه:

أثرى الشَّيخ الميدانيُّ المكتبة العربيَّة والإسلاميَّة بإنتاجٍ علميٍّ وثقافيٍّ غزيرٍ في مختلف المجالات والميادين، فقد خلَّف الشَّيخ الكثير من المؤلَّفات في الفكر والعقائد والأدب والدِّراسات القُرآنية وغيرها، يمكن إجمالها في الأقسام التَّاليَة(٣):

(١) انظر: لقاء تليفزيوني مع الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني يوتيوب، سابق.
(٢) انظر: زوجي كما عرفته، ٤٦، ٤٨.
(٣) انظر: المصدر السابق، ٥٣-٥٦.

القِسمُ الأول: سلسلة في طريق الإسلام:

١- العقيدةُ الإسلاميَّة وأُسُسُها، (٨٠٠) صفحة.

٢- الأخلاقُ الإسلاميَّة وأُسُسُها، مجلَّدان، (١٥٠٠) صفحة.

٣- براهينٌ وأدلَّةٌ إيمانيَّةٌ (مع ديوان آمنتُ بالله)، (٥٠٠) صفحة.

٤- الصِّيام ورمضان في السُّنَّة والقرآن – دراسةٌ في طريق بحوث فقه الكتاب والسُّنَّة –، (٤٨٠) صفحة.

٥- الحضارةُ الإسلاميَّة: أُسُسُها ووسائلُها وصورٌ من تطبيقات المسلمين لها ولمحاتٌ من تأثيرها في سائر الأمم، (٦٨٠) صفحة.

٦- روائع من أقوال الرسول ﷺ – دراسةٌ لُغويَّةٌ وفكريَّةٌ وأدبيَّةٌ – ، (٥٧٥) صفحة.

٧- الأُمَّة الرَّبَّانيَّةُ الواحدةُ، رسالة، (١٢٢) صفحة.

٨- ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، (٤٢٥) صفحة.

٩- تيسير فقه الزَّكاة – تبيينٌ وتقنيينٌ وترجيحٌ –، رسالة، (٤٢) صفحة.

١٠- فقه الدَّعوة إلى الله، وفقه النُّصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، مجلَّدان، (١٢٥٠) صفحة.

١١- الوجيزة في العقيدة الإسلاميَّة – ملخَّص من كتاب العقيدة –، رسالة، (٢١٨) صفحة.

١٢- الوجيزة في الأخلاق الإسلاميَّة – ملخص من كتاب الأخلاق –، كتيب صغير الحجم، (٥٠٠) صفحة.

١٣- توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الإلهيَّة، رسالة، (١٢٨) صفحة.

القِسمُ الثاني: دراساتٌ قرآنيَّةٌ:

١- قواعدُ التدبُّر الأمثَل لكتاب الله ﷻ، (٨٠٠) صفحة.

٢- تدبُّر سورة الفرقان في وَحدةِ موضوعٍ، (٤٥٠) صفحة.

٣- تفسير سورة الرعد في وَحدةِ موضوعٍ، (٢٩٠) صفحة.

٤- أمثال القرآن وصورٌ من أدبه الرفيع، (٥٦٧).

٥- نوحٌ عليه السلام وقومه في القرآن المجيد – دراسةٌ في طريق التَّفسير الموضوعيِّ –، (٣٧٢) صفحة.

٦- معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر – تفسيرٌ تدبُّريٌّ للقرآن الكريم وَفق ترتيب النُّزول، وَوَفق مِنهاج كتاب قواعد التَّدبُّر الأمثل لكتاب الله ﷻ –، خمسة عشر مجلَّداً، تزيد صفحات كلِّ واحدٍ منها على (٧٠٠) صفحة، باستثناء المجلَّد الخامس عشر فهو (٤٥٠) صفحة.

القِسمُ الثَّالث: في سلسلة أعداء الإسلام:

١- مكايدٌ يهوديَّةٌ عبر التَّاريخ، (٤٤٠) صفحة.

٢- صِراعٌ مع المَلاحِدة حتَّى العَظْم، (٥٠٠) صفحة.

٣- أجنحة المكر الثَّلاثة وخوافيها (التَّبشير – الاستشراق – الاستعمار)، (٧٠٠) صفحة.

٤- الكيد الأحمر – دراسةٌ واعيةٌ للشُّيوعيَّة –، (٤٠٠) صفحة.

٥- غزوٌ في الصَّميم – دراسةٌ واعيةٌ للغزو الفكريِّ والنَّفسيِّ والخُلُقيِّ والسُّلوكيِّ في مجالات التَّعليم المنهجيِّ والتثقيف العام –، (٤٣٤) صفحة.

٦- كواشف زيوفٍ في المذاهب الفكريِّة المعاصرة، (٧٥٠) صفحة.

٧- ظاهرة النِّفاق وخبائث المنافقين في التَّاريخ مع دراسةٍ شاملةٍ للنُّصوص القرآنيَّة في النِّفاق والمنافقين، مجلَّدان، (١٤٠٠) صفحة.

٨- أجوبة الأسئلة التَّشكيكيَّة المُوجَّهة من قِبَل إحدى المؤسَّسات التَّبشيريَّة العاملة تحت تنظيم الآباء البيض، رسالة (١١٨) صفحة، وقد أُضيفت هذه الرسالة مؤخَّراً إلى كتاب أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ليصبح (٧٧٦) صفحة.

٩- التحريف المعاصر في الدِّين – تسلُّلٌ في الأنفاق بعد السُّقوط في الأعماق –، (٢٣٧) صفحة.

القِسمُ الرَّابع: سلسلة في أدب الدَّعوة الإسلاميَّة:

١- مبادئ في الأدب والدَّعوة، (١٧٧) صفحة.

٢- ديوان أقباسٌ في منهاج الدَّعوة وتوجيه الدُّعاة، شعر، (٢٥٥) صفحة.

٣- ديوان ترنيماتٌ إسلاميَّة، شعر للنَّشيد، (١٢٥) صفحة.

٤- ديوان آمنتُ بالله، شعر، (٨٠) صفحة.

٥- البلاغة العربيَّة – أُسُسُها وعلومُها وصورٌ من تطبيقاتها – بهيكلٍ جديدٍ من طريفٍ وتليدٍ، مجلَّدان، (١٢٠٠) صفحة.

القِسمُ الخامس: كتب متنوِّعة:

١- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمُناظرة، (٤٧٠) صفحة.

٢- بصائرٌ للمسلم المعاصر، (٤٥٥) صفحة.

وغيرها من متفرِّقاتٍ، وكتيِّباتٍ.

هذا إلى جانب محاضرات الشَّيخ ومقالاته في الصُّحف، كما وكان له عدَّةُ مساهماتٍ في البرامج الإذاعيَّة في المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، منها[1]:

١- برنامجٌ يوميٌّ بعنوان: أعداء الإسلام، كشف فيه القناع عن دسائس الغزو الفكريِّ، واستمرَّ قُرابة الأربع سنوات.

٢- برنامجٌ يوميٌّ حواريٌّ بعنوان: الإسلام هو الطَّريق، واستمرَّ قُرابة الخمس سنوات.

٣- برنامجٌ يوميٌّ بعنوان: آمنتُ بالله، وكان يُلقي فيه قصائدَ شعريَّةً إيمانيَّةً نَظَمَهَا لهذا الغرض، واستمرَّ دورتين إذاعيَّتين.

٤- برنامجٌ أُسبوعيٌّ حول تدبُّر كتاب الله ﷻ وَفق ترتيب نزول السُّور، واستمرَّ أكثر من خمسة عشر عاماً.

---

(١) انظر: زوجي كما عرفته، ٤٥، ٤٦.

المبحث الثاني

تعريفُ الغزوِ الفكريِّ وأهدافُه ونظرةُ الميدانيِّ له

- المطلب الأوَّل: تعريفُ الغزو الفكريِّ وبيان أهدافه
- المطلب الثَّاني: الغزو الفكريُّ في عيون الميداني

المطلب الأوَّل

تعريف الغزو الفكريِّ وبيان أهدافه

نال الغزو الفكريِّ من الأُمَّة الإسلاميَّة ومن المسلمين ما لم ينلْه الغزو العسكريُّ، لذا فإنَّه ما من شكٍّ في أنَّ الخطر الأكبر الَّذي يهدِّد الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلاميَّة والتَّاريخ الإسلاميِّ هو الغزو الفكريُّ، والذي انتهجه الغرب للنَّيل من الإسلام وأتباعه، وخطُّوا لهم في ذلك طرقاً، وابتدعوا أخبث الوسائل؛ من أجل تحقيق أهدافهم المُعلن منها وغير المُعلن، لذا فإنَّه من المُفيد قبل البدء في موضوع البحث وهو إبراز دور الميدانيِّ في التَّصدِّي للغزو الفكريِّ، استعراض تعريفه، وأهدافه، وكيف ينظر إليه الشَّيخ الميدانيُّ، وذلك على النَّحو التَّالي:

المسألة الأولى: تعريفُ الغزو الفكريِّ:

أوَّلاً: التَّعريفُ اللُّغويُّ:

الغزوُ الفكريُّ كمُصطلحٍ لم يكن مُستعملاً في كتابات الأقدمين، وإنَّما درج حديثاً، وليس معنى هذا أنَّ معنى الغزو الفكريِّ، ومفهومه، وموضوعه، لم يكن موجوداً، بل كان سلاحاً استعملته الأُمم والشُّعوب في القديم كما سيتَّضح لدى التَّعرُّف على الغزو الفكريِّ في عيون الشَّيخ الميدانيِّ، أما بخصوص ما جاء في المعاجم العربيَّة من ألفاظه فهو على ما يلي:

١- **غزو:** "الغين والزَّاء والحرف المُعتلُّ أصلان صحيحان أحدهما طلب الشَّيء، ويقال غزوتُ أغزو، والغازي الطَّالب لذلك، والجمع: غزاة وغزِيٌّ"[(١)]، وغزا الشَّيء غزواً: أراده وطلبه، والغزو: القصد، والغزو: السَّير إلى قتال العدوِّ وانتهابه[(٢)].

٢- **الفِكر بكسر الفاء:** إعمال الخاطر في الشَّيء[(٣)]، وفي المُعجم الوسيط: "إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول"[(٤)].

يظهر من خلال المعنى اللُّغوي أنَّ الغزو هو طلب الأعداء وقصدهم والإغارة عليهم وقتالهم ونهبهم، وهذا بالضَّبط معنى الغزو الفكريِّ، لكنَّ الإغارة والانتهاب لا يكون بوسائل قتاليَّةٍ حربيَّةٍ

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٤/٣٣٩، اتحاد الكتَّاب العرب، بدون رقم الطبعة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة غزا، ١٥/١٢٣، دار صادر - بيروت، ط١، بدون تاريخ، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: إبراهيم الترزي ٣٩/١٥٨، مطبعة حكومة الكويت، بدون رقم الطبعة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٣) انظر: لسان العرب، مادة فكر، ٥/٦٥، وانظر: تاج العروس، ١٣/٣٤٥.

(٤) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ٥٨، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

بل بإعمال الخاطر والعقل كما اتَّضح من خلال المعنى اللُّغوي للفظة الفِكر، وبذلك يكون معنى الغزو الفكريِّ كما دلَّت عليه اللُّغة هو: السير إلى الأعداء والإغارة عليهم وانتهابهم عبر إعمال العقل والفكر.

ثانياً: التَّعريفُ الاصطلاحيُّ:

١- عرَّفه الشَّيخ الميدانيُّ رحمه الله بأنَّه: "عنوانٌ أُطلق في الثُّلث الأخير من القرن الرَّابع عشر الهجريِّ، الموافق للثُّلث الثَّالث من القرن العشرين الميلاديِّ، على المخطَّطات والأعمال الفكريَّة والتَّثقيفيَّة والتَّدريبيَّة والتَّربويَّة والتَّوجيهيَّة، وسائر وسائل التَّأثير النَّفسيِّ والخُلُقيِّ والتوجيه السُّلوكيِّ الفرديِّ والاجتماعيِّ، الَّتي تقوم بها المنظَّماتُ والمؤسَّساتُ الدَّوليَّة والشَّعبيَّة من أعداء الإسلام والمسلمين؛ بُغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كُليَّاً أو جزئيَّاً، وتجزئتهم وتمزيق وَحدتهم وتقطيع روابطهم الاجتماعيَّة، وإضعاف قوَّتهم لاستعمارهم فكريَّاً ونفسيَّاً، ثُمَّ استعمارهم سياسيَّاً وعسكريَّاً واقتصاديَّاً استعماراً مُباشراً أو غير مُباشر"(١).

٢- وعرَّفه الأستاذ محمَّد قطب بأنَّه: "الوسائل غير العسكريَّة التي اتَّخذها الغزوُ الصَّليبيُّ لإزالة مظاهر الحياة الإسلاميَّة وصرف المسلمين عن التَّمسك بالإسلام، ممَّا يتعلَّق بالعقيدة، وما يتَّصل بها من أفكار، وتقاليد، وأنماط سلوك"(٢).

٣- وعرَّفه الدُّكتور توفيق الواعي بأنَّه: "إغارة الأعداء على أُمَّة من الأُمم، بأسلحةٍ مُعيَّنةٍ، وأساليبَ مختلفةٍ؛ لتدمير قُواها الدَّاخليَّة وعزائمها ومقوِّماتها، وانتهاب ما تملك"(٣).

٤- وعرَّفه الدُّكتور صالح الرِّقب بأنَّه: :"تغيير أحوال المسلمين السِّياسيَّة والثَّقافيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة عن طريق استعمار القلوب والعقول، وتبديل الأفكار والقِيم والعقائد، فيصبح المغزو فكريَّاً خاضعاً بشكلٍ تامٍّ لقادة الغزو وجنوده"(٤).

ويرى الباحث أنَّ تعريف الميدانيِّ للغزو الفكريِّ أقرب لملخَّصٍ مركَّزٍ منه إلى تعريفٍ مضبوطٍ، فقد شرح الميدانيُّ فيه نشأة ووسائل وأهداف الغزو الفكريِّ، لذا فإنَّ الباحث يرى أنَّ تعريف الدُّكتور صالح الرِّقب هو الأكثر دقَّةً وضبطاً بين التَّعريفات الأربعة السَّابقة.

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، وخوافيها (التبشير – الاستشراق – الاستعمار)، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ٢٥، دار القلم – دمشق، ط٩، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(٢) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ١٨٢، دار الشروق – القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٣) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي، ٦٨٠، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٤) واقعنا المعاصر والغزو الفكري، صالح الرقب، ٣٨، دار رحمة للنشر والتوزيع، بدون رقم طبعة، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

المسألة الثَّانية: أهدافُ الغزو الفكريِّ:

يمكن استنتاج أهداف الغزو الفكريِّ من خلال تعريف الشَّيخ الميدانيِّ آنف الذِّكر له، وهي على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: إخراج المسلمين وتحويلهم عن دينهم كليًّا أو جزئيًّا.

ثانياً: تمزيق وَحدة المسلمين وهدمها، وتقطيع الرَّوابط الاجتماعيَّة بينهم، وإضعاف قوِّتهم النَّفسيَّة والفكريَّة.

ثالثاً: إخضاع شعوب الدُّول الإسلاميَّة للاستعمار السِّياسيِّ والعسكريِّ والاقتصاديِّ بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ.

ويظهر من خلال هذه الأهداف مدى خطورة الحرب الفكريَّة على العالم الإسلاميِّ، ويستطيع كلُّ ذي بصيرةٍ أن يلحظ حجم النَّجاح الَّذي حقَّقه أعداء الإسلام، من خلال واقع الأُمَّة الإسلاميَّة المعاش، حيث نجح أعداء الإسلام في تنصير أو تغريب كثيرٍ من أبنائها، وتجزئة العالم الإسلاميِّ، وبذر بذور الفرقة والشِّقاق بين شعوبها، إلى جانب إخضاع كثيرٍ من الدُّول الإسلامية لهيمنة الدُّول الغربيَّة، وإجبارها على التَّبعيَّة المُطلَقة لها في كلِّ شؤونها.

المطلب الثَّاني

نظرة الميدانيِّ للغزو الفكريِّ

لا يكاد الشَّيخ يُفوِّت فرصةً ليُذكِّر أنَّ اليهود همُ الَّذين يقفون خلف ظاهرة الغــزو الفكــريِّ، ليس في العصر الحديث فقط، بل منذ بزوغ فجر الإسلام، فالشَّيخ يؤكِّد على أنَّ اليهــود كــانوا على رأس جُلِّ المؤامرات التي كِيدت ضدَّ المسلمين عبر تاريخهم، بدءاً بالمؤامرات الَّتي حاكها يهود المدينة لرسول الله ﷺ وأصحابه بأشكال شتَّى من الكيد للتَّأثير على الإسلام بُغية التَّحريــف فيه، وللتَّأثير على مُشركي العرب لصدِّهم عن الدُّخول في الإسلام، مروراً بمؤامرات المُنــافق اليهوديِّ الخبيث عبد الله بن سبأ، وصولاً إلى قمَّة النُّضج الشَّيطانيِّ الَّذي وصل إليه اليهود فــي القرن الرَّابع عشر الهجريِّ العشرين الميلاديِّ(١).

إنَّ منشأ فكرة اللُّجوء إلى الغزو الفكريِّ يعود – كما يقول الشَّيخ – إلى إدراك العدوِّ لمعنى القُوَّة الحقيقيَّة لِأيِّ مجتمعٍ من المجتمعات، وهي القُوَّة الفكريَّة وليست المادِّيَّة البحتة؛ لأنَّ أيَّة قوَّةٍ مادِّيَّةٍ مهما بلغت فإنَّ الَّذي يتحكَّم بها ويُهيمن عليها هي فكرة، ويرى الشَّيخ أنَّ أقدر النَّاس على التَّحكُّم بالقُوى المادِّيَّة في الأرض أقدرهم على تزويد العقول بالأفكار الَّتي يريدها، وأعجز النَّاس في ذلك أكثرهم تهاوناً في بثِّ مثل هذه الأفكار، ولَفَتَ الشَّيخ إلى أنَّ أعداء الإسلام لمَّا أدركــوا هذه الحقيقة، قاموا بتوجيه جيوش الغزو الفكريِّ إلى بلاد المسلمين؛ ليهدموا الوَحــدة الفكريَّــة النَّاظمة لهم في سلك وَحدة جماعة المسلمين، وليُمعنوا فيها فساداً وتخريباً، وقتلاً وتشــريداً دون أن يُصابوا بسهمٍ واحد، وكان اليهود في مقدِّمة أعداء الإسلام الَّذين خطَّطوا لهذا الغزو، وكــانوا بمثابة الشَّيطان في عصابة المجرمين، بمؤازرةٍ واضحةٍ من المجوس لا سيَّما أبناء ملوك فارس الَّذين حرَّكهم الحقد على الإسلام الَّذي أفقدهم ملكهم، وكذلك الصَّليبيين الَّذين أعماهم التَّعصــب المقيت، وأعمتهم مطامعُهم الاستعماريَّة(٢).

لذلك فقد صار الأعداء في طريق الغزو الفكريِّ وعينهم على هدم الإسلام في نفوس الأُمَّــة الإسلاميَّة، وهدم وَحدتها، وذلك بإحلال المفاهيم الفاسدة عن الدِّين، والحياة، والوجود، والأخلاق، والسُّلوك، وشروط التَّقدُّم الحضاريِّ، وغيرها، محل التَّصوُّر الإسلاميِّ الصَّحيح لهذه القضايا في نفوس المسلمين، ومن خلال تشويه هذه المفاهيم والأفكار أراد الغزاة أن ينفُذوا إلى ما سَعَوْا من أجل تحقيقه وهو إحداث التَّحول الجذريِّ في سلوك المسلمين على مستوى الفرد والجماعة، ومن ثَمَّ الوصول بالأُمَّة المُسلمة إلى الميل عن الحقِّ، والعُدول عن الصِّراط المُســتقيم، لكــنَّ هــذا

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٢٧-٢٩.

(٢) انظر: مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حبنكــة الميــداني، ٧، ٨، دار القلــم – دمشــق، طـــ٢، ١٣٩٨هـــ – ١٩٧٨م، وانظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٢٥، ٢٦.

المُخطَّط الرَّامي إلى زعزعة المفاهيم الموحَّدَة لدى شعوب الأُمَّـة الإسـلاميَّة اصـطدم بقـوَّة الشَّخصيَّة الإسلاميَّة الجماعيَّة الموحَّدَة لأنَّها – كما أوضح الشَّيخ – مُركَّبة من أربعة عناصـرَ قويَّةٍ ومتينةٍ، وهي(١):

١- الوَحدة الفكريَّة مع وَحدة مناهج البحث.

٢- الوَحدة الاعتقاديَّة حول النَّفس، والكون، والحياة، وسرِّ الوجود، والغاية من خلق الإنسان مع وَحدة المصادر الاعتقاديَّة.

٣- الوَحدة السُّلوكيَّة النَّظريَّة والتَّطبيقيَّة.

٤- الوَحدة العاطفيَّة نحو الأمور المُشتَركة بين الأفراد.

لم تَحُل هذه المُعضلة بين أعداء الإسلام وما يريدون، ولم تُثنهم عن كيدهم، إذ تفتَّقت قرائح شياطينهم عن خططٍ تفصيليَّةٍ خبيثةٍ وسامَّةٍ؛ بُغية تحقيق الفصل الكليِّ أو الجزئيِّ بين المسـلمين فصلاً فكريَّاً وتطبيقيَّاً، وقد كشف الشَّيخ الميدانيُّ عن سوْءة هذه الخطط والَّتي هي على النَّحـو التَّالي(٢):

١- إثارة الشُّبهات حول القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة، وأحكام الإسلام وتشريعاته.

٢- دسّ الأفكار الفاسدة، وإغراء ضعاف النُّفوس أو العقول من أبناء المسـلمين باعتناقهـا على أنَّها من تعاليم الإسلام ومفاهيمه، ومن ثَمَّ محاربة الإسلام بها.

٣- اختلاق الأكاذيب على الإسلام وتاريخ المسلمين، وتشويه غايات الفتح الإسلاميِّ.

٤- السُّخرية والاستهزاء من بعض أحكام الإسلام وأركانه وتشريعاته، ونَعْت المُستمسكين بها بالرَّجعيَّة والتَّعصُّب والجُمود.

٥- احتقار علماء المسلمين، والتَّضييق عليهم في أرزاقهم، وتقـديم الجُهَّـال والمُنحـرفين لمراكز الصَّدارة ليُعطوا صورةً مُشوَّهةً عن الإسلام.

٦- متابعة وتكرار الهُجوم على الإسلام باستخدام وسائل الإعلام الحديثة المضـلِّلة؛ بُغيـة التَّأثير في نفوس النَّاس.

٧- بثّ النَّظريَّات والأفكار والمبادئ الإلحاديَّة، أو المُخالفة لأُسُـس الإسـلام، وتعاليمـه، وشرائعه، وأحكامه في مختلف المجالات الاعتقاديَّة، والأخلاقيَّة، والعمليَّة ممَّـا يتعلـق بأحكام العبادات أو المعاملات.

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، (مجموعة بحوث، القسم السادس)، عبد الـرحمن حبنكـة الميداني، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٥، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، بـدون رقم الطبعة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٥٠٧-٥٠٩.

٨- استدراج طائفةٍ من أبناء المسلمين لتدريسهم في جامعاتهم علوم الشَّريعة الإسلاميَّة، واللُّغة العربيَّة وغيرها؛ لتشويه صورة الإسلام، وتاريخه، وعلومه في نفوسهم، ومن ثَمَّ منحهم الشَّهادات العُليا، ليعودوا إلى بلادهم جنوداً مُقنَّعين ووكلاء عنهم داخل شُعوبهم.

٩- التفريغ والملء، وهي أخطر ما عَرَفَ الكون من عواملَ هدمٍ لمقوِّمات أُمَّةٍ ذات مجدٍ عظيمٍ، فكريٍّ ونفسيٍّ وأخلاقيٍّ وتاريخيٍّ، وتتلخَّص هذ الخطَّة في ثلاثة عناصرَ، وهي:

العنصر الأوَّل: تفريغ أفكار الأجيال النَّاشئة وقلوبهم وعقولهم من مُحتوياتها ذات الجذور العقليَّة والوجدانيَّة والأخلاقيَّة، وهو ما يُطلق عليه غسل الدِّماغ.

العنصر الثَّاني: ملء هذا الفراغ بمُخترعاتٍ فكريَّة وعاطفيَّة مُزيَّفةٍ، تخدم مصالح العدو وغاياته، وتهدم كيان الأُمَّة المُستهدَفة.

العنصر الثَّالث: تسخير طوابير الجيش الَّذي صنعته أيديهم في هدم مقوِّمات أُمَّته، ومحاربة البقيَّة الباقية لهذه الأُمَّة من فكرٍ وعقيدةٍ، أو خُلُقٍ وسُلوكٍ، أو تاريخٍ ومجدٍ.

هكذا فصَّل الشَّيخ الخطط الخبيثة للغزاة، وهو الَّذي سخَّر حياته في كشف ألاعيبهم، وفضح مؤامراتهم، ووجَّه عقلاء ومفكِّري الأُمَّة الإسلاميَّة إلى التَّصدِّي بوعيٍ لهذا النَّوع من الغزو بِمَا يملكون من سلاحٍ لا يملكه غيرهم، إنَّه سلاح الفكر الإسلاميِّ الحقِّ المُستمدِّ من الدِّين الإسلاميِّ الرَّبَّاني الوحيد غير المحرَّف على ظهر الأرض كلِّها، مُعتبراً أنَّ هذا السِّلاح هو أمضى الأسلحة وأنفعها – لو أُحسن استخدامه – لمواجهة طوفان الغزو الفكريِّ الَّذي أَغرق به الغربُ بلادَ المُسلمين(١).

ومن خلال فُصول هذا البحث يحاول الباحث سرد بعض قضايا الغزو الفكريِّ، وكيف تعامل الشَّيخ الميدانيُّ معها، من خلال إبراز مواقفه منها، وردوده على ما تحمل من خَبَثٍ وشُبُهَاتٍ وأضاليلَ.

---

(١) انظر: بصائر للمسلم المعاصر، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ٢٢، دار القلم – دمشق، ط٣، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

الفصل الأوَّل

موقف الميدانيِّ من التَّبشير والاستشراق

❖ المبحث الأوَّل: التَّبشير وموقف الميدانيِّ منه

❖ المبحث الثَّاني: الاستشراق وموقف الميدانيِّ منه

المبحث الأوَّل

التَّبشير وموقف الميدانيِّ منه

❖ المطلب الأوَّل: التَّبشير وتعريفُه وأهدافُه ووسائلُه

❖ المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من التَّبشير

المطلبُ الأوَّل
التَّبشيرُ وتعريفُه وأهدافُه ووسائلُه

لقد كان الإسلام ولا يزال العدوَّ الأوَّل والأكبر لأوروبا وللغرب بشكلٍ عامٍّ، لِما يحمله الإسلام من رسالةٍ ربَّانيَّةٍ حقَّةٍ، في حين أنَّ الدِّين النَّصرانيَّ الَّذي يَدين به الغرب عَبَثَت به أيادي البشر فحرَّفته، فانتشر الإسلام بشكلٍ أغاظ الغرب وأقلقه، فاشتعلت نار الحقد في قلوب قادته الدِّينيين والعسكريين والسِّياسيين على السَّواء، فأعلنوا حربهم الجديدة على الإسلام، وأشهروا في وجهه مُختلف أنواع أسلحتهم الفكريَّة الفتَّاكة، والَّذي كان التَّبشير من أهمِّها وأخطرها مستهدِفين عقيدة المسلمين، محاولين تجريدهم من دينهم، وإدخالهم في النَّصرانيَّة، ومن خلال هذا المطلب سيكشف الباحث – إن شاء الله – عن مفهوم التَّبشير وأهدافه ووسائله من خلال المسائل التَّالية:

المسألةُ الأولى: تعريفُ التَّبشير:

أوَّلاً: التَّعريف اللُّغويُّ:

التَّبشير من البُشرى والبِشارة، وهو مصدر لفعل: بشَّر، أبشر، وبشَّره وأبشره وبشر به، وبشَر يبشر بشراً وبشوراً، يقال: بشرته فأبشر واستبشر وتبشر وبشر: فرح، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ [التوبة:١١١]، والبشارة: الخبر السَّار الذي لا يعلمه المخبَر به، والبشارة المُطلقة لا تكون إلَّا بالخير، وإنَّما تكون بالشَّر إذا كانت مقيَّدةً به كقوله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤](١).

يتَّضح من المعنى اللُّغويِّ لكلمة التَّبشير أنَّها تُستعمل للتَّبشير بالخير إلا إذا قُيِّدت، لذا فإطلاق لفظ التَّبشير على الدَّعوة لنشر الدِّين المسيحيِّ والتَّبشير بالمسيح أو سلخ المسلمين عن دينهم ومعتقداتهم – كما سيتَّضح من خلال المعنى الاصطلاحيِّ للكلمة – لا يستقيم من جهة اللُّغة، لذلك فالصَّواب أن يُسمَّى تنصيراً، ولكنَّه اشتهر بلفظة التَّبشير؛ لشيوعه في العُرف، ولإطلاقه من قِبل مبتدعيه، وهم رجال الكنيسة النَّصارى.

وقد أوردت الباحثة أمل عاطف الخضري في رسالتها القيِّمة والَّتي هي بعنوان التَّنصير في فلسطين تعريفاتٍ عدَّةً لمُصطلَحَيْ التَّبشير والتَّنصير خلُصت من خلالها إلى التَّفريق في المعنى بين المُصطلَحين، وذكرت من بين هذه التَّعريفات تعريف الشَّيخ الميدانيِّ، ثُمَّ علَّقت عليه بالقول بأن الشَّيخ لم يُمانع من إطلاق مصطلح التَّبشير على الأعمال التَّنصيريَّة، وأنَّه قد جانب الصواب في ذلك؛ لأنَّه لا يجوز إطلاق التَّسميات على المصطلحات من منظور الغرب الصليبيِّ، وإنَّما

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة بشر، ٥٩/٤، وانظر: تاج العروس ١٥٨/١٠، وانظر: المعجم الوسيط، ٥٨.

يجب أن يكون إطلاقها من منطَلق مُعتقداتنا، وما يعبِّر عن المصطلح على حقيقتــه، واســتدلَّت بتعريف المنصِّرين أنفسهم للتَّنصير بأنَّه "إيصال الأخبار السَّارَّة إلى النَّاس، بهدف إقناعهم بقبول يسوع المسيح ربَّاً ومخلِّصاً"(١)، وذهبت إلى أنه لو جاز تسمية التَّنصير تبشيراً باعتبار إطلاقــه من قِبل النَّصارى، فإنَّه يجوز إطلاق اسم الرَّبِّ أو المُخلِّص على عيسى عليه السلام بنفس الاعتبار(٢).

وهذا رأي حسن، واستنتاج سليم، وهو الصَّواب، ولكنَّ الشَّيخ قد أوضــح أنَّ إطــلاق هــذه المصطلحات (التَّبشير – الاستشراق – الاستعمار) بمعانٍ ودلالاتٍ جرى العُرف بها في الغرب والشَّرق، وأصبحت مصطلحات يُراد منها ما شاع في العُرف، حيث يقول: "فنحن نُطلقها وَفــق ما جرى عليه الاصطلاح، ولو كانت دلالاتها اللُّغوية الأصليَّة تُخالف ما تطــوَّرت إليــه فــي الاصطلاح أو واقع ما تُطلق عليه، أو من تُطلق عليه"(٣)، وبهــذا الاعتبــار لا يــزال معظــم المفكِّرين والباحثين المسلمين يُطلقون لفظ الاستعمار على ما قامت به دول الاحتلال من غــزوٍ للبلاد المستهدَفة، وإخضاع شعوبها بالقوَّة، لا على اعتبار إطلاقه من الــدُّول الغازيــة، ولكــن باعتبار ما شاع عُرفاً، وعلى هذا الاعتبار أيضاً لايزال بعضُ المفكِّرين المسلمين يُطلقون لفــظ التَّبشير على الجهود والحملات التَّنصيريَّة.

ويرجع إطلاق النَّصارى لفظة التَّبشير على التَّنصير إلى سببين، هُما:

أوَّلاً: اقتباس هذه التسمية من كتابهم المقدَّس، حيث جاء في معنى المبشِّر في قاموس الكتاب المقدَّس بأنَّه: "من يعظ النَّاس ببشارة الخلاص مُتنقِّلاً من مكانٍ إلى آخرَ، لا يستقرُّ فــي مكــانٍ مخصوصٍ، إنَّما همُّه التَّجوُّل يعظ بالإنجيل ويؤسِّس الكنائس باسم المسيح"(٤).

ثانياً: خداع الشُّعوب المستهدَفة لاسيَّما الإسلاميَّة منها، كما جرت عادة النَّصارى في تزيين كلِّ قبيحٍ، فاستخدامهم للفظة التَّبشير ما هو إلا ستار يُخفون خلفه نواياهم التَّنصيريَّة الخبيثة، فهذه الكلمة تحمل بريقاً سرعان ما يجذب إليه بعض البسطاء من العوامِّ، والسُّذَّج من النَّاس.

---

(١) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عُقد في مدينة جلــين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م، ونشرته دار MARC للنشر)، ٨٣٣، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٢) انظر: التنصير في فلسطين، أمل عاطف الخضري، ٦، رسالة ماجستير مقدمة لقســم العقيــدة بالجامعــة الإسلامية بغزة، ١٤٢٥هــ – ٢٠٠٤م.

(٣) أجنحة المكر الثلاثة، ٥٣.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، ترجمة وتأليف: جورج بوست، ٢٢٥/١، المطبعة الأمريكية –بيروت، بدون رقــم طبعة، ١٨٩٤م.

ثانياً: التَّعريف الاصطلاحيُّ:

تعدَّدت تعريفات المفكِّرين والباحثين المسلمين لمصطلح التَّبشير؛ وذلك يرجع إلى توسُّع أهداف المؤسَّسات التَّبشيريَّة، ووسائلها، وتطوُّرها يوماً بعد يومٍ، ما أجهد الباحثين في تتبُّعها وتحديد مفهومها وضبطه بشكلٍ لا يُهمِل جانباً من جوانبها، ويمكن إبراز أهمِّ تلك التَّعريفات في ما يلي:

١- عرَّف الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ التَّبشير بأنَّه: "تعبيرٌ أطلقه رجالُ الكنيسة النَّصرانيَّة على الأعمال الَّتي يقومون بها لتنصير الشُّعوب غير النَّصرانيَّة، ولاسيَّما المسلمين، ثم تحوَّل هدف التَّبشير داخل الشُّعوب المسلمة إلى غاية التَّكفير، وإخراج المسلمين عن دينهم، ولو إلى الإلحاد والكفر بكلِّ دين"(١).

٢- وقد عرَّفه المستشار علي جريشة بأنَّه: "تلك الحملة الَّتي تولَّتها الصَّليبيَّة فيما أُسمي (بتعليم الدِّين المسيحيِّ ونشره)"(٢).

٣- وجاء في الموسوعة الميسَّرة بأنَّه: "حركةٌ دينيَّةٌ سياسيَّةٌ استعماريَّةٌ بدأت في الظُّهور إثر فشل الحروب الصليبيَّة؛ بُغية نشر النَّصرانيَّة بين الأُمم المختلفة في دول العالم الثَّالث بعامَّةٍ، وبين المسلمين بخاصَّةٍ؛ بهدف إحكام السَّيطرة على هذه الشُّعوب"(٣).

٤- وعرَّفه الدُّكتور غالب عواَجي بأنَّه: "دعوةٌ جادَّةٌ لتنصير المسلمين، وغيرهم، وإدخالهم في عداد الأُمم النَّصرانيَّة، وضمن نفوذهم السِّياسيِّ والجُغرافيِّ"(٤).

٥- وعرَّفه الدُّكتور سعد الدِّين السَّيد صالح بأنَّه: "الدَّعوة إلى النَّصرانيَّة، ومحاولة دفع النَّاس إلى الدُّخول فيها بشتَّى الوسائل المشروعة وغير المشروعة"(٥).

٦- وعرَّفه الدُّكتور صالح الرِّقب بأنَّه: "التَّنصير الرَّامي إلى زعزعة العقيدة الإسلاميَّة في قلوب ونفوس المسلمين وتشكيكهم فيها، وبالتَّالي إخراجهم من الإسلام"(٦).

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ٥٣.

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، علي جريشة، ٢٣، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، طـ٣، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

(٣) الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، ٦٦٥/٢، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، طـ٤، ١٤٢٠هـ.

(٤) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف الإسلام منها، غالب عواجي ، ٢٨٩/١، الدار العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون رقم الطبعة، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م..

(٥) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين السيد صالح، ٣٥، مكتبة الصحابة، طـ١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٦) واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٤٣.

من المُلاحظ أنَّ هذه التَّعريفات قد أحاطت بالمصطلح من جميع جوانبه، وأكمل البعض منها ما في غيرها من نقصٍ، باعتبار أنَّ المنظور الَّذي ينظر من خلاله كلُّ صاحب تعريفٍ إلى المُصطلَح مختلِف، ولكنَّ التَّعريف الثَّالث قد جمع شتاتها، وألَّف بينها وهو ما يراه الباحث الأقرب لتوصيف مصطلح التَّبشير، إلا أنَّه يميل قليلاً إلى الشَّرح، لذا فإنَّ هذا التَّعريف – في رأي الباحث – يحتاج إلى بعض التَّهذيب والضَّبط، وعلى هذا يمكن تعريف التَّبشير على أنَّه: حركةٌ دينيَّةٌ سياسيَّةٌ استعماريَّةٌ تهدف إلى نشر النَّصرانيَّة بين الأُمم، وإحكام السَّيطرة على الشُّعوب المستهدَفة.

والمبشِّرون: "هم الَّذين يجنِّدون أنفسهم للقيام بمهمَّات التَّبشير، سواءً أكانوا من العاملين أو العاملات في السِّلك الكنسيِّ أو المُتطوِّعين والمتطوِّعات من ذوي الاختصاصات الأُخرى، وذلك عن طريق الدَّعوة إلى النَّصرانيَّة صراحةً، أو عن طريق التَّعليم المنهجيِّ، أو التَّثقيف العامِّ، أو الخدمات الصحيَّة، أو الاجتماعيَّة أو غيرها، ودسِّ الافكار التَّبشيريَّة فيها"(١).

وإنَّه منذ بزوغ فجر الإسلام، وظهوره على الدِّين كلِّه، وأهل الكتاب من يهودٍ ونصارى يُضمرون له ولأهله الحقد حسداً من عند أنفسهم، وزاد حقدهم وحسدهم – لاسيما النصارى منهم – بعد فشل حملاتهمُ الصَّليبيَّة، التي امتدَّت قرنين كاملين من الزَّمان، حيث ردَّهم المسلمون على أدبارهم يجرُّون أذيال خيبتهم، فكان من نتاج ذلك مخطَّطاتهم الهادفة للغارة على العالم الإسلاميِّ بحروبٍ من نوعٍ آخر، منها مخطَّطات التَّبشير بالنَّصرانيَّة بين الشُّعوب الإسلاميَّة، أو تحويل المسلمين عن دينهم ولو إلى الإلحاد والكفر بكلِّ دين(٢).

ويُعدُّ الإسبانيُّ ريمون لول أول من تولَّى التَّبشير في البلاد الإسلاميَّة، وذلك بعد فشل الحروب الصَّليبيَّة في مهمَّتها ، حيث تعلَّم لول اللُّغة العربيَّة بكلِّ مشقَّةٍ، وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين في بلادٍ كثيرةٍ(٣).

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ٥٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٦٢، ٦٣، وانظر: الموسوعة الميسَّرة، ٦٧٦/٢.

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٦٣، وانظر: الغارة على العالم الإسلامي، ا.لُ شاتليه، لخصها ونقلها إلى اللغة العربية، مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب، ٢٩، ٣٠، منشورات العصر الحديث، ، طـ٢، ١٣٨٧هـ .

المسألة الثَّانية: أهدافُ التَّبشير:

لقد خطَّط مدبِّرو الحروب الصَّليبيَّة للقيام بحروبٍ ماديَّةٍ مُسلَّحةٍ بالأسلحة العسكريَّة لغزو بلاد المسلمين، واستلاب أموالهم، وهدم حضارتهم، وتحويلهم عن دينهم الذي هو مصدر قوَّتهم، ووَحدتهم، ومنبع حضارتهم وتقدمهم في شتَّى المجالات الإنسانيَّة؛ لتكون هذه الحروب سبيلاً للغزو الفكريِّ، والنَّفسيِّ، والخُلُقيِّ، واستمرت حربهم على المسلمين حرباً لا هوادةَ فيها قرنين كامليْن، انتهت بجلائهم وفشلهم على أيدي المسلمين الَّذين قاتلوا في سبيل الله، وباعوا لله أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة، فأظفرهم الله بعدوِّهم، وأيَّدهم بنصره(١).

ثُمَّ تحوَّل الاتِّجاه عند أعداء الإسلام بعد تجاربهم الطَّويلة مع المسلمين إلى حروبٍ من نوعٍ آخرَ، تستهدف فكر المسلمين وعقيدتهم، فكان التَّبشير أحد أهمِّ وسائل هذه الحروب، وكان لويس التَّاسع ملك فرنسا أوَّل من حدَّد دور المبشِّر ومهمَّته، حيث أتاحت له خُلوته في معتقَله بالمنصورة فرصةً هادئةً ليفكِّر بعمقٍ في السِّياسة الَّتي كان أجدر بالغرب أن يتَّبعها إزاء المسلمين، وقد انتهى به تفكيره إلى أنَّ الحروب الصَّليبيَّة العسكريَّة قد أنهكت قُوى الغرب البشريَّة والماليَّة، ورأى أنَّ القضاء على الإسلام – أو على الأقلِّ – وقف توسُّعه عند حدٍّ هو هدفٌ حيويٌّ بالنِّسبة لفرنسا وأوروبا(٢).

إذن فالقضاء على الإسلام ووقف توسُّعه هو الهدف العامُّ والرَّئيس للتَّبشير، ومنه تتفرَّع باقي الأهداف، والَّتي يُمكن إبرازها فيما يلي:

أوَّلاً: تنصيرُ المسلمين، أو العمل على ارتدادهم عن دينهم:

لم يُخفِ المبشِّرون نواياهم بخصوص غاية ما يقومون به في بلاد المسلمين من أعمالٍ تبشيريَّة، إذ أعلنوا في كثيرٍ من مؤتمراتهم أنَّه من أهمِّ أهدافهم الَّتي يعملون من أجلها، ويُنفقون الأموال في سبيل تحقيقها، ويبذلون أقصى الجهد في تحصيلها، هو تحويل المسلمين إلى النَّصرانيَّة، وهذا ما صرَّح به المبشِّر رايد بقوله: "إنَّني أنا أُحاول أن أنقل المسلم من مُحمَّدٍ إلى المسيح، ومع ذلك يظنُّ المسلم أنَّ لي في ذلك غايةٌ خاصَّةٌ، أنا لا أُحبُّ المسلم لذاته، ولا لأنَّه أخٌ لي في الإنسانيَّة، ولولا أنِّي أريد ربحه إلى صفوف النَّصارى لما كنتُ تعرَّضتُ له لأساعدَه"(٣).

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٢١-٢٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٢٣، وانظر: حقائق عن التبشير، عماد شرف، ٩، المختار الإسلامي – القاهرة، ط١، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، وعمر فروخ، ١٩٣، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، بدون رقم طبعة، ١٩٨٦م.

ومع بذل المبشِّرين لكلَّ غالٍ ونفيسٍ من أجل تحقيق هذا الهدف إلَّا أنَّ النَّتائج المرجوَّة من ورائه لم تكن على مستوىً يرضي أطماعهم، أو يُشبع نَهمهم، فقد واجه المُبشِّرون كثيراً من العقبات الَّتي حالت دون تحقيقهم لهذا الهدف، وهو إدخال المسلمين في النَّصرانيَّة، وهذا ما شكا منه المبشِّرون الحاضرون في مؤتمر القُدس التَّبشيريِّ، ولكنَّ رئيس هذا المؤتمر القسِّيس الدُّكتور (صمويل زويمر)[١] قام فيهم خطيباً ومُطمئنَّاً قائلاً: "لقد أدَّيتم الرِّسالة التي نيطت بكم أحسن أداءٍ، ووُفِّقتم لها أسمى توفيقٍ، وإن كان ليُخيَّل إليَّ أنَّه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه، لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسيَّة منه ... ولكنَّ مهمَّة التَّبشير الَّتي ندبتكم دول المسيحيَّة للقيام بها في البلاد المحمَّديَّة ليست هي إدخال المسلمين في المسيحيَّة، فإنَّ في هذا هدايةً لهم وتكريماً، وإنَّما مَهمَّتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام، ليُصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتَّالي لا صلة له بالأخلاق الَّتي تعتمد عليها الأُمم في حياتها"[٢].

وليس هنالك ثَمَّة تناقضٍ بين كلام رايد وما قاله زويمر، فالأصل في مهمَّة المبشِّرين هو إخراج المسلم من دينه ثُمَّ إدخاله في النَّصرانيَّة، ولكن في حال الفشل في هذه المهمَّة يصبح الاكتفاء بإخراج المسلم من دينه هدفاً بحدِّ ذاته، وهذا واضحٌ من سياق ما قاله زويمر مُعزِّياً المبشِّرين، ومُزيلاً لقلقهم إزاء ما شعروا به من خيبة أملٍ في تنصير المسلمين.

ويُعدُّ هذا توجيهاً مباشراً وصريحاً من زويمر للمبشِّرين إلى العمل على سلخ المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، حتى لو خرجوا من الإسلام إلى الإلحاد، مع أنَّ الإلحاد عدوٌّ مشتركٌ لجميع الأديان، وهو لا يفرِّق بين دينٍ ودينٍ، ولا بين مذهبٍ ومذهبٍ، وإنَّما يرفع لواء المادِّيَّة والوجوديَّة، ويفاخر بعقائده الكافرة بكلِّ رسالةٍ ربَّانيَّةٍ[٣]، وهذا يعكس مدى تخوُّف المُبشِّرين من الإسلام – تخوف ليس له ما يبرره – أكثر مما يتخوَّفون من أيَّة قوَّةٍ أُخرى، وهذا ما صرَّح به المبشِّر غاردنز، حيث يقول: "إنَّ القوَّة التي تكمن في الإسلام هي الَّتي تخيف أوروبة"[٤].

---

(١) صمويل مارينوس زويمر، لاهوتي أمريكي، وُلد سنة ١٨٦٧م، أُطلق عليه اسم الرسول إلى الإسلام لقيادته حملة تنصيرية في المنطقة العربية لاسيما العراق والبحرين ومصر، مات سنة ١٩٥٢م. انظر: موقع بوابة الفجر الإلكترونية، http://new.elfagr.org/Detail.aspx?secid=43&nwsId=326120&vid=2، تاريخ الاقتباس: ٢٠١٣/٠٧/٢١م.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة، ١٠١، أيضاً: الموسوعة الميسَّرة، ٦٦٩/٢.

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٠١.

(٤) التبشير والاستعمار، ٣٦.



ثانياً: محاربةُ الوَحدة الإسلاميَّة:

لمَّا كان التَّبشير أحد أهمِّ الوسائل المُمهِّدة للغزو بنوعيْه الفكريِّ والعسكريِّ، ولمَّا كان أحد أهمِّ معوقات هذا الغزو هو توحُّد المسلمين، عمل المبشِّرون بجدٍّ للنَّيل من هذه الوَحدة، وتفتيتها، وتفريق كلمة المسلمين، وتسليط طاقاتهم المختلفة بعضها على بعض، لإضعاف قوَّتهم الجماعيَّة، وتوهين قُواهم الأخرى الماديَّة والمعنويَّة، وتبديدها في الفتن الدَّاخليَّة، وفي الصِّراعات المُختلفة الَّتي تُثار بينهم(١).

لقد نظر المُبشِّرون إلى عواملَ هذه الوَحدة الَّتي يتمتَّع بها المسلمون فوجدوا أنَّ من بين أهمِّ هذه العوامل هو القرآن الكريم بما يمثِّله من رمزيَّةٍ في قلوب وعقول جميع المسلمين أينما تواجدوا، وكذلك تُعتبر مكَّة أهمُّ مظهرٍ من مظاهر هذه الوحدة المتمثِّل في مشهد الحجِّ، حيث يجتمع المسلمون متوجِّهين إلى ربٍّ واحدٍ نحو قبلةٍ واحدةٍ بزيٍّ واحدٍ بحركةٍ واحدةٍ؛ لبلوغ غايةٍ واحدةٍ في مشهد يغيظ النَّصارى ومبشِّريهم، فأرادوا أن يستهدفوا هذه العوامل لنسف هذه الوَحدة الإسلاميَّة، وهذا ما أعلنه صراحةً المبشِّر وليم جيفور بالكراف عندما قال: "متى توارى القرآن ومدينة مكَّة عن بلاد العرب يُمكننا حينئذٍ أن نرى العربيَّ يتدرَّج في سبيل الحضارة التي لم يُبْعده عنها إلَّا مُحمَّدٌ وكتابه"(٢).

وقد أعلن المبشِّرون عن استهدافهم للوَحدة الإسلاميَّة بشكلٍ مباشرٍ وبدون مواربةٍ، حيث يقول لورانس براون وهو أحد زعماء المبشِّرين في كتابه الإسلام والإرساليَّات: "إذا اتَّحد المسلمون في إمبراطوريَّةٍ عربيَّةٍ أمكن أن يُصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، وأمكن أن يُصبحوا نعمةً له أيضاً، أمَّا إذا بقوا متفرِّقين فإنَّهم يظلُّون حينئذٍ بلا قوَّة ولا تأثير"(٣)، ويقول القسِّيس كالهون سيمون وهو أحد زعماء المبشِّرين أيضاً: "إنَّ الوَحدة الإسلاميَّة تجمع آمال الشُّعوب السُّود، وتساعدهم على التَّملُّص من السَّيطرة الأوروبيَّة، ولذلك كان التَّبشير عاملاً مُهمَّاً في كسر شوكة هذه الحركات، ذلك لأن التَّبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نورٍ جديدٍ جذَّابٍ، وعلى سلب الحركة الإسلاميَّة من عُنصري القوَّة والتَّمركز فيها"(٤).

ثالثاً: إخضاع العالم الإسلاميِّ للاستعمار الغربيِّ:

تنظر الدُّول الاستعماريَّة إلى جيوش المبشِّرين على أنَّها كنزٌ ثمينٌ لها، لذلك فقد أحاطتها بكلِّ أنواع الحماية والرِّعاية، وقرَّرت دعمها في أهدافها التَّبشيريَّة؛ لتستخدمها في الأهداف

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٣١٣.

(٢) المصدر السابق، ٧١.

(٣) المصدر السابق، ٣١٥، أيضاً: التبشير والاستعمار، ٣٧.

(٤) أجنحة المكر الثلاثة، ٣١٥، أيضاً: الموسوعة الميسَّرة ، ٦٦٨/٢، أيضاً: التبشير والاستعمار، ٣٧.

الاستعماريَّة[١]، ويُعدُّ هذا نوعاً من أنواع التَّآزر بين المبشِّرين والقُوى الاستعماريَّة، وتكاملاً في الأدوار؛ للوصول إلى غايةٍ مشتَركةٍ بينهما، وهي إخضاع العالم الإسلاميِّ لسيطرة الاستعمار الغربيِّ، وهذا ما دلَّ عليه صراحةً ما جاء في الكتاب المئويِّ للمبشِّرين اليسوعيين بعد أن أمسَت سُوريَّا ولبنان تحت الانتداب الفرنسيِّ، وهو قولهم "أجل، لقد كنَّا نعتمد على مساعدة فرنسا الظَّافرة، والآن ها هي فرنسا هنا"[٢].

وهذا يدلِّل بوضوحٍ على أنَّ التَّبشير تمهيدٌ للاستعمار ومقدِّمةٌ له، ويؤكِّد ذلك ما جاء في خطاب القسِّيس زويمر الَّذي ألقاه في مؤتمر القُدس التَّبشيريِّ سنة ١٩٣٥م، حيث قال فيه: "وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماريِّ في الممالك الإسلاميَّة"[٣]، ويدلُّ عليه أيضاً قول المبشِّر لورانس براون: "ولكنَّ الخطر الحقيقيَّ كامنٌ في نظام الإسلام، وفي قوَّته على التَّوسُّع والإخضاع، وفي حيويَّته، إنَّه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبيِّ"[٤].

رابعاً: تشويه صورة الإسلام وتاريخه:

لقد دَأَبَ المبشِّرون على بثِّ الأكاذيب والأباطيل ضدَّ الإسلام وتاريخه، ووجَّهوا سهام حقدهم نحوه ليشوِّهوا صورته البيضاء النَّاصعة، في محاولةٍ منهم لمنع أتباعهم من اعتناقه من جهةٍ، وإضعاف ثقة بعض جُهَّال المسلمين بدينهم لجعلهم يتذبذبون فيه من جهةٍ أُخرى، وسلكوا في سبيل ذلك كلَّ الطُّرق وسخَّروا كلَّ إمكانياتهم من أجل تحقيق هذه الغاية، ومن صور التَّشويه اتِّهام المسلمين بالجهل، وأنَّهم لصوصٌ وقَتَلَةٌ، يقول المبشِّر الأمريكي هنري جسب :"المسلمون لا يفهمون الأديان، ولا يقدِّرونها قدرها، إنَّهم لصوصٌ وقَتَلَةٌ ومُتأخِّرون، وإنَّ التَّبشير سيعمل على تمدينهم"[٥]، ومنها الترويج بأنَّ الإسلام قد انتشر بحدِّ السَّيف، وسفك الدِّماء، يقول المبشِّر تلسون: "وأَخضع سيف الإسلام شعوب إفريقيا وآسيا شعباً بعد شعبٍ"[٦]، ويقول لطفي ليفونيان وهو أرمنيٌّ كتب للنَّيْل من الإسلام :"إنَّ تاريخ الإسلام كان سلسلةً مُخيفةً من سفك الدِّماء والحروب والمذابح"[٧]، ومنها طعنهم في الإسلام وفي القرآن الكريم واتِّهامهم للمسلمين بتلفيقه وسرقة بعض ما فيه من النَّصرانيَّة، ومنها اتِّهامهم النَّبيَّ ﷺ بأنَّه عابدُ أصنامٍ، واتَّهامهم الإسلام

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١١١.

(٢) المصدر السابق، ١١٢.

(٣) المصدر السَّابق، ١١٥.

(٤) المصدر السَّابق، ١١٥، أيضاً: التبشير والاستعمار، ١٨٤.

(٥) الموسوعة الميسَّرة، ٦٦٨/٢.

(٦) المصدر السَّابق، ٦٦٨/٢.

(٧) المصدر السَّابق، ٦٦٨/٢.

بأنَّه يهضم حقوق المرأة[1]، وغيرها من الأباطيل والافتراءات والتُّهم الَّتي يسعوْن من خلال ترويجها للإساءة إلى الإسلام وتزييف الحقائق بشأنه لتقبيح صورته.

إنَّ هذه الأهداف لا تُمثِّل إلا النُّزر اليسير من الأهداف الَّتي يطمح المبشِّرون إلى تحقيقها، فالله أعلم إلى أيِّ حدٍّ تمتدُّ أطماعهم، وإنَّ المتأمِّل في هذه الأهداف لن يحتاج إلى كثير عناءٍ ليدرك حجم الكراهية والحقد الَّذي يُكِّنه النَّصارى للإسلام والمسلمين، فقد حشد أعداء الإسلام من النَّصارى المبشِّرين والمبشِّرات، ووجَّهوا الإرساليَّات التَّبشيريَّة إلى بلاد المشرق الإسلاميِّ؛ لانتهاب ثرواتها الفكريَّة والاجتماعيَّة المتمثِّلة في تشبُّث المسلمين بعقيدتهم، وتحصُّنهم خلف وحدتهم، فجاسوا خلال ديار المسلمين يعيثون فساداً في قلوبهم وعقولهم؛ لاستئصال ما فيها من عقيدةٍ راسخةٍ وفكرٍ مُستنيرٍ، بتشكيكهم في دينهم تارةً، وتزييف الحقائق وتصحيفها تارةً أخرى، ثم اختراق حصن الوَحدة الإسلاميَّة من خلال العمل على هدمها وتفتيتها، وتجزئة الأُمَّة الإسلاميَّة.

ولقد نجح المبشِّرون في تحقيق كثيرٍ من الأهداف التي رسموها وخطَّطوا لها، ولم يكن خُبث تفكيرهم، ودهاء تدبيرهم السبب الوحيد في نجاحهم، بل إنَّ تقاعس حكَّام المسلمين وقادتهم وعلمائهم – إلا من رحم الله – جزءٌ لا يتجزَّأ من هذا النَّجاح الذي حقَّقه المبشِّرون، ولكن يبقى للمسلمين عزاءٌ في أنَّ التَّدارك لا يزال ممكناً ومُتاحاً لو خلُصت النَّوايا، وبُذلت الجهود الكافية لوقف المدِّ التَّبشيريِّ في البلاد الإسلاميَّة.

(١) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٢/٦٦٨، ٦٦٩.

المسألةُ الثَّالثةُ: وسائلُ التَّبشير:

لقد سلك المبشِّرون أوَّل الأمر الوسائل المباشرة الَّتي حاولوا من خلالها تحدِّي الإسلام وعلمائه عن طريق مناظرتهم علناً، وقد بدأ هذا التَّحدي القسُّ فاندر أحد مؤلفي كتاب (ميزان الحقِّ) عمدة المبشِّرين والمستشرقين في مناظراتهم للمسلمين، وقد تصدَّى له في الهند (رحمة الله الهندي ١٢٣٣-هـ ١٣٠٨) صاحب كتاب إظهار الحقِّ، حيث قامت بينهما مناظرةٌ علنيَّةٌ في ١١ رجب ١٢٧٠هـ الموافق ١٠ نيسان ١٨٥٤م في مدينة (أكبر آباد آكره)، وقد أسفرت المُناظرة في يومها الأوَّل عن اعتراف القسِّ فاندر بوقوع التَّحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل، وفي اليوم التَّالي ظهر ضعف القسِّ فاندر في المُناظرة، أمَّا في اليوم الثَّالث لم يَعُدْ القسُّ إلى مجلس المُناظرة، وكان كلَّما علم بوجود الشَّيخ رحمة الله الهندي في مكانٍ غادره(١).

وبعد فشل المبشِّرين في تحقيق أيٍّ من أهدافهم عبر هذه الوسيلة، حيث كان علماء المسلمين يقفون لهم بالمرصاد يفنِّدون كلَّ ادِّعاءاتهم، ويُظهرون زيف منطقهم وكذبه وضلاله، ويردُّون عليهم طرحهم، ويُعرُّون عقائدهم المحرَّفة، فكان العلماء والواعون من الأمة بحقٍّ حصناً حصيناً، وسدَّاً منيعاً أمام كلِّ محاولات المبشِّرين إسقاط عامَّة المسلمين والسُّذَّج منهم في فخِّ التَّنصير، من أجل ذلك لجأ المبشِّرون إلى وسائلَ أكثر مواربَةً، وأشدَّ خُفيةً، وأوسع مكراً ودهاءً، وأكثر نجاعةً ونجاحاً.

فلقد لجأ المبشِّرون من أجل تحقيق أهدافهم إلى استخدام كافَّة السُّبل، بمساندة دولهم الاستعماريَّة، ومؤسَّساتهمُ الكَنَسيَّة، والَّتي رصدت لهمُ الأموال الطَّائلة، وسخَّرت لهم كلَّ إمكانيات النَّجاح، فقد تغلغلت أيادي المبشِّرين في مجالات متنوِّعة، وبسطوا نفوذهم بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ على كثيرٍ من المؤسَّسات الأهليَّة والخدماتيَّة في المجتمعات المستهدَفة، كما سيتَّضح من سياق تفصيل بعض وسائلهم الَّتي سخَّروها للكيد ضدَّ الإسلام والمسلمين على وجه الخُصوص، ويمكن إبراز أهمِّ وسائل المبشِّرين بضبطها في المجالات التَّالية:

أوَّلاً: مجالُ التَّعليم:

لقد استغلَّ المبشِّرون مجال التَّعليم أحسن استغلالٍ في مهمَّاتهمُ التَّبشيريَّة، حيث اعتبروا هذا المجال من أنجع الوسائل وأقصرها للوصول إلى تحقيق غايتهم، وهي تنصير المجتمعات – لاسيَّما الإسلاميَّة منها – وتبشيرهم بالمسيح، واعتبر المبشِّرون أنَّ التَّعليم إذا أصبح غايةً في

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، ٦،٧/١، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بدون رقم الطبعة، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، وانظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٠٤.

نفسه فهذا يعني فشلاً ذريعاً لمهمَّاتهم التَّبشيريَّة فليس المهمُّ – من وجهة نظرهم – تخريج العلماء، بل المهمُّ هو صناعة مجتمعاتٍ تعتنق النَّصرانيَّة، وأجيالٍ تؤمن بالمسيح، وهذا ما صرَّح به المبشِّر هنري هريس جسب بقوله: "إنَّ التَّعليم في مدارس الإرساليَّات المسيحيَّة إنَّما هو واسطةٌ إلى غايةٍ فقط، هذه الغاية هي قيادة النَّاس إلى المسيح، وتعليمهم حتَّى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشُعوباً مسيحيَّة، ولكن حينما يخْطُو التَّعليم وراء هذه الحدود ليصبحَ غايةً في نفسه، ويُخرِّج لنا خيرةَ علماء الفلك، وطبقات الأرض، وعلماء النَّبات، وخير الجرَّاحين والأطباء في سبيل الزَّهو العلميِّ ... فإنَّنا لا نتردَّد حينئذٍ في أن نقول: إنَّ رسالةً مثل هذه خرجت عن المدى التَّبشيريِّ المسيحيِّ إلى مدىً عَلمانيٍّ مَحضٍ، إلى مدىً علميٍّ دُنيويٍّ"(١).

ويعتبر المبشِّر جون موط مجال التَّعليم من أحسن الوسائل للوصول إلى المسلمين، لذلك فهو يشدِّد على ضرورة إبقاء التَّعليم تحت سيطرة المسيحيين حيث يقول :"... وهكذا نجد أنَّ وجود التَّعليم في يد المسيحيين لا يزال وسيلةً من أحسن الوسائل للوصول إلى المسلمين"(٢).

ومما يُؤسفُ له أنَّ أعداء الإسلام قد نجحوا في الوُثوب والسَّيطرة على الإدارات المباشرة وغير المباشرة للمؤسَّسات التَّعليميَّة في البلاد الإسلاميَّة، إمَّا عن طريق التَّسلُّل والنِّفاق، وإمَّا باسم التمدُّن والتَّحضُّر وتخليص أجيال المسلمين من التَّخلُّف، وإمَّا بسلطان الدَّولة الاستعماريَّة المُهيمنة على البلد، والموجِّه لكلِّ ما فيه، وإمَّا بضغط السِّياسات الدَّوليَّة، وفي كثيرٍ من الأحيان عن طريق من يؤمن بأهدافهم من أبناء المسلمين، ومن خريجي معاهدهم في الشَّرق أو الغرب، فأعداء الإسلام يُدركون ما للتَّعليم والتَّربية من آثارٍ عظيمةٍ في تنشئة الأجيال وصناعة مستقبل الأمَّة(٣).

وقد أخذت وسيلتهم في مجال التَّعليم صُوراً وأشكالاً متنوِّعة، منها:

١- الإكثار من تأسيس المدارس ورياض الأطفال:

لقد حرص المبشِّرون على استهداف الأطفال الصِّغار، فوجَّهوا جهودهم لتفريغ عقول أطفال المسلمين على وجه الخصوص من أيِّ قالَبٍ له طابعٌ إسلاميٌّ؛ ليسْهل بعد ذلك ملؤها بما يُريدون من أفكارٍ ومعتَقداتٍ، وذلك من خلال ما يقدِّمونه من مفاهيمَ مغلوطةٍ ومشوَّهةٍ عن الإسلام لطلَّاب المسلمين في المدارس ورياض الأطفال الَّتي أسَّسوها عبر مناهجَ وضعوها بعنايةٍ لتحقيق

(١) التبشير والاستعمار، ٦٦، ٦٧.

(٢) المصدر السابق، ٦٨.

(٣) انظر: غزو في الصميم، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ١٠٧، ١٠٨، دار القلم – دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.



هذه الغاية، ومن هذا يُفهم معنى قول اليسوعيين: "إنَّ المبشِّر الأوَّل هو المدرسة"(١)، وقد أكَّد على هذا بشكلٍ واضحٍ المبشِّر المشهور جون موط حين قال: "إنَّ الأثر المُفسد في الإسلام يبدأ باكراً جدًّا، من أجل ذلك يجب أن يُحمل الأطفال الصِّغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرُّشد، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلاميَّة"(٢).

من أجل ذلك شَرَعَ المبشِّرون في إنشاء المدارس ورياض الأطفال، بل واعتبروا وجود مثل هذه المدارس بكثرةٍ شرطاً أساسيًّاً لنجاح التَّبشير، يقول هنري هريس جَسَب: "إنَّ المدارس شرطٌ أساسيٌّ لنجاح التَّبشير، وهي بعد هذا واسطةٌ لا غايةً في نفسها، لقد كانت المدارس تُسمَّى بالإضافة إلى التَّبشير (دقُّ الإسفين)، وكانت على الحقيقة كذلك في إدخال الإنجيل إلى مناطقَ كثيرةٍ لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل أو المبشِّرون من طريقٍ آخرَ"(٣).

ولقد اهتمَّ المبشِّرون كثيراً بالتَّبشير بين صفوف بنات المسلمين، فقد عملوا على إنشاء مدارس للبنات، وكانت أوَّلُ مدرسةٍ للبنات أنشأها المبشِّرون في الإمبراطوريَّة العثمانيَّة في بيروت عام ١٨٣٠م، كما وقاموا بإنشاء العديد من مدارس البنات في مصرَ والسودان وسُوريًّا والهند وأفغانستان، بعد تيقُّنهم من أنَّ التَّبشير يكون أتمُّ حبكاً في مدارس البنات الدَّاخلية؛ لِمَا يكون فيها من الأحوال المواتيَة، والفرص السانحة؛ لذلك طلب المبشِّرون الأمريكيُّون عام ١٨٧٠م مبلغ ثلاثين ألف دولار لإنشاء مدرسةٍ دينيَّةٍ للبنات في بيروت، وعلَّلوا ذلك بقيمة المرأة في الحياة البيتيَّة، وأنَّ تلك المدرسة ستساعد على تنصير سُوريًّا في المستقبل(٤).

ويرى الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ المبشِّرين قد نجحوا بشكلٍ لافتٍ عبر هذه الوسيلة، حيث يقول: "وقد أسَّسوا في هذا المجال مدارسَ كثيرةً في بلدان العالم الإسلاميِّ من دور الحضانة حتَّى شهادة الثَّانويَّة، وأتقنوا بناءها ونظامها، واجتذبوا إليها أعداداً هائلةً من أبناء وبنات المسلمين، وكان ثمراتها إخراج أجيالٍ متنكِّرةٍ لدينها، ولأُمَّتها، ولأوطانها، تابعةٍ للغرب متشبِّثةٍ بذيول الحضارة الأوروبيَّة، وبريق ألوانها مع ما فيه من انحلالٍ وفوضى خُلُقيَّةٍ وسُلوكيَّةٍ، دون الأخذ بعوامل النَّهضة المادِّيَّة الحقيقيَّة"(٥).

---

(١) التبشير والاستعمار، ٧١.

(٢) المصدر السابق، ٦٨.

(٣) أجنحة المكر الثلاثة، ٧٧، ٧٨، أيضاً: التبشير والاستعمار، ٦٧.

(٤) انظر: المصدر السابق، ٨٧.

(٥) أجنحة المكر الثلاثة، ١٠٥.

٢- العمل على إنشاء الجامعات والكلِّيَّات:

يرى الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ كون المرحلة الجامعيَّة من اختصاص المستشرقين أكثر من كونها من اختصاص المبشِّرين(١)، وليس معنى هذا أنَّ أيادي المبشِّرين لم تمتد إلى عقول الطَّلاب الجامعيين المسلمين، بل أنشأت الدُّول الاستعماريَّة في ديار الإسلام الكثير من الكلِّيَّات والجامعات من ذوات الاختصاصات التَّبشيريَّة، من أشهرها الجامعة الأمريكيَّة في بيروت (الكلِّيَّة السُّوريَّة الإنجيليَّة سابقاً)، والجامعة الأمريكيَّة في القاهرة؛ لتكون قريبةً من الأزهر ومنافسةً له، بالإضافة إلى الجامعة الأمريكيَّة في جنين بفلسطين(٢).

يقول نبروز رئيس الجامعة الأمريكيَّة في بيروت (١٩٤٨-١٩٥٤م): "ولقد برهن التَّعليم على أنَّه أثمن الوسائل الَّتي استطاع المبشِّرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سُوريَّة ولبنان"(٣)، وتقول المبشِّرة أنَّا ميليغان: "في صفوف كلِّيَّة البنات في القاهرة بناتٌ آباؤهم باشوات وبكوات، وليس ثمة مكانٍ آخرَ يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النُّفوذ المسيحيِّ، وليس ثمة طريقٍ إلى حِصن الإسلام أقصر مسافةً من هذه المدرسة"(٤).

٣- اختيار المدرِّسين والمعلِّمين وَفق مقاييس خاصَّةٍ:

لمَّا أراد المبشِّرون أن يجعلوا التَّعليم قاصراً على التَّبشير فقط، من غير أن يطَّلع على أسرارهم التَّبشيريَّة أحدٌ، اشترطوا شروطاً وَفق مقاييسَ خاصَّةٍ لابدَّ أن تتوافر في المدرِّسين والمعلِّمين الَّذين يعملون في مدارسهم ومعاهدهم وكلِّيَّاتهم وجامعاتهم، أو التَّابعة لهم إداريَّاً، كاشتراطهم أن يكون المعلِّم أجنبيَّاً غير وطنيٍّ، وإذا دعت الحاجة إلى معلِّمٍ وطنيٍّ فليكن مسيحيَّاً بالدَّرجة الأولى على أن يكون متمرِّناً على التَّبشير، أمَّا المدارس والمعاهد الأجنبيَّة الَّتي اضطرَّت أن تقبل مدرِّسين مسلمين فهي تسير على سياسة الاستغناء عنهم كلَّما أمكن، وكلَّما وجدت البديل الأقرب إلى أفكارها ومعتقداتها(٥).

ويمكن استقراء الحرص الذي يُبديه المبشِّرون في اختيار المعلِّمين المسيحين والمتشدِّدين منهم للتَّعليم في مدارسهم ممِّا كتبه هـ. دانبي وهو أحد أعضاء المؤتمر التَّبشيريِّ المسيحيِّ الَّذي انعقد في القدس سنة ١٩٣٥م، وقد عَهِدَ إليه المؤتمر ليضعَ كتاباً توجيهيَّاً يتضمَّن ما وصل إليه المؤتمرون من الملاحظات والآراء، فكتب كتاباً جاء فيه أنَّه لا يكفي في مدارس التَّبشير أنْ

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٠٥.

(٢) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٥٠، وانظر: الموسوعة الميسَّرة، ٦٧٢/٢.

(٣) التبشير والاستعمار، ٤٦.

(٤) المصدر السَّابق، ٨٧.

(٥) انظر: المصدر السَّابق، ٧١.

يكون المعلِّم مسيحيًّا، بل يجب أنْ يكون مسيحيًّا من كلِّ قلبه، وأن يُطبِّق المسيحيَّة على المبادئ الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والدَّوليَّة(١).

٤- عرض تعاليم المسيح على الطُّلَّاب المسلمين:

حيث يحرص المبشِّرون على عرض التَّعاليم النَّصرانية والإنجيليَّة على الطُّلَّاب الَّذين يتعلَّمون في مدارسهم ومعاهدهم، يقول عمدة الجامعة الأمريكيَّة في بيروت في بيانٍ أصدره سنة ١٩٠٩م: "إن هذه كلِّيَّةٌ مسيحيَّةٌ، أُسِّست بأموال شعبٍ مسيحيٍّ: هم اشتروا الأرض، وهم أقاموا الأبنية، وهم أنشأوا المستشفى وجهَّزوه، ولا يمكن للمؤسَّسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء، وكلُّ هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من موادِّه، فتعرض منافع الدِّين المسيحيِّ على كلِّ تلميذٍ، ... وإنَّ كلَّ طالبٍ يدخل إلى مؤسَّستنا يجب أن يعرف مُسبقاً ماذا يُطلب منه"(٢).

٥- تأليف الكتب لحشو عقول الطُّلَّاب المسلمين بالشُّبهات:

لقد عمل المبشِّرون بمساعدة المستشرقين على تأليف كتبٍ خاصَّةٍ لمراحل التَّعليم وحقوله، لحشوِ عقول الطُّلَّاب المسلمين بالشُّبهات والتَّشكيكات عبر الدسِّ على الإسلام، والافتراء عليه وعلى تاريخه، وتاريخ رجالاته وعلمائه، ثُمَّ إحالة الطَّلبة على المراجع الَّتي ألَّفوها؛ وذلك لغرس مبادئ التَّربية الغربيَّة، وأنماط السُّلوك الغربيِّ في نفوس المسلمين، حتى يشبُّوا مقلِّدين للغرب، مستهزئين بالأخلاق والقِيَم الإسلاميَّة(٣).

ثانياً: مجال الخدمات الصِّحيَّة:

لم يترك المبشِّرون وسيلةً تقرِّبهم من غاياتهم التَّبشيريَّة إلَّا سلكوها، ولا باباً يوصلهم إلى ما يصبون إليه إلا طرقوه، فلقد سخَّر المبشِّرون مجال الخدمات الصِّحيَّة لهذ الغرض، واستغلُّوا آلام البشر أيّما استغلال، حيث شملت حربهم الصَّامتة المجال الصِّحيَّ، وجعلوا على رأس أهداف التَّطبيب جَعْل النَّاس – سيَّما المسلمين منهم – نصارى، وهو ما صرَّح به المبشِّر الطَّبيب بول هاريسون في كتابه الطَّبيب في بلاد العرب عندما قال :"إنَّ المبشِّر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عُمان بأسرها، لقد وُجدنا نحن في بلاد العرب لنجعلَ رجالها ونساءها نصارى"(٤)، وهو يعني بذلك أنَّ الغاية من إنشاء المؤسَّسات التَّبشيريَّة للمستشفيات ليست غايةً إنسانيَّة، وإنَّما تمَّ إنشاؤها في بلاد العرب لتحويل رجالها ونسائها عن دينهم إلى الدِّين النَّصرانيِّ.

---

(١) انظر: غزو في الصميم، ٦٥، ٦٦.

(٢) التبشير والاستعمار، ١٠٥.

(٣) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٥٠، ٥١.

(٤) التبشير والاستعمار، ٥٩.

وممَّا لاشكَّ فيه أنَّ الطَّبيب يستطيع أن يصل إلى جميع طبقات النَّاس، لذلك يعتقد المبشِّرون جازمين أنَّه بإمكان الطَّبيب المبشِّر أن يصل بتبشيره إلى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرضى الَّذين يُعالجهم، وبإمكانه أن يُغيِّرَ ما حوله ويجعل منهم نصارى حقيقيين، شريطةَ أن يكون هذا الطَّبيب المبشِّر نُسخةً حيَّةً من الإنجيل كما يزعمون(١)، يقول المبشِّر س.ا.موريسون في مجلة العالم الإسلاميِّ التَّبشيريَّة: "نحن مُتَّفقون بلا ريبٍ أنَّ الغاية الأساسيَّة من أعمال التَّنصير بين المرضى الخارجين في المستشفيات: أن نأتيَ بهم إلى المعرفة المُنْقِذة، معرفة ربِّنا يسوع المسيح، وأن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحيَّة الحيَّة"(٢).

من أجل هذا اعتبر الشَّيخ الميدانيُّ إنشاء المؤسَّسات الصِّحيَّة التي يقوم المبشِّرون على إنشائها في البلاد الإسلاميَّة واحدةً من الوجوه المُستعارة التي تلبسها كتائب الغزو غير المسلَّح لتُخبِّئَ خلفها حقيقة نواياها وأهدافها الشَّيطانيَّة، فقد استغَّل المبشِّرون الوجه الإنسانيَّ المُشرق للطِّبِّ كوسيلةٍ للتَّضليل الفكريِّ، وإفساد العقائد الصَّحيحة الَّتي تَدين بها الشُّعوبُ الإسلاميَّة، إلَّا أنَّه أكَّد على أنَّ هذه الأقنعة ستنحسر يوماً ما مهما طال الزَّمن، وسيظهر وجهُها الحقيقيُّ(٣).

ثالثاً: مجال المطبوعات والصُّحف والنَّشرات:

لقد عمل المبِّشرون على استغلال كلِّ ما لديهم من إمكاناتٍ واسعةٍ مادِّيَّةٍ كانت أو علميَّةٍ أو بشريَّةٍ، لطبع ملايين الكتب، والرَّسائل، والمنشورات، وتوزيعها بين المسلمين، وحرصوا أن يتولوا الكتابة فيها بأنفسهم، أو بعض الوطنيين العَلمانيين، أو المتعاونون مع الغرب الصَّليبيِّ الكافر، وتُعدُّ دائرة المعارف الإسلاميَّة، ومجلة العالم الإسلاميِّ الَّتي أنشأها القسُّ صموئيل زويمر سنة ١٩١١م أخطر المطبوعات التَّبشيريَّة، كما وتُعدُّ المطبعة الأمريكيَّة، والمطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت من أهمِّ المطابع التَّبشيريَّة(٤).

كما وقام المبشِّرون بتأليف الكتب، أو الإشراف على تأليفها؛ لتكونَ مراجعَ للبحوث الدِّينيَّة، ومن هذه الكتب: ميزان الحقِّ، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، الهداية، مقالةٌ في الإسلام، الباكورة الشَّهيَّة في الروايات الدِّينيَّة، دعوة الحقِّ، أصول الإيمان، الصَّليب في الإنجيل والقرآن، دين المسيح لم يُنسَخ، وشخصيَّة المسيح في الإنجيل والقرآن(٥).

---

(١) انظر: التبشير والاستعمار، ٥٩.

(٢) المصدر السابق، ٥٩، ٦٠.

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٢١٢.

(٤) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٥٢.

(٥) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١١٠.

رابعاً: مجال الإعلام والاتِّصالات الحديثة:

لقد عكفت المؤسَّسات التَّبشيريَّة على استخدام وسائل الإعلام في تحقيق أهدافها التَّنصيريَّة، فقد قامت هذه المؤسَّسات بتأسيس عددٍ من المحطَّات التِّلفزيونيِّة والإذاعيِّة؛ لنشر الإنجيل بصورةٍ علنيَّةٍ ظاهرةٍ، أو بصورةٍ خَفيَّةٍ متواريَةٍ، حيث بلغ عدد الإذاعات التَّنصيرية في عـام ١٩٨٠م أكثر من (٣٥) هيئةً ومؤسَّسةً إذاعيَّةً دوليَّةً، وقد بلغ عدد المحطَّات الَّتي تمتلكها أو تستأجرها الطَّائفة المعمدانيَّة وحدها أكثر من (١٠٠) محطَّة تنصيريَّة، في أكثر من (٨٠) بلداً مختلفاً، ومن هذه الإذاعات الَّتي استخدمت كوسائل للتَّنصير: إذاعة راديو الفاتيكان، وهي إذاعةٌ دوليَّةٌ مسيحيَّةٌ تمتلك أقوى أجهزة بثٍّ على مستوى العالم، وتأسَّست سنة ١٩٣١م، وإذاعة صوت الغُفران، وإذاعة مركز النَّهضة، وإذاعة موناكو، وتقدِّم برامجها بخمسةٍ وسبعين لغةٍ، وإذاعة صوت الأمل، وإذاعة صوت الإنجيل وغيرها(١)، كما استغل المبشِّرون مجال الاتِّصالات الحديثة وبخاصةٍ شبكة المعلومات الدَّوليَّة (الإنترنت) بما فيها من البريد الإلكترونيِّ والمُنتديات، وشبكات الحوار وغُرَف الدَّردشة ، وبعض المواقع الخاصَّة الَّتي تدعو إلى المسيح(٢)وكذلك استغلال مواقع التَّواصل الاجتماعيِّ مثل: الفيس بوك وتويتر وغيرها.

خامساً: مجال الجمعيَّات والمنظَّمات والنَّوادي ودور الخدمة الاجتماعيَّة:

عمل المبشِّرون على تأسيس عددٍ من المنظَّمات والجمعيَّات والنَّوادي ذات النَّشاط الاجتماعيِّ أو الأدبيِّ أو الثَّقافيِّ أو الفنيِّ أو الرِّياضيِّ، واستخدامها كوسيلةٍ للتَّبشير بالمسيح، ومن هذه المنظَّمات: منظمة نداء الرَّجاء بمدينة شتوتغارت الألمانيَّة، ومنظَّمة بعثة الصَّداقة الَّتي لها فروعٌ في لبنان، وهولندا وألمانيا، وفرنسا، وأمريكا، ومنظَّمة مركز الشَّبيبة النَّصرانيِّ، ومركزها الرئيسيُّ بألمانيا الغربيَّة، وغيرها من المنظَّمات(٣).

ومن الجمعيَّات الَّتي أسَّستها المؤسَّسات التَّبشيريَّة، والَّتي أَسندت لكلٍّ منها تنصير جهةٍ من الجهات في العالم أو خدمة هدفٍ من أهداف التَّنصير: جمعيَّة لندن، والَّتي تأسَّست سنة ١١٧٩هـ - ١٧٦٥م، وهي مُوجَّهةٌ إلى إفريقيا، وجمعيَّات بعثات التَّنصير الكنسيَّة، والَّتي تأسَّست سنة ١٢١٤هـ- ١٧٩٩م، وجمعيَّة طَبْع الإنجيل البريطانيَّة، والَّتي تأسَّست سنة ١٢١٩هـ- ١٨٠٤م، وجمعيَّة طَبْع الإنجيل الأمريكيَّة، والَّتي تأسَّست سنة ١٢٣١هـ-١٨٦١م، وجمعيَّة تنصير الشَّباب، والَّتي تأسَّست سنة ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م، وغيرها الكثير(٤).

---

(١) انظر: الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب، كرم شلبي، ٧٥،٧٦،٨١،٦٥، مكتبة التراث الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٢) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٥٢

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٠٨.

(٤) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ١/٣٤٦-٣٤٨.



جاء في كتاب مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين ما يلي: "نحن نعنى بالعمل الاجتماعيِّ المسيحيِّ: تطبيق مبادئ يسوع المسيح في جميع الصِّلات الإنسانيَّة، إنَّ المسلمين يدَّعون أنَّ في الإسلام ما يُلبِّي كلَّ حاجةٍ اجتماعيَّةٍ في البشر، فعلينا أن نُقاومَ الإسلام دينيَّاً بالأسلحة الرُّوحيَّة، فالنَّشاط الاجتماعيُّ يجب أن يرافق التَّعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويُتمِّمه ... من أجل ذلك ننصح بالسَّير في الأعمال الاجتماعيَّة على الأُسُس التَّالية: إيجاد بيوتٍ للرِّجال والنِّساء، خُصوصاً الطَّلبة منهم ومنهنَّ – إيجاد أنديةٍ – الاعتناء بالتَّعليم الرياضيِّ وأعمال التَّرفيه – حشد المُتطوِّعين لأمثال هذه الأعمال"(١).

سادساً: مجال الاهتمام بالمجتمعات الإسلاميَّة النَّاميَة والنَّائيَة:

تهتمُّ حركات التَّنصير بالمجتمعات النَّائيَة والنَّاميَة، والَّتي تكثر فيها الأُمِّيَّة، وينتشر فيها الفقر والمرض، لاستغلال حاجاتهم، بتقديم المساعدات لهم مع دعوتهم للدُّخول في النَّصرانيَّة، وتبشيرهم بالمسيح، فيضطرَّ هؤلاء المغلوبون على أمرهم لبيع دينهم؛ لتحصيل الغذاء، والدَّواء، والكساء، والعمل الذي يُحصِّلون عن طريقه أرزاقهم(٢)، وقد اعترف المبشِّر اتمر دوغلاس بأنَّ الجماعات التَّبشيريَّة قد استغلَّت تقديم الطَّعام والكساء للفقراء المسلمين في إبعادهم عن الإسلام(٣).

وهكذا لم تَدَع أيادي المبشِّرين مجالاً من المجالات إلا وعَقَدَت فيه حبائلُ مكرها، ولا يمكن حصر هذه المجالات بما ذُكر، فالمبشِّرون يبتدعون في كلِّ يومٍ وسيلةً جديدةً لإسقاط المسلمين، وخاصَّةً في البلاد البعيدة النَّائية، وإدخالهم في النَّصرانيَّة، وما كان للمبشِّرين أن يتغلغلوا في هذه المجالات إلَّا بما قدَّمته إليهم دولهم الاستعماريَّة من دعمٍ غير محدودٍ، ولا غرو أنَّ ذلك يدلّل بوضوحٍ على حجم التَّضافر والتَّعاون بين المستعمرين والمبشِّرين، ويؤكِّد على أنَّ التَّبشير توطئةٌ للاستعمار ومقدِّمةٌ له، وأنَّه لا يمكن الفصل بين الأعمال التَّبشيريَّة، والنَّوايا الاستعماريَّة بحالٍ من الأحوال.

---

(١) التبشير والاستعمار، ١٩١، ١٩٢.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٠٨.

(٣) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٥٤.

المطلبُ الثَّاني
موقفُ الميدانيِّ من التَّبشير

وقف الشَّيخ الميدانيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ على أهداف التَّبشير بعقلٍ مُستنيرٍ، وقلبٍ نابضٍ بالوعيٍّ، وتَتبَّع أكثرَ وسائله، حيث كشف مُعظم عواره، وحذَّر المسلمين من فخاخه، ودلَّهم على أنجع الطُّرق لمواجهته، وسيتَّضح من خلال هذا المطلب – إن شاء الله – موقفه من التَّبشير، وفضحه لمخطَّطات وأساليب المبشِّرين من خلال المسائل التَّالية:

المسألةُ الأُولى: استغلال المبشِّرين للتَّعليم:

يمكن استقراء ما قام به المبشرون من استغلالٍ للتَّعليم وتوظيفه لتحقيق أغراضهم من خلال النِّقاط التَّالية:

أوَّلاً: صور الغزو الفكريِّ في مجال التَّعليم:

تعدَّدت صور استغلال الغزاة المستعمرين للتَّعليم، بهدف الولوج إلى عُقول وأفكار المسلمين وغزوهم فكريًّا وثقافيًّا، ويرى الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ مُعظم العالم الإسلاميِّ قد تعرَّض لثلاث صُورٍ منَ الغزو الفكريِّ الصَّليبيِّ في مجال التَّعليم، وهي(١):

الصُّورةُ الأُولى: ما حملتْه مدارس التَّبشير لشعوب الأُمَّة، حيث عملت هذه المدارس على تنشئة أجيالٍ من أبناء المسلمين تتحلَّل من دينها عقيدةً وسُلوكاً وأخلاقاً وولاءً، وتقتبس من السُّلوك الفرديِّ والاجتماعيِّ الَّذي يُمليه عليها المعلِّمون المبشِّرون، لتبدأ هذه الأجيال بعد ذلك مرحلة التَّحول عن دينها، فتصير مُلحدةً أو علمانيَّةً، غير مُهتمَّةٍ بالدِّين، ويكون ولاؤها للدَّولة الاستعماريَّة الَّتي تنتمي إليها هذه المدارس التَّبشيريَّة.

الصُّورةُ الثَّانية: ما فرضتْه أجهزة الاستعمار على الشُّعوب الإسلاميَّة، حيث قامت هذه الأجهزة بإلزام المدارس الوطنيَّة في بلدان العالم الإسلاميِّ – الَّتي تقع الإدارة التَّعليميَّة فيها تحت سيطرتها – بالمناهج العَلمانيَّة، وجعلت من أهمِّ أهداف التَّعليم في هذه المدارس تربيَّة أجيالٍ من أبناء المسلمين تَدين بالولاء والطَّاعة للمُستعمِرين، وتنسلخ عن ولائها لأُمَّتها الإسلاميَّة، وتتقبَّل لمجتمعها الأنظمة الَّتي تُزيِّنها لها الدَّوائر الاستعماريَّة، أو تفرضها عليها.

الصُّورةُ الثَّالثة: ما حملتْه أفكار المُتأثِّرين بمدارس التَّبشير، والمفتونين بالغرب وحضارته، حيث نجح هؤلاء – ضمن مُخطَّطات الغزاة، وبمساعدة المُنظَّمات الوطنيَّة العميلة المُرتبطة بهم – في القبض على ناصيَة المراكز القياديَّة للتَّعليم وتوجيهه في البلدان الَّتي تقع

(١) انظر: غزو في الصميم، ٢٣، ٢٤، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥.

تحت سيطرة الدُّول الاستعماريَّة، وقاموا برسم سياسة التَّعليم في هذه البلدان وَفــق مــا يخــدم مصالح المُستعمِرين.

هذه إذن ثلاثُ صُوَرٍ للغزو في مجال التَّعليم كشف الشَّيخ النِّقاب عنها، وعرَّى الأســاليب الَّتي ينتهجها أعداء الأُمَّة للإيقاع بالنَّاشئة، واختراق الأجيال المسلمة؛ تمهيداً للسَّيطرة على الأُمَّة الإسلاميَّة بشكلٍ كاملٍ وشاملٍ، وإخضاعها إخضاعاً كليَّاً لا تستطيع معه النُّهوض أو الحِــراك، وقد برز من خلال عرض هذه الصُّوَر الثَّلاثة حجم الدَّور الَّذي لعبه التَّبشير والمبشِّرون لتمرير المخطَّطات الهادفة لإسقاط أجيال المسلمين فكريَّاً وثقافيَّاً، وتخدير وعــي النَّاشــئة، فقــد كــان المبشِّرون الذِّراع الأطول، والعنصر الأخطر للغزو الفكريِّ في مجال التَّعليم، فالعبث في عقول الأجيال المسلمة من قِبَلِ المبشِّرين في المدارس التَّبشيريَّة بشكلٍ خاصٍّ معنــاه فــرض معادلــةٍ جديدةٍ على أرض الواقع، هذه المعادلة تهدف لاستخدام هذه الأجيال كمعاول هدمٍ لأُمَّــتهم مــن الدَّاخل، لتتحوَّل بعد ذلك إلى أدواتٍ – من حيث تدري أو لا تدري – في أيــادي المُســتعمِرين يُحرِّكها الغزاة لتغريب المُجتمعات الإسلاميَّة الَّتي ستكون أكثر تقبُّلاً للفكر الغربــيِّ، بحكــم أنَّ الَّذي يقود هذه الحملات التَّغريبيَّة من أبناء جِلدتهم، ويتحدَّث بألسنتهم، تحت ظِــلال شــعاراتٍ خدَّاعةٍ شتَّى.

من أجل ذلك حذَّر الميدانيُّ المسلمين أيّما تحذيرٍ من الافتتان بمظــاهر العنايــة التَّعليميــة والتَّربويَّة الَّتي تقدِّمها المدارس التَّبشيريَّة لتلاميذها، فقد فُتن كثيرٌ من المسلمين بِمَــا فــي هــذه المدارس من تعليمٍ جيِّدٍ، وسرعةٍ في اكتساب لُغاتٍ أجنبيَّةٍ، فتسابق كثيرٌ منهم إلى دفــع أبنائــه وبناته إليها، وضمن تحذير الشَّيخ للمسلمين من الخطر المُستطير لهذه المدارس كشف عن مدى الخُبث الَّذي تتعامل به هذه المدارس في قَبولها أبناء المسلمين للالتحاق بها، حيث تَقبــل أبنــاء الأثرياء من المسلمين بِصلَفٍ ظاهرٍ، وزُهدٍ مُتصنَّعٍ، مع لهفةٍ شــديدةٍ مكتومــةٍ إلــى قَبــولهم، فالقائمون على هذه المدارس من المبشِّرين يعتبرون بأنَّ كلَّ وافدٍ جديدٍ إليها إنَّما هو صيدٌ جديدٌ، وأنَّهم نجحوا في إيقاعه في مصيدتهم الفكريَّة، وهو لا يزال عجينةً ليِّنةً قابلــةً للتَّطويــع، فهــم يطبعونه كما يُريدون، ويشكِّلونه على نحوٍ يخدم أغراضهم، ويَعْمَدُوا إلى إخراجه من الإســلام إخراجاً سهلاً، وهم فوق هذا يتقاضون الأجور الباهظة من أولياء التَّلاميذ نظير قبول أبنائهم في مدارسهم(١).

لقد عبَّر الشَّيخ رحمه الله عن ألمه الشَّديد لِمَا يتعلَّمه تلاميذ هذه المدارس من أكاذيبَ وأضاليلَ وتشويهاتٍ مُتَعمَّدَةٍ للحقائق عن القرآن الكريم، وعن الرَّسول ﷺ، وعــن التَّــاريخ الإســلاميِّ،

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٧٩، ٨٠.

ومقاصد الشَّريعة، وغيرها، ودلَّل الميدانيُّ على ذلك بحادثة طرد مؤلِّفة كتاب العصور الوسطى وهي وقتئذٍ ناظرة المدرسة الإنجليزيَّة في الدَّوحة واسمها شيلابورتر؛ لاحتواء الكتاب على جُملة تلفيقاتٍ ودسائسَ بحقِّ الإسلام والمسلمين، وكان يُدرَّس في هذه المدرسة للطُّلَّاب العرب والأجانب في قَطَر الَّذين لم تتجاوز أعمارهم الثَّانية عشرة، وهذه بعض مُفتَرَيات هذا الكتاب[1]:

١- أنَّ الإسلام قد نقل عن الحضارة الإغريقيَّة، وتأثَّر بالفلسفات اليونانيَّة والوثنيَّة.

٢- أنَّ الإسلام أذاب شخصيَّة الفرد، وقضى على كبريائه.

٣- أنَّ الإسلام جعل الإنسان المسلم غيبيَّاً واتكاليَّاً بتأكيده على مبدأ القناعة والتوكُّل والاعتماد على القضاء والقدر.

٤- أنَّ الإسلام عمل على تغذية النَّزعة العدائيَّة تجاه الشُّعوب، ودرَّب أنصاره على مبدأ الحرب.

٥- أنَّ الإسلام جعل المسلم يركع، ويمرِّغ جبهته في الأرض خلال صلواته خمس مراتٍ في اليوم.

٦- أنَّ الحضارة الَّتي ينسبها المسلمون إلى أنفسهم، ليست إلَّا حضارةً هنديَّةً، أو إغريقيَّةً، أو فارسيَّةً، وليس للعرب سوى الاقتباس والأخذ عن هذه الحضارات.

٧- أنَّ الفُتوحات الإسلاميَّة اعتمدت على تدمير الشُّعوب، وإذلال المجتمعات الَّتي وقعت تحت رحمة الغزو العربيِّ الإسلامِّي.

٨- أنَّ الرَّسول محمَّداً ﷺ شخصيَّةٌ ذات سطوةٍ قمعيَّةٍ، يرى أنَّ الرأي رأيَّه، وأنَّه فَرَضَ زعامته باعتباره سليل أسرةٍ قُرَشيَّةٍ عريقةٍ.

ثانياً: فرض الحصار الثَّقافيِّ والعلميِّ على المسلمين:

لم يقتصر عمل المبشِّرين على بثِّ مثل هذه الأباطيل والأكاذيب وترديدها على مسامع التَّلاميذ المسلمين في مدارسهم التَّبشيريَّة التي بذروها في مُعظم دول العالم الإسلاميِّ؛ لِيشوِّهوا الصُّورة النَّاصعة للإسلام في أذهان أطفال المسلمين، في محاولةٍ لخطف الأجيال المسلمة من أحضان أُمَّتها ودينها، بل تعدَّاه إلى غيره من الأعمال، فقد كان المبشِّرون يداً من أيادي الدُّول الاستعماريَّة في فرض حصارٍ علميٍّ وثقافيٍّ على طلَّاب العلم المسلمين، حيث وظَّفوا كلَّ إمكاناتهم، وسَخَّروا جُلَّ جهدهم لمساعدة المستعمِرين في حربهم على المسلمين من خلال التَّعليم، وقد كشف الشَّيخ الميدانيُّ تفاصيل هذا الحصار، وفضح الدَّور الخبيث الذي لعبه المبشِّرون من أجل إنجاحه، فقد تمثَّل الحصار في قيام الدُّول الاستعماريَّة بمساعدة إرساليَّات التَّبشير السَّافرة والمُقَنَّعة على وضع العقبات في طريق طُلَّاب العلم المسلمين الَّذين يَفِدُون إلى معاهد العلم،

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٨٧، ٨٨.

وكذلك التَّربُّص بالدُّول الإسلاميَّة الَّتي تُحاول أن تَشُقَّ طريقها إلى التَّقدُّم العلميِّ في شتَّى المجالات العلميَّة المادِّيَّة النَّافعة، وفرضت على طلَّاب العلم أفراداً كانوا أو حكاَّمَ دُوَلٍ ثمناً باهظاً لابدَّ من دفعه؛ لتفتح لهم أبواب العلم، هذا الثَّمن عبارةٌ عن ما تبقَّى من الإيمان والعقيدة والفكر في قلوب وعقول المسلمين، أو حتَّى ممَّا تبقى من السُّلوك والأخلاق والضَّمير، فأمَّا بالنِّسبة لطلَّاب العلم من الأفراد فقد تمثَّلت العقبات الَّتي وُضعت لقطع الطَّريق عليهم في حجبهم عن مراكز التَّعليم والتَّوجيه والإدارة والإنتاج، أو الزجِّ بهم في عملٍ بعيدٍ كلَّ البُعد عن تخصُّصاتهم؛ لقتل ما حصَّلوه من علمٍ طوال سنواتٍ عديدةٍ، ولحرمان أُمَّتهم ممَّا قد ينفعوها به من علمهم، أو دعوتهم للهجرة إلى أوروبا للعمل فيها، واستثمار اختصاصهم، وإضافة إنجازاتهم إلى ثرواتها العلميَّة بعد إغرائهم بمرتَّباتٍ مُجزيةٍ، أمَّا عن بعض الشُّعوب الإسلاميَّة الَّتي نجحت في كسر هذا الحصار بكفاحها المتواصل، ويقظة بعض أبنائها، فقد مكرت بهمُ الأجهزة العميلة التي تُضمر لهمُ العداء، فعملت على إفساد خُططهم التَّعليميَّة، وتحويل مجرى مسيرتهم الَّتي توصلهم إلى التَّقدم المادِّيِّ؛ لحرمان المسلمين من العلوم العمليَّة، وحجبها عنهم بكلِّ وسيلةٍ وأيِّ ثمنٍ(١).

ثالثاً: خُطَّةُ الميدانيِّ لتحصين وإصلاح التَّعليم:

هذه بعض الصُّور المريرة الَّتي أفرزتها الحرب الضَّروس الَّتي خاضتها الأجهزة الاستعماريَّة ضدَّ التَّعليم في بلدان العالم الإسلاميِّ، وإنَّ الواقع التَّعليميَّ في هذه البلدان فيه من الصُّور الأخرى ما هو أشدُّ وأنكى، ولقد كان المبشِّرون أحد أهمِّ أدوات الاستعمار الَّتي ساعدت على تمرير خُططه، وسياساته التَّعليميَّة ذات الأثر المدمِّر على الأُمَّة الإسلاميَّة كلِّها على المدى القصير والبعيد.

لذا فقد دعا الشَّيخ الميدانيُّ إلى تحصين التَّعليم في الدُّول الإسلاميَّة وإصلاحه؛ حتَّى لا يكون نهباً لكلِّ طامعٍ، أو حاقدٍ أو موتورٍ، وذلك بالتزام منهجٍ تعليميٍّ مُوحَّدٍ، وقد لخَّص خطوطه العريضة في البنود التَّاليَة(٢):

١- ضرورة الأخذ بوَحدة المعرفة، وربطها بالحياة، وإزالة الحواجز المُصطَنَعة بين علوم الدِّين الإسلاميِّ وبعض العلوم الأُخرى المُكتَسَبَة بالوسائل الإنسانيَّة.

٢- تنقية ما يُقدَّم من علومٍ كونيَّةٍ في المناهج الدِّراسيَّة من الأفكار والمذاهب المُصادِمة للحقائق الثَّابتة في الإسلام، مع التَّأكيد على أنَّ هذه الأفكار ما هي إلا فَرَضيَّات ليس لها أيَّةُ قيمةٍ علميَّةٍ، إذ لا تعارض أو تصادم بحالٍ من الأحوال بين الحقائق العلميَّة الثَّابتة وبين الإسلام.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٢٢١-٢٢٣.

(٢) انظر: غزو في الصميم، ٢١٨-٢٢٨.



٣- تصفية ما يُقدَّم من علومٍ إسلاميَّةٍ في المناهج الدِّراسية من الاجتهادات والآراء والنُّصوص غير الثَّابتة المُتضمِّنة لأفكارٍ ومفاهيمَ مُناقضةٍ للحقائق العلميَّة المُكتسبة بالوسائل الإنسانيَّة.

٤- تقديم العلوم الإسلاميَّة مُدعَّمةً بأدلَّتها الشَّرعيَّة المُعتمَدة عند علماء المسلمين، وبالأدلَّة العلميَّة المُكتسَبَة بالوسائل الإنسانيَّة التَّجريبيَّة والاستنباطيَّة.

٥- ضرورة ربط العلوم الكونيَّة بتطبيقاتها المعمليَّة والحياتيَّة؛ للاستفادة من الدِّراسات النَّظريَّة في مجالات الصِّناعة والإنتاج والاختراع والاقتصاد والاكتفاء الذَّاتيِّ، وغيرها.

٦- صياغة العلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة صياغةً إسلاميَّةً.

٧- إلزام كلِّ مرحلةٍ من مراحل دراسة العلوم الكونيَّة بدراسة مستوىً دراسيٍّ من العلوم الإسلاميَّة ملائمٍ لها، وكذلك إلزام كلِّ مرحلةٍ من مراحل الدِّراسة الشَّرعيَّة الدِّينيَّة بدراسة مستوىً من العلوم الكونيَّة ملائمٍ لها.

٨- التزام التَّعليم الإسلاميِّ باللُّغة العربيَّة، ليظلَّ المتعلِّمون على صلةٍ قويَّةٍ بلُغة مصادر دينهمُ الكبرى؛ فهذا يُمكِّن المتعلِّمين من التَّدبُّر البعيد عن عوامل التَّحريف أو الخطأ أو القُصور في الفهم.

٩- الاهتمام بإعداد المعلِّم الجيِّد، إذ يُعَدُّ المعلِّم أهمَّ وأخطر عاملٍ في أركان التَّعليم كلِّها، والمعلِّم الجيِّد لابدَّ أنْ يتحلَّى ببعض الصِّفات، ومنها أن يكون:

أ- مؤمناً بالقاعدة الإيمانيَّة في الإسلام.

ب- مُتمسِّكاً بتعاليم الدِّين الإسلاميِّ، حريصاً على تطبيقها.

ت- سويَّاً نفسيَّاً (متوازناً عاطفيَّاً - خالياً من الصِّراع النَّفسيِّ والأمراض النَّفسيَّة - قادراً على ضبط نفسه في المواقف المُثيرة للانفعال - مُتفائلاً - واثقاً بنفسه - ذا إرادةٍ قويَّةٍ).

ث- ذكيَّاً قادراً على حلِّ المشكلات الَّتي تعترضه، وذا رأيٍ سديدٍ، وحكيماً في تصرُّفاته.

ج- اجتماعيَّاً مُحبَّباً يألف ويُؤلَف.

ح- صحيح الجسم، ذا لياقةٍ بدنيَّةٍ، خالياً من المُنفِّرات.

خ- خالياً من العادات السَّيئة ذات التَّأثير السَّيِّء على التَّلاميذ.

د- مُحبَّاً لمهنة التَّعليم، مؤمناً بجدواها، غيوراً على بناء الأجيال بناءً سليماً.

ذ- متمكِّناً من مادَّته الَّتي يقوم بتدريسها، ومشاركاً في غيرها مشاركةً مناسِبةً.

ر- أسوةً حسنةً لتلاميذه في كلِّ أنواع سُلوكه وتصرُّفاته الفرديَّة والاجتماعيَّة، وبخاصَّةٍ سُلوكه الدِّينيِّ والأخلاقيِّ.

لذا فإنَّه ينبغي على الحكومات أن تأخذ هذا الطَّرح وغيره بعين الاعتبار لتصحيح المسار التَّعليميِّ في البلاد الإسلاميَّة، ولتحصينه من الحملات التَّبشيريَّة والتَّغريبيَّة الَّتي تستهدف الموروثات الدِّينيَّة والفكريَّة لدى أجيال المسلمين.

المسألةُ الثَّانية: استغلال المبشِّرين للمرأة:

تتبَّع الشَّيخ الميدانيُّ الأعمال الَّتي قام بها المبشِّرون لِغواية المرأة، وإيقاعها في مُستنقع النَّصرانيَّة، ومن ثَمَّ استخدامها كسلاحٍ ضدَّ دينها وأُمَّتها، وقد أكَّد الشَّيخ أنَّ المبشِّرين قد وجدوا صعوباتٍ بادئ الأمر في الوصول إلى المرأة المُسلمة؛ وذلك بسبب التزامها بآداب دينها، وبُعدها عن الاختلاط المحرَّم بالرِّجال، فاضطرَّ المبشِّرون إلى الاستعانة بفريقٍ نَسَويٍّ من المبشِّرات، ثُمَّ أقاموا جمعيَّاتٍ نسائيَّةً، كجمعيَّة الشَّابات المسيحيَّات، وأسَّسوا مدارسَ للبنات على غِرار تلك الَّتي أسَّسوها للذُّكور، وفتحوا دُوراً خاصَّةً بالطَّالبات تُشرِف عليها طائفةٌ من المبشِّرات، وأقاموا الأندية النِّسائيَّة والمُخيَّمات الكشفيَّة النِّسائيَّة، ثم عملوا بالتَّدرُّج على كسر الحواجز بين الذُّكور والإناث، حتَّى شاعت المجتمعات المختلَطة بين المسلمين، الأمر الَّذي أسعد المبشِّرين حيث أتاح لهم ذلك فُرَصاً ملائمةً للتَّغلغل إلى داخل الأُسرة المسلمة، وبثِّ ما يُريدون من تعاليمَ تُمليها عليهم مهمَّاتُهمُ التَّبشيريَّة(١).

لقد أُصيب المبشِّرون على ما يبدو بسعارٍ فيما يتعلَّق بتنصير المرأة، فالإرساليَّات التَّبشيريَّة نهمةٌ لجلب مزيدٍ من النِّساء المسلمات إلى النَّصرانية، واللُّجوء إلى أيَّة وسيلةٍ ممكنةٍ ومُتاحةٍ للوصول إلى جميع نساء العالم من المسلمات، وهذا ما عبَّرت عنه المبشِّرات الأعضاء في مؤتمر القاهرة التَّبشيريِّ الَّذي عُقد في عام ١٩٠٦م، عندما قدَّمْنَ النِّداء الحماسيَّ التَّالي: "... لا سبيل إلَّا بجلب النِّساء المسلمات إلى المسيح. إنَّ عدد النِّساء المسلمات عظيمٌ جدًّا... فكلُّ نشاطٍ مُجْدٍ للوصول إليهنَّ يجب أن يكون أوسع مما بُذل إلى الآن، نحن لا نقترح منظَّماتٍ جديدةً، ولكن نطلب من كلِّ هيئةٍ تبشيريَّةٍ أنْ تحمل فرعها النِّسائي على العمل، واضعةً نصب عينيها هدفاً جديداً، هو الوصول إلى جميع نساء العالم المُسلمات في هذا الجيل..." (٢).

لقد استغلَّ المبشِّرون المرأة المسلمة إذن أبشع استغلال وأقبحه، حيث ركَّزوا في دعاواهم الكاذبة التي زينوها للمرأة لإيقاعها في شباكهم الرَّخيصة على أنَّها مظلومةٌ ومُضطَهَدةٌ وجاهلةٌ، ويجب عليها أن تجاهد من أجل أنْ تتحرَّر من استعباد الرَّجل الشَّرقيِّ لها، وأنَّها لن تجد أفضل من الدِّين النَّصرانيِّ ملاذاً لها لإنصافها، واستعادة كلِّ حقوقها المسلوبة(٣).

وقف الشَّيخ الميدانيُّ أمام هذه الدَّعاوى والافتراءات ينافح عن الإسلام المُتَّهم من قِبل المبشرين وغيرهم باضطهاد المرأة وهضم حقوقها، فاستعرض أكاذيبهم وفنَّدها ونسفها من جذورها، بل وحوَّل دفاعه عن الإسلام إلى هجومٍ حين أكَّد على قصور المذاهب الغربيَّة

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٧٢، ٧٣.
(٢) المصدر السابق، ٧٣.
(٣) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ٣٨١.

المُصطنعة عن ضمان أدنى حقٍّ من حقوق المرأة، هذه المذاهب الَّتي تفوح منها رائحة الصَّليب، والَّتي يروِّجون أفكارها، ويبثُّون ما تحمله من سمومٍ في أوساط نساء الأُمَّة الإسلاميَّة في محاولةٍ منهم لخداع المرأة المسلمة ببريق كلامٍ معسولٍ مجرَّدٍ من الحقائق، وسيورد الباحث ردود الشَّيخ وأجوبته على كلِّ القضايا التي أثارها أعداء الأُمَّة من مبشِّرين وغيرهم للإيحاء للمرأة بالضَّيم والظُّلم الَّذي يزعمون أنَّ الإسلام قد أوقعه عليها، وذلك في مبحثٍ مستقلٍّ عن المرأة في الفصل الثَّاني إن شاء الله.

المسألةُ الثَّالثة: تفنيدُ بعض شبهات المبشِّرين والردُّ عليها:

أورد الشَّيخ بعضاً من الشُّبهات الَّتي يروِّجها المبشِّرون أمام أبناء المسلمين؛ بهدف زعزعة العقيدة في نفوسهم، وتشكيكهم في دينهم، ومسح الصُّورة المُشرقة في أذهانهم لإسلامهم وتاريخه العريق، وهذه بعض الموضوعات الَّتي طرح المبشِّرون حولها شُبهاتهم متبوعةً بجواب الميدانيِّ عليها، وذلك على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: القرآن الكريم:

لم يتوقَّف أعداء الإسلام منذ ظهوره وحتَّى الآن عن إيراد الشُّبهات حول مصادر العقيدة الإسلاميَّة – لا سيَّما القُرآن الكريم – بهدف الطَّعن في عقيدة المسلمين، وفي هذا السِّياق تأتي شُبهة المبشِّرين حول القُرآن، ومضمون شبهتهم وجواب الميدانيِّ عليها كما يلي:

١- مضمون الشُّبهةُ:

زعم المبشِّرون بأنَّ القُرآن الكريم من وضع الرَّاهب بَحيرى، وأنَّه قد أخذ من الإنجيل وصاغه صِياغةً جديدةً، وزاد عليه التَّشريعات التي تُوافق زمنه، ثم قام هذا الرَّاهب بإعطاء كلِّ ذلك لمحمَّدٍ فتبنَّاه وسمَّاه قُرآناً[١].

٢- جوابُ الميدانيِّ:

تعجَّب الميدانيُّ من هذه الفرية، وأكَّد على أنَّها مُختلَقةٌ، ولا تستند حتَّى إلى أيَّة أُكذوبةٍ تاريخيَّةٍ، وأنَّ هؤلاء المبشِّرين لم يُسبقوا إليها، وأنَّها مجرد أُكذوبةٍ حمقاءَ، واعتبر الشَّيخ أنها أقلُّ شأناً ممَّا ادَّعاه مشركو العرب عندما زعموا أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يتلقَّى القُرآن من رجلٍ أعجميٍّ من الحجاز، فأنزل الله قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣][٢].

قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يقول تعالى مخبرًا عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبُهت: أنَّ محمَّدًا إنَّما يعلِّمه هذا الَّذي يتلوه علينا من القرآن بشرٌ، ويُشيرون إلى رجلٍ أعجميٍّ كان بين أظهرهم، غلامٍ لبعض بُطون قريشٍ، وكان بيَّاعاً يبيع عند الصَّفا، فربَّما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلِّمه بعض الشَّيء، وذاك كان أعجميَّ اللِّسان لا يعرف العربيَّة"[٣].

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٨٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٨٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي سلامة، ٦٠٣/٤، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، طـ٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

ثانياً: الفتحُ الإسلاميُّ:

تزخر قلوب أعداء الإسلام وخاصَّةً المُبشِّرين بأنواع الحقد والحسد على المسلمين ودينهم، بسبب كونه سريع الانتشار لتقبُّل أصحاب الفِطَر والعقول السَّليمة له ولتعاليمه، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم، وكون الفُتوحات الإسلاميَّة من أهمِّ أسباب انتشار الإسلام فقد أثار المبشِّرون حولها شُبهاتٍ مفترَياتٍ، ومن بينها هذه الشُّبهة، وقد أجاب عنها الميدانيُّ، وذلك على النَّحو التَّالي:

١- مضمونُ الشُّبهة:

زعم المبشِّرون بأنَّ الفتح الإسلاميَّ الَّذي قام به العرب المسلمون لم يكن سوى توسُّعاً عربيَّاً، لا امتداداً إسلاميَّاً[(١)].

٢- جوابُ الميدانيِّ:

أكَّد الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ دعواهم هذه لا تستند إلى أيَّة حقيقةٍ تاريخيَّةٍ، وأنَّها مجرد أوهامٍ لا وجود لها إلَّا في نُفوس أعداء الإسلام، حرَّكها الحقد الدَّفين على الإسلام وأهله، وأكَّد أنَّ واقع الجزيرة العربيَّة يشهد ببطلان فريتهم، فالجزيرة العربيَّة ظلَّت تُعاني الفقر الشَّديد، والتَّخلُّف عن مظاهر الغِنى والتَّقدم العمرانيِّ إلى حين ظهور البترول فيها قُبيل منتصف القرن العشرين، بالرَّغم من الآثار العربيَّة الإسلاميَّة العظيمة الَّتي تعكس صورة تقدُّم الحضارة الإسلاميَّة الباهرة في كثيرٍ من المُدن والبلاد الَّتي تقع خارج حدود الأرض الَّتي انطلق منها الفاتحون من العرب والمسلمين، كما في الشَّام والعراق وتُركيَّا والهند والأندلُس وغيرها، فلو كانت الغاية من الفتح عربيَّةً لا إسلاميَّةً كما يزعمون، لعمد الفاتحون العرب على نقل الأموال الَّتي تدفَّقت عليهم من أقطار الدُّنيا بفعل اتِّساع الفتوحات إلى جزيرتهم دون أيِّ عناءٍ أو مشقَّةٍ؛ ليحوِّلوا الجزيرة إلى مملكةٍ عربيَّةٍ ذات مجدٍ تليدٍ، كما فعل أسلافهم حينما ظفروا بمُلكٍ صغيرٍ في بعض المناطق العربيَّة كتدمر والحيرة، من أجل ذلك استقبلت شعوب الأرض الفتح الإسلاميَّ بترحابٍ كبيرٍ ودخلت في دين الله أفواجاً، وكنوعٍ من المقارنة، لَفَتَ الميدانيُّ إلى الحركة الاستعمارية الغربية وطريقة تعاملها مع البلاد الَّتي قامت بغزوها، فقد كانت على النَّقيض تماماً من هذه الصُّورة النَّاصعة للفتح الإسلاميِّ ، حيث تعاملت الدُّول الاستعماريَّة الغربيَّة بكلِّ قسوةٍ ووحشيَّةٍ مع البلاد الَّتي استهدفها غزوها، فجعلت أعزَّة أهلها أذلَّةً، وقامت بإفقارها، ونهب وسلب خيراتها بكلِّ وسيلةٍ؛ وأرجع الميدانيُّ السَّبب وراء ذلك هو أنَّ الغزو الَّذي قامت به الدُّول الاستعماريَّة الغربيَّة لم يكن من أجل ما ادَّعتْه من شعاراتٍ، بل كان لصالح شُعوبها وقوميَّاتها[(٢)].

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٨٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٨٣، ٨٤.

ثالثاً: الكعبة:

تعرَّض أعداء الإسلام لمظاهر العبادة لدى المسلمين، ووجَّهوا لها أنواع المطاعن المُختلفة، وتُعتبر فريضة الحجِّ من أشدِّ عبادات المسلمين على أعدائه وخاصَّةً المبشِّرين، لِمَا فيها من اجتماع المسلمين ووَحدتهم، فحرَّك ذلك الحسد والحقد في قلوبهم، فوجَّهوا سهام مطاعنهم نحو فريضة الحجِّ ومناسكها، وهذه إحدى شُبهات المبشِّرين حول الكعبة المُشرَّفة متبوعةً بجواب الميدانيِّ عليها:

١- مضمونُ الشُّبهة:

زعم المبشِّرون بأنَّ المسلمين يعبدون الكعبة، ويعبدون الحجر الأسود، ويسجدون عليه ويقبِّلونه؛ لتشكيك التَّلاميذ المسلمين في عباداتهم، وإيهامهم بأنَّها مجرد لونٍ من ألوان العبادات الوثنيَّة الَّتي يُنكرها المسلمون أنفسهم على غيرهم(١).

٢- جوابُ الميداني:

أشار الشَّيخ الميدانيُّ إلى الغاية من ترويج مثل هذه الدَّعوى، وهي تشويه العبادات والمناسك الإسلاميَّة، ونوَّه إلى أنَّ باحثيهم يعلمون أنَّ الإسلام حين أمر بالاتِّجاه إلى الكعبة في الصَّلاة، وأمر بالطَّواف حولها قد أثبت في قلوب المسلمين جملةً من العقائد تُمثِّل جزءاً من أُسُس عقيدتهم، وهي(٢):

العقيدةُ الأُولى: أنَّ الكعبة بناءٌ أرضيٌّ لا يضرُّ بذاته ولا ينفع.

العقيدةُ الثَّانية: أنَّ الصَّلاة وسائر أشكال العبادات إنَّما هي لله وحده لا شريك له، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ*لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

العقيدةُ الثَّالثة: أنَّ الاتِّجاه إلى الكعبة ليس عبادةً لها، وإنَّما هو امتثالٌ لأمر الله بالاتِّجاه إليها توحيداً للجهة الَّتي يتجه إليها جميع المسلمين في مُختلَف أماكن تواجدهم أثناء صلاتهم.

العقيدةُ الرَّابعة: أنَّ مَنْ قَصَدَ الكعبة حينما يتَّجه إليها في صلاته فقد وقع في الشِّرك، وخالف أُسُس العقيدة الإسلاميَّة.

ثم فنَّد الشَّيخ فريتهم فيما يتعلَّق بأمر عبادة المسلمين للحجر الأسود بلمسه وتقبيله، فبيَّن رحمه الله أنَّ الحجر الأسود في نظر المسلمين ما هو إلا كأَحد الحجارة الَّتي خلقها الله، ولكنَّه

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٨٥.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٨٢.

سبحانه كما قضت حكمته أنْ يجعل من الكعبة قِبلةً يتَّجه المسلمون إليها في صلواتهم، جعل كذلك الحجر الأسود يشير إلى ركنٍ من أركان الكعبة، الَّذي تبتدئ أشواط الطَّواف عند محاذاته، وما لمسُه وتقبيلُه إلَّا رمز مبايعة الله على الإخلاص له في العبادة، وهو لونٌ من ألوان العبادة المسنونة كالسُّجود لله على الأرض، ومعلومٌ أنَّ السَّاجد لا يقصد في عبادته مكان سجوده، وإنَّما يقصد ربه، ومظاهر العبادة قد اختار الله أشكالها بحكمته، وعلى المؤمنين الامتثال والتَّسليم، وهذا ما دفع عمر بن الخطاب ﷺ للقول مخاطباً الحجر الأسود بعد أن قبَّله: **(إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ)**(١)(٢).

وقد نقل الحافظ بن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لدى شرحه هذا الحديث قول الطَّبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "إنَّما قال ذلك عمرُ لأنَّ النَّاس كانوا حديثي عهدٍ بعبادة الأصنام، فخشيَ عمرُ أنْ يظنَّ الجُهَّال أنَّ استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهليَّة، فأراد عمر أن يُعلِّم النَّاس أنَّ استلامه اتِّباعٌ لفعل رسول الله ﷺ، لا لأنَّ الحجر ينفع ويضرُّ بذاته كما كانت الجاهليَّة تعتقده في الأوثان"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الاسود، رقم الحديث: (١٥٩٧)، ٣٣٢، مكتبة الإيمان، ط ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، وأخرجه مسلم في صحيحه، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم الحديث: (١٢٧٠)، ٦٣٢، ٦٣٣، دار ابن رجب، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٨٥-٨٧.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ٤٦٢/٣، ٤٦٣، دار المعرفة – بيروت، بدون رقم الطبعة، ١٣٧٩هـ.

المسألةُ الرَّابعة: فضح مخطَّطات المبشِّرين الرَّاميَة إلى تجزئة الأُمَّة:

إنَّ الوَحدة القويَّة، والتَّماسك الصَّلب، والتَّرابط المتين بين المسلمين على اختلاف أعـراقهم ولُغاتهم وبلدانهم، أمرٌ أرَّق أعداء الأُمَّة الإسلاميَّة وأغاظهم، وأقضَّ مضاجعهم، وبخاصَّةٍ أنَّهـم يعلمون بأنَّ هذه الوَحدة قائمةٌ على أساس العقيدة الواحدة، والأُخوَّة الإيمانيَّة، والتَّآخي فـي الله، فأصاب الحسد من قلوبهم، سيَّما أنَّهم فشلوا في مقاومة هذه الوَحدة خلال قرونٍ مُتطاولـةٍ مـن الزمن، لذلك عمدوا إلى تفتيت هذه الوَحدة بمختلف وسائل التَّجزئة، وجنَّدوا لذلك جيوش الغـزو عسكريَّةً كانت أو فكريَّةً(١).

والشَّيخ الميدانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أنَّ تجزئة الأُمَّة الإسلاميَّة، وهدم وَحدتها وتماسـكها هـدفٌ مُشتركٌ لجيوش الغزو بأجنحة مكرها الثَّلاثة (التَّبشير- الاستشراق- الاستعمار)، وقـد فضـح الشَّيخ وسائل الغُزاة لتجزئة الأُمَّة الإسلاميَّة عَبر استغلال عناصر الاختلاف بين أبنـاء الأُمَّـة الإسلاميَّة الواحدة بهدف تفتيت الأُمَّة الإسلاميَّة وتمزيقها من الدَّاخل؛ لتيسير السَّـيطرة عليهـا وإخضاعها لسُلطان الدُّول الاستعماريَّة الصَّليبيَّة، وهذه بعض الوسائل التي ذكرها الشَّيخ(٢):

الوسيلةُ الأولى: استغلال الاختلاف السِّياسيِّ، وذلك باصطناع الخلافـات بـين المسـلمين وإشعالها، وتوسيع الهُوَّة بينهم، ثُمَّ تقسيم أُجرائهم وعُملائهم المقنَّعين إلى أقسام، ثُمَّ دسّ كلِّ فريقٍ منهم بين جهةٍ من جهات التَّنازع، لتمكينه وإحكامه، وتعميق جُذوره، وشحن أفئدة الجهة الَّتـي اندسَّ فيها بالحقد والضَّغينة على الجهة الأُخرى المُخالفة لها.

الوسيلةُ الثَّانية: استغلال الاختلاف الطَّائفيِّ، فبعد أن بدأت تنسى بعض الكتل الطَّائفيَّة ذات الأقليَّة العدديَّة في البلدان الإسلاميَّة عُزلتها، وتنصهر فـي الجماعـة الواحـدة الكبـرى، بـدأ المستعمرون في إقناع هذه الطَّوائف بأن تعمل على إيجاد تكتُّلٍ لنفسها مضادٍّ للأكثريَّة المسـلمة تحت ستار الوطنيَّة، فنشط المستعمرون في مـدِّ هـذه الطَّوائـف بالمسـاعدات، والتَّسـهيلات الاقتصاديَّة، وإقامة عَلاقات صداقةٍ ومودَّةٍ معهم، وبثِّ روح الحقد والكراهية في نفوس أعضائها ضدَّ الأكثريَّة المسلمة، ثُمَّ إشعارها بضرورة المُطالبة بانفصالها عن البلد الأُمِّ بحكمٍ ذاتيٍّ خاصٍّ بها، ومن أمثلة ذلك الفتن الطَّائفيَّة الَّتي أشعلوا نيرانها في النِّصف الثَّاني من القرن العشرين في لبنان.

الوسيلةُ الثَّالثة: التَّقسيم الطَّبقيُّ، وذلك من خلال العمل على صهر الرَّوابط القويَّة، وتقطيع الأواصر المتينة بين المجتمعات الإسلاميَّة، لأنَّها قائمةٌ على أُسسٍ دينيَّةٍ وأدبيَّةٍ ووجدانيَّةٍ وعقليَّةٍ،

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٣٠٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٣١١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩.

وإحلال روابطَ هشَّةٍ وضعيفةٍ محلَّها قائمةً على أُسُسٍ ماديَّةٍ بحتةٍ، تدخل فيها عناصر الأنانيَّة، والاستئثار، والطمع، والحقد، والحسد، والبغضاء، تعمل على فصل المجتمع إلى طبقتين أو طبقاتٍ متنازعةٍ على مصالح ماديَّةٍ، فمن هؤلاء الغزاة من يحمل بين صفوف المسلمين شعار وَحدة الطَّبقة العاملة، وبعضهم من يهمس بين صفوف المسلمين بوَحدة الطَّبقة المستغَلَّة؛ بهدف هدم البنيان الواحد المتماسك، وليتهاوى يحطِّم بعضه بعضاً بعد أن كان مُحكَماً يشدُّ بعضه بعضاً.

وقد ذكر الشَّيخ وسائل ومكائد أُخرى قد يكون دور التَّبشير فيها أقلَّ من غيره مثل هدم الخلافة الإسلاميَّة، ومكيدة تحديد النَّسل لتقليل أعداد المسلمين وغيرها، فهذه بعض الوسائل الَّتي عمل العدوُّ الصَّليبيُّ من خلالها على هدم الوَحدة الإسلاميَّة قد فصَّلها الشَّيخ، وعلى علماء وعقلاء ومفكري وأصحاب القرار في الأُمَّة الإسلاميَّة أن يعوا ما بين السُّطور فيفطِنوا لمكائد الغُزاة الهادفة إلى تفتيت الأُمَّة الإسلاميَّة وتجزئتها، ويعملوا على كشف عملاء الغُزاة المقنَّعين من أبناء جلدتهم، ونبذهم وإبعادهم عن مراكز النُّفوذ في البلدان الإسلاميَّة، ويحذروا مغبَّة الانجرار خلف وساوس هؤلاء وألاعيبهم، وعواقب التَّعاطي مع ما يُروِّجون له من أفكارٍ خبيثةٍ وماكرةٍ، من شأنها أن تُوقع المسلمين في شَرَك الشَّرخ والشِّقاق.

المسألةُ الخامسة: عَلاقة التَّبشير بالاستعمار:

أكَّد الشَّيخ الميدانيُّ على أنَّ العَلاقة الَّتي تربط التَّبشير بالاستعمار هي علاقة تآزرٍ وتعاضُدٍ وتعاونٍ ودعمٍ وتكامل أدوار، وقد دعَّم الميدانيُّ كلامه بجملةٍ من الشَّواهد والأدلَّة علــى النَّحــو التَّالي:

أوَّلاً: دفع الدُّول الإسلاميَّة للحرب، وذلك من خلال سعي المبشِّرين في هــذه الــدُّول إلــى اختلاق وافتعال الأسباب الَّتي تدفعها للحرب، وذلك بهدف إضعاف هذه الدُّول، وشغلها عــنهم، وبذلك يضمن المبشِّرون نجاحهم في مهمَّتهم، وتحقيق أهدافهم التَّبشيريَّة من جهةٍ، وتسهيل مهمَّة الاستعمار وتحقيق أهدافه الاستعماريَّة من جهةٍ أخرى، ولذا أُعطيت الحروب التي شُــنَّت ضــدَّ دول العالم الإسلاميِّ صفةً دينيَّةً صليبيَّةً(١).

يقول وليم كاش: "قبل هذه التَّطورات الَّتي طرأت على العالم الإسلاميِّ بعد الحرب العالميَّة الأُولى، كان المبشِّرون قد اتخذوا مراكزَ استراتيجيَّةً في العالم الإسلاميِّ، واستطاعوا في أثنــاء الثَّورات والحروب والاضطرابات أن يُتابعوا عملهم بهدوءٍ وثباتٍ"(٢).

وقد قامت إيطاليا بإرسال المبشِّر الإيطالي الأب سابيتو إلى أرتيريا ليشتريَ لها عَصَــب، ليكون ذلك تمهيداً ومقدمةً لاحتلال أرتيريا، وقد حدث بالفعل ووقعت أرتيريا تحت الاســتعمار الإيطاليِّ(٣).

ثانيــاً: دعم الدُّول الاستعماريَّة الكبرى للمبشِّرين داخل الدُّول الإسلاميَّة المُستقلَّة، حيث تبدأ النَّشاطات التَّبشيريَّة في الازدياد بشكلٍ كبيرٍ في هذه الدُّول بعد خروج الاستعمار منها، كما حدث في إفريقيا، وكما حدث في إندونيسيا، فقد نشرت صحيفة واشنطن بوست في عددها الصادر في ١٩٧٣/٩/٧م تعليقاً بعنوان تعاظُم التَّنصير في إندونيسيا أشارت فيه إلى ازدياد عدد الكنائس في إندونيسيا المسلمة، وذكرت أنَّ جزيرة جاوه الإندونيسية – والَّتي يقطنها ٦٥% من مجموع سكَّان إندونيسيا – قد أصبحت مَرتعاً لنشاط الإرساليَّات التَّبشيريَّة، وذكرت الصَّــحيفة أنَّ المســيحين الَّذين يمثِّلون ٥% فقط من سكان إندونيسيا يسيطرون على بعض المرافق فيها(٤).

ثالثاً: قول القسِّ اليسوعيِّ ميز في معرض حديثه عن سياسة فرنســا فــي الشَّــرق: "إنَّ الحرب الصَّليبيَّة الهادئة الَّتي بدأها مبشِّرونا في القرن السَّابع عشر، لا تزال مستمرةً إلى أيامنــا

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١١٢، ١١٣.

(٢) المصدر السابق، ١١٣.

(٣) انظر: المصدر السابق، ١١٣.

(٤) انظر: المصدر السابق، ١١٣، ١١٤.

هذه، ولقد احتفظت فرنسا طويلاً بروح الحرب الصَّليبيَّة، وبالحنين إلى تلك الحروب الحيَّة نفسها، وكان من غايات الامتيازات الأجنبيَّة دائماً أنْ تحتفظ فرنسا بالدَّور الَّذي يلعبه رُهبانها، وقد اعْتُرِفَ لقناصلنا وسُفرائنا بالحماية للنَّصارى، وكثيراً ما اختارت فرنسا قناصلَها وسفراءها من رجال الدِّين"(١).

رابعاً: ما جاء في مقدِّمة الكتاب الذي أصدرته لجنة التَّبشير الأمريكيَّ المُهتمَّة بالاستفادة من الحروب في أعمال التَّبشير سنة ١٩٢٠م: "من أبرز الأُمور المُتعلِّقة بدخول الولايات المتَّحدة في الحرب العالمية الأُولى، أنَّ الآراء والمبادئ الَّتي كانت تهدف إليها الإرساليَّات التَّبشيريَّة، وقد تبنتها الآن الأُمَّة الأمريكيَّة، ثُمَّ أعلنت أنَّها هي أهدافها الأخلاقيَّة، وغاياتها من خوض تلك الحرب، إنَّ هذه المبادئ التَّبشيريَّة قد سُمِّيت الآن أسماء سياسيَّةً فقط"(٢).

هذه الدَّلائل والشَّواهد الَّتي ساقها الميدانيُّ تؤكِّد على روح المؤازرة والتَّعاون بين المبشِّرين والاستعمار الصَّليبيِّ، وتُظهر مدى المشاركة الفاعلة والمباشرة للمبشِّرين في استعمار كثيرٍ من دُول المشرق الإسلاميِّ، وإنَّ في هذا البيان من الدُّروس ما يجب الاستفادة منه، فلا تزال أيادي المبشِّرين تعبث في بلاد المسلمين، وإذا لم يتم معالجة هذا الأمر فستتكرَّر السِّيناريوهات نفسها، وسيُلدغ المسلمون من ذات الجحر مرةً أُخرى، فالأعمال التَّبشيريَّة المستمرَّة والمتنامية في بعض بلدان العالم الإسلاميِّ اليوم إلى جانب خطرها الدِّيني المتمثِّل في استهداف عقيدة المسلمين والتَّشكيك فيها، فإنَّ هذه الأعمال ولا شكَّ هي أيضاً مُقدِّمةٌ وتمهيدٌ لاستعمار جديدٍ للمشرق الإسلاميِّ، فليحذر المسلمون.

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ١١٧.

(٢) المصدر السابق، ١١٨.

المبحث الثاني

الاستشراق وموقف الميدانيِّ منه

- ❖ المطلب الأوَّل: الاستشراق وتعريفُه وأهدافُه ووسائلُه
- ❖ المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من الاستشراق

المطلبُ الأوَّل
الاستشراقُ وتعريفُه وأهدافُه ووسائلُه

ضمن السِّياسة الجديدة الَّتي انتهجها الغرب ضدَّ الإسلام بعد فشل السِّياسة العسكريَّة الاستعماريَّة، كانت الدِّراسات الاستشراقيَّة إحدى أهمِّ أدواته، وأخطرها لما تنتهجه من وسائلَ شيطانيَّةٍ ماكرةٍ، يقوم أكثرها على دسِّ السُّمِّ في العسل للتَّلبيس على العوامِّ، وإحداث نوعٍ من التَّشويش الذِّهنيِّ والفكريِّ لديهم، وهذا المطلب يعنى بالتَّعريف بالاستشراق وأهدافه ووسائله من خلال المسائل التَّالية:

المسألةُ الأولى: تعريفُ الاستشراق:

تعدَّدت تعريفات المفكِّرين والباحثين المسلمين لمصطلح الاستشراق؛ وذلك يرجع إلى كثرة تفرُّعات الأعمال والمهام المنوطة بالمستشرقين ودور الاستشراق إيجابيًّا كان أو سلبيًّا في التَّأثير على العقليَّة الإسلاميَّة، وتشكيل وعيهم في جوانب الحياة المختلفة ومن هذه التَّعريفات ما يلي:

١- عرَّفه الشَّيخُ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ بأنَّه: "تعبيرٌ أطلقه الغربيُّون على الدِّراسات المُتَعلِّقة بالشَّرقيين، شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهمُ الاجتماعيَّة، وبلادهم، وأرضهم، وحضاراتهم، وكلِّ ما يتعلَّق بهم"(١).

٢- وعرَّفه الدُّكتور غَالب عواجي بأنَّه: "دراسة كلِّ ما يتعلَّق بالإسلام والمسلمين، وضرب الحركات التَّصحيحيَّة الصحيحة بصفةٍ خاصَّةٍ خدمةً لدينهم ولحوماتهم المتطلِّعة إلى استعمار بلدان العالم الإسلاميّ"(٢).

٣- وعرَّفه الدُّكتور محمود حمدي زقزوق بأنَّه: "الدِّراسات الغربيَّة المتعلِّقة بالشرق الإسلاميِّ في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجهٍ عامٍّ"(٣).

٤- وعرَّفه الدُّكتور علي إبراهيم النَّملة بأنَّه: "ظاهرةٌ مُحدَّدةٌ بدراسة علوم المسلمين من غير المسلمين، بغضِّ النَّظر عن الوجهة التي ينطلق منها المُستشرق، سواء أتى من الغرب أم من الشَّرق"(٤).

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ٥٣.

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف الإسلام منها، غالب عواجي، ٣٩٣/١ الدار العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون رقم الطبعة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م..

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، ١٨، دار المعارف – القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٤) إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، علي إبراهيم النملة، ١٥، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٥- وعرَّفه الدُّكتور سعد الدِّين السَّيد صالح بأنَّه: "حركة دراسة العلوم والآداب والحضارة والثَّقافة الإسلاميَّة بهدف معرفة عقليَّة المسلمين وأفكارهم واتجاههم وأسباب تفوُّقهم وقوَّتهم؛ لضرب هذه القوَّة من جهةٍ، والاستفادة من علوم المسلمين من جهةٍ ثانيةٍ، والتَّمهيد للاستعمار النَّصرانيِّ لدول العالم الإسلاميِّ وإخضاعها لنفوذه وسلطانه من جهةٍ ثالثةٍ"(١).

وقد علَّق الميدانيُّ على التَّعريف الَّذي أورده على لسان الغربيين، فأبان أنَّه إطلاقٌ عامٌّ يهدف إلى التَّعمية عن الهدف الأساسيِّ، المُتَمثِّل في دراسة كلِّ ما يتعلَّق بالإسلام والمسلمين؛ لخدمة أغراض التَّبشير من جهةٍ، وأغراض الاستعمار من جهةٍ أخرى، ثُمَّ لإعداد الدِّراسات اللازمة لمحاربة الإسلام، وتجزئة الأُمَّة الإسلاميَّة، وتفتيت وَحدتها(٢).

واستناداً إلى التَّعريفات السَّابقة وتعليق الميدانيِّ يمكن تعريف الاستشراق بأنَّه: دراسة الغرب لكلِّ ما يتعلَّق بالمشرق الإسلامي؛ وذلك بُغية تحقيق أهدافٍ دينيَّةٍ عدائيَّةٍ واستعماريَّةٍ توسُّعيَّةٍ ضدَّ الإسلام وأُمَّته.

والمُستشرقون: "هم الَّذين يقومون بهذه الدِّراسات من غير الشَّرقيين، ويُقدِّمون الدِّراسات اللَّازمة للمبشِّرين؛ بُغية تحقيق أهداف التَّبشير، وللدَّوائر الاستعماريَّة؛ بُغية تحقيق أهداف الاستعمار"(٣).

إذن فعمل الدارسين للإسلام من المُستشرقين ينطوي على نزعتين رئيسيَّتين، هما(٤):

الأولى: تمكين الاستعمار الغربيِّ في البلاد الإسلاميَّة، وذلك من خلال القيام بدراساتٍ تعمل على إضعاف القِيَم الإسلاميَّة في نفوس المسلمين عن طريق تشكيكهم في دينهم من جهةٍ، وتمجيد القِيَم الغربيَّة المسيحيَّة بتزيين عوارها وتجميل قُبحها من جهةٍ أُخرى.

الثانية: الرُّوح الصَّليبيَّة في دراسة الإسلام، وهذه النَّزعة لبِست ثوب البحث العلميِّ، وخدمة الغاية الإنسانيَّة المُشترَكة.

وبالرَّغم من أنَّ مُعظم الدِّراسات الاستشراقيَّة مُوجَّهةٌ لأغراض التَّبشير والاستعمار، إلَّا أنَّ بعض محبِّي العلم من المستشرقين قاموا بدراساتٍ استشراقيَّةٍ حياديَّةٍ غير مُوَجَّهةٍ، وكان من

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ٨٥.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٢٠.

(٣) المصدر السابق، ٥٤.

(٤) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ٣٩، مكتبة وهبة – القاهرة، ط٤، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.



بعض هؤلاء إنصافٌ للحقيقة، بل إنَّ بعض هؤلاء المُنصِفِين تأثَّر بالإسلام وحضارته عن قناعةٍ فأَسلم[1]، ومن بين المستشرقين الذين عُرفوا بإنصافهم المستشرق هادريان ريلاند صاحب كتاب الدِّيانة اليهوديَّة، والمستشرق الألمانيُّ يوهان ج. رايسكه، والمستشرق (توماس أرنولد)[2]، وغيرهم[3].

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٤.

(٢) توماس أرنولد، مستشرق إنجليزي متعاطف مع الإسلام، ولد سنة ١٨٦٤م، عمل أستاذاً للفلسفة في الكلية الحكومية في مدينة لاهور (جامعة لاهور لاحقاً)، ممن تتلمذ عليه فيها الشاعر محمد إقبال، له كتاب الدعوة الإسلامية، وكتاب الخلافة، توفي سنة ١٩٣٠م. انظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ٩، ١٠، دار العلم للملايين – بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

(٣) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٦٨٩/٢.

المسألةُ الثَّانية: أهدافُ الاستشراق:

بعد أن وَضَعَت الحروب الصَّليبيَّة على المسلمين أوزارها، دون أن تحقِّق أهدافها، ووصل الغزاة الصَّليبيَّون إلى قناعةٍ مفادها أنَّ الحروب العسكريَّة المادِّيَّة لا يُمكن أن تُؤتيَ أُكُلَها، أو أن تُجنى ثمارُها، ولا يمكن للغرب بها وحدها أن يُحكِم سيطرته على البلاد الإسلاميَّة، لذلك سعى قادة الغرب الدِّينيُّون منهم والسِّياسيُّون إلى العمل على خطَّةٍ للغزو بشكلٍ جديدٍ، فكانت خطَّة الغزو الفكريِّ، وكانت الدِّراسات الاستشراقيَّة إحدى أهمِّ حراب وأسلحة هذا النَّوع من الغزو، وقد انطلقت هذه الدِّراسات جنباً إلى جنبٍ معَ الجهود التَّبشيريَّة والاستعماريَّة، وليست بمعزلٍ عنها أو بديلٍ لها، وقد عملت هذه الدِّراسات لإنجاز وتحقيق جملةٍ منَ الأهداف، هذه خُلاصتها:

أوَّلاً: الهدفُ الدِّينيُّ[(١)]:

على الرَّغم من أنَّ المؤرِّخين لم يتَّفقوا على تحديد بداية الاستشراق، إلَّا أنَّه من المُؤكَّد أنَّ أوَّل من اشتغل به هُمُ الرُّهبان الغربيُّون، حيث قصدوا الأندلس، وتثقَّفوا في مدارسها، وتتلمذوا على علمائها المسلمين في مختلف العلوم، وكان من أوائل هؤلاء الرَّاهب الفرنسيُّ جربر دي اورالياك الَّذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م، ومنهم الرَّاهب (بُطرس المحترم)[(٢)]، ومنهم الرَّاهب جيراردي كريمون، وبعد أن عاد هؤلاء الرُّهبان إلى بلادهم قاموا بنشر الثَّقافة العربيَّة فيها، بترجمة مؤلَّفات أشهر علماء العرب، وإعادة نشرها باللُّغة اللاتينيَّة وهي حينئذٍ لُغة العلم في جميع بلاد أوروبا[(٣)].

من هذه النَّظرة الموجزة على بداية تاريخ الاستشراق، تنجلي الصورة بشكلٍ لا يحتمل المواربة عن الهدف الدِّينيِّ للدِّراسات الاستشراقيَّة، حيث إنَّ الرُّهبان النَّصارى كانوا أوَّل من اشتغل بها، وعمل على نشرها، ولهذا مدلولٌ لا يخفى على كلِّ ذي لُبٍّ.

---

(١) ذكر الأستاذ علي جريشة أن المفكر الغربي (برنارد شو) أطلق على هذا الهدف اسم (الهدف الصليبي) معللاً ذلك بأن غاية هذا الهدف الأولى هي الانتصار للصليبية المشوهة التي حرَّفت الدين الذي أنزله الله على عبده ورسوله عيسى عليه السلام. انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ١٨.

(٢) بطرس المحترم، راهب ولاهوتي فرنسي، ولد سنة ١٠٩٢م، ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية لأغراض خبيثة، وألف كتاباً في الرد على الإسلام، توفي سنة ١١٥٦م. انظر: موسوعة المستشرقين، ١١٠، ١١١.

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٢٢، وانظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، ١/١٢٠، دار المعارف – القاهرة، ط٣، ١٩٦٤م.

وللهدف الدِّينيِّ ثلاثة اتِّجاهاتٍ رئيسيَّةٍ تعمل بالتَّوازي جنباً إلى جنبٍ، وهذه الاتِّجاهات هي[1]:

الاتِّجاه الأوَّل:

الحيلولة بين الشُّعوب النَّصرانيَّة وبين الإسلام لحمايتهم منه – بزعمهم –، وذلك بتخويفهم منه، وصدِّهم عن الدُّخول فيه واعتناقه، فالدِّين الإسلاميُّ دين الفطرة، وهو أدعى لقبول النَّاس لأحكامه وشرائعه السَّمحة، لأنَّه دينٌ ربَّانيٌّ لم تمتد يد البَشَر إليه بتبديلٍ أو تحريفٍ أو تزييفٍ، بنقصٍ فيه أو زيادةٍ عليه؛ لأنَّ الله ﷻ قد تكفَّل بحفظه، حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، على العكس تماماً من دين النَّصارى المليء بالتَّناقضات والافتراءات والادَّعاءات والتَّقول على الله، لذلك فهو أدعى لنُفور النَّاس منه وانصرافهم عنه.

الاتِّجاه الثَّاني:

محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعفٍ فيه وإبرازها، والانتقاص من قِيَمِه والحطِّ من قدر نبيِّه ...الخ.

الاتِّجاه الثَّالث:

تشكيك المسلمين في دينهم وتاريخهم، وحضارتهم، ومحاولة زعزعة العقيدة في قلوبهم، وتنفيرهم من دينهم، وحملهم على كراهيته ثُمَّ محاولة تنصيرهم.

وقد سلك المستشرقون طُرقاً شتَّى لتحقيق هذا الهدف (أي: الهدف الديني) بمختلف اتجاهاته منها:

١- **تشويه صورة الإسلام، وتوجيه المطاعن له**، وذلك بحجب محاسنه، وتزييف حقائقه؛ في محاولةٍ منهم لإبراز صورةٍ مغايرةٍ تماماً للإسلام أمام الجماهير النَّصرانيَّة؛ ليُثبتوا لهم أنَّ الإسلام دينٌ لا يستحقُّ الانتشار، وأنَّه لا يصلح لهم كنظام حياة، وأنَّ المُسلمين قومٌ هَمَجٌ لصوصٌ، وسفاكو دماء، وأنَّ دينهم يحثُّهم على الملذَّات الجسديَّة، ويُبعدهم عن كلِّ سموٍّ روحيٍّ وخُلُقيٍّ[2].

---

(١) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية، ٧٥.

(٢) انظر: الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، مصطفى السباعي، ٢٠، دار الورَّاق، بدون رقم وتاريخ الطبعة، وانظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي جريشة، ومحمد الزيبق، ٢١، دار الاعتصام، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢- **التَّشكيك في صحَّة رسالة النَّبيِّ ﷺ**، فجمهور المُستشرقين ينكر أن يكون محمَّداً ﷺ نبيَّاً أوحى الله إليه، وأنزل إليه كتاباً، ويتخبَّطون في تفسير مظاهر الوحي الَّتي كانت ماثلةً عياناً أمام أصحابه، فأرجعها بعضهم إلى صرَعٍ كان ينتاب النَّبيَّ ﷺ، ومنهم من أرجعه إلى تخيُّلاتٍ كانت تملأ ذهنه ﷺ، ومنهم من فسَّرها بمرضٍ نفسيٍّ إلى غير ذلك من الافتراءات(١).

٣- **إنكار نسبة الحديث النَّبويِّ للنَّبيِّ ﷺ**، حيث زعموا أنَّ الحديث النَّبويَّ من عمل المسلمين خلال القرون الثَّلاثة الأُولى، ويهدفوا من وراء هذا الزَّعم إلى محاربة السُّنَّة النَّبويَّة وإسقاطها، وبالتَّالي يفقد المسلمون الصُّورة التَّطبيقيَّة الحقيقيَّة لأحكام الإسلام، ولحياة الرَّسول ﷺ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوَّته(٢).

٤- **القول ببَشريَّة القرآن الكريم**، فالكثير من المستشرقين يُنكرون أن يكون القرآن الكريم كلام الله، وأنَّه أوحى به إلى رسوله ﷺ، فقد زعم بعضهم مثل المستشرق ريتشارد بل أنَّه مستمدٌ من مصادرَ يهوديةٍ لاسيَّما العهد القديم، وكذلك من مصادر نصرانيَّة(٣)، وحين يُفحمهم ما جاء في كتاب الله عزَّ وجلَّ من حقائقَ تاريخيَّةٍ عن الأُمم الغابرة ممَّا يستحيل صدوره عن أميٍّ، يزعمون أنَّه استمدَّ هذه المعلومات من أُناسٍ كانوا يُخبرونه بها، وحينما يُفحمهم القرآن بما جاء فيه من حقائقَ علميَّةٍ لم تُكتشف إلَّا حديثاً أرجعوا ذلك إلى ذكائه ﷺ(٤).

يقول المستشرق (جورج سيل)(٥) في مقدمة ترجمته الإنجليزيَّة لمعاني القرآن الَّتي صدرت عام ١٧٣٦م: "أمَّا أنَّ مُحمَّداً كان في الحقيقة مُؤلِّف القرآن، والمُخترِع له فأمرٌ لا يقبل الجدل، وإن كان من المُرجَّح - مع ذلك - أنَّ المُعاونة الَّتي حصل عليها من غيره في خطَّته هذه لم تكن مُعاونةً يسيرةً. وهذا أوضح في أنَّ مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك"(٦).

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٣٨، وانظر: الاستشراق والمستشرقون، ٢٦.

(٢) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٢/٦٩١.

(٣) انظر: المصدر السَّابق، ٢/٦٩٤.

(٤) انظر: الاستشراق والمستشرقون، ٢٦، ٢٧.

(٥) جورج سيل، مستشرق إنجليزي، ولد سنة ١٦٨٠م، كان يحترف المحاماة، تعلم العربية، وحصل على مجموعة وافرة من مخطوطاتها، وعني بتاريخ الإسلام حتى وُصف بأنه نصف مسلم، له بالإنجليزية (ترجمة القرآن)، وهو أول من حاول ترجمته إلى هذه اللغة كاملا، تُوفي سنة ١٧٣٦م. انظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، ٢/١٤٦،١٤٥، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

(٦) الاستشراق والخلفية الفكرية، ٨٧، نقلاً عن: المستشرقون والإسلام، إبراهيم اللبان، ٤٤، ملحق بمجلة الأزهر صفر ١٣٩٠هـ - ابريل ١٩٧٠م.

٥- **التَّقليل من قيمة الفِقهِ الإسلاميِّ في التَّشريع**، حيث زعموا أنَّ الفِقْهَ الإسلاميَّ مقتبسٌ من القانون الرُّومانيِّ(١)، وقد أثبت الباحثون من علماء المسلمين من خلال أبحاثٍ علميَّةٍ تتَّسم بالحياد والموضوعيَّة تهافت هذه الدَّعوى، عندما قرَّروا في مؤتمر الفِقْهِ المُقارَن المُنعقِد في لاهاي أنَّ الفقه الإسلاميَّ فقهٌ مُستقلٌّ بذاته، غير مُستمَدٍ من أيِّ فقهٍ آخر، ولا مرتبطٍ به، ليُخرسوا بذلك ألسنة المستشرقين الَّتي حاولت خداع العامَّة لُيلبسوا عليهم دينهم(٢).

فمن افتراءات المستشرقين على الفقه الإسلاميِّ ما زعمه المستشرق شيلدون آموس حيث يقول: "إنَّ الشَرع المُحمَّديَّ ليس إلَّا القانون الرُّومانيُّ للإمبراطوريَّة الشَّرقيَّة مُعدَّلاً وَفق الأحوال السِّياسيَّة في المُمتلَكَات العربيَّة"(٣).

٦- **الدَّعوة إلى نبذ اللُّغة العربيَّة، واتِّهامها بالعُقم**، فقد عمد المُستشرقون إلى التَّشكيك في قدرة اللُّغة العربيَّة على مسايرة ركب التَّطور العلميِّ(٤)، فهاجموها في قواعدها، واتَّهموها بالعُقم، وزعموا أنَّ التزام الكتابة بها لا يمكن أن يؤدِّيَ إلى أدبٍ حقيقيٍّ أو مُتطوِّرٍ(٥)، وعملوا على تكريس اللَّهجات العاميَّة كبديلٍ عن الفُصحى، كما دعوْا صراحةً إلى كتابة حُروفها باللاتينيَّة، وقد كان المستشرق لويس ماسينيون يتزعَّم هذه الحركة الرَّامية إلى الكتابة بالعاميَّة، وبالأُحرف اللاتينيَّة(٦)، في محاولةٍ واضحةٍ من المستشرقين لعزل المسلمين عن لُغة قرآنهم، وإضعاف أدبهم، ومحاولةٍ لطمس تاريخهم، وتجهيل المسلمين به، ومحاولةٍ لجرِّ المسلمين إلى التَّبعيَّة المُطلَقة للغرب حتَّى في اللُّغة؛ لإشعار المسلمين دوماً بالفضل والامتنان للغربيين وسلطانهمُ الأدبيِّ(٧).

٧- **التَّشكيك في قيمة التُّراث الحضاريِّ للمسلمين**، إذ ينكر المستشرقون الفضل الكبير للحضارة الإسلاميَّة على الغرب، فهم يزعمون أنَّ الحضارة الإسلاميَّة منقولةٌ عن الحضارة الرُّومانيَّة، وأنَّ دور المسلمين كان مُقتصِراً فقط على نقل فلسفة تلك الحضارة وآثارها، وأنَّ المسلمين لم يكن لهم أيُّ إبداعٍ فكريٍّ ولا ابتكارٍ حضاريٍّ، في محاولةٍ منهم

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٤٠، وانظر: الموسوعة الميسَّرة، ٦٩١/٢.
(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٤٠.
(٣) الموسوعة الميسَّرة، ٦٩٤/٢.
(٤) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٤٠، وانظر: الموسوعة الميسَّرة، ٦٩١/٢.
(٥) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ٢٠.
(٦) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٦٩١/٢، ٦٩٥.
(٧) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٤٠، ١٤١.

لنفي أصالة الحضارة الإسلاميَّة وأدبها، لذلك إنْ أرادوا أن يتحدَّثوا عن بعض حسنات الحضارة الإسلاميَّة، تحدَّثوا بامتعاضٍ وعلى استحياءٍ مصحوبٍ بانتقاصٍ كبيرٍ[1].

وهذا بالضَّبط ما قصده المستشرق الفرنسيُّ رينان عندما قال: "إنَّ الفلسفة العربيَّة هي الفلسفة اليونانيَّة مكتوبةٌ بأحرفٍ عربيَّةٍ"[2].

ثانياً: الهدفُ الاقتصاديُّ:

وقد بدأت معالم هذا الهدف تتَّضح في عصر ما قبل الاستعمار الغربيِّ للعالم الإسلاميِّ في القرنين التَّاسع عشر والعشرين من الميلاد[3]، حيث بدت المطامع الأوربيَّة في ثروات بلاد المشرق الإسلاميِّ وموارده جليَّةً واضحةً، ومن هنا برز دور المستشرقين حيث عمد كثيرٌ منهم للسَّفر إلى بلاد المشرق الإسلاميِّ؛ لعمل دراساتٍ، وكتابة تقاريرَ تهدف إلى التَّعرُّف عليها، ودراسة جُغرافيَّتها الطَّبيعيَّة والزِّراعيَّة والبشريَّة[4]؛ حتَّى يُحسنوا التَّعامل معَ هذه البلاد بشكلٍ علميٍّ مُتقَنٍ ومدروسٍ، يهدف إلى الاستيلاء على الأسواق التِّجاريَّة، والمؤسَّسات الماليَّة المُختلفة، والاستيلاء على الثَّروات الأرضيَّة، واستغلال الموارد الطَّبيعيَّة، والحصول عليها بأبخس الأثمان، والقضاء على الصِّناعات المحليَّة القديمة، وتحويل البلاد الإسلاميَّة إلى بلادٍ مُستهلِكةٍ لِمَا تُنتجه مصانعهم الآليَّة الحديثة[5].

ثالثاً: الهدفُ السِّياسيُّ:

بعد أنْ اتَّسعت رقعة الاستعمار الغربيِّ للعالم الإسلاميِّ، وجدت الدُّول الاستعماريَّة نفسها مضطرَّةً لتعليم موظَّفيها لغات تلك البلاد، وتدريسهم آدابها ودينها؛ ليَسهُل عليهم سياستها، وتوجيهها لقَبول سياساتها الاستعماريَّة، وحتَّى بعد تحرُّر البلاد الإسلاميَّة، واستقلال كثيرٍ منها، رأت هذه الدُّول حاجتها في أنْ يكون لها في قنصليَّاتها، وسفاراتها، ومندوبيها في الأمم المتحدة، وسائر المؤسَّسات الدَّوليَّة مُوظَّفون ممَّن لديْهم زادٌ جيِّدٌ من الدِّراسات الاستشراقيَّة؛ وذلك ليتمكَّنوا من القيام ببعض المَهمَّات السِّياسيَّة المُرتبِطَة بالشُّعوب الإسلاميَّة، وبلدان العالم الإسلاميِّ، ومن هذه المَهمَّات ما يلي[6]:

١- الاتِّصال بالسِّياسيين والتَّفاوض معهم، لمعرفة آرائهم واتِّجاهاتهم.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٤١.

(٢) الموسوعة الميسَّرة،٢/٦٩٥.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٢/٦٩١، وانظر: الاستشراق والخلفية الفكرية، ٧٧.

(٤) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٦٥.

(٥) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٣٠

(٦) انظر: المصدر السَّابق، ١٣١.

٢- الاتِّصال برجال الفكر والصَّحافة للتَّعرُّف على أفكارهم.
٣- بثّ الاتِّجاهات السِّياسيَّة الَّتي تُريدها دولهم؛ لتعمل من خلالها على إضعاف روح الإخاء بين المسلمين، والوقيعة بينهم لإحكام السَّيطرة عليهم ولو من على بُعدٍ.
٤- الاتِّصال بعملائهم وأُجرائهم الَّذين يخدمون أغراضهم السِّياسيَّة داخل شُعوب الأُمَّة الإسلاميَّة.

رابعاً: الهدفُ العلميُّ:

لقد كان الهدف العلميُّ مقصدَ نفرٍ قليلٍ من المستشرقين الَّذين ظهروا في عصر التَّنوير في أوروبا[(١)]؛ بدافع الفُضول وحبِّ الاطِّلاع على حضارات الأُمم الأُخرى، وأديانها، وثقافاتها، ولُغاتها، فعكف بعضهم على قراءة الكتب الدِّينيَّة، وفحصها، والبحث فيها، وتمحيصها في محاولةٍ للوصول إلى الحقيقة بأسلوبٍ خالصٍ ومتجرِّدٍ بعيدٍ عن الأهواء والأفكار والأحكام المُسبقَة، وحاول هؤلاء اتِّباع المنهج العلميِّ الصَّحيح في البحث، والتزام الحيدة والموضوعيَّة في الطَّرح والاستنتاج، وقد كان هؤلاء النَّفر أقلَّ من غيرهم وُقوعاً في الأخطاء والزلَّات في فهمهم للإسلام وتُراثه؛ لأنَّهم لم يتعمَّدوا الدَّس فيه أو تحريفه، ولجهل أكثرهم بأساليب اللُّغة العربيَّة، وللأجواء الإسلاميَّة التَّاريخيَّة على حقيقتها، فيتصوَّرونها كما يتصوَّرون مجتمعاتهم، لذلك جاءت بعض بحوث هؤلاء أقرب إلى الحقِّ والمنهج العلميِّ السَّليم من أبحاث الغالبيَّة العُظمى من المستشرقين، مثل الكتاب الَّذي ألَّفه المُستشرق توماس أرنولد وهو بعنوان الدَّعوة إلى الإسلام، الَّذي أنصف فيه المسلمين، فقد برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدِّين، على عكس مخالفيهم معهم، وقد عرَّضه إنصافُه هذا لاتِّهام بعض زُملائه المستشرقين له بالانحراف عن المنهج العلميِّ، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرَّغبة في مجاملة المسلمين والتَّقرب إليهم، مع أنَّه لم يذكر في كتابه هذا حادثةً إلَّا أرجعها إلى مصدرها، وهكذا فعلوا مع كلِّ المُنصفين[(٢)].

إنَّ هذا المنهج العلميَّ السَّليم الَّذي اتَّسم بالتَّجرُّد والموضوعيَّة في البحث قاد كثيراً من هؤلاء المُنصفين للوصول إلى الحقيقة الخالصة، فكانت نزاهتهم البحثيَّة سبباً في هدايتهم للإسلام، فقد اعتنق بعض هؤلاء الإسلام ونافح عنه بكلِّ قوَّةٍ في أوساط قومه، مثل: المستشرق الفرنسي دينيه الَّذي عاش في الجزائر فأُعجب بالإسلام وتعاليمه فأعلن إسلامه وتسمَّى باسم ناصر الدِّين دينيه، وقد قام مع عالمٍ جزائريٍّ بتأليف كتابٍ عن سيرة الرَّسول محمَّدٍ ﷺ، وهو صاحب كتاب أشِّعة خاصَّةٍ بنور الإسلام، وعلى الرَّغم من وفاته في بلده الأصليِّ فرنسا، إلَّا أنَّه تمَّ نقل جُثمانه إلى

---

(١) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية، ٧٧.
(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٣١-١٣٣.

الجزائر ليُدفن فيها، وكذلك المستشرق المجريُّ عبد الكريم جرمانوس الَّذي اعتنق الإسلام في الهند، وأَحبَّ الإسلام واللُّغة العربيَّة وخدمهما، حيث أَلَّف أكثر من مِائةٍ وخمسين كتاباً عن الإسلام، وكذلك المستشرق الطَّبيب موريس بوكاي صاحب كتاب دراسة الكتب المُقدَّسة في ضوْء المعارف الحديثة، حيث أثبت مُوافقة ما جاء في القرآن الكريم للحقائق العلميَّة المُكتشَفة حديثاً بخلاف الكُتب المحرَّفة الَّتي يزعم أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى أنَّها مُقدَّسة[١]، وكذلك المُستشرق النَّمساويُّ ليوبلد فايس الَّذي تسمَّى باسم محمَّد أسد[٢]، وغيرهم ممَّن نوَّر الله بصيرتهم وهداهم إلى دينه القويم، وصراطه المستقيم.

خامساً: الهدفُ الاستعماريُّ:

على الرَّغم من الهزيمة الَّتي مُنيَ بها الغرب في حروبه الصَّليبيَّة على بلاد العالم الإسلاميِّ طِيلة قرنين من الزَّمان، إلَّا أنَّه لم ييأس من العودة إليها من جديدٍ، وإحكام سيطرته، وبسط نفوذه عليها، فقد ظلَّ الغرب متحفِّزاً لجولات جديدةٍ يخوضها ضدَّ العالم الإسلاميِّ تحت راية الصَّليب، فحربه المُستعرة ضدَّ الإسلام وأهله المغموسة بالغلِّ والحقد والحسد على الإسلام كدينٍ، والمسلمين كأُمَّة مُستمرةٌ ولم تتوقَّف، مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة:٢١٧].

من أجل ذلك جنَّدوا جيشاً من المستشرقين لدراسة كلِّ ما يتعلَّق بأحوال بلاد المشرق الإسلاميِّ من عقيدةٍ، وأخلاقٍ، وعاداتٍ، وثَرَوَاتٍ، ولُغاتٍ، وتاريخٍ، وجغرافيا، وسكانٍ وغيرها؛ بُغية التَّعرُّف على نقاط قوَّة المسلمين فيعملوا على إضعافها وتوهينها، وعلى نقاط ضعفهم فيغتنموها وينفذوا من خلالها[٣]، فعملوا على تأسيس المراكز والأكاديميَّات المُختصَّة بشؤون العالم الإسلاميِّ، وانتشرت مراكز الدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة، وأقسام الشَّرق الأوسط في الجامعات والمعاهد الغربيَّة، حتَّى أصبحت هذه المراكز الاستشراقيَّة بعد مدَّةٍ من الزَّمن عصب السِّياسة الأوروبيَّة، حيث أمدَّت رجال الحُكم والسِّياسة بالمعلومات والآراء والخُطط، وممَّا يُؤسَف له أنَّ الغرب قد أصاب بعضاً مما خطَّط له، فقد نجح خلال القرن التاسع عشر من الميلاد في الاستيلاء على مناطقَ شاسعةٍ من العالم الإسلاميِّ بفضل المساعدة الهائلة التي تلقَّتها الدُّول الاستعماريَّة من المُستشرقين[٤].

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٣٣، ١٣٤.

(٢) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٦٦، ٦٧.

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٢٩.

(٤)انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٦٣.

ومن مظاهر تلك المساعدة الَّتي قدَّمها المُستشرقون للدُّول الاستعماريَّة ما يلي[1]:

١- قيام مجلة الإسلام الألمانيَّة الَّتي أسَّسها المستشرق كارل هنيريش بيكر بعمل دراسات تخدم الأهداف الاستعماريَّة في أفريقيا.

٢- قيام مجلة عالم الإسلام الرُّوسيَّة الَّتي أسَّسها المستشرق بارتولد بإجراء بحوثٍ تخدم مصالح السِّيادة الرُّوسيَّة في آسيا الوسطى.

٣- قدوم المستشرق الهولندي سنوك هرجرونجه إلى مكَّة المُكرَّمة تحت اسم عبد الغفَّار، ومكوثه فيها ستَّة أشهر، وعاد ليكتب تقاريرَ تخدم الاستعمار في المشرق الإسلاميِّ.

٤- تأسيس معهد اللُّغات الشرقيَّة بباريس سنة ١٨٨٥م، والَّذي كانت مهمَّته الحصول على معلوماتٍ عن البلدان الشَّرقيَّة، وبلدان الشَّرق الأقصى؛ حتَّى يُشكِّل أرضيَّةً تُسهِّل عمليَّة الاستعمار في تلك المناطق.

٥- عمل عددٌ من المستشرقين كمستشارين لوزارة المُستعمَرات الفرنسيَّة في شؤون شمال أفريقيا.

لم ينته دور المستشرقين عند هذا الحدِّ، بل واصلوا دراساتهم بعد استيلاء الغرب على بلاد المسلمين عسكريًّاً، وسيطرته عليها سياسيًّاً؛ بهدف إضعاف المُقاومة الرُّوحيَّة والمعنويَّة في نُفوس المسلمين، وبثِّ الوهن والارتباك في تفكيرهم، من خلال بثِّ بعض الشُّبهات والأفكار بين عامَّة الشُّعوب الإسلاميَّة، ومن بينها ما يلي[2]:

١- التَّشكيك بقيمة التُّراث الَّذي يملكه المسلمون، وما عندهم من عقيدةٍ وشريعةٍ وقِيَمٍ إنسانيَّةٍ، حتَّى تفقد الشُّعوب الإسلاميَّة ثقتها بنفسها، وأنْ ترتميَ في أحضان الغرب، ويستجلبوا منه المبادئ والعقائد والعادات والتَّقاليد وأنواع السُّلوك، ليتمَّ للغرب إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته إخضاعاً كاملاً.

٢- إحياء دعواتٍ ونعراتٍ قديمةٍ، ومفاهيمَ جاهليَّةٍ أماتها الإسلام كالقوميَّات الفرعونيَّة، والفينيقيَّة، والآشوريَّة، والعربيَّة، والكُرديَّة، والتُّركيَّة، والفارسيَّة، وغيرها، بهدف تشتيت شمل الأُمَّة الإسلاميَّة، وتمزيق وَحدتها، بعد أن جمعتها رابطة الدِّين والعقيدة.

---

(١) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٢/٦٩٣، ٦٩٤.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٢٩.

المسألة الثَّالثة: وسائلُ الاستشراق:

لقد عملت الدُّول الغربيَّة – لا سيَّما الاستعماريَّة منها – على توفير كل ما يلزم للمستشرقين لمساعدتهم في تحقيق أهدافهم، ولم تدَّخر جهداً في دعمهم ماديَّاً وأدبيَّاً ومعنويَّاً، وقد عمد المستشرقون بدورهم إلى استغلال كلِّ وسيلةٍ مُتاحةٍ، بل وابتداع وسائلَ جديدةٍ من أجل تحقيق هذه الأهداف.

وهذه بعض الوسائل الَّتي سلكها المستشرقون لتحقيق أهدافهم:

أوَّلاً: تأليف الكتب في موضوعاتٍ مختلفةٍ عن الإسلام، والرَّسول ﷺ، والقرآن الكريم، والسُّنَّة النَّبويَّة، والتَّاريخ الإسلاميَّ، والأدب العربيَّ، وغيرها، ونَفَثُوا بعضاً من سمومهم في حواشيها، وبين أسطر صفحاتها، وشحنوها بالأكاذيب، والشُّبهات، والأضاليل، والطُّعون، والتَّحريفات المُتعمَّدة[١].

ثانياً: إصدار المجلَّات الخاصَّة ببحوثهم المُتعلِّقة بالإسلام، والمسلمين، وشعوبهم، وبلادهم[٢]، مثل مجلَّة الشَّرق الأوسط، ومجلَّة العالم الإسلاميِّ[٣]، ومجلَّة عالم الإسلام، ومجلَّة ينابيع الشَّرق[٤].

ثالثاً: العمل على إصدار ونشر الموسوعات العلميَّة الإسلاميَّة، والقواميس، والمعاجم بلُغاتٍ شتَّى، بعد دسِّ الأفكار المُنحرفة فيها؛ لتكون مَراجِعاً سهلةً في أيدي الباحثين، وطلَّاب العلم[٥]، مثل: دائرة المعارف الإسلاميَّة وغيرها[٦].

رابعاً: العمل على إحياء التُّراث الباطنيِّ المجوسيِّ القديم؛ بهدف تحطيم وتشويه أصالة الفكر الإسلاميِّ، وذلك من خلال تركيز المُستشرقين على إحياء المخطوطات المحشوَّة بالسُّموم والخُرافات، وخاصَّةً ما يتَّصل منها بالإلحاد، والإباحيَّة، ووَحدة الوجود، والحُلول، والاتِّحاد من مثل كتب الحلَّاج وابن عربي، وكتب غلاة الرَّافضة والاسماعيليَّة والفاطميين وغيرها[٧].

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٣٦.

(٢) انظر: المصدر السَّابق، ١٣٦.

(٣) انظر: الاستشراق والمستشرقون، ٣٨.

(٤) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٢/٦٩٣.

(٥) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٣٥.

(٦) انظر: الاستشراق والمستشرقون، ٣٥.

(٧) انظر: أساليب الغزو الفكري، ٢٥، ٢٦.

خامساً: عقد المُؤتَمَرات الاستشراقيَّة، وذلك للتَّشاور وتبادل الآراء فيما بينهم، للوصول إلى أفضل الوسائل، وأقصر الطرق وأنجعها لتحقيق أهداف الاستشراق، وقد عقدوا أوَّل مؤتمرٍ لهم في باريس عام ١٨٧٣م، ولا تزال مؤتمراتهم لهذا الشَّأن تُعقَدُ إلى اليوم(١).

سادساً: عقد النَّدوات، ولقاءات التَّحاور، وإلقاء المحاضرات في الجامعات والمعاهد والجمعيَّات والأندية والمؤسَّسات العلميَّة في العالم الإسلاميِّ؛ بهدف بثِّ الأفكار الاستشراقيَّة المنحرفة، والتَّرويج لها، وإقناع مثقَّفي العالم الإسلاميِّ بها(٢).

سابعاً: تأسيس الجامعات والكلِّيَّات العلميَّة في بلدان العالم الإسلاميِّ، لتخريج أجيالٍ مُنسلخةٍ من إسلامها، مُتنكِّرةٍ لأوطانها، وتهيئتها لتقبُّل كلِّ المبادئ والأفكار الوافدة من الغرب، مثل: كلِّيَّة بغداد، والجامعة الأمريكيَّة في كلٍّ من مصرَ وتُركيَّا ولُبنان(٣).

ثامناً: إمداد إرساليَّات التَّبشير بالخُبَراء من المُستشرقين، ودعمها بما تحتاج إليه من جهودهم(٤).

تاسعاً: ترجمة الكثير من الكتب، والمؤلَّفات العربيَّة والإسلاميَّة إلى اللُّغات الأوروبيَّة – بما في ذلك القرآن الكريم – وقاموا بدسِّ أفكارٍ ومفاهيمَ مغلوطةٍ عن الإسلام في هوامشها ومقدِّمات ترجماتهم(٥).

عاشراً: نشر مقالاتهم ومقالات عملائهم ممَّن قاموا باستئجارهم، أو إقناعهم بأفكارهم من الكُتَّاب وأساتذة الجامعات وبعض الأُدباء والشُّعراء وغيرهم في المجلَّات والصُّحف المحليَّة للبلاد الإسلاميَّة – والَّتي نجحوا أيضاً في استئجار بعضها –؛ بُغية التَّأثير على الأجيال النَّاشئة، وإقناعهم بأفكارهم المسمومة والملوَّثة(٦).

حادي عشر: إفساد المرأة المُسلمة، من خلال الدَّعوات المُزيَّفة لتحريرها، وانطلاقها للعمل في مختلَف مجالات الحياة، ومنحها – بزعمهم – كامل حرِّيتها وكامل حقوقها، وعبر إيهامها أنَّ الإسلام قد هضم حقوقها، ونال من حرِّيتها بفرضه القيود الدِّينيَّة عليها(٧).

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٣٥.

(٢) انظر: المصدر السابق، ١٣٥، ١٣٦.

(٣) انظر: المصدر السابق، ١٣٥.

(٤) انظر: المصدر السابق، ١٣٦.

(٥) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية، ٦٦.

(٦) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٣٦، ١٣٧.

(٧) انظر: المصدر السابق، ١٣٧.

المطلبُ الثَّاني
موقف الشَّيخ الميدانيِّ من الاستشراق

كشف الميدانيُّ عن حجم الاستفادة الَّتي تعود على الدُّول الاستعماريَّة من الدِّراسات الاستشراقيَّة الَّتي يقوم بها المُستشرقون، وتتبَّع الميدانيُّ بعض شُبهاتهم ودسِّهم وردَّ عليها وفنَّدها، وأنصف من يستحقُّ الإنصاف منهم، وفضح مناهجهم غير المتجرِّدة في البحث، وذلك على النَّحو المُوضَّح في المسائل التَّالية:

المسألةُ الأُولى: العَلاقة بين التَّبشير والاستشراق والاستعمار:

تلاقت أهداف قُوى الشَّر في الأرض على حرب الإسلام وأهله، فسلَّطوا على الأُمَّة الإسلاميَّة أجنادهم، ووزَّعوا الأدوار فيما بينهم، بعد أن فرَّعوا جيوشهم، فكان غزوهم أشبه بالطَّائر، رأسه الكنيسة، وله أجنحةٌ ثلاثةٌ، هي: (التَّبشير والاستشراق والاستعمار)، فجاسوا خلال الدِّيار الإسلاميَّة يُمعنون فيها فساداً وإفساداً وتخريباً للبلاد والعباد والعُقول، وقد أبرز الميدانيُّ العَلاقة بين هذه القُوى الثَّلاثة على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: التَّآزر لتحقيق الأهداف المُشترَكة:

أوضح الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ قُوى الغزو الصَّليبيِّ قد اعتمدت في خُططها الَّتي تهدف إلى إضعاف قوَّة الأُمَّة الإسلاميَّة وتوهينها، وهدم وَحدتها، قد انطلقت من فهمها لطبيعة نُشوء القُوَّة وتماسك الجماعات البشريَّة وترابطها، حيث أبان الشَّيخ أنَّ هذه القُوَى قد أدركت أنَّه مِنَ الطَّبيعيِّ أنْ تتألَّف قُوَى الدِّفاع السَّليمة عند أيَّة جماعةٍ بشريَّةٍ من ثلاثة عناصرَ رئيسيَّةٍ، وهي(١):

العنصر الأوَّل: القُوَى المادِّيَّة، وتتمثَّل هذه القُوى بما يلي:

١- المقدار العدديِّ للطَّاقة الحيَّة لكتلة الدِّفاع البشريِّ.

٢- مدى القُدرة الحيَّة البشريَّة المُدرَّبة على الدِّفاع أفراداً وجماعاتٍ، ويُمثِّل ذلك القادة والجنود من المستويات المُختلفة.

٣- مقدار القدرات الأخرى الَّتي تستخدمها أو تنتفع منها كتلة الدِّفاع البشريِّ، وتمثِّلها الأسلحة الخفيَّة والحصون والمنشآت الدِّفاعيَّة والعقبات والمواقع المساعدة في طبيعة الأرض والمناخ.

٤- الكفاية التَّموينيَّة لكتلة الدِّفاع البشريِّ وللقدرات الأُخرى.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٧٤٤.

العنصر الثَّاني: القُوَى الفكريَّة، وتُمثِّلها المفاهيم الفكريَّة والأُسُس الاعتقاديَّة الَّتي تُنظِّم الأفراد في سلك كتلتهمُ البشريَّة الواحدة، والَّتي ينجم عنها وَحدةً عاطفيَّةً تؤكِّد روابط الكتلة وتدْعم تماسكها.

العنصر الثَّالث: القُوَى النَّفسيَّة والإراديَّة، وتُمثِّلها في الأفراد وفي الجماعة الواحدة ما لديهم من القواعد الأخلاقيَّة المشترَكة، وما لديهم من شجاعةٍ وروحٍ معنويَّةٍ، وما لديهم من تصميمٍ إراديٍّ على الدِّفاع.

فأبان الميدانيُّ أنَّ جيوش الغزو بأجنحتها الثَّلاثة قد أدركت هذه الحقيقة، فانقضَّت على الأُمَّة الإسلاميَّة من خلال هذه العناصر الثَّلاث، وأعدَّت لكلِّ عنصرٍ من عناصر قُوَى المسلمين المختلفة خططَ تفتيتٍ وهدمٍ، وتآزرت على مُحاربة هذه العناصر، واعتبرت ذلك هدفاً مشتركَاً بينها تعمل على تحقيقه، وأخذ كلُّ جناحٍ من هذه الأجنحة (التَّبشير- الاستشراق- الاستعمار) دوره، واستعمل ما تحت يده من قوَّةٍ وسخَّرها في سبيل ذلك؛ لتسير ضمن خطوط السَّير الَّتي ترسمها غرفة العمليَّات العُليَا لقيادة هذه الجيوش الآثمة، فبينما تكون أسلحة الجناح السِّياسيِّ والعسكريِّ متمثِّلةً في الخداع السِّياسيِّ والحربيِّ، تكون أسلحة الجناح الَّذي يقوده المُستشرقون متمثِّلةً في المحاورات الفكريَّة، والدَّسائس العلميَّة، والبُحوث والمؤلَّفات الدِّينيَّة والنَّفسيَّة والتَّاريخيَّة المليئة بالدَّسِّ والتَّحوير والتَّلاعب بالحقائق، وتلفيق التُّهم للمفاهيم والأحكام والشَّرائع الإسلاميَّة، وتكون أسلحة الجناح التَّبشيريِّ دائرةً في ميادين التَّعليم، والخدمات الصِّحيَّة والاجتماعيَّة بمختلف المستويات، وضمن هذا الإطار يمكن تفسير الدَّعم اللَّامحدود الذي تُقدِّمه السُّلطات الاستعماريَّة، سياسيَّةً كانت أو عسكريَّةً للجناحين الآخرين الاستشراقيِّ والتَّبشيريِّ، ويكون هذا الدَّعم بالمال، والحماية، وتذليل المَهمَّات، وتوفير الغطاء المناسب لها وغير ذلك، وفي مقابل ذلك تجد السُّلطات الاستعماريَّة لها سَنَدَاً مُقنَّعاً عند كلٍّ من الجناحين الآخرين المستشرقين والمبشِّرين، ففي المراكز التَّبشيرية مكاتب استخبارات تزوِّد المستعمرين بالمعلومات، ومكاتب لتصدير الشَّائعات، وشراء الذِّمم، وكذلك يقوم المستشرقون بإعداد التَّقارير الَّتي تقدِّم التَّوصيات والنَّصائح للسُّلطات الاستعماريَّة(١).

ثانياً: التَّبشير والاستشراق دعامتان من دعائم الاستعمار، وعملاء هذان الجناحان عملاءٌ للجناح الثَّالث (الاستعمار) وخدمٌ لسياسته.

ثالثاً: تقاسم التَّبشير والاستشراق الأعمال المقرَّرة في الخطَّة العامَّة لغزو العالم الإسلاميِّ، فقد اكتسى الاستشراق رداء العلم، واستخدام الكتابة والتَّأليف وإلقاء المحاضرات في الجامعات،

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٧٤٥.

وإنشاء الجمعيَّات الاستشراقيَّة، وإصدار الصُحف والمجلَّات وغيرها من الأعمال، وحمل التَّبشير أعباء الدَّعوة الجماهيريَّة، واستخدام وسائل التَّعليم كدُور الحضانة، ورياض الأطفال والمراحل الابتدائيَّة والثانويَّة للبنين والبنات، واستخدام المؤسَّسات الخيريَّة كالمستشفيات ودُور الأيتام وغيرها.

رابعاً: كان للمبشِّرين والمستشرقين الَّذين دخلوا البلاد الإسلاميَّة مستغلِّين الامتيازات التي تُمنح للأجانب دورٌ مُهمٌّ في نجاح الأمريكيين في تأسيس مراكزَ تبشيريَّةٍ وعلميَّةٍ كثيرةٍ في دُوَل العالم الإسلاميِّ.

خامساً: يستعين المبشِّرون بالكتب الجَدَليَّة الَّتي ألَّفها المستشرقون للوصول إلى غايتهم، ومن هذه الكتب ما يلي:

١- كتاب ميزان الحقِّ للمستشرق الأمريكيِّ فاندر، والدُّكتور سنكلير تسدل.
٢- كتاب الهداية ويقع في أربعة أجزاءٍ، وهو مليءٌ بالمطاعن على الإسلام والقُرآن الكريم.
٣- كتاب مقالة في الإسلام للمستشرق الدُّكتور سال.
٤- كتاب مصادر الإسلام للدُّكتور سنكلير تسدل.

سادساً: نجح التَّبشير والاستشراق والاستعمار في كثيرٍ من البلاد الإسلاميَّة في خلق فجوةٍ كبيرةٍ بين أجيالٍ متعاقبةٍ من المسلمين وبين دينها، فنشأت لا تَفْقَه الإسلام، ولا تحفظ من القُرآن إلَّا قليلاً من آياته، لذا سهُل بعد ذلك غزوهم غزواً فكريَّاً واسعاً.

سابعاً: يشترك المبشِّرون والمستشرقون في أنَّ كليهما يستغلانِّ نشر الكتب والدَّعوة إلى قراءتها ومُطالعتها ضمن خططٍ يرسمونها، فيعملون على تأسيس المكتبات العامَّة، ويوفِّرون فيها كلَّ أنواع الرَّاحة، ويزودونها بشتَّى أنواع الكتب في مختلَف المجالات، ويستغلُّون المكتبة في القيادة التَّوجيهيَّة لمرتاديها، وينظِّمون لهم مُسابقاتٍ في المُطالعة بتلخيص مجموعةٍ من الكتب المختارة من قِبَل المبشِّرين والمستشرقين بعنايةٍ، ويمنحون جوائزَ تشجيعيَّةً للفائزين.

ثامناً: يشترك المبشِّرون والمستشرقون في أنَّ كليهما لم يُنصف الحقيقة العلميَّة للعلم – إلَّا قليلاً من المستشرقين – فقد كانت أبحاثهم مبنيَّةً على أُسُس عقائدهم ومقاصدهم الخبيثة.

تاسعاً: لم يترك المبشِّرون والمستشرقون مسلكاً ظنَّوه يخدم أهدافهم إلَّا ولجوه، فقد نجحوا في التَّسلُّل إلى المجمع اللُّغوي بمصر، والمجمع العلميِّ بدمشق، والمجمع العلميِّ ببغداد، وقاموا بالتَّدخل – تحت غطاء الاستعمار – في مجال التَّربية والتَّعليم في محاولةٍ لغرس مبادئ التَّربية الغربيَّة في نُفوس المسلمين، ونجحوا في ذلك إلى حدٍّ كبيرٍ.

وقد أبان الميدانيُّ أنَّه اعتمد في مقارنته هذه على كتاب (المستشرقون والمبشِّرون في العالم العربيِّ والإسلاميِّ)، للأستاذ إبراهيم خليل أحمد، الذي كان قسِّيساً وعاملاً في حقل التَّبشير بين المسلمين، ثُمَّ هداه الله إلى اعتناق الإسلام، وقد كشف بعد إسلامه الكثير من الحقائق الَّتي يعرفها عن العمل التَّبشيريِّ، وأعمال المستشرقين وأهدافهم[١].

إنَّ الواقع المرير الَّذي عاشته الأُمَّة الإسلاميَّة، والأوضاع المُزرِيَة الَّتي وصلت إليه على مختلف المستويات الدِّينيَّة، والأدبيَّة، والفكريَّة، والاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة، والعسكريَّة، والسِّياسيَّة وغيرها، كان هدفاً من أهمِّ أهداف الغزو الفكريِّ، فقد نجحت جهود جيوش هذا الغزو إلى حدٍّ كبيرٍ في الإيقاع ببعض العُقول الإسلاميَّة وحشوها بالأضاليل والأكاذيب، وملئها بالغثِّ من المُعتقدات والأفكار، وما كان لهذا النَّجاح أن يتحقَّق إلا بتخاذل المسلمين عامَّةً، وقادتهم ونُخبهم خاصَّةً، وتخلِّيهم عن منهاج ربِّهم القويم أوَّلاً، ثُمَّ التَّعاضد والتَّعاون بين جيوش الأعداء على النَّحو الَّذي بيَّنه الشَّيخ ثانياً.

إنَّ مثل هذا التَّعاضد يُضفي على العمل الفكريِّ العدائيِّ قُوَّةً إلى قوِّته، وتأثيراً فوق تأثيره، ولا يمكن أن تنجوَ أُمَّةٌ مُستهدفةٌ بمثل هذه المؤامرات والخطط المحبوكة حبكاً مُحكَماً، إلَّا بمقابلة القُوَّة بالقُوَّة، إذ إنَّ التَّيار القَويَّ لا يمكن أن يُواجَه إلا بتيارٍ أقوى منه، وإذا كان الغزاة قد وضعوا أيديهم على نقاط ضعف المسلمين، فتلقَّفتها جيوشهم واختبأت خلفها لتتسلَّل إلى الأُمَّة عبر ما تحمله من سمومٍ فكريَّةٍ تنفثها على أجيال المسلمين فتُلوِّث عقولهم، وتشوِّه أفكارهم، وتشكِّكهم في معتقداتهم، وكما بحثوا عن نقاط قُوَّة المسلمين فأوهنوها، وبعثروها بعد أن وجَّهوا جُيوشاً مدجَّجة بمختلف أنواع الأسلحة المادِّيَّة والفكريَّة إلى عناصر هذه القُوَّة، كلُّ جيشٍ يحمل نوع السِّلاح الَّذي يتناسب مع العنصر الَّذي وُجِّه له، كان الأَوْلى بأُمَّة الإسلام والأجدر – وهي تحمل الحقَّ والحقيقة – أن تُحصِّن جبهتها الدَّاخليَّة من هذا الغزو بما تيسَّر لها، وإنَّ صدَّ هجمات الأعداء الفكريَّة، والذود عن عقول الأجيال المسلمة النَّاشئة ليس بالأمر المُستحيل، لو لجأت الأمة إلى ربِّها، وحرَّرت نفسها من التَّبعيَّة للغرب، وصحَّحت مفاهيمها، ووحَّدت صفوفها، وأعدَّت خُططها بشكلٍ مدروسٍ كما يُعدُّون، وغزت أعداءها بالحقِّ الَّذي تحمل، كما يغزونها بباطلهم.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٦٠-١٦٢.

المسألة الثَّانية: كشف زيوف مناهج البحث لدى المستشرقين:

لخَّص الشَّيخ الميدانيُّ موازين البحث عند المستشرقين، وبيَّن أنَّها لا تستند إلى أيِّ أصلٍ علميٍّ استدلاليٍّ سليمٍ، وهي مليئةٌ بالتَّجنِّي والإجحاف، وقد غمس المستشرقون فيها أهواءهم وشهواتهم وأحكامهم المُسبقة، الأمر الَّذي يُسهم في نسف أباطيلهم وجهودهم في النَّيل من الإسلام وأُمَّته وتاريخه، وذلك بإبطال قواعد البحث الَّتي انطلقوا منها، وارتكزوا عليها، وقد لخَّصها الميدانيُّ على النَّحو التَّالي(١):

أوَّلاً: تحكيم الهوى ونزعات العَداء للإسلام والمسلمين، والتَّعصُّب الأعمى للنَّصرانيَّة، وللشُّعوب والأُمم المُنتمية إليها، واعتماد ما يُوافق هواهم من كلِّ خبرٍ ضعيفٍ، ورأيٍ مردودٍ شاذٍّ، وقولٍ ساقطٍ لا سَنَد له من عقلٍ ولا نقلٍ صحيحٍ.

ثانياً: وضْع الفكرة مقدَّماً ثُمَّ البحث عن أدلَّةٍ تُؤيدها مهما كانت ضعيفةً واهيةً، ولو اضطرَّهم الأمر إلى اعتماد أسلوب المُغالطات والأكاذيب، واقتطاع النُّصوص، وهذا عكْس المنهج العلميِّ الاستدلاليِّ السَّليم.

ثالثاً: تفسير النُّصوص والحوادث والوقائع والنِّيَّات والغايات بتفسيراتٍ لا تتَّفقُ مع دلالاتها وأماراتها الحقيقيَّة، ولا مع النَّتائج الَّتي أثبتها تاريخ الأُمَّة الإسلاميَّة.

رابعاً: تضخيم الأخطاء الصُّغرى الَّتي تصدر من المسلمين، وجعلها تطغى على ساحة صُورة تاريخ المسلمين، وطمس الصُّور الرَّائعة المُشرقة في هذا التَّاريخ، وتجميع الهفوات التي لا تخلو منها أُمَّةٌ مهما عظمت كمالاتها، ووضعها في صُورةٍ واحدةٍ، وتقديمها على أنَّها هي كلُّ صُورة تاريخ المسلمين.

خامساً: تصيُّد الشُّبهات الَّتي يشتبه وجه الحقِّ فيها على كثيرٍ من النَّاس، وإثارة الانتقادات حولها، واستغلال أنانيَّات النُّفوس وأهواءها وشهواتها، واستغلال شعاراتٍ خادعاتٍ برَّاقة المظهر، زخرفيَّة القول، كشعار حريَّة المرأة.

سادساً: رفض الحقِّ بالنَّفي المُجرَّد، الَّذي لا يدعمه دليلٌ صحيحٌ مقبولٌ في المنهج العلميِّ السَّليم، والاعتماد على الوهم المجرَّد لتفسير الأمور والوقائع.

سابعاً: تفسير التَّاريخ الإسلاميِّ والحضارة الإسلاميَّة بالمنظار الَّذي يفسِّرون به التَّاريخ الغربيَّ والحضارة الغربيَّة مع تباين الواقعَيْن عقيدةً ونظاماً وشريعةً وبيئةً ودوافعَ تبايناً كليَّاً.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٤٩-١٥١، بتصرُّف.

ثامناً: استنباط القواعد الكلِّيَّة العامَّة من الحوادث الفرديَّة الجزئيَّة الَّتـي لا يصـحُّ منطقيّـاً تعميمها.

تاسعاً: قياس المؤمن المسلم الَّذي يخشى الله على الَّذين لا تردعهم روادع ديـنٍ ولا خُلُـقٍ، وتفسيرهم لسُلوك المسلمين أفراداً وجماعاتٍ بأنَّه مدفوعٌ بأغراضٍ شخصيَّةٍ، ونـوازعَ نفسـيَّةٍ دُنيويَّةٍ، وليس أثراً لدافع ابتغاء مرضاة الله وثواب الآخرة.

موازين البحث هذه قد استنبطها الشَّيخ من بعض ما افتراه المستشرقون في كتابـاتهم عـن الإسلام وعن العرب وعن الشَّرق، بعدما أورد أمثلةً تُظهر بوضوحٍ موازينهم غير المُنصفة في البحث، وهي كالتَّالي(١):

المثال الأوَّل: في محاولة المستشرق (جولدتسيهر)(٢) لإثبات زعمه بأنَّ الحديث في مجموعه من صنع القرون الثَّلاثة الأُولى للهجرة، وليس من قول الرَّسول ﷺ، ادَّعى أنَّ أحكام الشَّريعة لم تكن معروفةً لجمهور المسلمين في الصَّدر الأوَّل من الإسلام، وأنَّ الجهل بها وبتاريخ الرَّسـول ﷺ كان لاصقاً بكبار الأئمَّة، وقد حشد لذلك بعض الروايات السَّاقطة المُتهافتة، ومن ذلك ما نقله عن كتاب (حياة الحيوان) لـ (الدميري)(٣)، من أنَّ أبا حنيفة رحمه الله لم يكن يعرف هـل كانـت معركة بدرٍ قبل أُحُدٍ أم كانت أُحُدٌ قبلها!!.

---

(١) أشار الشيخ إلى أنَّه اقتبس هذه الأمثلة من الدكتور مصطفى السباعي. انظر الأصل: الاستشراق والمستشرقون، ٥٥-٦٢.

(٢) اجنتس جولدتسهير، مستشرق مجري من أصل يهودي، اتجه إلى الدراسات الاستشراقية وهو في السادسة عشرة من عمره، له عدة كتب، منها: الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم، ودراسات إسلامية، ومحاضرات في الإسلام، واتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين، وغيرها، تُوفي سنة ١٩٢١م. انظر: موسوعة المستشرقين، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١.

(٣) محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين: باحث، أديب، من فقهاء الشافعية، ولد في دميرة بالقاهرة سنة ٧٤٢هـ، ونشأ فيها، وأقام مدة بمكة والمدينة، من كتبه: حياة الحيوان، والديباجة في شرح كتاب ابن ماجة وغيرها، توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ. انظر: الأعلام، ٧/١١٨.

المثال الثَّاني: أعرض المستشرق جولدتسيهر عمَّا أجمعت عليه كتب الجرح والتَّعديل وكتب التَّاريخ، من صدق الإمام (الزُّهريِّ)(١) رحمه الله وورعه وأمانته ودينه، وزعم أنَّه لم يكن كذلك، بل كان يضع الحديث للأمويين، وهو الذي وضع حديث: (لا تُشدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد إلخ..) لـ (عبد الملك بن مروان)(٢)، وكل حجَّته أنَّ هذا الحديث من رواية الزُّهري، وأنَّ الزُّهريَّ كان مُعاصراً لعبد الملك ابن مروان!!.

المثال الثالث: يحاول المستشرقون أنْ يؤكِّدوا تعالي العرب الفاتحين على المسلمين الأعاجم، وانتقاصهم من مكانتهم؛ وغرض المستشرقين من هذا إفساد قلوب المسلمين من غير العرب على المسلمين من العرب، لإقامة الحواجز القوميَّة بينهم.

وهذه كلُّها محض افتراءاتٍ لم يقم بها أيُّ دليل، ولم تسندها أيُّ أحداثٍ تاريخيَّة، والأجوبة على مثل هذه الادِّعاءات مبسوطةٌ في كتب السِّير والتَّاريخ والفقه، فهل يمكن لأيِّ عاقلٍ أن يصدِّق أنَّ رجلاً مثل أبي حنيفة صاحب أحد المذاهب الفقهيَّة الإسلاميَّة الأربعة، كان يجهل تاريخ النَّبيِّ وغزواته، ولا يعرف أيَّ الغزوات أوَّل؟!.

أمَّا الزَّعم بأنَّ الزُّهري كان يجامل الأمويين بأحاديثَ مكذوبةٍ عن النَّبيِّ ﷺ فتكذِّبه كتب الجرح والتَّعديل، وشهادات الأئمَّة والعلماء له بالصِّدق كما هو ظاهرٌ في ترجمته، وأمَّا الزعم بأنَّ العرب الفاتحين كانوا مُتعالين على المسلمين الأعاجم، فتكذِّبه الوقائع التاريخيَّة، إذ لو كان هناك تعالياً فكيف لقائدٍ عربيٍّ مثل (موسى بن نُصَيْرٍ)(٣) أنْ يُعيِّن قائداً بربريَّاً على الجيوش

---

(١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، الإمام المُحدِّث، تابعي جليل، ولد سنة ٥٨هـ، قال عنه الإمام أحمد: أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً الزهري، وقال النسائي: أحسن الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، تُوفي سنة ١٢٤هـ عن اثنتين وسبعين سنة. انظر: البداية والنهاية، اسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، ٣٥٤/٩، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، دار الكتب العلمية – لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨.

(٢) عبد الملك بن مروان، الخليفة الفقيه، ولد سنة ٢٦هـ، سمع الحديث من عثمان وأبي هريرة وابن عمر ومعاوية وأم سلمة وغيرهم، وحدَّث عنه عروة والزهري وآخرون، وهو أول من ضرب على الدنانير وكتب عليها القرآن الكريم، مات سنة ٨٥هـ، وقيل: ٨٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ٢٤٦/٤-٢٥١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٣) موسى بن نصير، صاحب فتح الأندلس، كان عاقلاً، ورعاً تقياً، لم يُهزم له جيش قط، ولد سنة ١٩هـ، تولَّى إفريقيا سنة ٧٧هـ، توفي سنة ٩٧هـ. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ٣١٨/٥، ٣١٩، دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٩٤م، وانظر: الأعلام، ٣٣٠/٧.

الإسلاميَّة المُتَّجهة لفتح الأندلس؟! وهو القائد (طارق بن زياد)(١)، هذا إلى جانب قادةٍ مسلمين كبار من غير العرب لمعوا في تاريخ الفتوحات الإسلاميَّة، من أمثال القائد البربريِّ (يوسف بن تاشفين)(٢)، والقائد الكرديِّ صلاح الدِّين الأيوبيِّ محرِّر المسجد الأقصى من الصَّليبيين.

المسألةُ الثَّالثة: مواجهة شُبُهات المستشرقين:

يلمس المتتبِّع لما كتبه الشَّيخ الميدانيُّ حرصاً واضحاً من جانبه على مواجهة الهجمات الصَّليبيَّة الفكريَّة بقيادة جيوش المستشرقين على الوعي الجمعيِّ الإسلاميِّ، ويرى الباحث أنَّ الشَّيخ قد واجه ذلك بأمرين رئيسين، وهما:

أوَّلاً: تعزيز ثقة المسلمين بدينهم:

لقد كان الشَّيخ واحداً من أهمِّ العلماء والمفكرين الَّذين قاموا بدورٍ بارزٍ في توعية الأُمَّة بدينها، وتبصرتها بما تُحيكه قُوَى الشَّر في الأرض للنَّيل من عقيدتها، فقد عمد الشَّيخ في جُلِّ كتبه على بذر جُرعاتٍ إيمانيَّةٍ وتوعويَّةٍ لتعزيز ثقة المسلمين بدينهم، بعد الحملات الصَّليبيَّة المحمومة لتشويهه، فقد صدَّر الميدانيُّ كلَّ كتبه الَّتي هي ضمن سلسلة أعداء الإسلام بالعبارة التَّالية: "لولا أنَّ الإسلام حقٌّ بذاته، مُؤَيَّدٌ بتأييد الله، محفوظٌ بحفظه، لم تَبْق منه بقيَّةٌ تُصارع قُوَى الشَّر في الأرض، الَّتي ما تركت سبيلاً من المكر إلَّا سلكته، ولا سبباً لإطفاء نوره إلَّا أخذت به، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين"(٣).

وقد أراد الشَّيخ – في رأي الباحث – بتكراره لهذه العبارة أن يؤكِّد على جملةٍ من الحقائق الهامَّة، منها ما يلي:

١- إنَّ حجم التآمر على الإسلام والمسلمين أكبر مِنْ أن تردعه جهود المخلصين من هذه الأُمَّة، لضخامته وسَعته وتشعُّبه، فهم لا ينفكُّوا عن الكيد للإسلام سراً وجهاراً، ليلاً ونهاراً، فقد اتَّحدت قُوَى الغزو على اختلاف مِلَلِها ونِحَلِها ومذاهبها ولُغاتها، واتَّفقت جميعاً على حرب الإسلام، وجيَّشت الجيوش، وأنفقت الأموال، وأشعلت الفتن، وغذَّت

(١) طارق بن زياد، أصله من البربر، ولد نحو ٥٠هـ، فاتح الأندلس، أسلم على يد موسى بن نصير، ثم جعله على الجيوش التي غزت الأندلس، ففتحها، توفي نحو ١٠٢هـ. انظر: الأعلام، ٣/٢١٧. .

(٢) يوسف بن تاشفين، أمير المسلمين، وملك الملثمين، سلطان المغرب الأقصى، شمل ملكه المغربين الأقصى والأوسط وجزيرة الأندلس، ولد في صحراء المغرب سنة ٤١٠هـ، غزا الأندلس فصالحه ملوكها على الطاعة، استخلفه أبو بكر بن عمر على المغرب سنة ٤٦٣هـ فاستقلَّ به، مات بمراكش سنة ٥٠٠هـ. انظر: المصدر السابق، ٨/٢٢٢.

(٣) كما في أوائل كتب: أجنحة المكر الثلاثة، وكواشف زيوف، وغزو في الصميم، وغيرها.

عواملَ الفُرقة بين المسلمين، وسلكت كلَّ مسلكٍ من أجل القضاء على الإسلام أو تهميشه وتحجيمه.

٢- إنَّ النَّتائج الَّتي كانت ترجوها قُوَى الغزو كثمرةٍ لكلِّ هذا المكر لم تكن كما كانت تؤمِّل، ولا يرجع الفضل في ذلك إلى ما أعدَّه المسلمون لمواجهة ذلك، بل يرجع إلى حقيقة الإسلام القويَّة الثَّابتة الَّتي لا تنال منها الافتراءات والتَّلفيقات وإثارة الشُّبهات، فنور الإسلام الحقِّ سرعان ما يُطفئ ظلماتهم، ويبطل كيدهم مصداقاً لقول الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢](١).

٣- إنَّه منَ الخطأ أن يفهم المسلمون أنَّ معنى هذه النُّصرة والتَّأييد من الله للحقِّ أنْ يقعدوا هم عن نصرته، أو أنْ يتكاسلوا عن استفراغ كلِّ جهد للذَّود عنه، واتِّخاذ كلِّ الوسائل لإبطال أساليب الماكرين من أعداء الحقِّ، فلابدَّ أنْ يكون للمسلمين – لاسيَّما العلماء والدُّعاة – دورٌ في دفع الشُّبهات الَّتي تُثار للنَّيل من عقيدتهم ودينهم، وقد امتنَّ الله تعالى على رسوله بأنْ أيَّده بنصره وكذلك بالمؤمنين، قال ﷻ: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢].

ثانياً: الردُّ على شُبهات المستشرقين:

وبناءً على تقسيم الشَّيخ الميدانيِّ لصُور الغزو بأنَّ منه ما هو مباشرٌ ومنه ما هو غير مباشرٍ، فإنَّ وسيلة إثارة الشُّبهات تُعدُّ من أبرز وسائل الغزاة في الهجوم على الإسلام بشكلٍ مباشرٍ، وقد انبرى لهذه المهمَّة المستشرقون، فشحنوا أقلامهم، وبثُّوا سمومهم، وذلك من خلال التَّشكيك في شرائع الإسلام، ومحاولة إظهارها بمظهر العجز أو التَّقصير في مسايرة ركب التَّمدُّن والتَّحضُّر، وقد ساق الشَّيخ الميدانيُّ عدداً من هذه الشُّبهات، وأتبعها بأجوبةٍ فنَّدت تقوُّلاتهم، ونسفت أكاذيبهم من جذورها، ومن ذلك ما يلي:

١- شُبهاتٌ حول المثاليَّة والواقعيَّة في الإسلام والردُّ عليها:

الشُّبهة الأُولى: اتِّهام الإسلام بأنَّ دعوته إلى الخير والتَّحلي بفضائل الأعمال تعتمد على التَّرغيب بالثَّواب المادِّيِّ المُعجَّل أو المُؤجَّل، في حين أنَّ المثاليَّة تقضي بأنْ يسعى الإنسان إلى تحقيق الخير لمجرَّد أنَّه خير، لا لما يترتب عليه من أجرٍ وثوابٍ، وفي ذلك اتهامٌ للإسلام بأنَّه واقعيٌّ بعيدٌ عن المثاليَّة(٢).

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٤٨٩.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٤٩٤.

أجاب الشَّيخ عن ذلك بكشف غرضي هذه الشُّبهة أوَّلاً، وهي على النَّحو التَّالي[1]:

الأوَّل: صرف أبناء المسلمين عن جوِّ المؤثِّرات التَّرغيبيَّة والتَّرهيبيَّة المشحونة بها نصوص الشَّريعة الإسلاميَّة؛ لأنَّها من أكثر الوسائل نجاعةً في الإصلاح والتَّقويم للعناصر البشريَّة، وهذا ما لا تملك مفاتحه المثاليَّات النَّظريَّة إلَّا قليلاً.

الثَّاني: خداع أبناء المسلمين بمثاليَّاتٍ جوفاء لجرِّهم إلى تحقيق مآرب أعدائهم المُوغلة في المادِّيَّة.

ولذلك أبرز الشَّيخ الميدانيُّ بشكلٍ جليٍّ تَوازُن الفلسفة الإسلاميَّة في التَّعاطي معَ مسألة المثاليَّة والواقعيَّة، ونوَّه إلى أنَّ أُسُس الإسلام وطريقته في دعوة النَّاس وتوجيههم إلى التَّحلي بالفضائل والتَّخلي عن الرَّذائل قد راعت ثلاثة عناصرَ بشكلٍ متوازنٍ، فلم تهتم بعنصرٍ على حساب آخر:

ففي العنصر الأوَّل: اهتمَّت الفلسفة الإسلاميَّة بالعقل المتطلِّع إلى المثاليَّات والباحث عنها، من خلال دفع الإنسان إلى التَّطلع للكمال المُطلق، وهو التَّحرر من عشق المادَّة وعبادتها، وربطه بمثاليَّة عبادة الله وحده لا شريك له، فهو وحده الَّذي يُجازي على الخير خيراً، وعلى الشَّر شراً، وهذا غاية المثاليَّة؛ لأنَّ الله تعالى هو مثاليَّة الوجود، وهو واضع مفاهيم الخير والشَّرِّ في الحياة، وخالق موازين الإحساس بها في ضمائر النَّاس، فابتغاء مرضاته لابدَّ أن تكون هي مثاليَّة الغايات.

وفي العنصر الثَّاني: اهتمَّت الفلسفة الإسلاميَّة بالجانب المادِّيِّ من خلال التَّطبيقات الواقعيَّة الملائمة للواقع الإنسانيِّ، فهي حينما كلَّفت الإنسان السعيَ إلى كماله الإنسانيِّ لم تتجاوز حدود طاقاته الجسديَّة أو الفكريَّة، ومنحت غرائزه وشهواته ومطالبه النَّفسيَّة من الدُّنيا بالمقدار الَّذي يُصلِح ولا يُفسِد، وفي هذا غاية التَّكميل والتَّهذيب الواقعيِّ الَّذي يُطاول المثاليَّات في جانب الفكر والضَّمير.

وفي العنصر الثَّالث: اتَّخذت الفلسفة الإسلاميَّة وسائلَ تنسجم معَ الخصائص الإنسانيَّة، فهي قائمةٌ بعد الإقناع الفكريِّ والوجدانيِّ على وسيلتي التَّرغيب والتَّرهيب، فتبشِّره بالسعادة الجسديَّة والنَّفسيَّة والرُّوحيَّة في الدَّارين الدُّنيا والآخرة، إنْ هو تقيَّد بتعاليم الإسلام، وتحجزه عن المضرَّات والمُهلِكات بالوسائل الدُّنيويَّة الرَّادعة، إلى جانب التَّحذير من الشَّقاء الجسديِّ والنَّفسيِّ والرُّوحيِّ في الحياة الآخرة، وهذه هي أفضل الأُسُس لوسائل الإصلاح المنسجمة مع الخصائص الإنسانيَّة.

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٤٩٤.، ٤٩٥، ٤٩٧، ٤٩٨.

الشُّبهة الثَّانية: اتِّهام الإسلام بأنَّه مثاليٌ بعيد عن الواقعيَّة الإنسانيَّة، لذلك فهو غير صالحٍ لأنْ يكون دستور حياة النَّاس، وتعاليمه غير ممكنة التَّطبيق(١).

والظَّاهر أنَّ هذه الشُّبهة تُناقض الشُّبهة الأُولى بشكلٍ كاملٍ، وهذه من المسائل التي يلبِّسون بها على المسلمين دينهم، وقد فنَّد الشَّيخ شبهتهم وأكَّد أنَّه من المعلوم بداهةً في الشَّريعة الإسلاميَّة أنَّ الإسلام مثاليُّ الغاية، واقعيُّ التَّطبيق، ثم فصَّل رحمه الله فبيَّن أنَّ الإسلام لدى توجيهه المسلمين إلى تحديد الأهداف والغايات يسمو بهم إلى الغايات المثاليَّة، والَّتي ترتقي بالوجدان الإنسانيِّ إلى كماله دون أن يؤثِّر ذلك بالسَّلب على السُّلوك الواقعيِّ المهذِّب له، وحينما يُرغِّب الإسلام بالمثاليَّات التَّطبيقية فإنَّه يجعلها مجالاً لتسابق المُجدِّين المُتطلِّعين إلى الكمال التَّطبيقيِّ، ولا يجعلها أمراً إلزاميَّاً واجباً(٢).

٢- شُبهات حول بعض العبادات في الإسلام والردُّ عليها.

لقد فتَّش أعداء الإسلام وعلى رأسهم المستشرقون في كلِّ جانبٍ من جوانب الدِّين الإسلاميِّ عن ثغرةٍ لينفُذوا منها للطَّعن فيه، ولإثارة الشُّبهات حوله، وكانت العبادات الإسلاميَّة وهيئاتها وصُورها واحدةً من هذه الجوانب، فقد أثاروا حول بعض هذه العبادات الشُّبهات، فاتَّهموا المسلمين بأنَّهم يعبدون الكعبة أو الحجر الأسود، وقد أجاب الشَّيخ على فريتهم هذه كما مرَّ، وقد شكَّكوا بعبادة رمي الجمار في الحجِّ، مع أنَّ هذه العبادة تعبيرٌ ماديٌّ عن الكفر بالطَّواغيت والبراءة منهم، وشكَّكوا بالتَّيمم للطَّهارة كبديلٍ عن الماء إذا فُقِد أو تعذَّر استعماله، مع أنَّ التَّيمم عملٌ رمزيٌّ يقدِّم فيه المسلم العذر لربِّه، وهو من باب التَّيسير الَّذي تميَّز به الإسلام(٣).

لقد كانت جلُّ شُبهاتهم الَّتي أثاروها واهيةً ومردودةً عليهم، وعلى نفس نمط بعضها البعض لذا فقد آثر الشَّيخ أن يكون ردُّه على هذه الشُّبهات جميعها جملةً واحدةً، بحيث يصلح جواباً لكلِّ شُبهاتهم في العبادات، فأوضح أنَّ أشكال العبادات الَّتي شرعها الله للنَّاس في الإسلام هي نموذجٌ فريدٌ مطابقٌ لجوانب الحكمة الفكريَّة والنَّفسيَّة والاجتماعيَّة ذات فلسفةٍ راقيَةٍ ملائمةٍ لواقع النَّاس في حياتهم، فالحكمة في الجانب التَّعبديِّ قائمةٌ على مجموعةٍ منَ الأُسُس الفكريَّة العظيمة الَّتي يجب على المُنصفين أنْ يفهموها قبل أنْ يحكموا على أشكال العبادات في الإسلام، ومن هذه الأُسُس ما يلي(٤):

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٤٩٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٤٩٨، ٤٩٩.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٥١٦.

(٤) انظر: المصدر السابق، ٥٣٠-٥٤١.

الأساس الأوَّل: أنَّ الإنسان مخلوقٌ لله تعالى، ومن واجبه أنْ يعترف لخالقه بالرُّبوبيَّة، فلا شيء غيره يستحقُّ العبادة بأيِّ شكلٍ من أشكال العبادات.

الأساس الثَّاني: أنَّ حقيقة العبادة الخضوع القلبيُّ والفكريُّ والنَّفسيُّ لله تعالى، لكنَّ طبيعة الحياة المادِّيَّة للإنسان تقتضي أنْ يُعبِّر عن هذه العبادة بصيغٍ مادِّيَّةٍ تدلُّ بصورتها الظَّاهرة على ما بداخل الإنسان من معاني العبادة الحقَّة.

الأساس الثَّالث: أنَّ العبادة المادِّيَّة إذا فقدت جانبها الدَّاخليَّ تحوَّلت إلى نوعٍ من أنواع الرِّياضات البدنيَّة، أو عملاً من الأعمال الجوفاء الفاقدة لأيِّ أثرٍ في سُلوك الإنسان، فقبول العمل مرهونٌ بصدق النِّيَّة كما أخبر رسول الله ﷺ: **(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)**[1].

الأساس الرَّابع: أنَّ من تمام الحكمة الرَّبانيَّة أنَّ الله لم يترك لعباده أنْ يختاروا لأنفسهم أشكال عباداتهم له، ولكنَّه حدَّدها لهم وَفق حكمته، وأمرهم أنْ يتقيَّدوا بها، وألَّا يتجاوزوا حدودها العامَّة، ولو أنَّه سبحانه ترك ذلك للنَّاس لتفرَّقوا في تحديد أشكال العبادات، ولأدخل بعضُهم منها أموراً بعيدةً عن منطق الحكمة، فلربُّما اختار بعضهم ما فيه تعذيبٌ شديدٌ للأجسام والنُّفوس، ولربُّما اختار بعضهم ما فيه إرضاءٌ للشَّهوات، وإشباعٌ للغرائز، وانغماسٌ بكلِّ موبقة.

الأساس الخامس: ولما حدَّد الله للنَّاس أشكال العبادات الَّتي ينبغي أن يعبدوه بها، اقتضت حكمته أنْ يجعلها متنوِّعةً على مقدار ما في الحياة من أشكالٍ متنوِّعةٍ، يُمارسها النَّاس في أعمالهم الخاصَّة أو العامَّة، ممَّا تدعو إليه مطالب حياتهم الفرديَّة والاجتماعيَّة.

٣- شُبهات حول العقوبات في الإسلام والردُّ عليها.

يوجِّه أعداء الإسلام من خلال كتابات المُستشرقين انتقاداتٍ لنظام العقوبات في الإسلام كحدِّ السَّرقة الَّذي يقضي بقطع اليد، وحدِّ الزِّنى الَّذي يقضي بالجلد أو الرَّجم، وغيرها من الحُدود الزَّاجرة، ووصفوها بأنَّها عقوباتٌ همجيَّةٌ كانت تُطبَّق في الصَّحراء، وتباكوا على يد سارق الرُّبع دينار الَّذي تأمر الشَّريعة الإسلاميَّة بقطعها، مع أنَّ هذا السَّارق – بزعمهم – ليس إلَّا ضحيَّةً من ضحايا المجتمع، وينبغي علاجه لا عقابه[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث: (١)، ٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، رقم الحديث: (١٩٠٧)، ١٠٢٢.

(٢) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ١٥٠، دار الشروق، ط٢١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

عالج الشَّيخ من خلال جوابه على هذه الشُّبهات هذه المسألة بتناول الموضوع بنظرةٍ شاملةٍ على جميع جوانبها، فتناول مقدِّمات ارتكاب الجرائم ودوافعها، وطريقة الإسلام في منعها قبل وقوعها ابتداء، ومحاولة التَّقليل منها أو الحدِّ من خطرها إذا ارتُكبت، ثُمَّ الحلَّ الإسلاميَّ الأمثل لعقاب مرتكبيها لردعهم ومَنْ على شاكلتهم، لإنقاذ المجتمع من مُستنقع الجريمة بشكلٍ شبه كامل، وقد استعرض الشَّيخ بحثه لهذه المسألة كما يلي[1]:

أ- عوامل الجريمة:

تعود أهمُّ عوامل الجريمة في المجتمعات الإنسانيَّة إلى:

١/ العوامل النَّفسيَّة المُنحرفة الَّتي تُحرِّض على ارتكاب الجريمة، فالبعض مصابٌ نفسيَّاً بكراهية النَّاس أو صنفٍ منهم، وقد تبلغ كراهيته لهم إلى حدِّ الظمأ الَّذي لا يرويه إلَّا منظر الدِّماء المهراقة، والبعض مصابٌ نفسيَّاً بشذوذٍ جنسيٍّ لا يُبرد حرارته إلَّا ارتكاب الجرائم المُنافية للطَّبائع السَّويَّة، وغير ذلك من الأمراض النَّفسيَّة الَّتي تدفع باتِّجاه ارتكاب الجرائم، وقد استخدم الإسلام في علاج هؤلاء المُصابين بهذه العُقَد النَّفسيَّة وأمثالها عدَّة وسائلَ منها:

الوسيلة الأُولى: التَّربية الإيمانيَّة الإسلاميَّة على إدراك الحقِّ، واستحسان كلِّ فضيلة، واستقباح كلِّ رذيلة.

الوسيلة الثَّانية: التَّرغيب بالأجر والثَّواب من عند الله للملتزمين بأحكام الإسلام وتعاليمه.

الوسيلة الثَّالثة: التَّرهيب ممَّا أعدَّه الله من عذاب يوم القيامة للظَّالمين المُعتدين المخالِفين لأوامر الله ونواهيه.

الوسيلة الرَّابعة: إذا لم تُجدِ الوسائل السَّابقة نفعاً في إصلاح هذا النَّوع من النَّاس فلابدَّ حينها من عقوبةٍ قاسيةٍ رادعةٍ في ملأ من النَّاس؛ ليرتدع الآخرون ويتَّعظ من تُسوِّل له نفسه ارتكاب مثل جُرمهم، ومثل هذه العقوبات عادةً لا تُنفَّذ إلا مرَّةً واحدةً أو مرَّاتٍ قليلةٍ خلال كلِّ حِقبةٍ من الزَّمن، وبذلك يُقطَع دابر الجريمة، ويصفو المجتمع من المكدِّرات، ويعمُّ الأمن والاستقرار.

٢/ عوامل البيئات الاجتماعيَّة المنحرفة، الَّتي تُنمِّي في الأفراد الرَّغبة بارتكاب الجرائم، مع إشعارهم بأنَّها غير مُنافيةٍ للحقِّ أو الواجب أو الأخلاق، فمثل هذه المجتمعات تكون أرضاً خصبةً لإنبات وتخريج المجرمين، والمُفسدين في الأرض، لذا فقد عمل الإسلام على تحصين وإصلاح مثل هذه البيئات عبر نظامٍ إصلاحيٍّ جذريٍّ يبدأ بإصلاح الفرد، وإصلاح المجتمع قبل معالجة الجريمة.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٣٠-٥٤٣.

٣/ الضَّرورات المُلحَّة الَّتي تُهوِّن على بعض السَّويين ارتكاب الجرائم الَّتي يروْن أنَّها تدفع عنهم ضروراتهم، وقد حمى نظام الإسلام المجتمع الإسلاميَّ من هذه المُعضلة عبر سنِّ نظام التَّعاون والتَّكافل الاجتماعيِّ بين أفراده، فلا يَدَعْ ضرورةً من الضَّرورات تدفع فرداً من أفراده لارتكاب هذا النَّوع من الجريمة.

٤/ ضعف جهاز الحُكم وإهماله، وعدم مراقبته الشَّديدة لما يقع في المجتمع من جرائم، وتردُّده في البتِّ بالإدانة العادلة، وتأخُّر القضاء في الفصل بين المُتنازعين، ولذا فإنَّ الأصل في الحكم الإسلاميِّ على خلاف ذلك، لأنَّه يعمل بهدي كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

٥/ لين القوانين وعدم أخذها بمبدأ العقوبات الزَّاجرة الَّتي أخذ بها نظام الإسلام، الأمر الذي يُشجِّع المجرمين على ارتكاب جرائمهم.

ب- الحلُّ الإسلاميُّ:

قبل أن يُقيم الإسلام نظام الحدود والعقوبات الزَّاجرة، أحاط المجتمع المسلم بأسوارٍ أربعةٍ؛ بهدف إبعاد أفراده عن الوقوع في الجريمة، وهي:

السُّور الأوَّل: الأنظمة الاجتماعيَّة والفرديَّة الَّتي تُهيِّئ لكلِّ فردٍ مطالبه النَّفسيَّة والجسديَّة الضَّروريَّة، وتدفع عنه الضَّرورات الَّتي تلحُّ في داخله، وَفق تكوينه الَّذي فطره الله عليه، فحضَّ على الزَّواج، وأمر بتيسير وسائله وأسبابه، وهيَّأ لأفراد المجتمع المسلم فرص التَّنافس الشَّريف بحسب الكفاءات في مجالات السَّبق الدُّنيويِّ دون ظلمٍ ولا عدوانٍ.

السُّور الثَّاني: تربية المسلمين نظريَّاً وعمليَّاً على مكارم الأخلاق، وفضائل السُّلوك، وعلى احترام الحقِّ والواجب، والنُّفور من أضداداها .

السُّور الثَّالث: المخاوف والإنذارات بعقوبات الله في الدَّار الآخرة، لمن خالف أنظمته وشرائعه الَّتي أنزلها لعباده وأمرهم بتطبيقها.

السُّور الرَّابع: العبادة الحقَّة لله تعالى، المصحوبة بمراقبته الَّتي تسمو بروح المسلم سُموَّاً يُبعدها عن المؤثِّرات المادِّيَّة.

ت-مخفِّفات الجريمة في نظام الإسلام:

لقد راعى الإسلام لدى تقويمه للجرائم أمرين مُهمَّين، وهما:

الأمر الأوَّل: اعتبار الأحوال الخاصَّة الَّتي ترافق الجريمة، كأحوال الفتن العامَّة الَّتي يكون القتال فيها بين فريقين من المسلمين، فجعل الإسلام للقتل فيها أحكاماً خاصَّةً؛ لأنَّ دوافع القتل في هذه الحالة دوافع جماعيَّة وليست فرديَّة، نظراً لاختلاطها بشُبهٍ كثيرةٍ، وكأحوال السَّرقة في

أعوام المجاعة والجوائح العامَّة الَّتي تَقْوَى معها شُبهة الضَّرورة المُلحَّة، وعند ذلك يُدرأ حدُّ قطع اليد بشُبهة الضَّرورة.

الأمر الثَّاني: اعتبار الأحوال الخاصَّة لمرتكب الجريمة، وهي تشمل أحواله العقليَّة والنَّفسيَّة والجسديَّة، كأحوال مُرتكب جريمة الزِّنى، فيراعى كونه مُحصَناً أو غير محصَنٍ، فإن كان مُحصَناً رُجم حتَّى الموت، وإن كان غير محصَنٍ جُلِد مائة جلدةً؛ لأنَّ المُحصَن يستطيع أنْ يُلبِّيَ دوافعه الجنسيَّة القاهرة بخلاف غير المحصَن فخُفِّف عنه الحدُّ.

ث- **نظرةٌ في الحدود الإسلاميَّة:**

وبنظرةٍ فاحصةٍ مصحوبةٍ بشيءٍ من العدل والإنصاف على الحدود في نظام الإسلام يظهر لكلِّ ذي عقلٍ أنَّ الإسلام ليس وحشيًّا مولَعاً بسفك الدِّماء، أو قطع الأعضاء، أو إيذاء الأبدان كما يزعم البعض لمجرَّد أنَّه يُطبِّق الحدود، بل إنَّ الإسلام حريصٌ على عدم الإفراط في إقامة الحدود، وجعل تنفيذها على أضيق نطاق، لذا فإنَّه من الضَّروريِّ سوْق بعض الأمثلة لتطبيق الحدود لإظهار حرص الإسلام على إقامة البيِّنة، وانتفاء الشُّبهة قبل إنفاذ الحدود، وهذه بعض الأمثلة:

المثال الأوَّل: لا يُقام الحدُّ على السَّارق إلَّا إذا كانت جريمة السَّرقة لا شُبهة فيها، ومستوفيةً لكلِّ الشُّروط الَّتي فصَّلتها السُّنَّة النَّبويَّة، فتُقطَع حينئذٍ يد السَّارق امتثالاً لقوله ﷻ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨].

المثال الثَّاني: لا يُقام الحدُّ على الزَّاني، إلَّا إذا ثبتت جريمة الزِّنى بشهادة أربعة شُهود تتوافر فيهم شُروط العدالة مع الخلُوِّ من التُّهمة، أو إذا ثبتت بالإقرار على النَّفس دون إلزامٍ أو إكراهٍ، فيُرجم حينئذٍ الزَّاني إذا كان محصَناً، ويُجلد إذا كان غير محصنٍ امتثالاً لقوله ﷻ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢].

المثال الثَّالث: يُقام حدُّ القذف على الَّذين يرمون الآخرين بالزِّنى دون إقامة بيِّنة نصابها أربعة شُهود عُدول امتثالاً لقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٤].

٤- شبهات حول نظام الرِّقِّ في الإسلام:

ومن التُّهَم الَّتي وجَّهها أعداء الإسلام له أنَّه أقرَّ نظام الرِّقِّ، ولم يعمل على إلغائه من أوَّل أمره دفعةً واحدة(١).

شرح الشَّيخ الميدانيُّ بشكلٍ مُستَفيضٍ أحوال الرِّق وعناصره وصُوره وأشكاله الَّتي كانت سائدةً في العالم القديم قبل ظهور الإسلام، وكشف عن أنَّ نظام الرِّقِّ لا يزال مُطبَّقاً في العالم الحديث، ولكن بِصيَغٍ مختلِفةٍ تتمثَّل في السُّلُطات الاستعماريَّة أو الاستبداديَّة الَّتي تتقنَّع بأسماء حديثةٍ، منها: سُلطة القانون، ومنها سُلطة الاحتلال، أو سُلطة الانتداب، أو سُلطة الحزب الحاكم، وغيرها من الأسماء، وتتَّخذ من القُوَى المسلَّحة أداةً لها لحمايتها من كلِّ المُطالبين بالتَّحرُّر من هذا النَّوع من الرِّقِّ الَّذين هم في عُرف هذه الأنظمة أعداء القانون، أو أعداء السُّلطة، أو أعداء الثَّورة، ولذلك فهم مستحقُّون للتَّعذيب أو القتل(٢).

أمَّا الإسلام المُتَّهم دائماً وهو بريءٌ فلدى ظهوره كانت جميع الشُّعوب المتحضِّرة منها وغير المتحضِّرة تقرُّ نظام الرِّقِّ بمختلف أشكاله وصُوره، فأتى الإسلام فألغاه إلَّا ما اقتضته ضرورة أسرى الحرب، وعمل على تحرير الأرِّقاء من خلال وسائلَ متعدِّدةٍ في نظامه المثاليِّ الحكيم، بل إنَّ القُرآن الكريم عزَّ عليه أن يذكر كلمةً واحدةً يأذن فيها باسترقاق أسرى الحرب، وغاية ما قاله في شأن المُحاربين لله ولرسوله وللمؤمنين قوله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب:٢٦]، وقوله ﷻ: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٤] فكان لابدَّ لعلاج مشكلة الأسرى من اللُّجوء إلى واحدٍ من هذه الحلول التَّالية(٣):

١- قتلهم والتَّخلص من مشكلتهم نهائياً، (وهذا من الخيارات المطروحة لا على سبيل الإلزام، لذا كان الميل عبر التاريخ الإسلامي لغير ذلك من الخيارات).

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٤٦.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٥٤٦- ٥٤٨.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٥٥٣-٥٥٥.

٢- المنُّ عليهم بإطلاق سراحهم، وقد وضع الإسلام هذا الحـلَّ تحت تصرُّف القيادة الإسلاميَّة، وقدَّمه القرآن تقديماً يُشعر بترجيحه، وتلجأ القيادة الإسلاميَّة إلى هذا الحلِّ إذا لم تَرَ منه ضَرَراً على المسلمين.

٣- فداؤهم بأسرى من المسلمين في يد عدوِّهم، أو فداؤهم بمالٍ، أو سلاحٍ، أو علمٍ، أو إخضاعٍ لشروط صُلحٍ معيَّنةٍ، أو أيِّ أمرٍ يُقدِّم للمسلمين فائدةً ما، وذلك إذا لم تجد القيادة الإسلاميَّة في إطلاق الأسرى خطراً على المسلمين، وقد وضع الإسلام هذا الحلَّ تحت تصرُّف القيادة الإسلاميَّة.

٤- استبقاؤهم أسرى تحت أيدي المسلمين، وذلك حينما يكون المنُّ عليهم أو فداؤهم يتضمَّن خطراً على المسلمين بشكلٍ عامٍّ، وقد وضع الإسلام هذا الحلَّ تحت تصرُّف القيادة الإسلامية.

وهذا الحلُّ الرَّابع هو ما اضطرَّ الإسلام إلى الإبقاء على نظام الرِّق واتِّخاذ أسرى، ومع أنَّ الإسلام لم يمنح هؤلاء الأسرى جميع حريَّاتهم المدنيَّة حرصاً على أمن الدَّولة الإسلاميَّة، إلَّا أنَّه أَمَرَ بحُسن معاملتهم، وعدم تعريضهم للإهانة والتَّعذيب، وتقتير النَّفقة، وتكليفهم ما لا يُطيقون من الأعمال، وتُمنح لهم حريَّة الدِّين والعبادة والتَّعلم، وقد تُمنح لهم حريَّة العمل والتَّملك إذا أذن لهم أولياؤهم بذلك، أو كاتبوهم لتحرير أنفسهم بما يكسبون من مال[١].

إنَّ الإسلام وقد اضطرَّ إلى الإبقاء على نظام الرِّقِّ ردهاً منَ الزَّمن، إلا أنَّه قد اتَّخذ وسائلَ عدَّةً لتحرير الأرِّقاء، وإلغاء ملك اليمين بوسائلَ عمليَّةٍ بشكلٍ فعليٍّ تدريجيٍّ، وهي[٢]:

١- المُكاتَبَة، وتعني إعطاء محجوز الحريَّة بالأسر فرصةً زمنيَّة يعمل خلالها بشكلٍ حرٍّ، ليشتريَ حرِّيَّة نفسه بمالٍ يتَّفق هو وسيده عليه، وقد أمر الله المسلمين عامَّةً بمساعدة المُكاتبين، عن طريق الزَّكاة والصَّدقات الأُخرى؛ ليتمكَّنوا من تسديد ما التزموا به، قال الله ﷻ: ﴿**وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾ [النور:٣٣].

٢- جعل عتق الرَّقبة كفارةً لطائفةٍ من الجرائم والجنايات والأخطاء والأيمان، ومنها كفارة من قتل مؤمناً خطأً أن يُعتِق رقبةً، قال الله ﷻ: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ**

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٥٥،٥٥٦.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٥٦١-٥٥٨.

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٩٢].

٣- الحضُّ على عتق الرِّقاب ابتغاء مرضاة الله، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **(أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنْ النَّارِ)**(١).

٤- تخصيص الإسلام قسماً من الزَّكاة لتحرير الرِّقاب، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠].

٥- حثُّ المسلمين على توجيه قسمٍ من صدقاتهم العامَّة غير المفروضة لتحرير الرِّقاب، قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلَائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

٦- إنجاب الأَمَة من سيِّدها، إذ يكون ولدُها سبباً في تحريرها بعد موت سيِّدها.

٧- سريان العتق إلى الكلِّ متى عُتِق بعض الرَّقيق إذا كان معتقه موسِراً، كأن يكون اثنان شريكيْن في عبدٍ، فيُعتق أحدُهما حصَّته، وعندئذٍ يحكم الإسلام بأنَّه قد عُتِق كلُّه، وتقوم قيمة سائره على من أعتقه، حرصاً على أنْ لا تتجزَّأ الحريَّة.

٨- جعل عتق الرَّقيق كفارة ضربه مقدار حدٍّ شرعيٍّ، أو كفارة إهانته باللَّطم، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ ضَرَبَ غُلَاماً لَهُ، حَدّاً لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ)**(٢).

وبهذا يتبيَّن بأنَّ التَّشريع الإسلاميَّ وإنْ لم يُغلِق باب الرِّقِّ أوَّل أمره بنصٍّ صريحٍ، إلَّا أنَّه عمل على تجفيف منابعه، الأمر الَّذي انتهى عمليَّاً بإغلاقه، مع إبقاء الحُكم قائماً إذا تعلَّق ذلك الأمر بمصالح المسلمين وأمنهم، إلَّا لو تظاهرت أكثر أُمَم الأرض فيما بينها على إبطال نظام الرِّقِّ تماماً، كما هو معمولٌ به الآن.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب ما جاء في العتق وفضله، رقم الحديث: (٢٥١٧)، ٥٢١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، رقم الحديث: (١٦٥٧)، ٨٧٣.

الفصل الثاني

موقف الميدانيِّ من التَّغريب

❖ تمهيد: تعريف التَّغريب ونشأتُه وأهدافُه ووسائلُه

❖ المبحث الأوَّل: العلمانيَّة وموقف الميدانيِّ منها

❖ المبحث الثَّاني: القوميَّة وموقف الميدانيِّ منها

❖ المبحث الثَّالث: المرأة

تمهيد

تعريفُ التَّغريب ونشأتُه وأهدافُه ووسائلُه

- ❖ أوّلاً: تعريف التَّغريب
- ❖ ثانياً: نشأة التَّغريب
- ❖ ثالثاً: أهداف التَّغريب
- ❖ رابعاً: وسائل التَّغريب

تمهيدٌ

تعريف التَّغريب ونشأته وأهدافه ووسائله

أوّلاً: تعريف التَّغريب:

١- التَّعريف اللُّغويُّ:

إنَّ مُصطلح التَّغريب باعتبار مدلوله الفكريِّ مُصطلحٌ وافدٌ على اللِّسان العربيِّ كما ظهر للباحث من خلال محاولة تأصيله من جهة اللُّغة، ولكن بالرُّجوع إلى المادَّة الأصليَّة للمُصطلح وهي مادَّة (غرب) يمكن إيجاد عَلاقة بينها وبين المفهوم الحاليِّ للتَّغريب، فقد جاء في لسان العرب أنَّ "الغرب خلاف الشَّرق، والمُغرِّب الَّذي يأخذ في ناحية الغرب، وغرَّب القوم ذهبوا في المغرب، وتغرَّب أتى من قِبَل الغرب"(١)، وفي المصباح المُنير: "أغرب دخل في الغُربة مثل أنجد إذا دخل نجداً"(٢)، وفي القاموس المُحيط: "الإغراب إتيان الغرب، والإتيان بالغريب، والإمعان في البلاد كالتَّغريب"(٣).

٢- التَّعريف الاصطلاحيُّ:

تعرَّض كثيرٌ من الباحثين لتعريف التَّغريب، وسيورد الباحث بعضاً منها ناسباً كلَّ تعريفٍ لصاحبه كما يلي:

أ- عرَّفه الدُّكتور محمَّد محمَّد حُسيْن بأنَّه: "طبع المستعمرات الآسيويَّة والإفريقيَّة بطابع الحضارة الغربيَّة"(٤).

ب- وعرّفه الدُّكتور بشر بن فهد البشر بأنَّه: "تذويب الأُمَّة المحمَّديَّة بحيث تصبح أُمَّةً ممسوخةً: نسخةً أُخرى مكرَّرةً منَ الأُمَّة الغربيَّة الكافرة"(٥).

ت- وعرّفه الدُّكتور علي عبد الحليم محمود بأنَّه: "مجموعةٌ من الدِّراسات والأعمال والثَّقافات والنُّظم تجري حول المسلمين، وتُطَبَّق على مجتمعاتهم فتؤدي بهم في النِّهاية

---

(١) لسان العرب، مادة غرب، ٦٣٧/١.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ٤٤٤/٢، المكتبة العلمية – بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٣) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ١٥٣/١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

(٤) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ٤٢، دار الفرقان، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٥) أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، بشر بن فهد البشر، ١٢، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

إلى أنْ يتشبَّعوا بالفكر الغربيِّ والحضارة الغربيِّة المُعاديَة للإسلام، أو يكونوا تحت تأثير هذه الحضارة بحيث تحتويهم، وتقضي على شخصياتهم، وعلى ولائهمُ الدِّينيِّ"[١].

ث- وعرَّفه الدُّكتور عبد العزيز بن أحمد البداح بأنَّه: "حركةٌ فكريَّةٌ تهدف إلى طبع المجتمع بالصِّبْغة الغربيَّة من خلال وسائلَ وأساليبَ مختلفةٍ"[٢].

ج- وجاء في الموسوعة الميسَّرة بأنَّه: "تيارٌ فكريٌّ كبيرٌ ذو أبعادٍ سياسيَّةٍ واجتماعيَّةٍ وثقافيَّةٍ وفنيَّةٍ، يرمي إلى صَبغ حياة الأُمَم بعامَّةٍ، والمسلمين بخاصَّةٍ، بالأسلوب الغربيِّ؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيَّتهم المُستقلَّة، وخصائصهم المتفرِّدة، وجعلهم أسرى التَّبعيَّة الكاملة للحضارة الغربيَّة"[٣].

هذا ولم يضبط الشَّيخ الميدانيُّ مصطلح التَّغريب في تعريفٍ مستقلٍّ، ولكنَّه تتبَّع آثاره، وكشف عن الوسائل الَّتي سلكها المستغربون لصبغ المجتمعات الإسلاميَّة بالصِّبْغة الغربيَّة، وأبان موقفه منها كما سيأتي في مباحث هذا الفصل إن شاء الله، ويرى الباحث أن التعريف الأخير هو أكثر التعريفات ضبطاً للمصطلح.

ثانياً: نشأة التَّغريب:

إنَّ كوْن التَّغريب يتضمَّن تغيير نمط السُّلوك الاجتماعيِّ، جعل من إحداثه في العالم الإسلاميِّ أمراً بالغ الصُّعوبة؛ لأن سُلوك المسلمين تتحكَّم به ضوابط مُستمدَّةٌ من الدِّين، لذلك فقد حرص الغزاة الأوروبيُّون والمُستغربون من المسلمين أنْ يكون هذا التَّغيير بشكلٍ تدريجيٍّ، عبر خطَّةٍ طويلة الأمد، واتِّخاذ بعض أبناء المسلمين أبواقاً يُخاطِبون عبرها فكر الأُمَّة وعقيدتها، مُعتمدين على وسائل الإقناع المختلفة، فيبدأ التَّغيير أول ما يبدأ داخل العقول والقلوب، ثُمَّ ينتقل إلى الأخلاق والسُّلوك والتَّقاليد والعادات[٤].

ويمكن إجمال بعض المظاهر والحوادث التي مهَّدت بشكلٍ كبيرٍ لنشأة التَّغريب في دُوَل العالم الإسلاميِّ في النِّقاط التَّالية[٥]:

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، (مجموعة بحوث، القسم الأول)، علي عبد الحليم محمود، ١٠٧، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بدون رقم الطبعة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) حركة التغريب في السعودية ... تغريب المرأة أنموذجاً، عبد العزيز بن أحمد البداح، ٥٦، المركز العربي للدراسات الإنسانية – القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٣) الموسوعة الميسَّرة، ٢/٦٩٨.

(٤) انظر: أساليب الغزو الفكري، ٥٨.

(٥) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٢/٦٩٨-٧٠١.



١- بدأ الحكَّام المستغربون في العالم الإسلاميِّ مع نهاية القرن الثَّامن عشر ومطلع القرن التَّاسع عشر الميلاديِّ إرسال بعثاتٍ إلى البلاد الأوربيَّة، مثل ابتعاث (رفاعة الطَّهطاويِّ)(١) إلى باريس ما بين عامي ١٨٢٦م و١٨٣١م، وابتعاث خير الدِّين التونسيِّ(٢) إليها ما بين عامي ١٨٥٢م و ١٨٥٦م، والَّذيْن بدورهما عادا إلى بلديهما مُحمَّلَيْن بأفكارٍ تدعو إلى تنظيم المُجتمع على أساسٍ عَلمانيٍّ عقلانيٍّ.

٢- قيام (محمَّد علي)(٣) الَّذي تولى حُكم مصر سنة ١٨٠٥م ببناء جيشٍ على النِّظام الأوروبيِّ، وقام بابتعاث خريجي الأزهر للتَّخصُّص في أوروبا.

٣- منذ عام ١٨٦٠م بدأت حركة التَّغريب عملها في لبنان عن طريق الإرساليَّات، ثُمَّ امتدَّت إلى مصر في عهد الخديوي إسماعيل الَّذي كان يطمح أنْ يجعل من مصر قطعةً من أوروبا.

٤- قيام اللُّورد كرومر بإنشاء كليَّة فكتوريا بالإسكندريَّة لتربية جيلٍ من أبناء الزُّعماء والوُجهاء، في محيطٍ إنجليزيٍّ؛ ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربيَّة، وهذا ما صرَّح به المندوب الساميُّ في مصر وقتها اللورد لويد لدى افتتاحه هذه الكليَّة عندما قال: "كلُّ هؤلاء لن يمضيَ عليهم وقتٌ طويلٌ حتَّى يتشبَّعوا بوجهة النَّظر البريطانيَّة بفضل العِشرة الوثيقة بين المعلِّمين والتَّلاميذ"(٤).

٥- اتِّصال نصارى الشام بالبعثات التَّبشيريَّة، ومسارعتهم في تلقِّي الثَّقافة الفرنسيَّة والإنجليزيَّة، وقيامهم بتشجيع العَلمانيَّة التَّحرُّريَّة بسبب انعدام ولائهم للدَّولة العثمانيَّة، فبالغوا في إعجابهم بالغرب، ودعوا إلى الاقتداء به، وتتبُّع طريقه، فقد أسَّس بُطرس

---

(١) رفاعة الطهطاوي، عالم مصري، ومن أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث، ولد في طهطا المصرية سنة ١٨٠١م، تعلم في الأزهر، وأرسلته الحكومة المصرية مع بعثة من الشبان لتلقي العلوم الحديثة، فدرس الفرنسية، وألف وترجم عن الفرنسية كتباً كثيرة منها: قلائد المفاخر في غرائب عادات الأوائل والأواخر، تعريب القانون المدني الفرنساوي، تُوفي بالقاهرة سنة ١٨٧٣م. انظر: الأعلام، ٢٩/٣.

(٢) خير الدين التونسي، وزير ومؤرخ، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، وهو زركشي الأصل ولد سنة ١٨١٠م، قدم إلى تونس وهو صغير، وتعلم بعض اللغات، وتقلد مناصب عالية آخرها الوزارة، من كتبه: أقوَم المسالك في معرفة أحوال الممالك، توفي سنة ١٨٩٠م. انظر: المصدر السابق، ٣٢٧/٢.

(٣) محمد علي باشا، مستعرب، ألباني الأصل، ولد في اليونان سنة ١١٨٤هـ، عُرف بمحمد علي الكبير، صار والياً على مصر سنة ١٢٢٠هـ، جعلت له الدولة العثمانية حكم مصر وراثياً، وقد اعتزل الأمور لابنه إبراهيم باشا سنة ١٢٦٤هـ، يُعتبر مؤسِّس آخر دولة ملكية بمصر، مات سنة ١٢٦٥هـ. انظر: المصدر السابق، ٢٩٨/٦، ٢٩٩.

(٤) الموسوعة الميسَّرة، ٦٩٩/٢.



البستاني سنة ١٨٣٦م مدرسةً لتدريس اللُّغة العربيَّة والعلوم الحديثة، فكان أوَّل نصرانيٍّ يدعو إلى العروبة والوطنيَّة، وكان شعاره: حبُّ الوطن من الإيمان، كما أنشأ جورجي زيدان في مصر سنة ١٨٩٢م مجلة الهلال، وقد كان على صلةٍ بالمبعوثين الأمريكيين، وكان له سلسلةٌ من القصص التَّاريخيَّة المليئة بالافتراءات على الإسلام والمسلمين.

٦- دعوة (قاسم أمين)[١] لتحرير المرأة، وتمكينها من العمل في الوظائف والأعمال العامَّة، وقد ألَّف لهذا الغرض كُتباً منها: تحرير المرأة سنة ١٨٩٩م، والمــرأة الجديــدة ســنة ١٩٠٠م.

٧- دعوة (أحمد لطفي السَّيد)[٢] إلى الإقليميَّة الضيِّقة، وهو صاحب العبــارة المشــهورة: مصر للمصريين.

٨- قيام (طه حسين)[٣] الذي تلقَّى علومه على يد المستشرق دوركايم بنشر آراء خطيــرة في كتابيْه: في الشِّعر الجاهليِّ، ومستقبل الثَّقافة في مصر، ومنها ما قالــه فــي كتابــه الشِّعر الجاهلي: "للتَّوراة أنْ تُحدِّثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدِّثنا أيضــاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التَّوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخيِّ"[٤].

٩- ازدهرت حركة التَّغريب بعد سيطرة الاتِّحاديين عام ١٩٠٨م على الحُكم فــي الدَّولــة العثمانيَّة، وسقوط السُّلطان عبد الحميد الثَّاني.

---

(١) قاسم أمين، كاتب وباحث مصري من أصل كردي، ولد ببلدة طره بمصر سنة ١٨٦٣م، وانتقل مع أبيه إلى الإسكندرية فنشأ وتعلم بها، ثم القاهرة، وأكمل دراسة الحقوق في مونبلييه بفرنسا، اشــتهر بمناصــرته للمــرأة والدفاع عن حريتها، عمل مستشاراً بمحكمة الاستئناف، له عدة كتب منها: تحرير المــرأة، والمــرأة الجديــدة، وغيرها، توفي بالقاهرة سنة ١٩٠٨م. انظر: الأعلام، ١٨٤/٥.

(٢) أحمد لطفي السيد، نُعت بأستاذ الجيل، ولد بمركز السنبلاوين بمصر سنة ١٨٧٠م، تخرج بمدرسة الحقــوق في القاهرة سنة ١٨٨٩م وعمل في المحاماة، عين وزيراً للمعارف، والداخلية والخارجية، ثم عُين رئسياً لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٥م، واستمر فيه حتى وفاته بالقاهرة سنة ١٩٦٣م. انظر: المصدر السابق، ٢٠٠/١.

(٣) طه حسين، أديب مصري، ولد بمغاغة من محافظة المنيا المصرية سنة ١٨٨٩م، أُصيب بالجدري وهو في الثالثة من عمره فكف بصره، وهو أول من نال درجة الدكتوراة من الأزهر سنة ١٩١٤م، سافر إلــى بــاريس فتخرج بالسوربون سنة ١٩١٨م، له عدة كتب منها: في الأدب الجاهلي، في الشعر الجاهلي، وحديث الأربعــاء، وغيرها، توفي بالقاهرة سنة ١٩٧٣م. انظر: الأعلام، ٢٣١/٣، ٢٣٢.

(٤) الشعر الجاهلي، طه حسين، ٢٦. نقلاً عن: الموسوعة الميسَّرة ٧٠٠/٢، ٧٠١.

١٠- إلغاء الخلافة العُثمانيَّة سنة ١٩٢٤م على يد حكومة (مصطفى كمال أتاتورك)[١]، ممَّا مهَّد لانضمام تركيا إلى الرَّكب العلمانيِّ الحديث، وحملها على التَّغريب حملاً بأقصى صُوره وأعنفها.

وقد كانت الخلافة العثمانيَّة الإسلاميَّة الحصن الأخير، أمام حملات التَّغريب التي قادها الغرب، فعمل على هدمها والتَّخلص منها، عبر عملائه في الشَّرق ممَّن ينتسبون إلى الإسلام والعلم والثَّقافة، من الَّذين تأثَّروا بالمفاهيم الجاهليَّة التي تشرَّبوها في الغرب، ثُمَّ دعوا المسلمين إلى تقليده في كل شؤونهم، ونقل كلِّ ما عنده خيره وشرِّه، حلوه ومرِّه، ما يُحَبُّ منه وما يُكره، فهم بهذا صار لهم سهمٌ لا يُنكره العقلاء في إسقاط الخلافة الإسلاميَّة، وقد كان ذلك هدفاً من أهمِّ أهدافهم، وأهداف أسيادهم وأساتذتهم الغربيين، لذلك فقد وجدوا في سقوط الخلافة ضالَّتهم، وتوفَّر لهم المناخ الملائم، فأطلقوا العنان لخبائث أفكارهم لتتجوَّل في عقول الأجيال المسلمة، فتشوِّه ما فيها من موروثات دينيَّةٍ أو فكريَّةٍ أو أخلاقيَّةٍ، وقاموا باختراع شعاراتٍ زائفةٍ لخداع المسلمين، وعملوا على إحياء النَّعرات العصبيَّة الجاهليَّة، من وطنيَّةٍ وقوميَّةٍ، وغيرها، وتغنُّوا بدعاوى التَّمدن والتَّحرُّر وتحرير المرأة وغيرها.

ومن أبرز دعاة التَّغريب في العالم الإسلاميِّ: طه حُسين الَّذي ادَّعى في كتابه الشعر الجاهلي أن الإسلام دين محلي لا دين عالمي، وأنَّه من وضع محمَّدٍ ﷺ وضعه مُتأثِّراً ببيئته، و(علي عبد الرَّازق)[٢] الَّذي ادَّعى في كتابه الإسلام ونظام الحُكم أنَّ الجهاد كان خاصَّاً بزمن

---

(١) مصطفى كمال أتاتورك، مؤسس تركيا الحديثة، وبطلها القومي في أعين مريديه، وعدو الإسلام ومحطم الخلافة في أعين خصومه، برز كقائد عسكري، ثم كزعيم سياسي، ولد سنة ١٨٨١م بمدينة سالونيك اليونانية التي كانت تتبع للدولة العثمانية آنذاك، ألغى الخلافة العثمانية، وأسَّس مكانها تركيا المعاصرة كدولة علمانية غربية الطابع والقوانين والهوى، بدأ اجراءاته بتغيير أشكال الناس، حيث منع اعتمار الطربوش والعمامة، وروَّج للباس الغربي، ومنع المدارس الدينية، وألغى المحاكم الشرعية، وأمر باستبدال الحرف العربي باللاتيني في الكتابة؛ وذلك لقطع ارتباط تركيا بالشرق والعالم الإسلامي، توفي سنة ١٩٣٨م. انظر: موقع الجزيرة – المعرفة – ملفات خاصة – مصطفى كمال أتاتورك، http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/55db14d4-b82e-4666-9b19-3b54eff01b78، تاريخ الاقتباس: ٠٦/٠٢/٢٠١٣م.

(٢) علي عبد الرازق، باحث مصري، ولد بمحافظة المنيا المصرية سنة ١٨٨٨م، تعلم بالأزهر ثم بأكسفورد، انتخب عضواً في مجلس النواب، وعين وزيراً للأوقاف، له عدة كتب منها: الإسلام وأصول الحكم، الإجماع في الشريعة الإسلامية، توفي سنة ١٩٦٦م. انظر: المصدر السابق، ٤/٢٧٦.

النَّبيِّ ﷺ، وأمَّا بعد وفاته فلا، وزعم أنَّ الإسلام دينٌ لا دولةٌ، و(زكي مبارك)[1] الَّذي زعم في كتابه النَّثر الفنِّي أنَّ القرآن من وضع الرَّسول ﷺ، وأنَّه ليس مصوناً أو محفوظاً مثله مثل التَّوراة والإنجيل، وزكي نجيب محمود الَّذي دعا في كتابه خرافة الميتافيزيقيا إلى التزام المنهج العلمانيِّ الذي يرفض الدِّين، ودعا إلى العاميَّة في أكثر كُتبه، وغيرهم من أذيال المُستشرقين وتلامذتهم[2].

لقد أخبر النَّبي ﷺ عن صنفٍ من أُمَّته يتبع اليهود والنَّصارى، ويقلِّدهم في كلِّ شيءٍ، وقد وقع ما أخبر به ﷺ بظهور دُعاة التَّغريب هؤلاء الَّذين يدْعون إلى تقليد الغرب الصَّليبيِّ، ونقل حضارته، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ)** قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: (**فَمَنْ؟!**)[3].

ثالثاُ: أهداف التغريب:

لا شكَّ أنَّ التَّغريب جزءٌ من الخطَّة العامَّة والشَّاملة لغزو العالم الإسلاميِّ عقيدةً وفكراً وثقافةً وسُلوكاً، ومن المعلوم أنَّ خطَّة الغزو هذه قائمةٌ على توزيع المهام والأدوار، فكان من الطَّبيعيِّ أنْ يُوكَل للتَّغريب مهمَّة السَّعيِّ لتحقيق جزءٍ من الأهداف العامَّة لخطَّة الغزو، والَّتي يمكن إجمالها في النِّقاط التَّالية:

١- **إقامة السُّدود بين الشُّعوب الإسلاميَّة واللُّغة العربيَّة الفُصحى**، وذلك من خلال نشر اللَّهجات العاميَّة الإقليميَّة، والسعيِّ لجعلها اللُّغة الرسميَّة في البلاد، وأن تُدوَّن بها علوم المسلمين وآدابهم وتواريخهم وسائر معاملاتهم، بحجَّة أنَّ غالبيَّة الشَّعب لا يُتقنها، في إطار خطَّة تهدف إلى فصل اللُّغة في مستواها البلاغيِّ عن القرآن الكريم، وتجزئة الشعوب الإسلاميَّة، والشُّعوب العربيَّة، وإقامة السُّدود اللُّغوية بينها، بحيث يتحوَّل الشَّعب الواحد إلى شُعوب متعدِّدة بتعدُّد

(١) زكي مبارك، أديب مصري، ولد بمحافظة المنوفية المصرية سنة ١٨٩١م، تعلم في الأزهر، ونال درجة الدكتوراة في الآداب من الجامعة المصرية، اطلع على الأدب الفرنسي في فرنسا، واشتغل بالتدريس، وعين مفتشاً بوزارة المعارف، له عدة كتب منها: النثر الفني في القرن الرابع، التصوف الإسلامي، وألحان الخلود، وغيرها، تُوفي بالقاهرة سنة ١٩٢٥م. انظر: المصدر السابق، ٤٨/٣، ٤٧.

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة، ٤٦١/١، ٤٦٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث: (٣٤٥٦)، ٧٢٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم الحديث: (٢٦٦٩)، ١٣٩٠.

أقاليمه، مع المراهنة على تطاول القُرون ليصبح بعد ذلك لكلِّ إقليمٍ لُغته وقوميَّته وتقاليده الخاصَّة(١).

٢- **الدَّعوة إلى فكرة العالميَّة والإنسانيَّة** باعتبارها – بزعمهم – السَّبيل لجمع النَّاس على مذهبٍ واحدٍ، ومن ثَمَّ تذوب الفوارق والخلافات الدِّينيَّة والعنصريَّة بينهم؛ بهدف إحلال السَّلام في العالم، ولتصبح الأرض كلُّها وطناً للجميع(٢).

٣- **إحياء النَّعرات القديمة وبعثها من جديد،** في محاولة من الغُزاة لإرجاع كلِّ قُطرٍ منَ الأقطار الإسلاميَّة إلى جاهليَّته القديمة قبل الإسلام، ومن هنا يمكن أنْ نفهم الدَّافع الحقيقيَّ الَّذي جعل يهوديَّاً متعصِّباً مثل روكفلر أنْ يعرض التَّبرع بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونيَّة في مصر، ومُلحق به معهد لتخريج المتخصِّصين في هذا الفنِّ(٣).

٤- **تعزيز النَّزعة القوميَّة بين الشُّعوب الإسلاميَّة،** لتعميق الفرقة والعُزلة فيما بينها، وتمزيق الكُتَل الكبيرة إلى كياناتٍ جزئيَّةٍ صغيرةٍ تقوم على رابطٍ جغرافيٍّ يجمع أُناساً ينتمون إلى أصولٍ عرقيَّةٍ مشتَركَةٍ، وقد جاهر بهذا المستشرق جب عندما قال: "وقد كان من أهمِّ مظاهر التَّغريب في العالم الإسلاميِّ تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة الَّتي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن ... وقد تكون أهميته محصورةً الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا، ولكنْ منَ المُمكن أنْ يلعب في المستقبل دوراً مهمَّاً في تقوية القوميَّات المحلِّيَّة وتدعيم مقوِّماتها"(٤).

رابعاً: وسائل التَّغريب:

لما أجمع دُهاة الغرب من قادة الغزو الفكريِّ وفحوله أمرهم على النَّيْل من الأُمَّة الإسلاميَّة، طمحوا أن يجرُّوا الأُمَّة إلى أحضانهم، فتقلِّد تمدُّنهم، وتنقل حضارتهم، وتستورد أفكارهم، فتضطرَّ إلى الابتعاد عن دينها، وتغيير سُلوكها، وأخلاقها، وعاداتها؛ لتسير في ركب الحضارة، سالكةً نفس المسلك الَّذي سارت فيه أوروبا، فزيَّنوا لبعض المسلمين أنَّ الواقع الَّذي يعيشونه مشابهٌ للواقع الَّذي كانت تعاني منه أوروبا قبل تحرُّرها من الكنيسة، فدعوا المسلمين إلى تطليق الدِّين تطليقاً بائناً بينونةً كبرى، كما فعلت أوروبا من قبل، وقد كان ذلك مجرَّد حلمٍ يصطدم

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٣٥٧، وانظر: شبهات في الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ٦٢، الاتحاد الوطني لطلبة الإمارات، بدون رقم الطبعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(٢) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٧٠٣/٢، وانظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ٤٦٦/١.

(٣) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٧٠٣/٢، وانظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ٤٦٥/١ .

(٤) الموسوعة الميسَّرة، ٧٠٣/٢.

بكثيرٍ من العقبات الصَّادَّة، فلو أنَّ أعداء الأُمَّة قد تبجَّحوا للمسلمين بذلك علناً لأفسدوا خططهم بأفواههم، ولمَّا نجحوا في تمرير أيٍّ منها، ولكنَّهم سلكوا مسالكَ خبيثةً ومدروسةً، ونصبوا الفخاخ بإحكامٍ، فكان لهم ما أرادوا.

لذلك فقد حاولت القوى المعادية للإسلام خداع المسلمين بالتمويه من خلال إطلاق عدة مصطلحات للتغريب بغية تجميله، وتحسين صورته مثل: المدنية، التطور والتقدم، الحضارة، الحياة الجديدة، التغيير الاجتماعي، والتحديث والتنوير(١).

واتَّخذ الغرب وسائلَ متنوِّعةً لتمرير المخطَّط التَّغريبيِّ للعالم الإسلاميِّ، كان من أهمِّها وأبرزها: العَلمانيَّة، والقوميَّة، وقضايا المرأة، وسيقوم الباحث بتوضيح موقف الشَّيخ الميدانيِّ منَ التَّغريب من خلال دراسة هذه الوسائل الثَّلاثة، وإبراز موقف الشَّيخ من كلٍّ منها عبر مباحث هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

(١) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٧٨، ٧٩.

المبحث الأول

العلمانيَّة وموقف الميدانيِّ منها

- ❖ المطلب الأوَّل: العلمانيَّة وتعريفُها ونشأتُها وأهدافُها

- ❖ المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من العلمانيَّة

المطلب الأوَّل
العلمانيَّة وتعريفها ونشأتها وأهدافها

تُعدُّ العلمانيَّة إحدى الوسائل الَّتي ابتدعها الغرب لحبس الدِّين داخل جُدران الكنائس، ومن ثَمَّ عزله نهائيَّاً عن التَّدخُّل في أيِّ شأنٍ دنيويٍّ، لكسر القيود الَّتي كبَّلت بها الكنيسة أوروبا لقرونٍ طويلةٍ من الزَّمان، ثُمَّ ما لبثت العَلمانيَّة حتَّى أصبحت فكراً عالميَّاً أخذت به كثيرٌ من الأُمم، ومن بينها بعض البلدان الإسلاميَّة، وقد كانت أكثر الأُمم تضرُّراً من هذا الفكر، حيث أراد من تلقَّفه ونقله إليها من تلامذة المستشرقين وعملاء الغرب أن يعزلوا الإسلام عن شؤون الحكم كما عُزلت النَّصرانيَّة، فكان من أخطر نتائج ذلك سقوط الخلافة العثمانيَّة الإسلاميَّة ومن خلال هذا المطلب يبيِّن الباحث تعريف العلمانيَّة، وكيفيَّة نشأتها، ويشرح أهمَّ أهدافها، وذلك من خلال المسائل التَّالية:

المسألة الأولى: تعريف العلمانيَّة:

أولاً: التَّعريف اللُّغويُّ:

العلمانيَّة مصطلحٌ جديدٌ وَفَدَ حديثاً إلى اللُّغة العربيَّة، فلم يَرِد هذا المُصطلح بحروفه في أيِّ معجمٍ عربيٍّ قديمٍ أو حديثٍ قبل المعجم الوسيط[(١)]، حيث نسب هذا المعجم كلمة علمانيٍّ إلى العالَم[(٢)]، فقد جاء فيه: "العلمانيُّ نسبةً إلى العَلْم بمعنى العالم وهو خلاف الدِّينيِّ أو الكهنوتيِّ"[(٣)].

فالمعجم الوسيط اعتبر أنَّ النَّطق الصَّحيح للعلمانيَّة هو بفتح عينها نسبةً إلى العالم، وقد شاع هذا في غيره من المعاجم، حيث أخذ بعضُها عن بعضٍ، ونسبة العلمانيَّة إلى العالم لا تصحُّ، إذ لو صحَّت لقيل: العَالمانيَّة، والبعض ينطقها العِلمانية بكسر عينها نسبةً إلى العِلْم، وهذه النِّسبة لا تصحُّ أيضاً لأنَّه خطأٌ وقع فيه المترجمون كما سيتَّضح[(٤)].

فالعلمانيَّة ترجمةٌ غير دقيقةٍ لكلمة سيكولارزم (Secularism) بالإنجليزيَّة أو كلمة (Laique) بالفرنسيَّة، وهي كلمةٌ لا صلة لها مُطلقاً بلفظ العلم ومُشتقاته، فإنَّ معنى لفظة العلم في اللُّغتين الإنجليزيَّة والفرنسيَّة هو (Science)، والنِّسبة إلى العلم في الإنجليزيَّة هي

---

(١) المعجم الوسيط هو معجم حديث أصدره مجمع اللغة العربية في طبعته الأولى سنة ١٩٦٠م. انظر: جذور العلمانية – الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨م –، السيد أحمد فرج، ١٦٥، دار الوفاء – المنصورة، ط٤، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

(٢) انظر: المصدر السابق، ١٣٢، ١٣٣.

(٣) المعجم الوسيط، ٢/٦٢٤.

(٤) انظر: الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، يوسف القرضاوي، ٤٢، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٧م.

(Scientific)، وفي الفرنسيَّة هي (Scientifique)، هذا بالإضافة إلى أنَّ زيادة الألف والنُّون في الاسم المنسوب غير قياسيَّة في اللُّغة العربيَّة، بل جاءت سماعاً مثل (ربَّاني) نسبةً إلى (ربّ)، ثم كثرت في كلام المُتأخِّرين مثل: (روحاني، نفساني، نوراني، ...)، ثم درج استعمالها وشاع في عبارات المُحدَثين على نحو: (عقلاني، شخصاني، ومثلها عِلماني)[١].

ويرجع السَّبب في ترجمة هذه الكلمة الأجنبيَّة (Secularism) بهذا اللَّفظ (العِلمانيَّة) إلى فهم المُترجمين الخاطئ للعَلاقة بين الدِّين والعلم، فإنَّهم قد فهموا هذه العَلاقة كما فهمها الغربيُّون النَّصارى من أنَّها عَلاقةٌ قائمةٌ على الانفصال النَّكد، وعلى التَّعارض والتَّضادِّ، فما يكون دينيَّاً عندهم لا يكون علميَّاً، وما يكون علميَّاً لا يكون دينيَّاً، والعلم والعقل في مفهومهم يقعان في مقابل الدِّين، وبالتَّالي فإنَّ العلمانيَّة والعقلانيَّة كذلك مُضادَّتان للدِّين[٢].

لذلك فإنَّ التَّرجمة الصَّحيحة للكلمة هي اللَّادينيَّة أو الدُّنيويَّة، أي ما ليس له صلةٌ بالدِّين من أيِّ وجهٍ، وهو ما يعني الفصل الكامل بين الدِّين والحياة أو بين الدِّين والدَّولة، وهذا ما أيَّدته المعاجم ودوائر المعارف الأجنبيَّة، فقد أوردت دائرة المعارف البريطانيَّة في مادَّة (Secularism) ما نصُّه: هي حركةٌ اجتماعيَّةٌ تهدف إلى صرف النَّاس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدُّنيا وحدها[٣].

وهذا ما رآه الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ عند حديثه عن العلمانيَّة حيث يقول: "ولفظ العلمانيَّة ترجمةٌ اصطلاحيَّةٌ مُهذَّبةٌ فيها تعديلٌ لما حقُّه أن يُترجم بـ اللَّادينيَّة أو بـ الدُّنيويَّة أو بـ (الاتِّجاه الَّذي لا يعتبر الدِّين، ولا يهتمُّ به، ولا يُقيم له وزناً في شؤون الحياة الدُّنيا)، والدُّنيويَّة الَّتي تُرجمت بالعلمانيَّة لا تؤمن بشيءٍ وراء الحياة الدُّنيا"[٤].

وعليه فإنَّ الاختلاف لا يزال قائماً بين الباحثين العرب والمسلمين في ضبط النُّطق بلفظة العلمانيَّة، وقد تبيَّن من خلال البحث أنَّ هناك اتفاقٌ كاملٌ بين معظم المعاجم على أنَّ كلمة العلمانيَّة لا علاقة لها بكلمة العِلْم، لا من حيث الضَّبط، ولا من حيث الدِّلالة، لذا فإنَّ الصواب نُطقها العَلمانيَّة بفتح العين[٥].

---

(١) انظر: العلمانية (نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة)، سَفر الحوالي، ٢١، دار الهجرة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٢) انظر: الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، ٤٢، ٤٣.

(٣) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ٢١، ٢٢، وانظر: المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، محمد الحسن،٢٦٧، دار البشير للثقافة والعلوم، طـ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٤) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ١٦٣، دار القلم – دمشق، طـ٤، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٥) انظر: جذور العلمانية، ١٢٤.



إنَّ هذا الاختلاف قد نجم بسبب خطأ في النِّسبة، فمن نسب العلمانيَّة للعِلم نطقها بكسر العين، والنِّسبة للعلم غير دقيقةٍ، ومن نسبها للعالم نطقها بفتح العين، والنِّسبة للعالم غير صحيحةٍ كما تبيَّن، لذا فإنَّ الباحث يرى بأنَّ نُطقها بفتح العين أسلم، وليس أصوب؛ لأنَّ نسبة العلمانيَّة إلى العلم قد يكون محاولةً كيديَّة لترسيخ فكرة الفصل والتَّناقض بين الدِّين والعلم، وإدخال الإسلام ضمن دائرة قاعدةٍ تعميميَّةٍ مضلِّلةٍ، فقد يتعارض العلم مع الأديان الأخرى بحكم ما شابها من تحريفٍ وتزييفٍ وتخريفٍ، واختلط فيها ما هو ربَّانيٌّ صحيحٌ مع ما هو بشريٌّ مفترىً، وهذا ممَّا ينبغي أن يحذر منه الباحث المسلم الحصيف.

ثانياً: التَّعريف الاصطلاحيُّ:

العلمانيَّة كلمةٌ دخيلةٌ على اللُّغة العربيَّة تُرجمت من اللُّغات الأجنبيَّة، ثُمَّ شاعت وانتشرت بهذا المصطلح، لذلك فإنَّ التَّعريف الأدقَّ للكلمة هو ما عرَّفتها به دوائر المعارف والمعاجم الأجنبيَّة؛ لذا فإنَّ الباحث هنا سيورد بعض التَّعريفات الأجنبيَّة للعلمانيَّة أوَّلاً ثُمَّ يُلحق بها بعض تعريفات العلماء والباحثين المسلمين ناسباً كلَّ تعريفٍ إلى صاحبه:

١- وتُعرِّفها دائرة المعارف البريطانيَّة بأنَّها: "هي حركةٌ اجتماعيَّةٌ تهدف إلى صرف النَّاس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدُّنيا وحدها؛ وذلك أنَّه كان لدى النَّاس في العصور الوسطى رغبةً شديدةً في العزوف عن الدُّنيا، والتَّأمُّل في الله واليوم الآخر، وفي مقاومة هذه الرَّغبة طفقت الـ (Secularism) تعرض نفسها من خلال تنمية النَّزعة الإنسانيَّة، حيث بدأ النَّاس في عصر النَّهضة يُظهرون تعلُّقهم الشَّديد بالإنجازات الثَّقافيَّة والبشريَّة، وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدُّنيا القريبة، وظلَّ الاتجاه إلى الـ (Secularism) يتطوَّر باستمرار خلال التَّاريخ الحديث كلِّه باعتبارها حركةً مضادَّةً للدِّين، ومضادَّةً للمسيحيَّة"(١).

٢- وتُعرِّفها دائرة المعارف الأمريكيَّة بأنَّها: "نظامٌ أخلاقيٌّ أُسِّس على مبادئ الأخلاق الطَّبيعيَّة، ومستقل عن الدِّيانات السَّماويَّة، أو القُوى الخارقة للطَّبيعة"(٢).

٣- وجاء في قاموس العالم الجديد لوبستر شرحاً لمادَّة (Secularism)(٣):

أ/ الرُّوح الدُّنيويَّة، أو الاتِّجاهات الدُّنيويَّة، ونحو ذلك على الخصوص: نظامٌ من المبادئ والتَّطبيقات يرفض أيَّ شكلٍ من أشكال الإيمان والعبادة.

---

(١) العلمانية، سفر الحوالي، ٢٢، وأيضاً: العلمانية (جذورها وأصولها)، محمد علي البار، ٢٨، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ٧٥.

(٣) العلمانية، سفر الحوالي، ٢٢.

ب/ الاعتقاد بأنَّ الدِّين والشُّؤون الكنسيَّة لا دخل لها في شؤون الدَّولة، وخاصَّةً التَّربية العامَّة.

٤- وجاء في معجم أكسفورد شرحاً لمادَّة (secular)[١]:

أ/ دنيويٌّ، أو مادِّيٌّ، ليس دينيَّاً ولا روحيَّاً، مثل التَّربية اللَّادينيَّة، الفن أو الموسيقى اللَّادينيَّة، السُّلطة اللَّادينيَّة، الحكومة المُناقضة للكنيسة.

ب/ الرأي الَّذي يقول: إنَّه لا ينبغي أن يكون الدِّين أساساً للأخلاق والتَّربية.

٥- وجاء في (المعجم الدَّولي الثَّالث) في مادَّة (Secularism): "اتِّجاهٌ في الحياة أو شأنٌ خاصٌّ، يقوم على أنَّ الدِّين أو الاعتبارات الدِّينيَّة يجب أن لا تتدخَّل في الحكومة، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً، فهي تعني مثلاً: السِّياسة اللَّادينيَّة البحتة في الحكومة، وهي نظامٌ اجتماعيٌّ في الأخلاق مؤسَّسٌ على فكرة وجوب قيام القِيَم السُّلوكيَّة والخُلُقيَّة على اعتبارات الحياة المعاصرة والتَّضامن الاجتماعيِّ دون النَّظر إلى الدِّين"[٢].

٦- وعرَّفها الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ بأنَّها: "عنوانٌ لاتِّجاه هدفه النَّظر بعينٍ واحدةٍ، هي عين البحث العلميِّ بالوسائل الإنسانيَّة، وطمس عين العلم الأخرى الَّتي تقتبس المعرفة من الدِّين والوحي طمساً كُلِّيَّاً"[٣].

٧- وعرَّفها الدُّكتور يوسف القرضاوي بأنَّها: "عزل الدِّين عن الدَّولة وحياة المجتمع، وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد، لا يتجاوز العَلاقة الخاصَّة بينه وبين ربِّه، فإن سُمح له بالتَّعبير عن نفسه، ففي الشَّعائر التَّعبُّديَّة، والمراسم المُتعلِّقة بالزَّواج والوفاة، ونحوها"[٤].

٨- وعرَّفها الدُّكتور تاج السِّر أحمد حران بأنَّها: "حركةٌ اجتماعيَّةٌ ذات فلسفةٍ مُعيَّنةٍ هدفها إبعاد الدِّين عن الحياة كلِّها – الحياة الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة والتَّعليميَّة والسِّياسيَّة"[٥].

إن معظم التَّعريفات السَّابقة مأخوذةٌ من دوائر المعارف والمعاجم الأجنبيَّة، لذلك فهي بعيدةٌ عن ضبط تعريفٍ صحيحٍ ودقيقٍ مطابقٍ لواقع المصطلح، وأمَّا تعريف الشَّيخ الميدانيِّ فقد اكتفى فيه بتوضيح استبعاد العلمانيَّة لعلوم الدِّين ومنها الوحي، ولم يتطرَّق إلى الآثار العمليَّة الَّتي

---

(١) العلمانية، سفر الحوالي، ٢٢، ٢٣، وأيضاً: العلمانية (جذورها وأصولها)، ٢٧.

(٢) العلمانية، سفر الحوالي، ٢٣.

(٣) كواشف زيوف، ١٦٢، ١٦٣.

(٤) الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، ٤٥.

(٥) حاضر العالم الإسلامي، تاج السر أحمد حران، ٦٠، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

أحدثها الأخذ بفكرة العلمانيَّة، لذا فإنَّ الباحث يرى أنَّ التَّعريف السَّابع وهـو تعريـف الشَّـيخ الدُّكتور يوسف القرضاوي هو الأكثر ضبطاً، كونه يجمع ما افترق في التَّعريفات الأخرى، إلى جانب معالجته الآثار العمليَّة للعلمانيَّة.

المسألة الثَّانية: نشأة العلمانيَّة:

نشأت العلمانيَّة أوَّل ما نشأت في أوروبا، ثُمَّ ما لبثت أن انتقلت وشاعت في العالم، ثُمَّ ابتُلي بها المسلمون على يد المستعمرين وأعوانهم الَّذين نقلوها إلى ديار الإسلام ليهـدموا وَحـدتهم، ويفرِّقوا جمعهم، ويُقصوا شريعتهم، ويمكن إجمال ظروف وأسباب نشأة العلمانيَّة في الغرب وفي ديار الإسلام على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: أسباب وظروف نشأة العلمانيَّة في الغرب:

بَسَط الشَّيخ الميدانيُّ المناخ الَّذي مهَّد لنشأة المذاهب الفكريَّة المعاصرة في الغرب، وعلـى رأسها العلمانيَّة، فقد أرجع أسباب نشأة هذه المذاهب ومن بينها العلمانيَّة إلى عوامـلَ أربعـةٍ، وهي[1]:

العامل الأوَّل: التَّحريف في أُسس الدِّين الَّذي أنزله الله على عيسى عليه السلام عقيدة وشريعة على النَّحو التَّالي:

١- العبث بعقيدة الإيمان بالله الواحد، واستحداث إلهٍ مُثلَّث يتجسَّد، أو يحلُّ بالإنسان، وهـو ثلاثة أقانيم (الآب والابن وروح القُدُس).

٢- تشويه الشَّعائر التَّعبُّديَّة بإقحام بعض الأوضاع البشريَّة الكنسيَّة البدعيَّة فيها، ثُمَّ حمَّلهـا النَّصارى مفاهيمَ غيبيَّةً زعموا أنَّ لها أسراراً مُقدَّسةً، وجعلوا لها طُقوساً تُمـارَس فـي مناسباتها ويجب احترامها.

٣- لم تكن الأحكام التَّشريعيَّة النَّصرانيَّة في معظمها سوى أوامرَ وقراراتٍ كنسيَّةٍ بابويَّـةٍ، وليست إلهيَّةً ربَّانيَّةً، وجعلت تُحلِّل أو تحرِّم حسب أهوائها دون مُستَنَدٍ من كتـاب الله أو تعاليم المسيح عليه السلام.

العامل الثَّاني: الفتح الإسلاميُّ وما حمله من فكرٍ أثار إعجاب الغرب لِمـا يتضـمَّنه مـن المناهج العقليَّة والعلميَّة القائمة على الحقِّ، وعلى الأدلَّة البُرهانيَّة في القضايا النَّظريَّة، فضـلاً عن المسائل الدِّينيَّة الكبرى، وكذلك القضايا الكونيَّة القائمة على البحث والملاحظة والتَّجربـة، والاستفادة ممَّا سخَّره الله للنَّاس في الكون، والتَّعرُّف على سنن الله فيه، واكتشاف القوانين الثَّابتة الَّتي طبع الله كونه عليها.

العامل الثَّالث: طُغيان رجال الكنيسة، وفساد أحوالهم، واستغلالهم لسلطتهم الدِّينيَّة في تحقيق أغراضٍ دنيويَّةٍ، وإرضاءً لشهواتهم تحت أقنعة القداسة، إلى جانب اضـطهادهم الشَّـنيع لكـلِّ مُخالفٍ لأوامرهم وتعليماتهم الكنسيَّة المبتدعة حتى لو كانت من الأمور المتعلِّقة بحقائقَ كونيَّـةٍ

(١) انظر: كواشف زيوف، ٢٣-٢٥، ٤٨، ٥٠.

ثابتةٍ بالتجارب والمُشاهدات العلميَّة الماديَّة، فحجروا بذلك على العلم، واستحلُّوا دماء العلماء، وقد قُدِّرت أعداد الَّذين عاقبتهم المحاكم بسبب ذلك بنحو ثلاثمائة ألفٍ، حُرِّق منهم اثنان وثلاثون ألفاً وهم أحياء منهم العالم الطَّبيعيُّ المعروف (برونو)؛ لأنَّه قال بتعدُّد العوالم، هذا إلى جانب هيمنة الكنيسة على الحكم والحياة السِّياسيَّة بِرُمَّتها، فقد كان باستطاعة البابا تتويج الملوك والأباطرة، وخلع تيجانهم إذا خالفوه أو رفضوا أوامره.

العامل الرَّابع: الاتِّجاه الجاد في الغرب للأخذ بأسباب التَّقدُّم الحضاريِّ والعلميِّ الماديِّ، وقد اصطدم هذا بجحود الكنيسة ومحاربتها للعلماء، ما دفع الغرب رويداً رويداً إلى عزل الكنيسة عن شؤون السِّياسة فكريَّاً ثُمَّ عمليَّاً، ثُمَّ إبعادها بعد ذلك بشكلٍ كاملٍ عن شؤون الحياة ووسائل العيش وأساليب السُّلوك العامِّ، وحصر سلطانها في شؤون الدِّين الغيبيَّة والرُّوحيَّة، وفي مراسيمه وطُقوسه الخاصَّة.

كانت هذه الظُّروف المُتردِّيَة الَّتي عاشتها أوروبا والغرب بشكلٍ عامٍّ بنيةً صالحةً، وتُربةً خصبةً، نبتت فيها شجرة العلمانيَّة وترعرعت، وقد يكون ظهور العلمانيَّة في الغرب أمراً مبرَّراً؛ نظراً لأنَّ الدِّين فيها حينئذٍ لم يكن ديناً ربَّانيَّاً خالصاً، بل عبثت فيه أيادي التَّحريف والتَّزييف، فبدَّلت وغيَّرت، وأضافت وحذفت، فأدَّى ذلك إلى تعارض ذلك الدِّين المحرَّف مع مصالح النَّاس في دنياهم ومعاملاتهم، إضافةً إلى تعارضه مع حقائق العلم الثَّابتة، فكان من الطَّبيعي أن يثور الغرب ضدَّ الدِّين ويحبسه داخل جدران الكنيسة وأن يتخلَّص من القيود الَّتي كان يفرضها عليه[(١)].

استغلَّ اليهود هذه الظُّروف، وهذه الثَّورة النَّفسيَّة الَّتي وصلت إليها الشُّعوب الأوروبيَّة، وخاصَّةً الشَّعب الفرنسيّ ذو المزاج الثَّوريِّ الانفعاليِّ الحادِّ، فقد قام اليهود بزعامة جماعة النُّورانيين من الحاخاميين بإعداد الخُطط لإشعال فتيل الثَّورة الفرنسيَّة بهدف تغيير الأوضاع السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والفكريَّة، فاستخدموا للبدء بالدَّعوة إليها أرباب المال وسادته من اليهود العالميين، وعلى رأسهم الثَّري والمرابي الكبير روتشيلد الأوَّل، ثُمَّ ابنه ناتان روتشيلد، وبالفعل اندلعت هذه الثَّورة الفرنسيَّة عام ١٧٨٩م، ونجح اليهود في أن يظلُّوا في الخفاء بعيداً عن الأضواء، مع العمل على تزيين هذه الثَّورة وإظهارها بالصُّورة الجميلة، واعتبارها إحدى الأعمال التَّاريخيَّة المجيدة، مستغلِّين لترويج ذلك ماكيناتهم الدِّعائيَّة والإعلاميَّة الهائلة، ووضعوا لهذه الثَّورة شعاراً مُثلَّثاً هو (الحريَّة – المساواة – الإخاء)، ثُمَّ انطلقوا بعد ذلك هم وأُجراؤهم

---

(١) انظر: العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريف، ٩، ١٠، دار الوطن للنشر – الرياض، ط١، ١٤١١هـ.



وعملاؤهم من الأفراد أو المُنظَّمات بعد تهيئة الظُّروف السِّياسيَّة والاجتماعيَّة الملائمة لمحاربة الدِّين وكلِّ ما يتَّصل به، ويصدر عنه، ولو كان ديناً مُحرَّفاً كالدِّين النَّصرانيِّ؛ وذلك لأنَّ الدِّين يُعتبر هو النَّاظم الوجدانيُّ لكلِّ المؤمنين به(١).

لقد كان اليهود أوَّل من بثَّ فكرة فصل الدِّين عن الدَّولة وشؤون الحياة كلِّها، ففي سياق حديث الكاتب الأمريكيِّ وليام غاي كار عن بعض القوانين التي صدرت في أوروبا إبَّان الحملات الصَّليبيَّة على دول العالم الإسلاميِّ، وقد كانت هذه القوانين تهدف إلى مقاومة التَّسلُّط اليهوديِّ، والانعتاق من ربقة المُرابين اليهود، قال: "وكانت نتيجتها – يعني هذه القوانين – على العكس، اشتداد حقد النُّورانيين على الكنيسة المسيحيَّة وظهور نواة مشروع إضعاف العقيدة المسيحيَّة وتقويض دعام سُلطة الكنيسة، هذه النّواة الَّتي تبلورت فيما بعد في خطَّةٍ منظَّمةٍ تقوم على ركيزتين: بثِّ فكرة فصل الدِّين عن كلِّ ارتباطٍ معَ أنظمة الحُكم من ناحيةٍ ... ومن ناحيةٍ أخرى العمل على إثارة وتنمية الخلافات بين الأمراء والبارونات وبين الكنيسة، وتشجيع وتمويل الاتِّجاهات اللاأخلاقية لدى الجميع"(٢).

وهذا يؤكِّد النِّيَّة المُبيَّتة لليهود لعزل الدِّين عن الحياة والحكم قبل الثَّورة الفرنسيَّة بعشرات السِّنين، وهذه الخطَّة المنظَّمة الَّتي تحدث عنها الكاتب الأمريكيُّ تمخَّض عنها قيام الثَّورة الفرنسيَّة، وصارت فرنسا أولى الدُّول الأوربيَّة الَّتي قام نظام الحكم فيها على أساس الفكر العلمانيِّ، ثُمَّ تبعتها بعد ذلك أوروبا قاطبةً، ولقد أظهرت بروتوكولات حكماء بني صهيون الدَّور الَّذي لعبه اليهود للتَّمهيد لهذه الثَّورة على الدِّين، واعترافهم أنَّها من صنع أياديهم، فقد جاء في البروتوكول الثَّالث ما نصُّه: "تذكَّروا الثَّورة الفرنسيَّة الَّتي نُسمِّيها (الكبرى)، إنَّ أسرار تنظيمها التَّمهيديّ معروفةٌ لنا جيِّداً؛ لأنَّها من صنع أيدينا، ونحن من ذلك الحين نقود الأُمم قُدُماً من خيبةٍ إلى خيبةٍ"(٣).

وهكذا نشأت العلمانيَّة في الغرب، وافتتن كثيرٌ من النَّاس في العالم بها، لا سيَّما وقد صاحبها طفرةً علميَّةً وحضاريَّةً هائلةً، وتقدُّماً ملموساً في شتَّى العلوم ومختلف المجالات، لذلك فقد كانت الاجراءات الَّتي اتَّخذها الغرب للانعتاق من سُلطان الكنيسة، والتَّحرُّر من قيودها، ومن ثَمَّ عزلها وعزل الدِّين ورجاله وتنحيتهم بعيداً عن شؤون الحياة، اجراءات لها ما يبرِّرها إلى حدٍّ كبيرٍ، لذا فقد كان من أهمِّ نتائج ذلك أن أُطلقت أيادي العلماء، وأرباب المال، وذوو النُّفوذ

(١) انظر: كواشف زيوف، ٦٠، ٦٧.

(٢) أحجار على رقعة الشطرنج، وليام غاي كار، ترجمة: سعيد جزائرلي، ٦٠، دار النفائس، ط١، ١٩٧٠م.

(٣) الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، تحليل: محمد خليفة التونسي، ترجمة: عباس محمود العقاد، ١٢٩، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٤، بدون تاريخ طبعة.

والسُّلطان، وزعماء السِّياسة والحكم، وبدأت أوروبا عصر النَّهضة والتَّنوير، ولكن بعد أن خلعت عباءة الدِّين بشكلٍ كاملٍ، فسار الإفلاس على المستويين الدِّينيِّ والأخلاقيِّ جنباً إلى جنبٍ مع هذه النَّهضة المادِّيَّة.

ثانياً: أسباب عدم حاجة المسلمين للعلمانيَّة:

لقد كان لظهور العلمانيَّة في الغرب مبرِّراتها الدِّينيَّة، والفكريَّة، والنَّفسيَّة والتَّاريخيَّة، والواقعيَّة، فالنَّصرانيَّة تنظر إلى الحياة نظرةً ثُنائيَّةً، مُكوَّنةً من سُلطتين: سلطةٍ زمنيَّةٍ، وسلطةٍ روحيَّةٍ، وتقبل بقسمتها بين الله وبين القيصر، فالسُّلطة الزَّمنيَّة، أو سلطة الدَّولة لقيصر، والسُّلطة الرُّوحية، أو سلطة الكنيسة لله، وهذا ما زعموه في إنجيلهم على لسان عيسى عليه السلام أنَّه قال: "أعطِ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله"(١)، ويسند هذا من الفكر الغربي أنَّ الغرب لم يعرف الله كما عرفه المسلمون، محيطاً بكلِّ شيءٍ، مدبِّراً لكلِّ أمرٍ، لا تخفى عليه خافيةٌ، وأنَّه جعل لكلِّ شيءٍ قدراً، وأرسل رسله مبشِّرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكموا بين النَّاس فيما اختلفوا فيه، فالقيصر عند المسلمين ليس ندًّا لله، ينازعه في ملكه، وإنَّما هو عبدٌ من عباد الله، يخضع لحكمه، ويدين لأمره ونهيه، إلى جانب أنَّ النَّصرانيَّة ليس فيها تشريعٌ مُفصَّلٌ لشؤون الحياة يضبط معاملاتها، وينظِّم علاقاتها، وتصرُّفاتها، فمواعظ الإنجيل لم تتضمَّن سوى بعض الرّوحانيات والأخلاقيات، أمَّا الإسلام فقد وضع الأصول لحياة الإنسان من مهده إلى لحده، فهو دين عقيدةٍ وشريعةٍ(٢).

وإذا كان الاتِّجاه إلى العلمانيَّة في الغرب له مبرِّراته الخاصَّة نظراً لما عاشته أوروبا من أوضاعٍ وظروفٍ قاسيَةٍ، وفي ظلِّ دينٍ مُحرَّفٍ لا يرقى لتلبية حاجات النَّاس، وتحقيق رغباتهم وتطلُّعاتهم، فإنَّ الاتِّجاه إلى العلمانيَّة في العالم الإسلاميِّ ليس له ما يبرِّره بأيِّ وجهٍ من الوجوه، وذلك لأسبابٍ كثيرةٍ، من أهمِّها ما يلي(٣):

١- **كمال الدِّين الإسلاميِّ**، فهو لم يترك أيَّ أمرٍ يحتاج النَّاس إليه إلَّا وبيَّنه ووضَّحه سواءً أكان ذلك في الاعتقادات أو في المعاملات، وقد شهد الله ربُّ العالمين بكمال دينه فقال الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]

---

(١) انجيل متَّى، الإصحاح ٢٢، فقرة ٢١.

(٢) انظر: الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، ٤٧، ٤٨.

(٣) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ٦٩٨/٢-٧٠٤.

وشهد بذلك رسول ربِّ العالمين، فعن العرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ)**(١).

٢- **عدم اتِّفاق العلمانيَّة مع الدِّين الإسلامي**، وفشلها في إسعاد المجتمعات الَّتي طبَّقت أحكامها وأُسُسَها.

٣- **عدم جواز التَّشكيك في صحة التَّعاليم الإسلاميَّة**، أو تقديم القوانين الوضعيَّة بما في ذلك العلمانيَّة على الشَّريعة الإسلاميَّة.

٤- **وضوح قضايا الإيمان والتَّوحيد عند المسلمين**، مثل أمر الألوهيَّة والنُّبوَّات، وكلِّ ما يتعلَّق بأمر البشر والتَّشريع على العكس تماماً من أوروبا والغرب.

٥- **عدم وجود حجر في الإسلام على علاقة أي شخص بربه**، إذ لا واسطة بين العبد وربه كما في الديانة النصرانية الَّتي جعلت طريق الوصول إلى الله لابد أن تمر برجال الدين من الرهبان والقُسس.

٦- **لا وجود في الإسلام لرجال الدِّين ورجال الدُّنيا**، أو رجال تشريعٍ وقانونٍ، أو طبقاتٍ مُسخَّرةٍ، وغير ذلك من أوضاع الجاهليَّة.

٧- **احترام الإسلام للعلم، وحثُّه على طلبه، واحترامه للعلماء وثناؤه عليهم**، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، ويقول أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزُّمر:٩].

هذه الأسباب تُظهر بوضوحٍ أنَّ المبرِّرات التي ساقها الغرب للنَّجاة من بحر الظُّلمات الَّذي كان غارقاً فيها، ليست موجودةً عند المسلمين، بل إنَّ الإسلام قد حمل الحلول لكلِّ المشاكل الَّتي أرَّقت الغرب، وأقضَّت مضجعه، وإنَّ التَّجربة قد أثبتت فشل العلمانيَّة في إسعاد الغرب، وملء الفراغ الرُّوحي الَّذي لا يزال جاثماً على صدر الشُّعوب الأوربيَّة إلى الآن، فلا يزال الغرب وبرغم تقدُّمه وتفوُّقه في مختلف الميادين إلَّا أنَّه لا يزال عاجزاً عن تخليص نفسه من المصائب الَّتي لازمته منذ عزله للدِّين، من تحلُّلٍ أخلاقيٍّ، وانتشارٍ للفساد والبغاء والشُّذوذ الجنسيِّ والفكريِّ والتَّطرُّف بمختلف أنواعه وأشكاله، وانتشار حالات الانتحار الجماعيِّ، وغيرها من المصائب الَّتي أثقلت كاهل الغرب، ولقد شهد التَّاريخ أنَّ الإسلام قد قدَّم النَّموذج الأمثل للخلاص

---

(١) أخرجه الحاكم في المُستدرك، المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، مذيل بتلخيص للحافظ الذهبي، تحقيق: مصطفى عبد القادر، كتاب العلم، رقم الحديث: (٣٣١)، ١/١٧٥، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م. سكت عنه الذهبي، وقال الألباني: صحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث: (٩٣٧)، ٢/٦١٠، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، بدون رقم طبعة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

من كلِّ هذه المشاكل والعلل والبلايا، وشهد أنَّ العالم الإسلاميَّ قد عاش أزهى عصوره عندما طبَّق الإسلام عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً، فروى الظَّمأ الرُّوحيَّ، وأغدق على المجتمعات الإسلاميَّة خيراً كثيراً في مختلف المجالات، فجلب لهم العزَّة، وجمع لهم القوَّة العسكريَّة، والحنكة السياسيَّة، والطَّفرة العلميَّة، والتَّطوُّر العمرانيَّ والحضاريَّ، والتَّميُّز الاقتصاديَّ، وقد عمَّ الخير وشاع جرَّاء تطبيق نظام الإسلام ليشمل غير المسلمين من الَّذين احتكَّ بهم المسلمون، وعلى الرَّغم من هذه الحقائق فقد وجدت العلمانيَّة من أبناء المسلمين من يُروِّج لها ويدعوا إلى تطبيقها في العالم الإسلاميِّ.

ثالثاً: نشأة العلمانيَّة في ديار الإسلام:

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ على ارتداء الغرب ثوب العلمانيَّة حتى ابتليَ المسلمون بشرِّها، فإنَّها سرعان ما انتشرت في ديار الإسلام انتشاراً قويَّاً، ونجح أعداء الإسلام في تجنيد عددٍ من العملاء من كلِّ أهل بلدٍ إسلاميٍّ لينوبوا عنهم في نشرها والدَّعوة إليها، مستخدمين الحِيَل أحياناً والقوَّة أحياناً أخرى، وكانوا أشدَّ قسوةً من أسيادهم في حمل أهل بلدهم وإجبارهم على الأخذ بنظام العلمانيَّة اللَّادينيَّة، وعملوا على تنشئة أجيال المسلمين عليها، حتَّى أضحت في كثيرٍ من البلدان الإسلاميَّة أمراً مُسلَّماً به، وطُرحت العلمانيَّة كبديلٍ عن الإسلام في كلِّ ناحيةٍ، فقد تحوَّلت تركيا إلى دولةٍ علمانيَّةٍ على يد المجرم مصطفى كمال أتاتورك الَّذي عمل على قطع كلِّ صلةٍ لتركيا بالإسلام، بعد أن أسقط آخر خلفاء الدَّولة العثمانيَّة الإسلاميَّة، وأسقط الدُّستور الإسلاميَّ، واستبدله بالقانون المدنيِّ السُّويسريِّ، وقانون الجزاء الإيطاليِّ، والقانون التِّجاريِّ الألمانيِّ، وغيرها من القوانين الأرضيَّة الوضعيَّة الجاهليَّة، وأخمد كلَّ تحرُّكٍ إسلاميٍّ، وربط تركيا مباشرةً بالدُّول الغربيَّة، فتمزَّق المسلمون، ولم تعد لهم جامعةٌ تجمعهم، أو رابطةٌ تربطهم[1].

لم تكن تركيا البلد المسلم الوحيد الذي احترق بنار العلمانيَّة، فقد ولجت العلمانيَّة إلى مصر بإدخال الخديوي إسماعيل – المفتون بالغرب – للقانون الفرنسيِّ إليها سنة ١٨٨٣م، كما تمَّ إلغاء الشَّريعة الإسلاميَّة في الجزائر عقب الاحتلال الفرنسيِّ لها سنة ١٨٣٠م، وأُدخل القانون الفرنسيُّ إلى كلٍّ من تونس سنة ١٩٠٦م، والمغرب سنة ١٩١٣م، وقد كانت الأحكام في الهند مُطبَّقةً وَفق الشَّريعة الإسلاميَّة حتى سنة ١٧٩١م، ثُمَّ بدأت خطَّة كيديَّة من تدبير الإنجليز لإلغائها بالتَّدرُّج، فتمَّ لهم ذلك فانتهى العمل وَفق الشَّريعة الإسلاميَّة في الهند بشكلٍ كاملٍ في أواسط القرن التَّاسع عشر، وانتشرت بعد ذلك الكثير من الأحزاب العلمانيَّة في البلاد الإسلاميَّة[2].

(١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ٢/٧٠٥، ٧٠٦.

(٢) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٢/٦٨١، ٦٨٢.

رابعاً: أسباب تقبُّل شعوب الأُمَّة الإسلاميَّة للعلمانيَّة:

لقد كان من المفترض أن تنأى الشُّعوب الإسلاميَّة بنفسها عن المؤثِّرات الخارجيَّة الَّتي تحمل الشَّوائب الفكريَّة، وأن تبقى منيعةً مُحصَّنةً ولا تتشرَّب ضلالات المذاهب الفكريَّة القادمة من الغرب؛ وذلك لأنَّ الإسلام الَّذي تدين به شُعوب الأُمَّة الإسلاميَّة دينٌ ربَّانيٌّ حقٌّ محفوظٌ بحفظ الله له، لم يَشُبْه تحريفٌ ولا تبديلٌ، ولم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الدِّين الَّذي اعتمد أسلوب الإقناع في طرحه، فهيمن على العقول والأفكار، وهيمن على النُّفوس بكماله وملاءمته للفطرة الإنسانيَّة، وهو الدِّين الَّذي عمل على تلبية كلِّ حاجات النَّاس أفراداً وجماعاتٍ، وهو الدِّين الذي يملك الحلَّ الأمثل لكلِّ مشكلات الحياة، وقد جاء بنظمٍ راعت الواقع البشريَّ المُعاش، فكفلت للنَّاس الطَّمأنينة والاستقرار والرَّفاهية والتَّقدم العلميَّ والحضاريَّ، وأنَّ هذه النُّظم قد قوَّمت السُّلوك الإنسانيَّ، فعملت على ضبط جنوح الأفراد، وكفلت ذوي الحاجات، وكبحت جماح ذوي النَّوازع والأهواء(١).

لكن وعلى الرَّغم من ذلك تسلَّلت كثيرٌ من هذه المذاهب الهدَّامة إلى الأُمَّة الإسلاميَّة لتجد لها طريقاً ممهَّداً إلى عقول أبناء الأُمَّة الإسلاميَّة، ونجحت العلمانيَّة في أن تتربَّع على عروش كثيرٍ من البلدان الَّتي تدين بالإسلام، فطُرحت العلمانيَّة كبديلٍ عن الإسلام، وإن تظاهر بعض دُعاتها بأنَّها ليس بديلاً عن الدِّين، وإنما هي لتنظيم شؤون الحياة خارج إطار عَلاقة الإنسان بربِّه، ليبقى الدِّين حبيساً في ضمائر الأفراد، وقاصراً على تقرير بعض القضايا الغيبيَّة، ومحتفظاً ببعض مظاهره في مراسم الزَّواج والطَّلاق والموت والدَّفن، وإنَّ تقبُّل شُعوب الأُمَّة الإسلاميَّة لمبدأ العلمانيَّة يعود إلى أسبابٍ عديدةٍ، منها ما يلي:

١- انحراف الأُمَّة الإسلاميَّة:

حيث هجر المسلمون حكَّاماً ومحكومين دينهم، وتهاونوا في تطبيق أحكامه، الشَّاملة لكلِّ شؤون الحياة، وآثروا الدَّعة والرَّاحة، وتعلَّقوا بالدُّنيا وشهواتها(٢).

٢- تخلُّف العالم الإسلامي:

فقد تفشَّى الجهل بين معظم المسلمين في جميع أقطارهم، وابتعدوا عن العلم في القرون المتأخِّرة (قرون الانحطاط) بعد القرون العلميَّة الذَّهبيَّة الَّتي قاد المسلمون خلالها الرَّكب الإنسانيَّ إلى التَّقدُّم الفكريِّ والتَّطبيقيِّ(٣)

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٩١.

(٢) انظر: المصدر السَّابق، ٩٢.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٩٢.



٣- نهضة أوروبا الماديَّة مع العلمانيَّة:

ممَّا أُلبس على بعض المسلمين، وافتتنوا به أنَّه أعقب الأخذ بالعلمانيَّة في الغـرب نهضـةٌ ماديَّةٌ كبيرةٌ، فَسَادَ عندهم شعورٌ بأنَّ التَّحضُّر والتَّمدين، والقضاء على التَّخلف مرهونٌ بتنحيـة الدِّين وعزله(١).

٤- هزيمة المسلمين النَّفسيَّة:

أعقب الاحتلال العسكريَّ الغربيَّ لدول العالم الإسلاميِّ، ثُمَّ إسقاط الخلافة الإسلاميَّة هزيمـةٌ نفسيَّةٌ مُنكَرَة، ممَّا ولَّد في نفوس المسلمين أنَّ الغالبين تفوَّقوا عليهم بما يملكوا من حضارةٍ ماديَّةٍ، فبدأ تقليد المغلوب للغالب في كلِّ شيءٍ على الرَّغم من اختلاف الظُّروف واخـتلاف التَّكـوين بينهما، وكان من نتائج ذلك تقبُّل المسلمين للعلمانيَّة(٢).

---

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ٦٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٧٠.

المسألة الثَّالثة: أهداف العلمانيَّة:

سعى دُعاة العلمانيَّة في العالم الإسلاميِّ منذ اللَّحظات الأولى لدخول العلمانيَّة بلاد المسلمين إلى تحقيق جملةٍ من الأهداف الَّتي تصبُّ جميعها في الغاية الكبرى الَّتي يطمحون إلى الظَّفر بها، وهي هزيمة الإسلام وسحقه والقضاء عليه معنويًّا في نفوس المسلمين، وعمليًّا على الأرض من خلال علمنة الحياة الإسلاميَّة، وتتلخَّص هذه الأهداف فيما يلي:

أوَّلاً: علمنة القانون:

لقد اكتسب القانون في الدَّولة الإسلاميَّة قوَّته وهيبته وكماله من كونه مُستمدٌّ من الشَّريعة الإسلاميَّة الغرَّاء، لذا كان من أهمِّ أهداف دعاة العلمانيَّة نزع هذه الهيبة من القانون من خلال تجريد أحكامه من التَّشريعات الإسلامية الربَّانية، وإحلال الأحكام البشريَّة الوضعيَّة محلّها، وكان أوَّل مظهرٍ لعلمنة القانون في تركيا عام ١٨٥٧م، ثُمَّ في مصرَ عام ١٨٧٥م حيث صدرت فيهما بعض القوانين الوضعيَّة من غير الشَّريعة الإسلاميَّة، ثُمَّ أعقب ذلك إنشاء المحاكم الأهليَّة الَّتي تحكم بالقانون الوضعيِّ بعيداً عن التَّشريع الإسلاميِّ وذلك عام ١٨٨٣م، ومع إلغاء الخلافة في تركيا عام ١٩٢٤م، وتحوُّلها إلى العلمانيَّة تَمَّ إصدار قانونٍ مدنيٍّ مُستمدٍّ من القانون السُّويسريِّ، وإصدار قانونٍ جنائيٍّ مُستمدٍّ من القانون الإيطاليِّ، وإصدار قانونٍ تجاريٍّ مُستمدٍّ من القانون الألمانيِّ، أمَّا في مصر فقد اشترط المؤتمرون خلال معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبيَّة عام ١٩٣٧م على مصرَ أن تستمدَّ تشريعها من القانون الغربيِّ، ومع زوال المحاكم المختلطة صدر القانون المدنيُّ عام ١٩٤٨م والَّذي ينصُّ في مادَّته الأولى على مصادر القانون، حيث جعل في مقدِّمة هذه المصادر التَّشريع الوضعيَّ، ثُمَّ العُرف الوضعيَّ(١).

وقد كان ذلك من أبرز أعمال الكيد الَّتي قام بها الاستعمار في البلاد الإسلاميَّة، فقد غذَّى ودعَّم مبدأ فصل الدِّين عن الدَّولة وسائر شؤون الحكم، وإلغاء الحكم الإسلاميِّ بشكلٍ نهائيٍّ، وإخضاع نظم البلاد المستعمرة للقوانين المدنيَّة الوضعيَّة الغربيَّة، كبديلٍ عن أحكام الشَّريعة الإسلاميَّة، كما سعى الاستعمار إلى إلغاء القضاء الشَّرعيِّ الإسلاميِّ والأوقاف الإسلاميَّة بمختلف وسائل المكر(٢).

ثانياً: علمنة الإعلام:

يُعدُّ الإعلام من أخطر الأدوات الَّتي استخدمها الغزاة للنَّيل من الإسلام، والعبث بعقول أبنائه، لِمَا للإعلام من تأثيرٍ كبيرٍ وخطيرٍ على قطاعاتٍ واسعةٍ من المجتمع المسلم، غير مقتصرٍ

---

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ١١٣، ١١٤.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٨١، ١٨٢.

على قطاعٍ دون قطاعٍ، فهو موجَّهٌ إلى المُتعلِّم وغير المُتعلِّم، ويصل إلى القارئ وغير القارئ، وذلك لتعدُّد وسائله، فمنها الوسائل البصريَّة مثل: الصُّحف والمجلَّات، ومنها الوسائل السَّمعيَّة مثل: الرَّاديو (المذياع)، ومنها الوسائل السَّمعيَّة البصريَّة مثل: التِّلفاز والسِّينما والفيديو، وغيرها[1]، إلى جانب الوسائل الإعلاميَّة الحديثة مثل الإنترنت، وما تفرَّع منه كمواقع التَّواصل الاجتماعيِّ.

لذا سارع أعداء الإسلام إلى علمنة التَّعليم، وذلك بدفع أعوانهم من الَّذين تربوا في حجورهم، إلى تصدُّر وسائل الإعلام والسَّيطرة عليها، وهؤلاء بدورهم قاموا بشنِّ غاراتٍ إعلاميَّةٍ مركَّزةٍ ضدَّ الإسلام، عبر إثارة بعض القضايا الفكريَّة والاجتماعيَّة المختلفة مثل قضيَّة المرأة وضرورة العمل على تحريرها من القيود الَّتي فرضها الإسلام عليها – بزعمهم –، وعبر إبراز الصُّور الخليعة الَّتي تخدش الحياء، وعرض الأزياء المخالفة للشَّريعة وضوابطها العامَّة في خطَّةٍ مبرمجةٍ ومُعدَّةٍ بدقةٍ وإحكامٍ؛ تهدف إلى تشويه صورة الإسلام، وإضفاء بريقٍ مُصطَنعٍ على الثَّقافة الغربيَّة اللَّادينيَّة[2].

ومن ثَمَّ تمَّ للاستعمار الغربيِّ السَّيطرة على وسائل الإعلام المختلفة لتوجيه الرَّأي العامِّ ضمن المخطَّطات الَّتي يضعها قادة أجنحة المكر[3].

ثالثاً: علمنة التَّعليم:

كان التَّعليم في البلاد الإسلاميَّة ولا يزال هدفاً من أهمِّ أهداف العلمانيَّة لِمَا له من أهميَّةٍ في صقل شخصيَّة الفرد المسلم، وتشكيل هوِّيته الفكريَّة والثَّقافيَّة، وتهذيب سلوكه الأخلاقيِّ، لذا فقد أصبح نزع الصِّبغة الدِّينيَّة من التَّعليم في البلاد الإسلاميَّة الشُّغل الشَّاغل لقادة الغزو الفكريِّ، فهم يعلمون أنَّه لا سبيل إلى تحويل المجتمعات الإسلاميَّة إلى النِّظام العلمانيِّ بشكلٍ كاملٍ إلَّا من خلال إقناع الأجيال المسلمة به كفكرٍ وأسلوبِ حياة، وأقصر الطُّرق لبلوغ ذلك وأقربها لتحقيقه هو علمنة التَّعليم في البلاد الإسلاميَّة على غرار ما حدث في الغرب، يقول المستشرق جب: "التَّعليم أكبر العوامل الصَّحيحة الَّتي تعمل للاستغراب، والحقُّ أنَّه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة التَّعليم ما تدلُّ عليه، ولا تستطيع الحكم على مدى الاستغراب في العالم الإسلاميِّ إلا بمقدار دراسة الفكر الغربيِّ والمبادئ والنُّظم الغربيَّة، إنَّ إدخال طرائقَ جديدةٍ في الفكر في البلاد

---

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ١١٢.

(٢) انظر: مجالات انتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي، محمد زين الهادي، ٩٩، دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٨٤.

الإسلاميَّة كان يتطلَّب نظاماً جديداً في التَّربية من عهد الطُّفولة في المدارس الابتدائيَّة والثَّانويَّة قبل الانتقال إلى الدِّراسات العاليَة ..."[1].

لذا فقد سار تلامذة المستشرقين من العلمانيين في بلاد المسلمين على خُطى أساتذتهم الأوروبيين في ذلك، وعملوا على تطبيق التَّعليم العلمانيِّ في المدارس الإسلاميَّة، وهذا ما تبجَّح به طه حسين مفتخراً بقوله: "والتَّعليم عندنا على أيِّ نحوٍ قد أقمنا صُروحه، ووضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي على النَّحو الأوروبي الخالص، ما في ذلك شكٌّ ولا نزاعٌ، نحن نكوِّن أبناءنا في مدارسنا الأوليَّة والثَّانويَّة والعاليَة تكويناً أوربيَّاً لا تشوبه شائبةٌ"[2].

وقد سارت خُطَّة علمنة التَّعليم في مسارين، هما[3]:

المسار الأوَّل: يقضي على التَّعليم الدِّينيِّ ويكتم أنفاسه، وذلك عبر سلوك مسلكين:

المسلك الأوَّل: التَّطويق من الخارج، وذلك بازدرائه، والسُّخرية من معلِّميه ومتعلِّميه، بالغمز واللَّمز بمختلف الوسائل سواء الرُّسوم السَّاخرة وهو ما يُعرف بالكاريكاتير أو الأفلام والمسلسلات والمسرحيَّات ليخلقوا صورةً مُشوَّهةً عن التَّعليم الدِّينيِّ في أذهان النَّاس، إلى جانب حصار خرِّيجي التَّخصُّصات الشَّرعيَّة، والمعاهد الدِّينيَّة عبر حرمانهم من التَّوظيف أو إبعادهم عن الوظائف المرموقة أو ذات الأهميَّة، وتدنِّي رواتبهم وغير ذلك.

المسلك الثَّاني: التَّطوير من الدَّاخل، وهذا ما نصح به المندوب السَّامي البريطانيُّ على مصر اللُّورد كرومر سنة ١٩٠٦م، وذلك للتَّخلُّص – في زعمه – من جمود الأزهر وتعصُّبه، وقد صدر بالفعل قانون تطوير الأزهر سنة ١٩٦١م، الأمر الَّذي أدَّى إلى تمييع الدِّراسات الدِّينيَّة الأزهريَّة.

المسار الثَّاني: العمل على نشر التَّعليم العلمانيِّ وتشجيعه في مراحله المختلفة، وبمناهجه المختلفة، وذلك من خلال ما يلي:

١- الاهتمام الزَّائد من قِبل الدَّولة بهذا النَّوع من التَّعليم، وإفساح المجال أمام خرِّيجيه للعمل في الوظائف العُليا والمُهمَّة.

٢- إرسال البعثات من خرِّيجي التَّعليم العلمانيِّ لِنَيْل الدَّرجات العلميَّة العليا، وإضفاء الهيبة والاحترام على حامليها.

---

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ١٠٥، ١٠٦.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ٣٩، دار المعارف – القاهرة، ط٢، بدون تاريخ.

(٣) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ١٠٧-١٠٩.

٣- فتح المدارس الأجنبيَّة لاستيعاب أبناء الطَّبقة الرَّاقية (الأرستقراطيَّة)، لتعليمهم اللُّغات الأجنبيَّة، ليلووا بها ألسنتهم، ويعزفوا عن لغة القرآن، وينفرون منها، ويتعلَّمون فيها التَّقاليد والأخلاق والمُثُل الغربيَّة.

٤- الاختلاط بين الجنسين في مراحل التَّعليم المختلفة، سالكين في ذلك طريق التَّدرُّج، وذلك بإجراء الاختلاط في المدارس الأجنبيَّة أوَّلاً ثُمَّ تعميم ذلك في المدارس الوطنيَّة، وإجرائه في المرحلة الابتدائيَّة ثم في المرحلة الإعداديَّة وما بعدها.

٥- محاربة اللُّغة العربيَّة، فإنَّ الغزاة يدركون ما لها من أهميَّةٍ بالنِّسبة للأُمَّة المسلمة باعتبارها من أهمِّ الرَّوابط الَّتي تحفظ وَحدة الأُمَّة الإسلاميَّة وقوَّتها، كما ويدرك الغزاة أنَّه لا سبيل إلى فهم منبع الوحي ومعينه الصَّافي القرآن الكريم والسُّنة المطهَّرة إلَّا بفهم قواعد اللُّغة العربيَّة وأُسُسها، من أجل ذلك صبَّ الغزاة حربهم على اللّغة العربية صبَّاً لعزل المسلمين عن لغة دينهم، وتوهين صلتهم بها، فعملوا على نشر اللُّغات العاميَّة ولهجاتها، ونشر اللُّغات الأجنبيَّة وآدابها وتاريخها، حتَّى أصبحت في واقعنا اليوم هي لغة التَّخاطب اليوميِّ بين شعوب الدُّول الإسلاميَّة، ويمكن ملاحظة نجاح الغزاة في هذه الحرب بوضوحٍ من خلال تتبُّع مقالات الصُّحف والجرائد والمجلَّات الَّتي تعجُّ بالأخطاء اللُّغويَّة والإملائيَّة، على أنَّ الَّذي يكتب هذه المقالات من طبقة المتعلِّمين والمثقَّفين فكيف بمن هم دونهم(١)؟!.

وقد ساهم الاستعمار في تكريس هذا المبدأ، فقد عمل على التَّخطيط للتَّعليم العلمانيِّ في المؤسَّسات التَّعليميَّة الوطنيَّة في الدُّول الإسلاميَّة الخاضعة لنفوذه، وتوجيهها لِمَا يحقِّق إبعاد كلِّ تعليمٍ إسلاميٍّ عنها، وقام بالضَّغط على التَّعليم الإسلاميِّ التَّقليديِّ، واتَّخذ كافة الوسائل المُمكنة لإلغائه بشكلٍ نهائيٍّ، كما قام الاستعمار الغربيُّ بافتتاح عددٍ من المدارس والجامعات العلمانيَّة في صورتيها المعادية للإسلام صراحةً، والمتظاهرة نحوه بالحياد كمدارس اللاييك(٢).

---

(١) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، عدنان علي رضا النحوي، ٨٩، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨م - ١٩٩٧م.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ١٨١، ١٨٢.

المطلب الثَّاني

موقف الميدانيِّ من العلمانيَّة

صحَّح الشَّيخ الميدانيُّ بعض المفاهيم الخاطئة الَّتي واكبت ظهور العلمانيَّة، فأوضح طبيعة العَلاقة بين العلم والعقل والدِّين، وفضح المنهج العلمانيَّ ودعاته بالحجج والبراهين والأدلَّة، وتتبَّع إفرازات العلمانيَّة وفشلها الذَّريع في جلب النَّفع أو السَّعادة للبشريَّة، وستتَّضح تفاصيل موقف الميدانيِّ من العلمانيَّة – إن شاء الله – من خلال المسائل التَّالية:

المسألة الأولى: العَلاقة بين العقل والعلم والدِّين:

أثبت الميدانيُّ استحالة تنافر بين العقل والعلم من جهةٍ والدِّين الصَّحيح من جهةٍ أخرى كما يزعم العلمانيُّون، وأوضح أنَّ العَلاقة بينها علاقةٌ تكامليَّةٌ بامتياز، وأنَّ الاستدلالات العقليَّة والاستنتاجات العلميَّة جزءٌ من طرق اكتساب المعرفة في التَّصوُّر الإسلاميِّ، كما فسَّر الميدانيُّ أسباب ظهور التَّناقض بين العلم والدِّين، وذلك من خلال ما يلي:

أوَّلاً: موقف الإسلام من العقل والعلم الصَّحيحين:

أبان الميدانيُّ وفي سياق بسطه للعَلاقة بين العقل الصَّريح والعلم الصَّحيح من جهةٍ وبين الدِّين من جهةٍ أخرى، أنَّهما إذا تعارضا مع الدِّين المحرَّف فإنَّ ذلك لا يعني أنَّهما يعارضان الدِّين الحقَّ غير المحرَّف وهو الدِّين الإسلاميُّ، فأوضح الشَّيخ أنَّ الإسلام لمَّا جاء ونادى بالوحدانيَّة، قدَّم على ذلك شهادةً من الله، وشهادةً من أولي العلم(1)، فجعل العقل العلميَّ شاهداً على حقيقة التَّوحيد، وناقش مخالفيه على أساسٍ من العقل والعلم، فلو كان البحث العلميُّ الإنسانيُّ سيُفضي إلى القطع بحقائق تتناقض مع الدِّين الإسلاميِّ لَمَا دعاه الإسلام لتقديم شهادته، ولما أرشد العلماء إليه، ودفعهم إلى الأخذ بوسائله، ثُمَّ ساق الشَّيخ طائفةً من النُّصوص القرآنيَّة الدَّالَّة على ذلك، وهي(2):

١- قول الله ﷻ: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١]، فهذه دعوةٌ للنَّاس إلى النَّظر العلميِّ للتَّعرُّف على حقائق ما في السَّماوات والأرض.

---

(١) يُشير الشيخ إلى قول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

(٢) انظر: كواشف زيوف، ١٨١، ١٨٢.

٢- قول الله ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠] ، فهذه دعوةٌ للنَّاس للسَّير في الأرض للبحث والتَّنقيب، لمعرفة كيفيَّة بداية الخلق.

٣- قول الله ﷻ: ﴿وَفِي الأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ*وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢٠، ٢١]، فهذه دعوةٌ للنَّاس لتوجيه أنظارهم إلى آيات الله الدَّالَّة على ربوبيَّته ووحدانيَّته في الأرض وفي الأنفس.

٤- قول الله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢]، وقوله ﷻ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١]، فقد أثبت الله سبحانه وتعالى وحدانيَّته بدلائل العقل وبراهينه المنطقيَّة.

٥- قول الله ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾ [الطُّور:٣٥]، فقد دلَّل الله سبحانه وتعالى على وجوده بالمنطق العقليِّ.

ثانياً: طرق اكتساب المعرفة في التَّصوُّر الإسلاميِّ:

نفى الميدانيُّ أن يكون الدِّين قسيماً مغايراً للعلم كما يُروَّج لذلك في أوساط المُثقَّفين الَّذين يحصرون العلم بما يتمُّ اكتسابه بالوسائل العلميَّة التَّجريبيَّة الحسِّيَّة فقط، لذا بسط الميدانيُّ طرق إثبات الحقائق العلميَّة في الفكر الإسلاميِّ، وهي على النَّحو التَّالي[1]:

١- المعرفة المباشرة، وتكون بالإدراك الحسِّيِّ، ولو بوسائل الأجهزة والآلات والأدوات الصِّناعيَّة أو الطَّبيعيَّة.

٢- الاستدلال العقليُّ بمختلف طرقه الاستنتاجيَّة والاستنباطيَّة.

٣- الخبر الصَّادق، وهو قسمان:

أ- إنسانيٌّ يعتمد عليه النَّاس في نقل الأخبار والمعارف المختلفة، بعضهم عن بعض.

ب- عن طريق الوحي الربَّانيِّ الَّذي يختصُّ به الله المُصطفين من عباده، وثقة النَّاس بالمبلِّغ عن الوحي مشروطةٌ بأن يكون مؤيَّداً من الله بالمعجزة، الَّتي تُعتبر بمثابة الشَّهادة من الله له بالصِّدق فيما يبلِّغ عنه.

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ١٧٤، ١٧٥.

ثالثاً: أسباب ظهور التَّناقض بين العلم والعقل والدِّين:

يرى الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ ما قد يظهر من تناقضٍ بين العقل والعلم من جهةٍ وبين الدِّين من جهةٍ أخرى فإنَّ مردَّه إلى أحد الاحتمالات التَّالية(١):

الاحتمال الأوَّل: أن يكون ما نُسب إلى العقل أو العلم لم يصل إلى درجة الحقيقة المقطوع بها، كالفرضيَّات والنَّظريَّات الَّتي لم ترقَ إلى مستوى الحقائق العلميَّة.

الاحتمال الثَّاني: أن يكون ما نُسب إلى الدِّين غير قطعيِّ الثُّبوت، أو ضعيفٌ لا يُحتجُّ به.

الاحتمال الثَّالث: أن يكون فهم النَّصِّ فهماً اجتهاديَّاً ضعيفاً، أو ظنيَّاً يتطرق إليه الاحتمال، فهو غير مقطوعٍ به، أو مجانباً للصَّواب مردوداً بأدلَّةٍ أقوى منه، فوِزرُ هذا الاجتهاد يُردُّ على صاحبه وليس على الدِّين.

وكلام الميدانيِّ هذا يعني استحالة وقوع تناقضٍ حقيقيٍّ بين العقل الصَّريح والعلم الصَّحيح، وبين النُّصوص الدِّينيَّة الإسلاميَّة ذات الدِّلالة القطعيَّة، وهو بذلك يَردُّ الفرية التي يُلصقها دعاة العلمانيَّة بالدِّين الإسلاميِّ، من أنَّه كغيره من الأديان يناقض في بعض نصوصه أدلَّةً عقليَّة أو حقائق علميَّةً، وهي الفرية الَّتي فندَّها من قبل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قاصراً أيضاً أسباب ظهور التَّناقض على هذه الاحتمالات الثَّلاثة، فقد قال دافعاً شبهة التَّناقض بين العقل والنَّقل: "ومتى تعارض في ظنِّ الظانِّ الكتاب والميزان، النَّصُّ والقياس الشَّرعيُّ أو العقليُّ فأحد الأمرين لازمٌ: إمَّا فساد دلالة ما احتجَّ به من النَّصِّ، إمَّا بأن لا يكون ثابتاً عن المعصوم أو لا يكون دالَّاً على ما ظنَّه، أو فساد دلالة ما احتجَّ به من القياس سواءً كان شرعيَّاً أو عقليَّاً بفساد بعض مقدِّماته أو كلِّها لما يقع في الأقيسة من الألفاظ المجملة المشتبهة"(٢).

ويقول أيضاً: "النُّصوص الثَّابتة في الكتاب والسُّنة لا يعارضها معقولٌ بيِّنٌ قط، ولا يعارضها إلَّا ما فيه اشتباهٌ واضطرابٌ، وما عُلم أنَّه حقٌّ لا يعارضه ما فيه اضطرابٌ واشتباهٌ لم يُعلم أنَّه حقٌّ"(٣).

فالله سبحانه وتعالى خلق العقل ليعقل به شرعه ويفهمه، فلا يجوز في حقِّ العقل أن يردَّ شيئاً من الوحي – القرآن والسنة –، فالشَّريعة كلُّها بأخبارها وأحكامها ليس فيها ما يُعلم بطلانه

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ١٧٩، ١٨٠، وانظر: العقيدة الإسلامية وأُسُسها، ٩٠.

(٢) الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين الكبتي، مراجعة، محمد طلحة بلال منيار، ٤١٨، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ١/٨٥، دار الكنوز الأدبية – الرياض، بدون رقم طبعة، ١٣٩١هـ.

بالعقل، بل إنَّ كلَّ ما يدركه العقل من مسائلها فهو يشهد له بالصِّحة تصديقاً وتعضيداً، وما قصر العقل عن إدراكه من مسائل الشَّريعة، فهو راجعٌ لعظم الشَّريعة وتفوُّقها، ومع هذا فليس في العقل ما يمنع وقوع ما عجز عن إدراكه؛ لأنَّ الشَّريعة قد تأتي بما يحير العقول، لا بما تُحيله العقول[1].

لذا فلا مندوحة لأحدٍ كائنٍ من كان أن يزعم وجود تناقضٍ بين العلم والعقل من جهة والدِّين الإسلاميِّ من جهةٍ أخرى، وليس من العدل أو الإنصاف أن يحمل الإسلام وزر ما حُرِّف من الأديان السَّابقة، وبفعل هذا التَّحريف وقع كثيرٌ من التَّناقض بين النُّصوص الدِّينيَّة المحرَّفة وبين العلم والعقل، لذا فقد أجاد العلماء والمفكرون كالميدانيِّ رحمه الله في دحض هذه الشُّبهة بما يلُجم الخصوم، ويُلزمهم التَّسليم.

---

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان علي حسن، ١/٣٥٢، مكتبة الرشد ناشرون – الرياض، ط٦، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

المسألة الثَّانية: فضح العلمانيَّة ودعاتها:

وضمن منهج الميدانيِّ في تعرية المذاهب والأفكار الكفريَّة والمنحرفة، كشف عن سبب التَّباين الجزئيِّ في مواقف بعض دعاة العلمانيَّة، وأرجع السبب وراء ذلك إلى تلوُّن العلمانيَّة وارتدائها رداءين(١):

أحدهما: رداء الحياد تجاه العقائد والعبادات الدِّينيَّة المحضة، والتَّظاهر بعدم الرَّغبة في إلغاء الدِّين بشكلٍ كليٍّ، بل ما يريدوه هو فقط حصر الدِّين في مجالات تخصُّصه، وألَّا يتدخَّل الدِّين في شؤون الحياة؛ لأنَّ تدخُّله يفسدها، ويعوق مسيرتها وتقدُّمها وارتقاءها، ويزعم هؤلاء أنَّ تعاليم الدِّين الحقِّ غير صالحةٍ؛ لأنَّها غير علميَّةٍ ولا عقليَّةٍ.

وكشف الميدانيُّ أن لبس هذا الرِّداء هو مجرَّد نفاقٍ لأنصار الدِّين وأتباعه في الأرض، وهو نفاقٌ سياسيٌّ مرحليٌّ، يعتمد أسلوب التَّدرُّج، وهي مع هذا النِّفاق تعمل على تشجيع الدِّراسات الفلسفيَّة المعادية للدِّين وتقوم بتبنِّيها، وتشجيع كلِّ مذهبٍ فكريٍّ قائمٍ على الإلحاد والكفر بكلِّ الأديان، فإذا تمكَّنت العلمانيَّة فَتَكَت بالدِّين وأجهزت عليه إجهازاً كلِّيَّاً، ثُمَّ تعلن الحرب عليه وتلبس الرِّداء الثَّاني.

الثَّاني: رداء إعلان العداء والحرب على الدِّين كلِّه، والسَّعي بكلِّ قوَّةٍ لإلغائه إلغاءً كلِّيَّاً، وإحلال المادِّيَّة، ومفاهيم التَّطوُّر الذَّاتيِّ، والإلحاد بالله، والكفر بكلِّ القيم الدِّينيَّة محلّ الدِّين، ولتصبح هذه الموبقات عقيدةً سائدةً في كلِّ المجتمعات الإنسانيَّة.

لذا فإنَّ الشَّيخ الميدانيَّ يرى أنَّ العَلمانيَّة في أحسن أحوالها ما هي إلا شعارٌ يتستَّر بالعلم، وبالتزام ما تثبته الحقائق العلميَّة، ويوحي ضمناً، أو يعلن صراحةً أنَّ الدِّين يتناقض مع العلم.

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ١٦٤، ١٦٥.

المسألة الثَّالثة: موقف الميدانيِّ من بعض منتجات العلمانيَّة:

يرى الميدانيُّ بأن الاتِّجاه العلمانيَّ قد أنتج العديد من المذاهب المتناقضة في شتَّى مجالات الحياة، وأنَّ ذلك أمراً حتمياً لكونه في النِّهاية منهجٌ بشريٌّ غير معصومٍ، لا يملك الوصول لما هو أصلح وأقوم للنَّاس، ولأنَّه منهجٌ بشريٌّ لا يأمن من تدخُّل أو تأثير الأهواء أو الشَّهوات أو المصالح فيه، ومن بين المذاهب التي أفرزها الأخذ بالمنهج العلمانيِّ في المجال السِّياسيِّ: الدِّيمقراطيَّة، وفي المجال الاقتصاديِّ: الرأسماليَّة[1]، وقد كان للميدانيِّ في هذين المذهبين رأياً واضحاً يمكن إبرازه فيما يلي:

أوَّلاً: موقف الميدانيِّ من (الدِّيمقراطيَّة)[2]:

اقترنت الدِّيمقراطيَّة بالعلمانيَّة منذ اللَّحظات الأولى لثورة الغرب على الكنيسة، فقد كانت صيحة الثَّورة الفرنسيَّة (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)، فاعتبر الغرب العلمانيَّة انتصاراً له على طغيان الكنيسة وهيمنتها على شؤون الحياة، واعتبر الدِّيمقراطيَّة انتصاراً له على طغيان الملوك والحكَّام في العصور الوسطى، لذا فقد كان ميلاد الدِّيمقراطيَّة مواكباً لميلاد العلمانيَّة[3].

لذلك فإنَّ الكثير من المفكِّرين يعتبرون الدِّيمقراطيَّة الوجه السِّياسيَّ للعلمانيَّة، ومن بينهم الدُّكتور عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، ويمكن توضيح موقف الشَّيخ الميدانيِّ من الدِّيمقراطيَّة على النَّحو التَّالي:

١- إيجابيَّات النُّظُم الدِّيمقراطيَّة:

أشار الميدانيُّ – من باب الإنصاف – إلى ما أبرزه الدِّيمقراطيُّون الغربيُّون من حسناتٍ إيجابيَّاتٍ للدِّيمقراطيَّة، وذلك على النَّحو التَّالي[4]:

أ- المساواة المدنيَّة أمام القانون، والقضاء، والوظائف العامَّة، والضَّرائب، دون تمييزٍ بسبب العنصر، أو اللَّون، أو الجنس، أو اللُّغة، أو الدِّين، ودون تفريقٍ بين الرِّجال والنِّساء.

ب- حقُّ كلِّ فردٍ في الحياة والحرِّيَّة والأمن الشَّخصيِّ.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ١٦٦، ١٦٧.

(٢) الديمقراطية (Democracy) كلمة مشتقة من لفظتين يونانيتين، الأولى (Demos) وتعني الشعب، والثانية (Kratos) وتعني السلطة، فمعنى كلمة الديمقراطية هو الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب. انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ١٧٨، والديمقراطيَّة تعني: "حكم الشعب نفسه، بنفسه، لنفسه" أو حكم الشعب للشعب ومن الشعب". كواشف زيوف ٧١٧.

(٣) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ١١٩.

(٤) انظر: كواشف زيوف، ٧٢٤، ٧٢٥، بتصرُّف.

ت- لكلِّ فردٍ حرِّيَّة التَّنقُّل واختيار محلِّ إقامته داخل حدود الدَّولة، وأن يغادر أيَّ بلدٍ بما في ذلك بلده كما يحقُّ له العودة إليه متى شاء.

ث- لكلِّ فردٍ حقُّ الأمن على نفسه وماله، فلا يجوز الاعتداء عليه إلا بمسوِّغٍ قانونيٍّ.

ج- يولد جميع النَّاس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، فلا يجوز استرقاق أو استعباد أيِّ شخصٍ.

ح- من حقِّ كلِّ فردٍ أن لا يتدخَّل أحدٌ في حياته أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته تدخُّلاً تعسُّفيَّاً، وأن لا يكون عرضةً لحملاتٍ على شرفه وسمعته.

خ- حرِّية التَّفكير، والعقيدة، والتَّعبير عن الرأي والتَّعليم والتَّعلُّم واختيار المعلِّم، وتقديم العرائض والشَّكاوى مصونةٌ لكلِّ فردٍ، وهي من حقوقه.

د- للأفراد حقُّ عقد الاجتماعات وحضورها والتَّعبير عن آرائهم فيها، وحرِّيَّة تكوين الجمعيَّات والجماعات، والانضمام إليها ولا يجوز أيضاً إلزامه بالانتماء إلى أيَّة جمعيَّةٍ أو جماعةٍ أو تنظيمٍ أو حزبٍ.

ذ- الحرِّيَّة الاقتصاديَّة مصونةٌ للجميع، وكلُّ فردٍ حرٌّ في اختيار العمل الَّذي يريد، ولكلِّ فردٍ الحقُّ بأن يتملَّك ما يشاء من أدوات الإنتاج، أو الموادِّ الاستهلاكيَّة، وملكيَّته هذه حقٌّ مقدَّسٌ لا يجوز المساس به، أو الاعتداء عليه، وله أن يوظِّف ملكيَّته كما يشاء، وبالطَّريقة الَّتي يريد.

ولدى تعليق الميدانيِّ على ما أبرزه الدِّيمقراطيُّون الغربيُّون من إيجابيَّات الدِّيمقراطيَّة، أكَّد على أنَّ الإسلام له في كلِّ جزئيَّةٍ من هذه الجزئيَّات حُكمٌ خاصٌّ، يراعي فيه حقَّ الله على عباده، وحقَّ الدَّولة الإسلاميَّة، وحقَّ الدِّين ونشره، وحقَّ المجتمع المسلم، وحقَّ الفرد المسلم، وحقوق غير المسلمين الَّذين يعيشون في ظلِّ الدَّولة الإسلاميَّة، ويراعي الحقَّ والعدل والمصلحة العامَّة والخاصَّة(١).

(١) انظر: كواشف زيوف، ٧٢٦.

٢- عيوب النُّظم الدِّيمقراطيَّة:

عدَّد الميدانيُّ عيوب الدِّيمقراطيَّة ومساوئها، وذلك على النَّحو التَّالي[١]:

أ- لا تنظر الدِّيمقراطيَّة إلى حقوق الله على عباده، ولا تنظر بعدلٍ إلى الحقوق العامَّة، وحقوق المجتمع على الأفراد، فهي منحازةٌ بإسرافٍ لجانب الفرد وإطلاق حرِّيَّته.

ب- تخضع الدِّيمقراطيَّة لدى وضع الدُّستور والقوانين والنُّظم لأهواء أعضاء المجالس النِّيابيَّة، واللِّجان الَّتي تُفوَّض في وضعها، أو وضع مشروعاتها.

ت- إنَّ الدِّيمقراطيَّة باعتبارها تنادي بأنَّ الدِّين لله والوطن للجميع، وأنَّ شأن الأقليَّات في الدَّولة كشأن الأكثريَّة في الحقوق والواجبات، تمكِّن الأقليَّات من التَّكاتف والتَّناصر، لاستغلال الوضع الدِّيمقراطيِّ، ضدَّ الأكثريَّة ومبادئها وعقائدها ودينها، وتمكِّنها أيضاً من التَّسلل إلى مراكز القوَّة في البلاد، ثُمَّ إلى طرد عناصر الأكثريَّة رويداً رويداً من هذه المراكز، بوسائل الإغراء، وبمساندة الدُّول الخارجيَّة المرتبطة بالأقليَّات ارتباطاً عقديَّاً، أو مذهبيَّاً، أو سياسيَّاً، أو قوميَّاً، أو غير ذلك.

ث- الدِّيمقراطيَّة وَفق مبادئها المُعلنة حقلٌ خصيبٌ جدَّاً، لتنمية أنواع الكذب والخداع والمكر والحيلة والدسِّ الخبيث والغشِّ والخيانة والغدر والغيبة والنَّميمة والوقيعة بين النَّاس وتفريق الصُّفوف ونشر المذاهب والآراء الضَّالَّة الفاسدة المفسدة، إلى سائر مجمع الرَّذائل الخُلُقيَّة الفرديَّة والجماعيَّة؛ لتُتَّخذ هذه الرَّذائل وسائل وأحابيل للشَّياطين، حتَّى يستأثروا بكلِّ السُّلطات في البلاد، وكلِّ خيراتها وثرواتها وحتَّى يتمكَّنوا من مطاردة الدِّين وأنصاره وحماته والمتمسِّكين به، وإماتة الحقِّ والخير والفضيلة.

ج- الحريَّات الشَّخصيَّة في الدِّيمقراطيَّة حرِّيَّاتٌ مسرفةٌ، تُفضي إلى شرورٍ كثيرةٍ وانتشار فواحشَ خطيرةٍ في المجتمع ومآلها إلى الدَّمار الماحق.

ح- الحرِّيَّات الاقتصاديَّة في الدِّيمقراطيَّة حرِّيَّاتٌ مُسرفةٌ، تُفضي إلى عدوان المحتالين على حقوق الشّرفاء ونشر الاستغلال والاحتكار، وحِيَل سلب الأموال وتمكين الغشَّاشين والمُقامرين والمرابين والمحتكرين والمحتالين ومستغلي السُّلطة الإداريَّة أو العسكريَّة من تحقيق مكاسبَ ماليَّةٍ وفيرةٍ بالظُّلم والعدوان وهضم الحقوق وأكل أموال النَّاس بالباطل والغلول في الأموال العامَّة.

(١) انظر: كواشف زيوف، ٧٣١-٧٣٣، بتصرُّف.

خ- حقُّ كلِّ مواطنٍ في المساواة السِّياسيَّة في الحكم، دون شرط الإسلام والعدالة الشَّرعيَّة والأهليَّة للمشاركة في الرَّأي أو المساهمة في الاقتراع أو الانتخاب والاختيار، يُفضي إلى نسف دعائم الدَّولة الإسلاميَّة، وجعلها علمانيَّةً غير دينيَّةٍ، أو تمكين الأرذال من اعتلاء سلطة الحكم.

د- حقُّ الفرد في ترشيح نفسه للحكم في الدِّيمقراطيَّة، يجعل طلَّاب مغانم الحكم يتنافسون عليه، ويتقاتلون من أجله، ويسلكون مسالكَ كثيرةً غير شريفةٍ للوصول إليه، ويبذلون أموالاً طائلةً، أملاً بأن يعوِّضوها أضعافاً مضاعفةً، متى ظفروا بالحكم.

٣- المقارنة بين الدِّيمقراطيَّة ونظام الحُكم الإسلاميِّ:

عقد الشَّيخ مقارنةً بين الدِّيمقراطيَّة ونظام الحكم في الإسلام ليردَّ على مَن يزعم مِن المُتحمِّسين للدِّيمقراطيَّة بأنَّها مطابقةٌ تماماً لما جاء به الإسلام من تنظيم لشؤون الحكم، وقد عرَّى الميدانيُّ من خلال هذه المقارنة عورات الدِّيمقراطيَّة، وكشف عن مثالبها وسوءاتها، وبرهن على أنَّها مهما ارتقت تبقى عاجزةً عن الوصول إلى تحقيق مصالح النَّاس وتقويم شؤونهم، وكانت المقارنة على النَّحو التَّالي(١):

أ- الدِّيمقراطيَّة تجعل الحكم للشَّعب، وتستبعد حقَّ الله في الحكم، بينما الحكم في الإسلام إنَّما هو لله وحده.

ب- الدِّيمقراطيَّة لا تُقرُّ بأحكام الشَّرع ووجوب تنفيذها أوَّلاً، بينما نظام الحكم في الإسلام يفرض أوَّلاً العمل بكلِّ حكمٍ شرعيٍّ ثابتٍ.

ت- الدِّيمقراطيَّة تعزل الدِّين عزلاً كلِّيَّاً عن شؤون الحكم، بينما نظام الحكم في الإسلام يستمدُّ أحكامه من النُّصوص الدِّينيَّة والتَّطبيقات النَّبويَّة.

ث- الدِّيمقراطيَّة يدخل فيما تضعه من دساتيرَ أو قوانينَ الدَّخن؛ لاختلاط أهواء الكثرة من الشَّعب أو الَّذين انتخبهم فيها، بينما نظام الحكم في الإسلام ربَّانيٌّ لا تعتريه أهواء وشهوات وزلَّات البشر.

ج- الدِّيمقراطيَّة تقوم على تمجيد الفرد، وإعطائه الأولويَّة، وتعتبر أنَّ تحقيق مصلحة الفرد هو تحقيقٌ لمصلحة المجموع، بينما نظام الحكم في الإسلام قائمٌ على العدل والحقِّ، دون جنوحٍ للفرد على حساب حقِّ الجماعة أو حقِّ الله ورسوله أو حقِّ الدَّولة الإسلاميَّة، ولا جنوحٍ للجماعة على حساب حقِّ الفرد أو حقِّ الله ورسوله، أو حقِّ الدَّولة الإسلاميَّة.

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٧١٨-٧٢٣.

ثانياً: موقف الميدانيِّ من (الرَّأسماليَّة)(١):

يعتبر كثيرٌ من المفكِّرين الرَّأسماليَّة الوجه الاقتصاديَّ للعلمانيَّة، فهي تُنحِّي الدِّين في جميع أنظمتها وأحكامها، ومن بين هؤلاء المفكِّرين الدُّكتور عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، ويمكن توضيح موقف الشَّيخ الميدانيِّ من الرَّأسماليَّة على النَّحو التَّالي:

١- إيجابيَّات النُّظم الرَّأسماليَّة:

نقل الميدانيُّ - من باب الإنصاف - إيجابيَّات النُّظم الرَّأسماليَّة الَّتي أشار إليها الباحثون الاقتصاديُّون، وأبرزها ما يلي(٢):

أ- إطلاق الحافز الفرديِّ، فبإطلاقه تتقدَّم الصِّناعة، ويزدهر الاقتصاد.

ب- إتاحة المنافسة بين الأفراد.

ت- إتاحة الحرِّيَّات الاقتصاديَّة.

وقد عاب الميدانيُّ على هذه الإيجابيَّات أنَّها لا تلتزم بقيودٍ تحول دون وقوع الظُّلم والعدوان على الغير، ووجَّه إلى أنَّ النِّظام الاقتصاديَّ الإسلاميَّ راعى كلَّ هذه الإيجابيَّات إضافةً إلى غيرها من الأحكام الاقتصاديَّة، لكنَّ الإسلام وضع لها قيوداً وضوابطَ؛ وذلك لمنع الظُّلم والعدوان على حقوق الآخرين(٣).

٢- سلبيَّات النُظُم الرَّأسماليَّة:

نقل الميدانيُّ سلبيَّات النُّظم الرَّأسماليَّة الَّتي أشار إليها النَّاقدون الاقتصاديُّون، وهي على نحو ما يلي(٤):

أ- إطلاق الحرِّيَّة الفرديَّة بشكلٍ يُشجِّع على الاستغلال والإضرار بالغير.

ب- إتاحة الفرصة لكبار أصحاب رؤوس الأموال من توجيه السُّلطة السِّياسيَّة - بقوَّة المال - إلى ما يُحقِّق أغراضهم.

ت- التَّشجيع على سيادة الغرائز المادِّيَّة البحتة.

ث- توليد الرَّغبة في استعمار الشُّعوب واستغلالها، وامتصاص ثرواتها.

ج- إتاحة الفرصة لجعل المال دُولَةً بين الأغنياء فقط، وحرمان الغالبيَّة العظمى منه.

---

(١) تُعرَّف الرأسماليَّة بأنها: "نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسيَّة، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضروريَّة والكماليَّة، وتنمية الملكيَّة الفرديَّة والمحافظة عليها، مُتوسِعاً في مفهوم الحريَّة، مُعتمِداً على سياسة فصل الدين نهائياً عن الحياة". الموسوعة الميسَّرة، ٩١٠.

(٢) انظر: كواشف زيوف، ٦٤٧، ٦٤٨.

(٣) انظر: المصدر السَّابق، ٦٤٩.

(٤) انظر: المصدر السَّابق، ٦٤٩، ٦٥٠.

وقد صدَّق الميدانيُّ على هذه السلبيَّات، وأرجعها إلى عدَّة أسباب، وهي[١]:

السَّبب الأوَّل: خلوُّ النُّظم الرَّأسماليَّة من الوازع الدِّينيِّ.

السَّبب الثَّاني: خلو النُّظم الرَّأسماليَّة من الضَّوابط والقيود الَّتي تجلب المنافع، وتدفع الاستغلال والعدوان على حقوق الغير.

السَّبب الثَّالث: قيام النُّظم الرَّأسماليَّة على بواعثَ أنانيَّةٍ فرديَّةٍ دون أدنى شعورٍ بالمسؤولية تجاه الجماعة.

٣- المقارنة بين النِّظام الاقتصاديِّ الإسلاميِّ والرَّأسماليَّة:

عقد الميدانيُّ مقارنةً بين النِّظام الاقتصاديِّ الإسلاميِّ، وبين النُّظم الرَّأسماليَّة، وأبان من خلالها كمال التَّشريع الإسلاميِّ في النَّاحيَة الاقتصاديَّة، ومراعاته لحاجات النَّاس ومصالحهم، والحفاظ على حقوق الفرد والجماعة والدَّولة الإسلاميَّة دون إخلالٍ أو إضرارٍ بحقِّ أيِّ طرفٍ من هذه الأطراف، كما كشف الميدانيُّ من خلال هذه المقارنة عن الكثير من الثَّغرات والعيوب الَّتي تحويها النُّظم الرَّأسماليَّة، وقد كانت المقارنة على النَّحو التَّالي[٢]:

أ- النِّظامُ الاقتصاديُّ الإسلاميُّ منهجٌ ربانيٌّ، فهو استنباطٌ من النُّصوص الإسلاميَّة والتَّطبيقات النَّبويَّة، لذا فإنَّها حتماً الأصلح والأنفع للنَّاس باعتبار أنَّ واضعها هو الله، وهو أعلم بما يُصلِح عباده وينفعهم، وما فيه خيرُهم وسعادتُهم، أمَّا النُّظم الرَّأسماليَّة فهي نتاجُ آراء الناس وأفكارهم، وهي في غالب أحوالها لم تَنجُ من تأثير أهوائهم وشهواتهم أو نزعاتهم الأنانيَّة.

ب- النِّظامُ الاقتصاديُّ الإسلاميُّ منهجٌ ملائمٌ للفطرة الإنسانيَّة، ومصلحة المجتمع البشريِّ، وهو قائمٌ في أحكامه على الحقِّ والعدل دون انحيازٍ للفرد على حساب الجماعة، أو انحيازٍ للجماعة على حساب الفرد، أمَّا النُّظم الرَّأسماليَّة فهي مُسرفةٌ في انحيازها وجنوحها إلى الفرد على حساب حقوق الجماعة.

ت- النِّظامُ الاقتصاديُّ الإسلاميُّ يقرِّر أن المُلك كلَّه لله، وهو سبحانه من يملك من يُملِّك من يرتضي من عباده، ضمن ضوابط الحقِّ والعدل والخير، الَّتي تقتضيها حكمتُه وعلمُه الشَّامل، ومن ثَمَّ تنتج بعض القيود على الكسب، فتجعل منه حلالاً مشروعاً، وتجعل منه حراماً ممنوعاً، أمَّا النُّظم الرَّأسماليَّة فإنَّها لا ترتضي تدخُّل الدِّين في شؤونها وأحكامها بإطلاق.

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٦٥٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٦٢٩-٦٤٥.

ث- النِّظامُ الاقتصاديُّ الإسلاميُّ يقوم على التَّرغيب في التَّسابق في أعمال البرِّ والإحسان؛ ابتغاء مرضاة الله ﷻ، وفي ذلك انسجامٌ مع أصل الغاية من الخلق، وحكمة الابتلاء في الحياة الدُّنيا، أما النُّظم الرَّأسماليَّة فتلهثُ وراء الرِّبح الدُّنيويِّ، والمنافع العاجلة.

ج- النِّظامُ الاقتصاديُّ الإسلاميُّ يحثُّ على العمل الحرِّ، ضمن الحدود المأذون بها شرعاً، وفي مجالاتٍ متنوِّعةٍ ومتعدِّدةٍ، منها ما يلي:

١/ **مجال الاستثمارات:** ويدخل فيه استثمار واستنتاج وحداتٍ طبيعيَّةٍ جديدةٍ، كالاستثمارات الزِّراعيَّة، والاستنتاجات الحيوانيَّة، وما يلحق بهما.

٢/ **مجال الاستخراجات:** ويدخل فيها كلُّ ما يمكن حيازته ممَّا أودع الله في أرضه، من بَرِّها كالنَّفط والمعادن، أو من بحرها كالجواهر والحليِّ والثَّروات الحيوانيَّة، أو من جوِّها كالصَّيد.

٣/ **مجال التَّصنيع:** ويشمل كلَّ عملٍ يقوم على تحويل هيئة الموادِّ الأوَّليَّة إلى صُورٍ تركيبيَّةٍ أو تحليليَّةٍ جديدةٍ، تحقِّق مصالحَ ومنافعَ للنَّاس.

٤/ **مجال الخدمات الخاصَّة أو العامَّة:** ويشمل أعمال التِّجارة، والإدارة، والتَّربيَة، النَّقل، والصِّيانة، وغيرها.

٥/ **مجال البحث العلميِّ والفنيِّ:** والَّذي من شأنه أن يُعليَ من الحضارات والمدنيَّات، ويُساهم في تقدُّم الأُمم، ويضمن استمرارَ رُقيِّها وازدهارها.

لكن وعلى الرَّغم من فتح النِّظام الاقتصاديِّ الإسلاميِّ لهذه الآفاق الواسعة من مجالات العمل المختلفة والمتنوِّعة، إلَّا أنَّه وضع مجموعةً من الضَّوابط والقيود الَّتي تصون حقوقَ الجميع، وهي على النَّحو التَّالي:

١/ تحريم كلِّ عملٍ فيه إضرارٌ بالفرد، أو عدوانٌ على حقٍّ من حقوقه.

٢/ تحريم كلِّ عملٍ فيه إضرارٌ بالمجتمع، أو عدوانٌ على حقٍّ من حقوقه.

٣/ تحريم كلِّ عملٍ فيه إضرارٌ بالدَّولة الإسلاميَّة، أو عدوانٌ على حقٍّ من حقوقها.

٤/ تحريم كلِّ عملٍ فيه إضرارٌ بمبدأ من مبادئ الإسلام ذات الصِّلة بالعقائد أو بالشَّرائع كتحريم صناعة الأوثان والخُمور.

أمَّا النُّظم الرَّأسماليَّة فلا تأخذ بعين الاعتبار معظم هذه القيود، وبالتَّالي فلابدَّ أن يقع الإضرار بواحدةٍ أو أكثر من هذه الأطراف.

ح- النِّظامُ الاقتصاديُّ الإسلاميُّ يُدعِّم روابط المجتمع بمختلف أنواع الصِّلات الماليَّــة، كنظام الميراث والهبة، وغيرهما، أمَّا النُّظم الرَّأسماليَّة فلا يوجد فيها هذا النَّوع من الصِّلات إلَّا على نطاقٍ ضيِّقٍ جدًّا، وقد حلَّت بدلاً منها الرِّشوة لشــراء الضَّــمائر، والرِّبا، والميسر، والمكر، وغيرها مما يورِّث التَّحاسدَ والتَّنافرَ والبغضاءَ والتَّقاتــلَ بين النَّاس.

خ- النِّظامُ الاقتصاديُّ الإسلاميُّ يحثُّ على التَّعاون الجماعيِّ بين أفراد المجتمــع كــلٌّ حسب استطاعته الماليَّة بِنِسَبٍ مُعيَّنةٍ؛ لتحقيق مبدأ التَّكافل الاجتمــاعيِّ، ومســاعدة المُحتاجين، وذلك بفرض الزَّكاة الَّتي هي من أركان الإسلام الكبرى، والحثِّ علــى الصَّدقة، أمَّا النُّظم الرَّأسماليَّة فخاليةٌ من ذلك، إلَّا أنَّها بدأت مؤخَّراً بابتكار ضماناتٍ وخدماتٍ اجتماعيَّةٍ لمساعدة ذوي الحاجات.



المبحث الثاني

القوميَّة وموقف الميدانيِّ منها

- المطلب الأوَّل: القوميَّة وتعريفُها ونشأتُها وأهدافُها
- المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من القوميَّة

المطلب الأوَّل
القوميَّةُ وتعريفُها ونشأتُها وأهدافُها

القوميَّة هي إحدى أهمِّ الوسائل الَّتي ساهمت في تغريب المجتمعات الإسلاميَّة، فبعد أن جرَّبها الغربُ وذاق علقمها، وبعد أن عملت على تفسيخ المجتمعات الغربيَّة، ونشر التَّباغض والتَّحاسد والتَّناحر فيما بينها، وبعد ما جلبت عليهم الويلات، وما جرَّته عليهم من نكباتٍ، دفعتهم عداوتُهم للإسلام وحقدُهم على المسلمين لتصدير بضاعتهم المُزجاة إلى بلدان العالم الإسلاميِّ، ليُشربوها من نفس الكأس، ويُجرِّعوها ذات السُّموم، فزيَّنوا لهم شعار القوميَّة بهدف إعادة المسلمين للتَّنادي بدعوى العصبيَّة الجاهليَّة من جديدٍ، وسيحاول الباحث – إن شاء الله تعالى – أن يبرز تعريفَ القوميَّة وظروفَ نشأتها، والأهداف الَّتي ترمي إلى تحقيقها من خلال المسائل التَّالية:

المسألة الأولى: تعريف القوميَّة:

أوَّلاً: التَّعريف اللُّغويُّ:

القوميَّةُ مصدرٌ مشتقٌّ من لفظة قومٍ، وقومُ كلِّ رجلٍ شيعته وعشيرته، وهي للجماعة من الرِّجال والنِّساء، وقيل هي للرِّجال دون النِّساء ويُقوي ذلك قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ [الحجرات:١١]، فلو كانت النِّساء من القوم لم يقل ولا نساءٌ من نساءٍ، وقال ابن الأثير: وسُمُّوا بذلك لأَنَّهم قوَّامون على النِّساء بالأُمور الَّتي ليس للنِّساء أَن يقمن بها، وقال الجوهريُّ: القوم الرِّجال دون النِّساء ولا واحدَ له من لفظه، وربَّما دخل النِّساء فيه على سبيل التَّبع؛ لأَنَّ قومَ كلِّ نبيٍّ رجالٌ ونساءٌ، والقوم يُذكَّر ويُؤَنَّث؛ لأَنَّ أَسماء الجموع الَّتي لا واحدَ لها من لفظها إذا كانت للآدميين تُذكَّر وتُؤنَّث مثل رهطٍ ونفرٍ وقومٍ، قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ﴾ [الأنعام:٦٦] فذكَّر، وقال ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥] فأنَّث(١).

ثانياً: التَّعريفُ الاصطلاحيُّ:

تعدَّدت تعريفاتُ الباحثين والمفكِّرين للقوميَّة بشكلٍ عامٍّ والقوميَّة العربيَّة بشكلٍ خاصٍّ، ويرجع هذا التَّعدُّد لاختلاف نظرتهم إلى القوميَّة، وهذه بعضُ تعريفاتها:

١- جاء في الموسوعة الميسَّرة معنى القوميَّة العربيَّة بأنَّها: "حركةٌ سياسيَّةٌ فكريَّةٌ متعصِّبةٌ، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولةٍ موحَّدةٍ لهم، على أساسٍ من رابطة الدَّم

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة قوم، ٤٩٦/١٢.

والقُربى واللُّغة والتَّاريخ، وإحلالها محلَّ رابطة الدِّين، وهي صدىً للفكر القوميِّ الَّذي سبق أن ظهر في أوروبا"[١].

٢- وعرَّفها الدُّكتور حُسين السَّيد عباس بأنَّها: "نزعةٌ تربط الفرد بقومه بروابطَ متجانسةٍ، كالقرابة واللُّغة والعادات والتَّقاليد والتَّاريخ، وتُوحِّد بينهم أهدافٌ مشتركَةٌ كالوَحدة والتَّحرُّر والحرِّيَّة والعدالة"[٢].

٣- وورد في الموسوعة العربيَّة الميسَّرة، مادة قوميَّة عربيَّة هذا التَّعريف: "الرَّابطة الَّتي تجمع أبناء الأُمَّة العربيَّة، وترجع إلى اشتراكهم في اللُّغة، والأصل، والتَّاريخ، والتُّراث الفكريِّ، والرُّوحيِّ"[٣].

٤- وعرَّفها (أنطون سعادة)[٤] وهو أحد دعاتها بأنَّها: "يقظة الأُمَّة العربيَّة وتنبُّهها لوَحدة حياتها وشخصيتها وميزتها، ولوَحدة مصيرها، إنَّها عصبية الأُمَّة"[٥].

٥- وتُعرِّفها دائرة المعارف والعلوم الاجتماعيَّة على أنَّها: "تشير إلى الحالة الَّتي ترجع إلى الشَّخصيَّة القوميَّة أعلى مقاماً في القِيَم العُليا"[٦].

٦- ويُعرِّفها الأستاذ مُحمَّد مُحمَّد حُسين بأنَّها: "ظاهرةٌ برزت في المجتمعات الغربيَّة في القرن التَّاسع عشر، تُصوِّر وعياً جديداً يمجِّد جماعةً محدودةً من النَّاس، يضمُّها إطارٌ جغرافيٌّ ثابتٌ، ويجمعها تراثٌ مشتركٌ، وتنتمي إلى أصولٍ عِرقيَّةٍ واحدةٍ"[٧].

٧- ويقول الأستاذ مُحمَّد قطب: "القوميَّة معناها أنَّ أبناء الأصل الواحد واللُّغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً، وإن تعدَّدت أرضهم، وتفرَّقت أوطانهم، وإن كان معناها

(١) الموسوعة الميسَّرة، ٤٤٤/١.

(٢) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ٢٥٣.

(٣) الموسوعة العربية الميسَّرة، ٢٦٠٥/٥، المكتبة العصرية – بيروت، طـ٣، ٢٠٠٩م.

(٤) أنطون خليل سعادة مجاعص، رئيس الحزب القومي السوري، من الشوير بلبنان، ولد سنة ١٩٠٤م، هاجر مع أبيه إلى البرازيل، وعاد إلى بيروت سنة ١٩٢٩م في عهد الاحتلال الفرنسي، وقام بإنشاء الحزب القومي السوري سنة ١٩٣٢م، اعتقل عدة مرات على خلفيات تتعلق بحزبه، ثم هاجر إلى الأرجنتين سنة ١٩٣٣م، ثم عاد إلى بيروت سنة ١٩٤٧م، حلت الحكومة اللبنانية حزبه، ولاحقت رجاله، ففر إلى دمشق، وألقت الحكومة السورية القبض عليه، وقامت بتسليمه إلى السلطات اللبنانية التي سارعت بإعدامه رمياً بالرصاص، وذلك سنة ١٩٤٩م، له كتاب نشوء الأمم، وكتاب الصراع الفكري في الأدب السوري. انظر: الأعلام، ٢٧/٢.

(٥) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ٢٥٣، ٢٥٤.

(٦) المصدر السَّابق، ٢٥٤.

(٧) الإسلام والحضارة الغربية، ١٩٥.

أيضاً السَّعي في النِّهاية إلى توحيد الوطن بحيث تجتمع القوميَّة الواحدة في وطنٍ شاملٍ، فيكون الولاء للقوميَّة مصحوباً بالولاء للأرض .. ولكنَّ الولاء للقوميَّة يظلُّ هو الأصل، ولو لم تتحقَّق وَحدة الأرض"(١).

لم يقتصر الاختلاف في تعريف القوميَّة بين الباحثين والمفكِّرين فقط، بل تعدَّاه إلى أئمة القوميَّة ودعاتها أنفسهم، لكنَّهم وعلى الرَّغم من اختلافهم في تعريفها إلَّا أنَّهم متَّفقون على إقصاء الدِّين وخاصَّةً الإسلام عن المشهد، يقول الأستاذ فتحي يكن: "ودعاة القوميَّة العربيَّة وإن كانوا مختلفين متناقضين في تعريف القوميَّة العربيَّة، إلَّا أنَّهم متَّفقون تمام الاتِّفاق في موقفهم من الدِّين بشكلٍ عامٍّ ومن الإسلام بصورةٍ خاصَّةٍ، فهم يُنادون بفصل الدِّين عن الدَّولة، ويعتبرون الدَّعوة إليه دعوةً رجعيَّةً، ويحرصون على علمنة الدَّولة وعلمنة قوانينها، كلُّ ذلك تقليداً وانسياقاً مع الخطِّ الَّذي سلكته الحركات القوميَّة في أوروبا وبخاصَّةٍ الثَّورة الفرنسيَّة"(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الشَّيخ الميدانيَّ لم يذكر تعريفاً خاصَّاً به للقوميَّة، ولكنَّه اكتفى بنقل تعريفات ساطع الحصري لها، ثُمَّ تناول هذه التَّعريفات بالتَّحليل، وربَّما يرجع ذلك إلى اكتفاء الميدانيِّ بتقديم القوميَّة كما هي في عيون دُعاتها، ليتسنَّى له الرَّدُّ على أُسُسها ومبادئها، ونقضها من جذورها.

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ٥٥٤، دار الشروق – القاهرة، ط٧، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

(٢) حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، ٩٠، ٩١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

المسألة الثَّانية: نشأة القوميَّة:

القوميَّة واحدةٌ من الشِّعارات الَّتي وفدت إلى العالم الإسلاميِّ من الغرب، مثلها مثل كثير من النَّعرات العصبيَّة الأخرى كالوطنيَّة والإنسانيَّة وغيرها، وكذلك المذاهب الفكريَّة الأخرى، فقد كان منبتها وموطنها الأصليُّ في الغرب نظراً لخصوصيَّة الظُّروف الَّتي عاشتها أوروبا والغرب فيما سُمِّيَ بعصر التَّنوير أو النَّهضة، ثُمَّ أصابت عدواها دول المشرق الإسلاميِّ، لذا فإنَّه من المفيد الحديث أوَّلاً عن نشأة القوميَّة في الغرب قبل الحديث عن نشأة القوميَّة العربيَّة، وذلك على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: نشأة القوميَّة في الغرب:

تُعدُّ الوطنيَّة والقوميَّة، والاعتداد الشَّديد بالشَّعب والموقع الجغرافيِّ من خصائص الطَّبع الأوربيِّ الَّذي تجذَّر في عروق العنصر الأوروبيِّ، إلَّا أنَّ الدِّين النَّصرانيَّ الَّذي تدين به أوروبا على كثرة علَّاته قد قهر هذه الطَّبيعة، وكبح جماحها؛ لأنَّ الدِّين السَّماويَّ مهما شابهُ التَّحريف والتَّغيير فإنَّه لا يفرِّق بين الأجناس والألوان والأوطان، فجمعت النَّصرانية شتات الأُمم الأوروبيَّة، ولملت شعثها تحت لواء الدِّين، وأخضعت الشُّعوب الأوروبيَّة للكنيسة اللاتينيَّة، وبذلك استطاعت النَّصرانيَّة هزيمة النَّعرات الوطنيَّة والقوميَّة، وانشغلت الأمم الأوروبيَّة عنها لمدَّةٍ طويلةٍ، إلى أن قام (مارتن لوثر)(١) بحركته الدِّينيَّة الإصلاحيَّة الشَّهيرة ضدَّ الكنيسة اللاتينيَّة، حيث استعان ببني جنسه الألمان لإنجاز مهمَّته، والَّتي انتهى بها الحال بهزيمةٍ مُنكَرةٍ للكنيسة اللاتينيَّة، فانفرط عقدُها، واستقلت الأُمم الأوروبيَّة، ثُمَّ بدأت شمسُ النَّصرانيَّة بالأفول والاضمحلال شيئاً فشيئاً، وقَوِيَت في المقابل العصبيَّة القوميَّة والوطنيَّة(٢)، وقد أشار إلى هذه الحقيقة التَّاريخيَّة، السَّفير البريطانيُّ السَّابق في أمريكا لورد لوثين في خطبةٍ له ألقاها في جامعة عليكرة بالهند سنة ١٩٣٨م حيث قال: "لمَّا قضت حركة لوثر الَّتي تُدعى حركة الإصلاح الدِّينيِّ على وَحدة أوروبا الثَّقافيَّة والدِّينيَّة، انقسمت هذه القارَّة إلى إماراتٍ شعبيَّةٍ مختلفةٍ، أصبحت

(١) مارتن لوثر، زعيم الإصلاح البروتستانتي في المسيحية، ولد سنة ١٤٨٣م، درس القانون ثمّ تحول عنه ودخل ديراً للرهبان الأغسطينيين. ورسِّم قسيساً سنة ١٥٠٧م، ثمّ عين راعياً لكنيسة فيتنبرج بألمانيا، زار روما سنة ١٥١٠م فساءه الانحلال الروحي المتفشي في الأوساط الكنسية العليا، فأخذ يفكر ويخطط لإصلاح عقيدة الكنيسة وطرق العبادة فيها، وفي سنة ١٥١٧م تحدى تيتزل الذي كان يبيع صكوك الغفران، واحتجاجاً على مفاسد رجال الكنيسة علَّق على أبواب كنيسة القلعة خمساً وتسعين قضيةً أثارت غضب السلطات الكنسية، فطلبوا منه سحب احتجاجاته فرفض، وأعلن مقاومته الصريحة لبعض العقائد المرعية، فأصدر البابا قراراً بحرمانه من غفران الكنيسة، فلما تلقاه لوثر أحرقه علانية، تُوفي سنة ١٥٤٦م. انظر: كواشف زيوف، ٣٧.

(٢) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ١٧٤، مكتبة الغيمان – المنصورة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

منازعاتها ومنافساتها خطراً خالداً على أمن العالم"[١]، وأكَّد على أنَّه كان نتيجة الانحطاط الدِّينِّ والأخلاقيِّ في أوروبا رجحان كفَّة الوطنيَّة والجنسيَّة، حيث قال في الخطبة نفسها: "إنَّ الدِّينَ الَّذي هو المرشد اللَّازم للإنسان والوسيلة الوحيدة لحصول الغاية الخُلقيَّة، والشَّرف المعنويِّ للحياة البشريَّة، كان نتيجة الانحطاط في سلطانه أن فُتن العالم الغربيُّ بمذاهبَ سياسيَّةٍ تقوم على أساس اختلاف الأجناس والطَّبقات، وآمن – بتأثير العلوم الطَّبيعيَّة – أنَّ الرُّقيَّ المادِّيَّ هو الغاية العُليا، والوطن الأكبر، ولا يزال يزيد هذا الأمر في مشاكل الحياة وأثقالها وتكاليفها، وكان من نتائج ذلك أيضاً أنَّه صعب على أوروبا أنْ توفِّقَ بين روحها وحياتها توفيقاً يُنقذها من القوميَّة، داهية هذا العصر الكبرى"[٢].

وفي القرن التَّاسع عشر ومع بروز الحركات القوميَّة في أوروبا نتجت ظاهرتان متناقضتان: إحداهما: تدعو إلى الانسلاخ من الامبراطوريَّات الكبرى، كالَّذي حدث في حركات دول البلقان، والبلاد العربيَّة عندما تداعت للانسلاخ من الدَّولة العثمانيَّة، والأخرى: تدعو إلى ضمِّ شتات الإمارات الصَّغيرة الَّتي يُعتقد أنَّها تنتمي إلى أصولٍ عِرقيَّة مُشترَكةٍ، كالَّذي حدث في اجتماع كلٍّ من دولتي ألمانيا وإيطاليا في دولةٍ كبرى بعد أن كانت مجموعةً من الإمارات الصَّغيرة المتنافسة[٣].

وفي القرن العشرين الميلاديِّ اشتعلت حربان عالميَّتان كبريان أحدثتا دماراً هائلاً، وأهلكتا الحرث والنَّسل، وكانت دوافعهما قوميَّةً على مستوى الشُّعور الجماهيريِّ العامِّ، حيث فشت القوميَّة في ألمانيا وإيطاليا، وكان لها ظهورٌ قويٌّ في فرنسا وبريطانيا، وغيرها، ثُمَّ خبت وقدة النَّزعات القوميَّة في أوروبا، واتَّجه الغرب إلى نزعاتٍ غير قوميَّةٍ، ضمن الاتِّجاه العَلمانيِّ اللَّادينيِّ، فمنها ما اتَّجه صوب الالتقاء على المصالح المشتركة الاقتصاديَّة أو السِّياسيَّة أو الدِّفاعيَّة، ومنها ما كان لقاءً على وَحدةٍ فكريَّةٍ عالميَّةٍ، غير ذات حدودٍ إقليميَّةٍ أو وطنيَّةٍ أو قوميَّةٍ، ولم يكن بمقدورهم أن يجتمعوا على دينٍ؛ لأنَّهم قد سبق وأن أسقطوا الدِّين من عقائدهم ومن روابطهم السِّياسيَّة، ومعظم روابطهم الاجتماعيَّة، وبقايا الدِّين فيهم أمست شخصيَّةً[٤].

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ١٧٤.

(٢) المصدر السابق، ١٧٥.

(٣) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، ١٩٥.

(٤) انظر: كواشف زيوف، ٢٦٢، ٢٦٣.

ثانياً: نشأة القوميَّة العربيَّة:

عندما أذنت شمس القوميَّة تتَّجه إلى الغروب في أوروبا والعالم الغربيِّ كلِّه، ظهرت بين المسلمين – ضمن مخطَّطٍ دُبِّر ضدَّ الإسلام والأُمَّة الإسلاميَّة – دعواتُ القوميَّات، كالقوميَّة العربيَّة بين العرب، والقوميَّة الطورانيَّة بين الأتراك، والقوميَّة الكرديَّة بين الأكراد، والقوميَّة الفارسيَّة بين الفرس، والقوميَّة الشَّركسيَّة بين الشَّركس، ونحو ذلك ...[1].

فعقب عقد (هرتزل)[2] لمؤتمره الشَّهير في مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧م، والَّذي قرَّر فيه زعماءُ اليهود إنشاء دولةٍ لهم في فلسطين خلال خمسين عاماً، توجَّه هرتزل للقاء السُّلطان العثمانيِّ المسلم عبد الحميد وعرض عليه إنعاش الاقتصاد العثمانيِّ الَّذي كان متدهوراً وقتئذٍ في مقابل أن يمنح اليهود وطناً قوميَّاً في فلسطين، الأمر الَّذي رفضه السُّلطان عبد الحميد بكلِّ قوَّةٍ، وعلى إثر ذلك دبَّر اليهود حيلةً لخلعه، ومن ثَمَّ إزالة الخلافة، وكانت القوميَّة وسيلتَهم إلى ذلك، فقد قام (يهود الدُّونمة)[3] بتأسيس وإنشاء حزب الاتِّحاد والتَّرقي الَّذي نادى بالقوميَّة الطُّورانيَّة – وهي قوميَّة الأتراك قبل دخولهم في الإسلام –، ورفع شعار (الذئب الأغبر) وهو معبود الأتراك في جاهليَّتهم، ونادوا بضرورة تتريك الدَّولة، وقَصْر المناصب فيها على الأتراك؛ وذلك بهدف توليد شعورٍ لدى العرب بالظُّلم تحت ظلِّ الحكم التُّركيِّ، وهذا ما حدث بالفعل، وقد تلقَّف (لورانس العرب)[4] ذلك فألَّف الثَّورة العربيَّة الكبرى ضدَّ الخلافة الإسلاميَّة[5].

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٢٦٣، بتصرُّف.

(٢) ثيودور هرتزل، صحفي يهودي نمساوي مجري، وُلد بالنمسا سنة ١٨٦٠م، يُعتبر مؤسس الصهيونية المعاصرة، فقد قام بتأسيس الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية سنة ١٨٩٧م، وانتخب رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، له عدَّة مؤلَّفات، منها: الارض القديمة الجديدة، ودولة اليهود، مات بالنمسا سنة ١٩٠٤م. انظر: موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AB%D9%8A%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1_%D9%87%D8%B1%D8%AA%D8%B2%D9%84، تاريخ الاقتباس: ٢٢/٠٧/٢٠١٣م.

(٣) هم جماعة من اليهود أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية للكيد بالمسلمين، أسسها سباتاي زيفي سنة ١٦٤٨م، وهو يهودي إسباني الأصل تركي المولد والنشأة، سكنوا منطقة الغرب من آسيا الصغرى وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة. انظر: موقع صيد الفوائد، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، http://www.saaid.net/feraq/mthahb/54.htm، تاريخ الاقتباس: ١٤/٠٢/٢٠١٣م.

(٤) لورانس العرب، اسمه توماس ادوارد لورانس، رجل الاستخبارات البريطانية، ولد في إنجلترا سنة ١٨٨٨م، اقترن اسمه بأحداث من تاريخ العرب الحديث، عُين كضابط اتصال بين السلطات البريطانية والقوات العربية إبان الثورة العربية الكبرى في الحجاز، له عدة مؤلَّفات أشهرها: أعمدة الحكمة السبعة، والثورة العربية، مات سنة ١٩٣٥م. انظر: الأعلام، ٢/٩٤.

(٥) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ٥٨٠، ٥٨١.

وقد استطاع لورانس العرب أن يرتب لهذه الثَّورة بالتَّنسيق مع المخابرات البريطانيَّة، وذلك بعد موافقة الشَّريف حُسين سنة ١٩١٦م، وقام عددٌ كبيرٌ من الرُّموز العربيَّة والدِّينيَّة بإعلان تأييدهم للثَّورة؛ لإقامة الدَّولة العربيَّة الكبرى الَّتي وعدتهم بها بريطانيا، وللوقوف ضدَّ الظُّلم التُّركيِّ الواقع على العرب بفعل السِّياسة الَّتي اتَّبعها حزب الاتِّحاد والتَّرقي، والَّذي كان العرب يعلمون بأصوله الماسونيَّة وسيطرة يهود الدُّونمة عليه[١]، وهكذا نجح لورانس في استثمار هيجان عاطفة العرب فوجَّهها وجهةً قوميَّة، يقول لورانس: "وأخذت طول الطَّريق أفكِّر في سوريَّا، وفي الحجِّ، وأتساءل: هل تتغلَّب القوميَّة ذات يومٍ على النَّزعة الدِّينيَّة، وهل يغلب الاعتقاد الدِّينيُّ؟ وبمعنىً أصح: هل تحلُّ المثل العليا السِّياسيَّة محلَّ الوحي والإلهام، وتَستَبدِل سُوريَّا بمثلها الأعلى الدِّينيِّ مثلها الأعلى الوطنيَّ[٢]، وهذا ما كان يجول في خاطري طول الطَّريق"[٣].

أدَّت هذه الأحداث إلى وقوع طرفي النِّزاع الأتراك والعرب في شَرَك الخدعة الَّتي دبَّرها وأدارها اليهود والاستعمار بحنكةٍ وخُبثٍ، وصار طرفا النِّزاع من المسلمين إلى قسمةٍ ثُنائيَّةٍ، فسلَّم الأتراك أنفسهم للماسونيِّ مصطفى أتاتورك، وسلَّم العرب أنفسهم للاستعمار ليخلِّصهم من ظلم الأتراك بقيادة الاتِّحاديين، فكانت نتيجة ذلك انفصال العرب عن كيان الدَّولة العثمانيَّة، ومن ثَمَّ الارتماء في أحضان المستعمر، لذا فقد بدا واضحاً حجم التَّأثير الَّذي أحدثه الضَّرب على أوتار النَّزعات القوميَّة على تفسُّخ الدَّولة الإسلاميَّة، وإصابة وَحدتها وتماسكها في مقتلٍ[٤].

وكانت بدايات الفكر القوميِّ قد بدأت في الظُّهور في أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، متمثِّلةً في حركةٍ سريَّةٍ في عاصمة الخلافة العثمانيَّة، ثُمَّ في حركةٍ علنيَّةٍ متَّخذةً من دمشق وبيروت مقرًّا لها، ثُمَّ في حركةٍ سياسيَّةٍ واضحة المعالم في المؤتمر العربيِّ الأوَّل الَّذي عُقد في باريس سنة ١٩١٢م، وفيما يلي ذكرٌ لأهمِّ الجمعيَّات ذات التَّوجه القوميِّ حسب التَّسلسل التَّاريخيِّ[٥]:

---

(١) انظر: فلسطين .. التاريخ المصور، ٢٢٤، ٢٢٦.

(٢) خطأ في الترجمة والصواب أن يُقال: تستبدل مثلها الوطني بالديني، لأن الباء تدخل على المتروك. انظر: هامش الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، ١٠٧/٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

(٣) واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ١٣٨. نقلاً عن: الثورة العربية، ٥٢.

(٤) انظر: النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، فتحي زغروت، ٥٦٥، ٥٦٦، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع – مصر، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٥) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٤٤٤/١، ٤٤٥.

١- الجمعيَّة السُّوريَّة، وقد أسَّسها نصارى منهم بطرس البستاني، وناصيف اليازجي سنة ١٨٤٧م في دمشق.
٢- الجمعيَّة السُّوريَّة في بيروت، وقد أسَّسها نصارى منهم سليم البستاني ومنيف خوري سنة ١٨٦٨م.
٣- جمعيَّة رابطة الوطن العربيِّ، وقد أسَّسها نجيب عازوري سنة ١٩٠٤ في باريس.
٤- جمعيَّة الوطن العربيِّ، وقد أسَّسها خيرالله خيرالله سنة ١٩٠٥م في باريس.
وغيرها من الجمعيَّات ...

ومن الملاحظ أنَّ الَّذين قادوا الدَّعوات القوميَّة، أو أسَّسوا أحزاباً على أساس الفكر القوميِّ كان معظمُهم من النَّصارى، فمثلاً كان ميشيل عفلق زعيماً لحزب البعث العربيِّ الاشتراكيِّ، وأنطون سعادة زعيماً للقوميين السُّوريين، وجورج حبش زعيماً للقوميين العرب، وقسطنيطن زُريق أحد الزُّعماء القوميين الآخرين[1]، وانساق خلفهم بعضٌ من أبناء المسلمين ممَّن تأثَّروا وفُتنوا بالفكر الأوروبيِّ، وبدسائس المستشرقين والمبشِّرين والمستعمرين[2].

ويشير صاحب كتاب يقظة العرب جورج أنطونيوس إلى الدَّور الَّذي لعبه النَّصارى العرب في تأسيس الحركة القوميَّة العربيَّة فيقول: "يرجع أوَّل جهدٍ مُنظَّمٍ في حركة العرب القوميَّة إلى سنة ١٨٧٥م – أي قبل ارتقاء عبد الحميد العرش بسنتين – حين ألَّف خمسة شبان من الَّذين درسوا في الكلِّيَّة البروتستنتيَّة السُّوريَّة ببيروت جمعيَّةً سرِّيَّةً، وكانوا جميعاً نصارى، ولكنَّهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدُّروز إليهم، فاستطاعوا أن يضمُّوا إلى الجمعيَّة نحو اثنين وعشرين شخصاً ينتمون إلى مختلف الطَّوائف الدِّينيَّة، ويمثِّلون الصَّفوة المختارة المستنيرة في البلاد"[3].

ويُعدُّ (ساطع الحصري)[4] – فيلسوف القوميَّة العربيَّة – أوَّل من جعل العنصريَّة والعِرق والدَّم بديلاً لمفهوم الإسلام الَّذي يقوم على الإخاء الإسلاميِّ، وقد اعتبر الحصريُّ أنَّ اللُّغة أساس

(١) انظر: أساليب الغزو الفكري، ٧٦. نقلاً عن: في الزنزانة.
(٢) انظر: كواشف زيوف، ٢٦٣، ٢٦٤.
(٣) يقظة العرب – تاريخ حركة العرب القومية، جورج أنطونيوس، ترجمة: ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، ١٤٩، دار العلم للملايين – بيروت، ط٨، ١٩٨٧م.
(٤) ساطع بن محمد هلال الحصري، كاتب وباحث، ولد بصنعاء سنة ١٨٨٣م، تترَّك ثم تعرَّب، لما انفصلت سورية عن الحكم العثماني سنة ١٩١٨م دعته حكومة الشريف فيصل بن عبد العزيز، فجاءها وعُين وزيراً للمعارف بدمشق، له أكثر من خمسين كتاباً باللغة العربية، منها: مبادئ القراءة الخلدونية، العروبة أولاً، الدفاع عن العروبة، وآراء في التاريخ والاجتماع. انظر: الأعلام، ٧٠/٣.

القوميَّة، مختلفاً في ذلك مع نظريَّة الأرض الَّتي نادى بها أنطون سعادة أحد دعاة القوميَّة المعروفين دون أن يتنبَّه الحصريُّ إلى أنَّ الفكر لا اللُّغة هو مصدر الوَحدة، والَّذي أوقع ساطع الحصري في هذا اللَّبس هو أنَّه قد أجرى بناء رؤيته للقوميَّة من خلال العديد من النَّظريَّات الأوروبيَّة في القوميَّة دون أن يواجهَ جوهر المفهوم العربيِّ الإسلاميِّ المصدر والجذور، هذه الجذور الَّتي تجعل فصل اللُّغة عن الفكر أمراً متعذِّراً، أو الاعتماد على نظريَّة بقاء اللُّغة أو ضياعها، مع أنَّ الأساس في حماية وجود الأُمَّة الحقيقيِّ هو العقيدة والفكر لا اللُّغة(١).

وقد ظلَّت الدَّعوةُ إلى القوميَّة العربيَّة محصورةً في نطاق الأقليَّات الدِّينيَّة غير المسلمة، وفي عددٍ محدودٍ من أبناء المسلمين المتأثِّرين بفكرتها إلى أن تبنَّى الدَّعوة إليها الزَّعيم المصريُّ جمال عبد النَّاصر، فتحوَّلت إلى تيَّارٍ شعبيٍّ عامٍّ بعد أن سخَّر لها ما تحت يده من إمكاناتٍ، وروَّج لها عبر آلته الإعلاميَّة(٢).

(١) انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، جمع وترتيب، سيد بن حسين العفَّاني، ١/١٧٣، ١٧٦، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع – جدة، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: الموسوعة الميسَّرة، ١/٤٤٥.



المسألة الثَّالثة: أهداف القوميَّة العربيَّة:

يمكن تقسيم أهداف القوميَّة إلى قسمين، هما:

القسم الأوَّل: أهدافٌ مُعلنةٌ، وهي الَّتي نادى إلى تحقيقها والعمل على إعلائها دعاةُ القوميَّة العربيَّة في بلاد العالم الإسلاميِّ إمَّا عن حسن نيَّةٍ عند بعضهم بسبب انخداعهم بشعاراتِ القوميَّة وافتتانهم بها، أو تقليداً للغرب على غير هدىً، أو إيمانهم بالعروبة والوَحدة العربيَّة، وبما يمكن أن تجلبه لجموع العرب من مصالحَ أو تدفعه عنهم من مفاسدَ، وإمَّا عن خبثٍ ودهاءٍ نابعٍ من حقدٍ على الإسلام وبُغضٍ لأهله، فيكون ضمن إطار مؤازرة الغزاة في نشر أفكارٍ بديلةٍ عن الإسلام، ويمكن إجمال هذه الأهداف المعلنة بإقامة امبراطوريَّةٍ عربيَّة ذات وَحدةٍ سياسيَّةٍ مستقلَّةٍ لتحصيل جملةٍ من المصالحِ المشترَكة.

القسم الثَّاني: أهدافٌ غير معلنةٍ، وهي تأتي في إطار الحرب الفكريَّة الشَّاملة الَّتي شنَّها الغرب على الإسلام عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً، وبما أنَّ الباحثَ تناول القوميَّة باعتبارها واحدةً من وسائل التَّغريب فإنَّه سيذكر هنا بعض هذه الأهداف غير المعلنة والَّتي يمكن استقراؤها من خلال دراسة القوميَّة، وهي على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: محاربةُ الإسلام:

حرص الغرب – لا سيَّما الدُّول الاستعماريَّة – على تصدير الخبائث والأدران الفكريَّة الَّتي ذاقوا من ويلاتها، واكتووا بلهيبها إلى العالم الإسلاميِّ، فكانت القوميَّةُ واحدةً من هذه الموبقات الَّتي حرص الاستعمار على زرعها في البلاد الإسلاميَّة وإذكائها وإشعال جذوتها، يقول صاحب كتاب موجز تاريخ الشَّرق الأوسط جورج كيرك: "إنَّ القوميَّة العربيَّة وُلدت في دار المندوب السَّاميِّ البريطانيِّ"(١).

ومن المؤكَّد أنَّ الهدف الَّذي رمى إليه المستعمر البريطانيُّ ليس هو ذاته الهدف الَّذي يتغنَّى به دعاة القوميَّة العربيَّة، فليس من شيم الاستعمار ولا من أخلاقه أن يُحدث مثل هذه النَّزعات في البلاد الَّتي يستعمرها أو تقع تحت سيطرته ونفوذه بغرض تقوية الرَّوابط فيما بينها، أو لتجد لها جامعةً ورايةً تقاتل تحتها، بل إنَّ المنطق يؤكِّد على نقيض ذلك، وما من شكٍّ في أنَّ محاربة الإسلام هو الهدف الأوَّل من أهداف تصدير الاستعمار لأكذوبة القوميَّة، يقول الشَّيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن القوميَّة العربيَّة: "بل هي دعوةٌ جاهليَّةٌ إلحاديَّةٌ يهدف دعاتُها إلى محاربة

(١) مذاهب فكرية معاصرة، ٥٨٥.

الإسلام، والتَّملص من أحكامه وتعاليمه"(١)، ويقول أيضاً موضّحاً مُحدِثها وغرضه من إحداثها: "الدَّعوة إلى القوميَّة العربيَّة أحدثها الغربيُّون من النَّصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرفٍ من القول، وأنواعٍ من الخيال، وأساليبَ من الخداع، فاعتنقها كثيرٌ من العرب من أعداء الإسلام، واغترَّ بها كثيرٌ من الأغمار ومن قلَّدهم من الجُهَّال، وفرح بذلك أربابُ الإلحاد وخصوم الإسلام في كلِّ مكان"(٢)، ويقول الشَّيخ مُحمَّدٌ الغزاليُّ مؤكِّداً على ذات الحقيقة: "وهنا جرَّب الاستعمار عوضاً آخر – يقصد عن الوطنيَّة – يكون أنكى في النَّيل من الإسلام، وتعويق سيره، وتمخَّض دهاؤه عن مبدأ القوميَّة، علَّه يُجدي حيث فشل غيرُه! ... وتبدَّت لهم طبيعة المنطقة الَّتي تضطرم بالقلق والحركة فرأوا أنَّ النَّزعة القوميَّة يمكن أن تغلق الطَّريق على الإسلام"(٣).

ثانياً: القضاء على الأُخوَّة الإسلاميَّة:

تُعدُّ الأخوَّة الإسلاميَّة من أقوى الرَّوابط الَّتي تجمع بين جميع الشُّعوب الإسلاميَّة على اختلاف أعراقهم وأجناسهم وأماكن تواجدهم؛ لأنَّها تربط القلوب والأرواح برباط العقيدة، كما قال الإمام الشَّهيد حسن البنا عن الأُخوَّة: "أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الرَّوابط وأغلاها، والأُخوَّة أُخوَّة الإيمان"(٤)، وقد بيَّن الله ﷻ في كتابه أنَّ الرَّابطة الحقيقيَّة الَّتي تربط بين المسلمين هي الأُخوَّة على أساس العقيدة والإيمان فقال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات:١٠]، وقال ﷺ مؤكداً على ذات المعنى:(**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ**)(٥).

لذلك فقد حرص دعاة تيَّار القوميَّة على إقصاء الإسلام وتفريغ القضيَّة السِّياسيَّة والاجتماعيَّة بوجهٍ عامٍّ من المحتوى الإسلاميِّ وإحلال رابطةٍ بديلةٍ عن عقيدة الإسلام، لنقض عُرى الإسلام، وعزل الشُّعوب الإسلاميَّة عزلاً نهائيَّاً بعضها عن بعض، لتصبح صلة بعضها ببعض كصلتها بالشُّعوب الأخرى الَّتي تدين بغير دينها من الشُّعوب الوثنيَّة أو الماركسيَّة أو

(١) نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ٥٨، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – إدارة الطبع والترجمة –، طـ٦، ١٤١١هـ.

(٢) المصدر السابق، ١٠، ١١.

(٣) حقيقة القومية العربية واسطورة البعث العربي، محمد الغزالي، ١٥٧، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، طـ٣، ٢٠٠٥م.

(٤) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حين البنا، حسن البنا، ٣٨٠، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية، طـ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلمه، رقم الحديث: (٢٤٤٢)، ٥٠٥.

غيرها، وبالتَّالي تضعف الصِّلات بين الشُّعوب الإسلاميَّة، وتضعف روابط الثَّقافة المشتركَة، ولغة القرآن، والقِيَم المشتركَة، ويُقضى على الأُخوَّة الإسلاميَّة(١).

ثالثاً: تحويل ولاء المسلمين عن الإسلام:

شكَّل انتماء المسلمين لدينهم وإسلامهم عقبةً كؤوداً في وجه أعدائهم من الغزاة والمستعمرين حتَّى في ظلِّ الضَّعف والتَّخلُّف الَّذي أصابهم؛ وذلك لأنَّ المسلمين إنَّما يواجهوا عدوَّهم من منطلق عقيدةٍ إسلامية تحرِّض على الجهاد والاستشهاد، وقد ذاق الفرنسيون في الشَّمال الأفريقيِّ، وذاق الإنجليز في الهند وغيرها من أرجاء أفريقيا وآسيا من عقيدة الجهاد ما ظلَّ عالقاً في نفوسهم، حتَّى صار تحويل وجهة هذه العقيدة عن وجهتها واستبدالها بغيرها – من وجهة النَّظر الصَّليبيَّة أو من وجهة النَّظر الاستعماريَّة البحتة – الشُّغل الشَّاغل للغزاة، فالمسلمون لا يقبلون الاستعمار ولا يرضخون له طالما كانوا مسلمين، لذا وجب تحويل الولاء للإسلام إلى غيره، فبُذرت بذور الوطنيَّة أوَّلاً في ربوع العالم الإسلاميِّ، ثُمَّ تبعتها القوميَّة ليتمَّ بذلك تحقيق جملةٍ من الأهداف في آنٍ واحدٍ، وهي(٢):

١- تحويل حركات الجهاد الإسلاميِّ ضدَّ الاستعمار الصَّليبيِّ إلى حركاتٍ وطنيَّةٍ، كما فعل سعد زغلول في مصر، وكما فعل غيره من الزُّعماء الوطنيين في غيرها من البلدان، والفرق بينهما كبيرٌ، فحركات الجهاد الإسلاميِّ تنظر إلى العدوِّ على أنَّه صليبيٌّ مستعمرٌ، بينما تنظر إليه الحركاتُ الوطنيَّة على أنَّه مستعمرٌ فقط.

٢- تحويل حركات الجهاد الإسلاميِّ إلى حركاتٍ سياسيَّةٍ عن طريق تحويلها إلى حركاتٍ وطنيَّةٍ، وهذا سيسهِّل مهمَّة تفاهم الدُّول الاستعماريَّة معها باستعمال السِّياسة، وإعطاء القادة الوطنيين وعوداً كاذبةً لإلهائهم بها، وليخدعوا بها شعوبهم، ولا سبيل لاستعمال مثل هذا الخداع المقنَّع بالسِّياسة مع حركات الجهاد الإسلاميِّ، فهي لا يمكن أن تقبل بأقلّ من جلاء المستعمر عن الأرض بشكلٍ كاملٍ ودون شروطٍ.

٣- تيسير عملية التَّغريب من خلال تحويل حركات الجهاد الإسلاميِّ إلى حركاتٍ وطنيَّةٍ سياسيَّةٍ، فالإبقاء على المحتوى الإسلاميِّ للحركات الجهاديَّة يخلق حاجزاً بين المسلمين وأعدائهم فلا يأخذوا شيئاً من فكره، ولا عقائده، ولا تقاليده، ولا أنماط سلوكه المنافية للإسلام، أمَّا حين يُفرَّغ الجهاد من محتواه الإسلاميِّ بتحوُّله إلى حركةٍ وطنيَّةٍ يصبح هذا الحاجز أرقَّ، فيسمح بالأخذ من ثقافة المستعمر الفكريَّة آنفة الذِّكر.

---

(١) انظر: أساليب الغزو الفكري، ٧٧.

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ٥٧٧، ٥٧٨.

رابعاً: التَّفريق بين المسلمين لتسهيل استعمارهم:

ما من شكٍّ أنَّ الحقد الصَّليبيَّ على الإسلام إلى جانب المكر اليهوديِّ قد لعبا دوراً رائداً في زرع القوميَّة في بلاد المسلمين؛ وذلك لتمزيق الوَحدة الإسلاميَّة، فالانتماء إلى العربيَّة بدلاً من الإسلام سيسهِّل على الغزاة مهمَّة استعمار بلدان المسلمين بعد أن يفرِّقوا بين العرب وسائر إخوانهم المسلمين من غير العرب بعد اتِّباع وسيلتهم الشَّيطانيَّة **(فرِّق تسد)**، وهذا ما حصل بالفعل حينما تسلَّل الفكر القوميُّ إلى بلاد العرب والمسلمين فتفرَّقوا شِيَعاً وأحزاباً، فتمكَّن منهم أعداؤهم، واستعمروا بلدانهم، وإنَّ ضياع فلسطين ومن قبلها بلاد الأندلس لأقوى شاهدٍ على ذلك(١).

هذه هي الأهداف الحقيقيَّة وراء رفع شعار القوميَّة في بلدان العالم الإسلاميِّ، وليس تلك الَّتي يدَّعي دعاة القوميَّة أنَّهم يسعوْن إلى تحقيقها، من أنَّهم يسعوْن إلى لَمِّ شمل العرب وجمع كلمتهم، وتوحيد طاقاتهم، وصهر مجتمعاتهم؛ لتحويلهم إلى قوَّةٍ كبرى قادرةٍ على صناعة مجدٍ تليدٍ، وحضارةٍ عريقةٍ، إذ لو صحَّت ادعاءاتُهم، وصدقت نواياهم، لكانت دعوتهم إلى الإسلام، ففيه ما يدَّعون السَّعيَ لتحقيقه وأكثر، فالإسلام عربه وعجمه كلُّهم أخوة، وباجتماعهم وتوحُّدهم برابطة العقيدة، وبتمسُّكهم بكتاب ربِّهم، وسنة نبيِّهم ﷺ، سوف تصبح أمَّتهم ذات حضارةٍ وعزٍّ، وتنقذ البشريَّة كلَّها من براثن مستنقع الفراغ الحضاريِّ والرُّوحيِّ الَّتي ما تزال غارقةً فيه.

---

(١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ٢/٩٢٤.

المطلب الثَّاني

موقف الميدانيِّ من القوميَّة

ينظر الشَّيخ الميدانيُّ للقوميَّة المقرونة بالتَّوجُّه العلمانيِّ على أنَّها مكيدةٌ دبَّرتها الدُّول الاستعماريَّة لإسقاط الخلافة الإسلاميَّة، والاستيلاء على البلدان العربيَّة وشعوبها، وإشعال نيران الثَّورات والحروب والصِّراعات ذات النَّزعات القوميَّة، وأنَّ هذه المكيدة قد تمثَّلت في قيام التَّكتُّلات القوميَّة، ثُمَّ الأحزاب والمنظَّمات القوميَّة بدعمٍ وتوجيهٍ من الدُّول الاستعماريَّة؛ وذلك لتحقيق الاتِّجاه العلمانيِّ، ولإحلال الرَّابط القوميِّ كبديلٍ عن رابط الدِّين الإسلاميِّ الَّذي كان سائداً في البلاد العربيَّة، وعلى إثر ذلك أقبل أدعياء العروبة الَّذين يُظهرون الاعتزاز بعروبتهم، ويُبطنون تعصُّباً لطوائفهم المعاديَة للإسلام والمسلمين، ونجحوا – عبر الحِيَل والمسكنة – في التَّسلُّل إلى مراكز القوَّة التَّعليميَّة والإداريَّة والسِّياسيَّة والعسكريَّة، حتَّى قبضوا عل نواصيها، وقد استدعى الشَّيخ التَّاريخ والواقع للتَّدليل على كلامه، فذكر أنَّ الأقليَّة الطَّائفيَّة غير المسلمة لمَّا وصلت إلى مراكز القوَّة والتَّأثير انحسرت الأقنعة عن وجوههم، وقاموا بنبذ الأكثريَّة المسلمة، وإذلالها، وأمعنوا في تنفيذ رغبات الدُّول الاستعماريَّة والصُّهيونيَّة، وأعداء الشُّعوب العربيَّة.

لقد كان موقف الشَّيخ الميدانيُّ من القوميَّة واضحاً، كعادته مع كلِّ الزِّيوف والأكاذيب والأضاليل الَّتي أُغرقت بها الأمَّة الإسلاميَّة عن عمدٍ وكيدٍ، ووفِّق الشَّيخ في كشف المغالطات الَّتي اعتمد عليها دعاة القوميَّة في ترويجهم لمبادئها وأفكارها، ورفعهم لشعاراتها، فأبان عوارها وكشف عيوبها، ومناقضتها للإسلام إذ يراد بها أن تحلَّ كعقيدةٍ بديلةٍ عن عقيدة الدِّين والأُخوَّة الإيمانيَّة، لتربط بين أبناء الأمَّة العربيَّة، ويمكن إبراز موقف الشَّيخ الميدانيِّ من القوميَّة من خلال المسائل التَّالية:

المسألة الأولى: الأُسس الَّتي قامت عليها القوميَّة العربيَّة:

افتقرت الحركة القوميَّة العربيَّة في طوْرها الأوَّل إلى محتوىً عقائديٍّ واضحٍ، إلى جانب الغموض الذي كان يلفُّ تفسيرات دعاتها لخصائصها ومضمونها الفكريِّ، وذلك بسبب اعتمادها على العاطفة بشكلٍ كبيرٍ، ويمكن إجمال الخصائص الَّتي اعتمدها القوميُّون العرب كأساسٍ إيديولوجيٍّ في الدَّعوة إلى القوميَّة العربيَّة في أربعة عناصر، وهي: اللُّغة، والتَّاريخ، والأرض، والمصلحة المشترَكة(١).

(١) انظر: حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، ٩٥، وما بعدها.

أوَّلاً: اللُّغة:

يعتبر بعض دعاة القوميَّة أنَّ اللُّغة هي أهمُّ الأُسس والخصائص الَّتي تُبنى عليها القوميَّة العربيَّة، يقول ساطع الحصريُّ: "إنَّ أُسَّ الأساس في تكوين الأمَّة، وبناء القوميَّة، هو وَحدة اللُّغة، ووَحدة التَّاريخ"(١)، ويقول أيضاً: "إنَّ اللُّغة هي روح الأمَّة وحياتها"(٢)، والغريب في الأمر أنَّ ساطع الحصري الَّذي يُعتبر أكبر القائلين بوَحدة اللُّغة كأساسٍ لبناء القوميَّة لم يكن يُتقن اللُّغة العربيَّة، يقول خير الدِّين الزِّركلي ضمن ترجمته ساطع الحصري: "وصنَّف أكثر من ٥٠ كتاباً عربيًّاً كان أصدقاؤه يساعدونه في إصلاح لغتها قبل الطَّبع"(٣).

يَعتبر الشَّيخ لجوء دعاة القوميَّة إلى اعتبار اللُّغة كأساسٍ هامٍّ لبناء القوميَّة العربيَّة سببه نيَّتهم عزل الدِّين، وجمع أكبر قدرٍ ممكنٍ من غير المسلمين في إطار القوميَّة، فقاموا بحذف عنصر وَحدة الأصل والعِرق والَّذي يُعدُّ واحداً من المقوِّمات المعتبرة الَّتي قامت على أساسه القوميَّة في الغرب، وذلك خشية أن يحتلَّ المعروفون بسلامة أعراقهم القوميَّة مركز الصَّدارة، وهم يمثِّلون الأكثريَّة المسلمة؛ لأنَّ احتلالهم الصَّدارة يُبقي للإسلام ثِقَلاً داخل نزعة القوميَّة، وهذا ما يحذره دعاة القوميَّة وهم الَّذين ما جاؤوا بالقوميَّة إلَّا للقضاء عل الإسلام، لذا حذفوا وَحدة الأصل والعِرق وانتقلوا إلى التَّأكيد على وَحدة عنصر اللُّغة، وحينها اعترضتهم مشكلة المهاجرين الَّذين انتقلوا للعيش خارج البلاد العربيَّة هم وأجدادهم وهم لا يُحسنون اللُّغة العربيَّة، وصارت لهم لغةٌ أخرى، فالمشكلة كما يوضِّحها الميدانيُّ تكمن في أنَّ ما يهدف إليه دعاة القوميَّة هو تكثير الأقليَّات غير المسلمة في البلاد العربيَّة، ويهمُّهم أن يكون هؤلاء المهاجرين من ضمنهم، ولكن عدم إتقانهم العربيَّة يَحُول دون ذلك حسب الأساس الَّذي وضعوه وهو وَحدة اللُّغة، فلجأوا إلى فكرة استرجاعهم إلى الانتماء للأصل العربيِّ، وبذلك صارت وَحدة اللُّغة قابلةً للتَّمطيط، فمن كانت لغة آبائه أو أجداده العربيَّة فهو عربيٌّ، ومن كان ينطق العربيَّة فهو عربيٌّ، حتَّى لو لم تكن أصوله عربيَّة(٤).

يُظهر كلام الشَّيخ مدى حقد القوميين العرب على الإسلام وأهله، حيث جعلوا غايتهم عزل الإسلام، وإقصاء الأكثريَّة المسلمة عن المشهد بشكلٍ عامٍّ، ولقد قبلوا بالتَّراجع عن أساسٍ من أهم الأُسُس الَّتي تغنوْا بها مع بداية بروز الفكر القوميِّ وهو الأصل والعِرق لمَّا ظهر لديهم أنَّه قد يُمكِّن للأكثريَّة المسلمة داخل الحركة القوميَّة العربيَّة، وقبلوا بالتَّلاعب في أساسٍ آخرَ وهو وَحدة

(١) كواشف زيوف، ٢٦٩. نقلاً عن: أبحاث مختارة في القومية العربية، ساطع الحصري، ٢/٢١.

(٢) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ٢٥٥.

(٣) الأعلام، ٣/٧٠.

(٤) انظر: كواشف زيوف، ٢٦٦، ٢٦٧.

اللُّغة من أجل تكثير سواد الأقليَّة غير المسلمة داخل الحركة القوميَّة العربيَّة، ولا شكَّ أن هذا الحقد منظَّمٌ وموجَّهٌ، حرَّكته في الماضي الدُّول الاستعماريَّة، ولا تزال تدعم ما تبقَّى منه عبر عملائها في البلاد العربيَّة.

ثانياً: التَّاريخ:

يمثِّل هذا العامل في الطَّرح القوميِّ ذاكرة الأمَّة وشعورها، فالذَّاكرة المشتركَة والشُّعور الواحد إنَّما يتشكَّلان من خلال الوقوف أمام أحداث التَّاريخ ووقائعه ومنجزاته وإحباطاته، فيولِّد ذلك في كلِّ جيلٍ من الأجيال مشاعر بالاعتزاز والزهو والانتماء أمام الإنجازات والانتصارات الَّتي حقَّقها أسلافهم من الآباء والأجداد، أو يولِّد مشاعر بالألم والحسرة أمام الإخفاقات والانكسارات، ليتولَّد من هذا كلِّه آلامٌ وآمالٌ واحدةٌ، وذاكرةٌ واحدةٌ وشعورٌ واحدٌ، وهذا يُحدث أثراً بالغاً في حاضر الأمَّة ومستقبلها(١)، وهذا ما عناه فيلسوف القوميَّة العربيَّة ساطع الحصري بقوله: "والتَّاريخ ذاكرة الأمَّة وشعورها ووحيُها"(٢).

ذكر الشَّيخ أنَّ القوميين العرب لدى تطبيقهم لعنصر وَحدة التَّاريخ على واقع الشُّعوب العربيَّة يتعمَّدون القفز عن تاريخ العرب المسلمين، باعتباره لا يمثِّل وَحدة تاريخ مشترَكة بين كلِّ العرب، المسلمين منهم وغير المسلمين، إلى جانب أنَّهم لا يعترفون به كتاريخٍ لهم، بل ويعتبرونه تاريخاً لأعدائهم؛ ولهذا قام القوميُّون العرب بشطب كلِّ العناصر الإسلاميَّة من التَّاريخ العربيِّ الَّذي سطَّروه أو درَّسوه في مناهج التَّعليم، واهتموا بالعناصر غير الإسلاميَّة وقاموا بتمجيدها وتعظيمها، وإن اضطرُّوا لذكر تاريخ العرب المسلمين ذكروه على استحياءٍ مع إبراز عيوبه وهنَّاته(٣).

ويرى الشَّيخ أنَّ مفلسفي القوميَّة – كما أسماهم – قد جعلوا وَحدة المشاعر والمنازع، ووَحدة الآلام والآمال، ووَحدة الثَّقافة، نتائجَ طبيعيَّةً لوحدة اللُّغة ووَحدة التَّاريخ، يقول ساطع الحصري: "لأنَّ الوَحدة في هذين الميدانيْن – يقصد اللُّغة والتَّاريخ – هي الَّتي تؤدِّي إلى وَحدة المشاعر والمنازع، ووَحدة الآلام والآمال، ووَحدة الثَّقافة ... وبكلِّ ذلك تجعل النَّاس يشعرون بأنَّهم أبناء أمَّةٍ واحدةٍ متميِّزةٍ عن الأُمم الأخرى"(٤).

---

(١) انظر: جذور الفكر القومي والعلماني، عدنان محمد زرزور، ٧٥، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٢) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ٢٥٥.

(٣) انظر: كواشف زيوف، ٢٦٧، ٢٦٨.

(٤) المصدر السابق، ٢٦٩. نقلاً عن: أبحاث مختارة في القومية العربية، ٢/٢١.

ثالثاً: الأرض:

يرى الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ القوميين العرب قد حذفوا جملةً من العناصر الَّتي يذكر النَّاس أنَّها مهمَّة في تكوين الأمم، ويرى أنَّ على رأس ما يحذفون عنصر وَحدة الدِّين، إلى جانب حذفهم لبعض العناصر الأخرى مثل: وَحدة الدَّولة، ووَحدة الحياة الاقتصاديَّة، ووَحدة الأرض أي الاشتراك في الرُّقعة الجغرافيَّة؛ لأنَّ هدفهم الأساسيُّ هو نشر القوميَّة[(١)]، يقول ساطع الحصري عن وَحدة الأرض: "كما أنَّ الاشتراك في الرُّقعة الجغرافيَّة أيضاً لا يمكن أن يعتبر من مقوِّمات الأمَّة الأساسيَّة"[(٢)].

وقد اختلف أنطون سعادة مع كثيرٍ من القوميين العرب، ولا سَّيما ساطع الحصري في أنَّه اعتبر وَحدة الأرض عنصراً هامَّاً من عناصر بناء القوميَّات[(٣)]، وهذا يفسِّر توجُّه أنطون سعادة لتبنِّي فكرة القوميَّة الضَّيِّقة، وهي القوميَّة السُّوريَّة.

رابعاً: المصلحة المشتركة:

وقد نادى بعضُ القوميين العرب بعنصر وَحدة المصالح والآمال والآلام، واعتبروه مقوِّماً مهمَّاً من مقوِّمات القوميَّة العربيَّة[(٤)]، والشَّيخ الميدانيُّ لم يتطرَّق بالشَّرح لعنصري وَحدة الأرض، ووَحدة المصالح والآمال والآلام، وربَّما يرجع السَّبب في ذلك إلى أنَّ الشَّيخ قد اعتمد في تقديمه لعناصر ومقوِّمات القوميَّة العربيَّة على مقالات ساطع الحصري، والحصري يعتبر أنَّ وَحدة اللُّغة ووَحدة التَّاريخ هما الأساسان اللَّذان تتكوَّن بهما الأمَّة، وتُبنى عليهما القوميَّة، وأنَّ ما سواهما من العناصر إمَّا تَبَعَاً لهما، كوَحدة المصالح والآمال والآلام، أو أنَّ الحصري قد أسقطها من حساباته بشكلٍ كاملٍ، كوَحدة الأرض.

وقد أكَّد الميدانيُّ على أنَّ هذه العناصر جميعها لم تستطع أن توحِّد بين أتباع الأديان المختلفة، وأنَّه قد ثبت أنَّ عناصر القوميَّة هذه لا تصلح لتكوين أمَّةٍ يتَّبع أفرادها مذاهبَ وعقائدَ شتَّى متباينة ومتضادَّة الاتِّجاهات، وأكَّد على سقوط فكرة القوميَّة من أساسها لدى تطبيقها على المجتمع البشريِّ، فهي لم تستطع أن تسُدَّ حاجة الإنسان، أو تشبع نهمة العقول الَّتي تتطلَّع إلى معرفة ما يُقنعها حول سر وجوده والغاية منه، وواجباته في الحياة، ومصيره بعد انقضائها، ولم تهدِه إلى منهجٍ يسير عليه في حياته، وأنَّ الدِّين الإسلاميَّ وحده الأقدر على فعل ذلك، وهو

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٢٦٨.

(٢) كواشف زيوف، ٢٦٩. نقلاً عن: أبحاث مختارة في القومية العربية، ٢/٢١.

(٣) انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ١/١٧٣، ١٧٦.

(٤) انظر: حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، ١٠٦.

الأصلح لِأن يجتمع النَّاس على ما فيه من حقٍّ وعدلٍ وكمالٍ، ورغبةً بما وراء ذلك من ثــوابٍ، ورهبةً ممَّا وراءه من عقابٍ أعدَّهما الله منزِّل هذا الدِّين[١].

إنَّ هذه العناصر الأربعة وغيرها الَّتي نادى بها القوميُّون العرب أو ببعضها، لا تعدو عن كونها دعوةً جاهليَّةً تُخالف في مجموعها أصل التَّصوُّر الإسلاميِّ السَّليم، والمنهج الرَّبَّانيَّ القويم كما يقول الأستاذ الشَّهيد سيِّد قطب رحمه الله: "إنَّ الوشيجة الَّتي يتجمَّع عليها النَّاس في هذا الــدِّين وشيجة فريدة تتميَّز بها طبيعة هذا الدِّين، وتتعلَّق بآفاقٍ وآمادٍ وأبعادٍ وأهدافٍ يختصُّ بها ذلــك المنهج الرَّبَّانيُّ الكريم. إنَّ هذه الوشيجة ليست وشيجة الدَّم والنســب وليســت وشــيجة الأرض والوطن، وليست وشيجة القوم والعشيرة، وليست وشيجة اللَّون واللُّغة، وليست وشيجة الجــنس والعنصر، وليست وشيجة الحرفة والطَّبقة ... إنَّ الجاهليَّات تجعل الرَّابطة آناً هي الدَّم والنسب وآناً هي الأرض والوطن، وآناً هي القوم والعشيرة، وآناً هي اللَّون واللُّغة، وآناً هــي الجــنس والعنصر، وآناً هي الحرفة والطَّبقة! تجعلها آناً هي المصالح المشترَكة، أو التَّاريخ المشترَك، أو المصير المشترَك، وكلُّها تصوُّراتٌ جاهليَّةٌ – على تفرُّقها أو تجمُّعها – تخالف مخالفةً أصــيلةً عميقةً عن أصل التَّصوُّر الإسلاميِّ والمنهج الرَّبَّانيِّ القويم"[٢].

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٨٨٦/٤، دار الشروق – بيروت، القاهرة، طـ١٧، ١٤١٢م.

المسألة الثَّانية: وسائل تثبيت القوميَّة في البلاد الإسلاميَّة:

يرى الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ أعداء الإسلام قد قاموا بتوظيف القوميَّة كسلاحٍ للفتك بوَحدة المسلمين الدِّينيَّة ذات المقوِّمات الفكريَّة، والعاطفيَّة، والتَّاريخيَّة، فبالقوميَّة يصبح تفريق المسلمين إلى قوميَّاتٍ شتَّى، وإعادتهم إلى أصولهم الجاهليَّة الَّتي كانوا عليها قبل أن تجمعهم رابطة العقيدة الإسلاميَّة أمراً ميسوراً، وعلى إثر التَّفرق ستنمو عوامل الشُّقَّة بين المسلمين، وستحجز السُّدود بينهم بفعل التَّرسُّبات الَّتي تصطنعها العصبيَّات القوميَّة، وبعض الخلافات السِّياسيَّة والاقتصاديَّة، ولهذه الأسباب غدا أعداء الإسلام بحاجةٍ إلى جملةٍ من الوسائل الَّتي تمكِّنهم من بثِّ فكرة القوميَّة في البلدان الإسلاميَّة، وتثبيتها في أذهان أبناء المسلمين، وقد فصَّل الشَّيخ هذه الوسائل على النَّحو التَّالي[1]:

أوَّلاً: العمل على هدم الخلافة الإسلاميَّة، وذلك بإثارة النَّزعة القوميَّة العربيَّة، بعد الاستفادة من الأخطاء الَّتي ارتكبها الحكم التُّركيُّ بفعل المكائد اليهوديَّة والأوروبيَّة الَّتي أوحت بهذه الأخطاء، وساهمت في انتشارها، ومن ثَمَّ قامت بتحريض القوميَّات غير التُّركيَّة ومنها العربيَّة ضدَّ السُّلطان التُّركيِّ، فكان أن انزلق العرب إلى هذا الفخِّ تحت شعار التَّحرُّر القوميِّ فانتهى بهم الحال إلى التَّجزئة الَّتي وجد فيها الاستعمار فرصةً للانقضاض على هذه الدُّول المجزَّأة فبسط عليها نفوذه، وأمعن في تجزئتها إلى دويلاتٍ صغيرةٍ، ليتحقَّق ما كان يؤمِّله الكولونيل لورانس من قبل حين قال في تقريره للمخابرات البريطانيَّة سنة ١٩١٦م: "إنَّ أهدافنا الرَّئيسة تفتيت الوَحدة الإسلاميَّة بدحر الامبراطوريَّة العثمانيَّة وتدميرها، وإذا عرفنا كيف نعامل العرب فيسبقون في دوَّامة الفوضى السِّياسيَّة داخل دويلاتٍ صغيرةٍ حاقدةٍ متنافرةٍ غير قابلةٍ للتَّماسك"[2].

ثانياً: العمل على تأسيس الأحزاب الضَّيِّقة حيناً، كالأحزاب الَّتي نادت بفكرة القوميَّة السُّوريَّة، وتأسيس الأحزاب الواسعة حيناً، كالأحزاب الَّتي نادت بفكرة القوميَّة العربيَّة، ومعظم هذه الأحزاب بكلا نوعيها قد أُسِّس في جذوره العميقة بما يخدم أغراض أعداء الإسلام، وعزل الجماهير العربيَّة عنه.

ثالثاً: استئجار كبار الكتَّاب والمفكِّرين وأصحاب الأقلام لإثارة النَّزعات القوميَّة، سواءً منها ما اتَّسع ليشمل الأمَّة العربيَّة، أو ما اقتصر منها على إقليمٍ خاصٍّ، كالقوميَّة السُّوريَّة أو الفرعونيَّة، ومن الكتَّاب الَّذين رفعوا لواء القوميَّة المصريَّة الفرعونيَّة: لطفي السَّيد، وسلامة

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٣٣٤-٣٣٦.

(٢) المصدر السابق، ٣٣٥.

موسى، وتوفيق الحكيم، ولويس عوض، وحسين مؤنس، وطه حسين، حيث كان لهم كتاباتٌ تدعو إلى هذا النَّوع من القوميَّة.

رابعاً: بثُّ الإشاعات الكاذبة الَّتي تثير في الجماهير العصبيَّات القوميَّة، وتُشيِّد الحواجز بين أبناء القوميَّات المختلفة ممن يدينون بدينٍ واحدٍ، وتربطهم رابطةٌ واحدةٌ، وهي العقيدة الإسلاميَّة.

خامساً: إحياء الجاهليَّات القديمة وتعظيمها، ورفع شأن العناصر غير الإسلاميَّة عبر تاريخ المسلمين، والاهتمام بتدريس آدابهم، وآداب العصور الجاهليَّة في الجامعات والمعاهد والمدارس، للصدِّ عن الإسلام، وغرس عقيدة الولاء لغيره في نفوس أبناء وبنات المسلمين.

إنَّ الَّذي يقلِّب صفحات التَّاريخ، أو يتأمَّل الواقع المُعاش، يجد أنَّ هذه الوسائل الَّتي ذكرها الشَّيخ الميدانيُّ قد استخدمها أعداء الإسلام، وطبَّقوها بحذافيرها، وما تُخفي صدورُهم أكبر، وما ستَرُوه من وسائلهم أعظم، وممَّا يُؤسَف له أنَّ بعض الدَّهماء من أبناء المسلمين قد استُدرجوا إلى شَرَك الفكر القوميِّ المقيت بعد أن فُتنوا بشعاراته البرَّاقة الزَّائفة، فصاروا ينعقون خلف كلِّ ناعقٍ من القوميين العرب على غير هدىً، وتهتف حناجرُهم وتردِّد دون وعيٍ مقالات دعاة القوميَّة، ليتحولوا من حيث لا يشعرون إلى وسائلَ إضافيَّةٍ من وسائل أعداء الإسلام لتثبيت هذا الفكر الَّذي سارع الغزاة إلى إذكائه، وتسريع انتشاره، ليواصلوا مسلسل التَّجزئة، فيجزِّئوا المُجزَّأ، ويُقسِّموا المُقَسَّم من خلال هدم رابطة العقيدة والأُخوَّة الإيمانيَّة التي تجمع المسلمين كافَّةً في ربوع الأرض كافَّةً، عبر تغذية هذه النَّعرات والعصبيَّات القوميَّة الَّتي جرَّت على المسلمين الكوارث، والطَّامات، والنَّكبات كما فعلت من قبلُ في أوروبا والغرب بشكلٍ عامٍّ.

المسألة الثَّالثة: العرب قبل الإسلام وبعده:

استغرب الشَّيخ الميدانيُّ الكذبة الَّتي يروِّجها ويردِّدها أعداء الإسلام من أنَّ الإسلام صناعةٌ عربيَّةٌ، وتساءل الشَّيخ عمَّا إذا كان العرب قبل الإسلام قد صنعوا مجداً؟! بل إنَّ الإسلام هو من صنع للعرب حضارةً وتاريخاً، ومنحهم عزّاً ومجداً، وليس العكس، وضرب الشَّيخ مثلاً بعمر بن الخطاب ﷺ الَّذي تُعدُّ عروبتُه أثبت ألف مرةٍ – كما يقول الشَّيخ – من عروبة دعاة القوميَّة العربيَّة في هذا العصر، ومع ذلك فإنَّ عمرَ بن الخطاب ﷺ نسب ما بقومه من عزَّةٍ وسؤددٍ إلى الإسلام، وليس إلى العروبة، عندما قال ﷺ: **(إنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللهُ)**(١)، وقد أقرَّ عمرَ على مقالته هذه سائرُ العرب الأقحاح في عصره، وبعد عصره، وما كانوا ليُقِرُّوه على خطأ، وهم الَّذين أسَّسوا للأمَّة العربيَّة مجداً وتاريخاً، ولن يستطيع من أطلق عليهم الشَّيخ دعاة العروبة ممَّن لم يُعرف لهم نسبٌ متَّصلٌ بالأمَّة العربيَّة أن ينقضوا هذه الحقيقة التَّاريخيَّة الَّتي أعلنها جيل الأمَّة العربيَّة من الَّذين عاصروا الجاهليَّة والإسلام، والَّتي أعلنتها الأجيال العربيَّة المتعاقبة، وقد لخَّص الشَّيخ واقع الأمَّة العربيَّة قبل الإسلام بما يلي(٢):

أوَّلاً: استشراء العداء بين القبائل العربيَّة، الَّذي كان بسببه تنشب الحروب الطَّويلة بينها على أحداثٍ تافهةٍ.

ثانياً: التَّخلُّف الاقتصاديُّ في مختلف المجالات الزِّراعيَّة والصِّناعيَّة، والتَّركيز على الثَّروة الحيوانيَّة، وقد أدَّى هذا التَّخلُّف إلى فقرٍ ورَّثهم دوافعَ الغزو لتحصيل وسائل العيش.

ثالثاً: التَّخلُّف الحضاريُّ الَّذي جعل منهم مطمعاً ونهباً للإمبراطوريَّات المجاورة للجزيرة العربيَّة: الفارسيَّة والرُّومانيَّة والحبشيَّة.

رابعاً: انتشار العقائد الوثنيَّة والخرافات، والفوضى الأخلاقيَّة والاجتماعيَّة، باستثناء بقيَّة من عاداتٍ نبيلةٍ، وأثارةٍ دينيَّةٍ موروثةٍ من ديانة إسماعيل ﷺ.

وبعد استعراض الشَّيخ لهذه العناصر الَّتي صوَّرت واقع العرب قبل الإسلام، ذكر أنَّ هذا الواقع هو الَّذي ذكره الله ﷻ في كتابه بقوله: ﴿**وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٣]، وأنَّه لمَّا أشرقت شمس الإسلام، جمع الأمَّة على

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، رقم الحديث: (٢٠٧)، ١/١٣٠، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرِّجاه، وقال الذهبي: على شرط الشيخين.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٣٤٣-٣٤٥.

مبادئه السَّامية، وألَّف بين قلوبها، فتحوَّلت من واقعها المتخلِّف، وارتقت بسرعةٍ تاريخيَّةٍ إلى قمَّة المجد الرَّفيع، وقد نَظَم الشَّيخ قصيدةً ماتعةً عقد فيها مقارنةً بين حال الأمَّة العربيَّة قبل الإسلام وبعده يقول فيها(١):

بماذا تفخر العربيَّة الجاهليَّة؟؟!!..
مَنْ كان قبل مُحمَّدٍ في قومنا نحن العرب
عَلماً نفاخر فيه عند ذوي المفاخر في النَّسب
الشَّامخين بعِرقهم ممَّن تحضَّر أو غلب؟؟
أفبالملوكِ يُتوَّجون بقصر قيصر ذي المكان؟
أم بالملوك يُتوَّجون بقصر كسرى ذي الإوان
أم بالمؤدِّين الضريبة للنَّجاشيِّ في هوان؟
وجميعهم مستأجرون
مستخدمون مذلَّلون
وَفق الأوامر يحكمون
ومراسم التَّمليك تصنع خارجاً وهناك بالإذلال تمهر
أبذاك نفخر؟

* * *

من كان قبل مُحمَّدٍ في قومنا نحن العرب
علماً نفاخر فيه عند ذوي المفاخر في النَّسب
الشَّامخين بعِرقهم ممَّن تحضَّر أو غلب؟؟!!
أبِأنَّ أبرهة الأمير على الجنوب المستبدِّ
القائد الحبشيُّ عاث بأرض قومي لم يُردِّ
وأراد هدم أجلِّ بيتٍ عند قومي واستعدَّ؟
أبضعفهم عن ردِّه
وبعجزهم عن صدِّه
حتَّى دنا من قصده؟؟
لولا تدارُك ربِّ هذا البيت يحفظ بيته لرمى ودمَّر
أبذاك نفخر؟

* * *

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٣٤٥-٣٤٩.

من كان قبل مُحمَّدٍ في قومنا نحن العرب
علماً نفاخر فيه عند ذوي المفاخر في النَّسب
الشَّامخين بعِرقهم ممَّن تحضَّر أو غلب؟؟!!
أبعنترٍ وهو الَّذي ما قاد نحو الفتح جيشاً؟
أم بالقبائل في الخيام وكلُّها لم تعلُ عرشاً؟
أم بالحروب استقطبت أسبابها جملاً وكبشا؟
وعموم قومي جاهلون
لا يقرأون ويكتبون
مستضعفون مُشتَّتون
إن تُذكر الدُّول الكبار أو الصِّغار فإنَّ قومي ليس تُذكر
أبذاك نفخر؟

* * *

من كان قبل مُحمَّدٍ في قومنا نحن العرب
علماً نفاخر فيه عند ذوي المفاخر في النَّسب
الشَّامخين بعِرقهم ممَّن تحضَّر أو غلب؟؟!!
أفبالعلوم ولم يكن منها لهم وفْرُ النَّصيب؟
أم بالصِّناعة وهي عنهم كالشُّروق مع المغيب؟
أم بالبناء وما لهم أثرٌ تسجِّله الشُّعوب؟
أبأنَّهم لا يحسبون؟
ويهود فيهم يرتعون
كم يسلبون وينهبون!!
متعلِّلين بأنَّهم إن يسلبوا قومي فما في الأمر منكَر
أبذاك نفخر؟

* * *

من كان قبل مُحمَّدٍ في قومنا نحن العرب
علماً نفاخر فيه عند ذوي المفاخر في النَّسب
الشَّامخين بعرقهم ممَّن تحضَّر أو غلب؟؟!!
أبوأد بنتٍ طفلةٍ لم تقترفْ ذنب الكبار؟
وتعصَّبٍ مستسخفٍ لا عقل فيه ولا ادِّكار؟

وبهضم حقٍّ للنِّساء وهضم حقٍّ للصِّغار؟
أم بالعبيد المُحقَّرين
في غير حرب يُؤسرون
هم بالعذاب يُسَخَّرون؟
من يدعُ منهم للهدى والعدل بين النَّاس يزجر
أبذاك نفخر؟

* * *

من كان قبل مُحمَّدٍ في قومنا نحن العرب
علماً نفاخر فيه عند ذوي المفاخر في النَّسب
الشَّامخين بعرقهم ممَّن تحضَّر أو غلب؟؟!!
أبأنَّهم كانت لهم عزَّى وكان لهم هبل؟
أبأنَّهم قد أشركوا بالله أحجار الجبل؟
أم أنَّ من أربابهم تمراً إذا جاعوا أكل؟
وبذاك كانوا يفخرون
وإلى الضَّلالة يهرعون
ومع الجهالة يسخرون
من نفحةٍ قدسيَّةٍ للنَّاس تدعوهم إلى: الله أكبر
أبذاك نفخر؟

* * *

من كان قبل مُحمَّدٍ في قومنا نحن العرب
علماً نفاخر فيه عند ذوي المفاخر في النَّسب
الشَّامخين بعِرقهم ممَّن تحضَّر أو غلب؟؟!!
أبقوم لوطٍ؟ أم بمدينَ؟ أم بعادٍ؟ أم ثمود
وجميعهم بادوا بما اقترفوا وما اجترحوا الفساد
فانظر بلاداً دُمِّرت أو نُكِّست بين البلاد
واستنطق الآثار
واسأل رسوم الدَّار
وابحث عن الدِّيار
واستقرئ التَّاريخ عنهم تلقهم عبَّاد معصيةٍ ومنكر

أبذاك نفخر؟

* * *

لا. لا والكتاب ومن أتمَّه *** وأتى به للنَّاس رحمة

وأظلَّ دنيانا بنعمةٍ *** ما فوقها في الكون نعمة

بنبينا أحمد

القائد المفرد

المرسل الأمجد

الطيِّب المحتد....صلَّى عليه الله

* * *

ما كان قبل مُحمَّدٍ في قومنا نحن العرب

مجدٌ نفاخر فيه إلَّا أن نلفِّق بالكذب

حاشا سليل المجد إسماعيل صهرهمو الأحب

وأثارة من حكمةٍ عنه استقرَّت في العرب

نحن بني العرب على طول المدا

ما جاءنا يومٌ ونلنا سؤددا

إلَّا بإسلام حمانا وهدى

تاريخنا ومجدنا لقد بدا

مذ أرسل الله لنا مُحمَّداً.... صلَّى عليه الله.

ولا يعني كلام الشَّيخ هذا الَّذي ينبذ العصبيَّات القوميَّة المقيتة أنَّه يتنصَّل من عروبته، بل إنَّ الشيخ قد افتخر بها ، ولكنَّه فرَّق بين اتِّصاله بالعربيَّة جسداً وعِرقاً ولغةً، وبين ما اكتسبه من أفكارٍ وعقائدَ وسلوكٍ، فهذه هبةٌ إسلاميَّةٌ خالصةٌ، فقال: "لست أنكر أنِّي عربيٌّ، فالعربيَّة تجري في دمي ولحمي وعظمي، ولا أعرف من عِرقي إلَّا أنَّي عربيٌّ، إنَّ جسدي يتَّصل بها نسباً وعِرقاً، ولساني يتَّصل بها لغةً ونطقاً، أمَّا أفكاري وعقائدي وما استقام من سلوكي فلا تُمِتُّ إلى العربيَّة الجاهليَّة بصلةٍ، إنَّها هبةٌ إسلاميَّةٌ، لم تعمل الأمَّة العربيَّة فيها غير حسن التَّلقي، وحسن الاتِّباع، ودقة التَّبليغ، وحماسة النَّشر والتَّعليم على شُعوب الأرض"[1].

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ٣٤٣.

المسألة الرَّابعة: موقف الإسلام من القوميَّة:

لقد حاول أعداء الإسلام أن يقلبوا المفاهيم، ويخلطوا الأوراق لدى طرحهم فكرة القوميَّة على المسلمين، معتمدين في ذلك على بعض المغالطات لدغدغة مشاعر المسلمين، فحاولوا الإيحاء لهم بأنَّ القوميَّة لا تتعارض ولا تصطدم بالإسلام بحالٍ، ولكنَّ الشَّيخ الميدانيَّ كشف هذه المغالطات الَّتي يحاول الغزاة اللَّعب على وترها الحسَّاس، فبيَّن الشَّيخ أنَّ مفهوم القوميَّة الَّذي يوسوس به أعداء الإسلام يعتمد على عصبيَّةٍ عِرقيَّةٍ، تكتفي بأن تجمع الأفراد المنتسبين إليها على أساس العِرق، ثُمَّ أضافوا إليه مفهوم الاشتراك في لغة التَّخاطب، ومفهوم الاشتراك في التَّاريخ، ومفهوم الاشتراك في المشاعر من آلام وآمال، وعند حديثهم عن هذه المفاهيم يدسُّون مكرهم، عبر إلباس القوميين العرب تيجان مجدٍ علميٍّ أو أدبيٍّ أو بطوليٍّ لا يستحقُّونه، وعبر ذكر آلام التَّفرقة بين أبناء القوميَّة الواحدة الَّتي يسبِّبها الاختلاف في الدِّين، وهكذا يبثُّوا هذه المفاهيم في نفوس الجاهلين، ليفرِّغوه من العقيدة الإسلاميَّة، ليصبح ممتلئاً بعقيدةٍ جديدةٍ هي عقيدة القوميَّة، ولهذا يؤكِّد الشَّيخ على أنَّ هذه القوميَّة بهذا المفهوم يرفضها الإسلام وينبذها، أمَّا مفهوم القوميَّة الَّذي لا يتعارض مع الإسلام فهو الَّذي يدل عليه قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]، فهذه الآية تؤكِّد على فكرة الجماعة الإنسانيَّة في الإسلام، وأنَّهم جميعاً من عِرقٍ واحدٍ، قد استغلَّها أعداء الإسلام في مغالطتهم القائمة على أنَّ الإسلام يدعو للقوميَّة، ولكنَّ الشَّيخ فنَّد هذه المغالطة، وأوضح أنَّ الاختلاف بين النَّاس على أساس الشُّعوب والقبائل شيءٌ اقتضته طبيعة التَّقسيم للتَّعارف فقط، لا ليكون أساساً للتَّناكر والتَّخالف والعصبيَّات(١).

لذا فقد حرص الشَّيخ على إبانة موقف الإسلام من القوميَّة بهذا المفهوم المغلوط، فبيَّن أنَّ الإسلام يرفض العصبيَّة القوميَّة، وأنَّه قد أقام بين المسلمين الأُخوَّة الإيمانيَّة الإسلاميَّة، ولم يُلغِ حقَّ الرَّحِم في الصِّلة والمصاحبة بالمعروف، ثُمَّ ساق الشَّيخ طائفةً من النُّصوص الشَّرعيَّة الدَّالَّة على ذلك، وهي(٢):

أوَّلاً: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠]، وهذا عقدٌ عقده الله عزَّ وجلَّ بين كلِّ المؤمنين دون استثناءٍ، فهم إخوةٌ برابطة وَحدة الإيمان.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٣٣٧-٣٣٩.

(٢) انظر: كواشف زيوف، ٢٧٣-٢٧٦.

ثانياً: عَنْ النُّعْمَان بن بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**(١)، فأبان الرَّسول ﷺ أنَّ الأمَّة الإسلاميَّة في وَحدتها وترابطها، بمثابة الجسد الواحد الَّذي تُحرِّكه روحٌ واحدةٌ، وتوجِّهه مشاعرُ واحدةٌ.

ثالثاً: عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللهُ:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]**)**(٢)، فأعلن رسول الله ﷺ نهاية العصبيَّة الجاهليَّة، وتكبُّرها بآبائها.

رابعاً: عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَسطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الوَدَاعِ فَقَالَ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَر عَلَى أَسْوَد، وَلَا أَسْوَد عَلَى أَحْمَرْ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟)** قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: **(فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)**(٣).

خامساً: عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَيْضاً قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ،وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وكَانَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ فَكَسَعَ(٤) أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم، رقم الحديث: (٦٠١١)، ١٢٤١، وأخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: (٢٥٨٦)، ١٣٥٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، واللفظ له، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجرات، رقم الحديث: (٣٢٧٠)، ٧٣٩، وأخرجه ابن حبَّان في صحيحه، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب الحج، باب دخول مكة، رقم الحديث: (٣٨٢٨)، ١٣٧/٩، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، مسند بن عمر، رقم الحديث: (٧٩٥)، ٢٥٣/١، مكتبة السنة – القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: مختار أحمد الندوي، رقم الحديث: (٤٧٦٧)، ١٢٧/٧، مكتبة الرشيد ناشرون، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وقال الألباني: صحيح.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٤٧٧٤)، ١٣٢/٧، قال البيهقي: في هذا الإسناد من يُجهل.

(٤) كَسَعَ: "الكسع هو ضرب الإنسان على دبره، باليد، أو بصدر القوم، أو بأي شيءٍ آخر، كسعوهم بسيوفهم أي ضربوا أدبارهم بها". كواشف زيوف، هامش، ٢٧٤.

غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **(مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ)**، ثُمَّ قَالَ: **(مَا شَأْنُهُمْ)**، فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ)**[(١)].

سادساً: مرّ شاس بن قيسٍ – وهو حبرٌ من أحبار يهود بني قينقاع – وكان شيخاً موغِلاً في معاداة الإسلام، عظيم الكفر، شديد الحسد للمسلمين، على نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، فوجدهم مجتمعين متحابِّين، قد ألّفت بينهم الأُخوَّة الإسلاميَّة، فغاظه ما رأى من أُلفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الَّذي كان بينهم من العداوة في الجاهليَّة، فقال: "قد اجتمع مَلأ بني قَيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع مَلَؤهُم بها قرارٌ"، فأمر فتىً شابًّاً من يهود كان معه، فقال له: "اعمد إليهم، فاجلس معهم، ثُمَّ اذكر (يوم بُعاث)[(٢)] وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا به من أشعار، فأقبل هذا الشَّاب فجلس بين المسلمين، وتحدَّث معهم، ثُمَّ استجرَّهم للحديث عن يوم بُعاث، وأنشدهم ما يحفظ من الأشعار الَّتي قيلت فيه، ودبَّت الحميَّة بين الأوسيين والخزرجيين، وتنادوْا: السِّلاح السِّلاح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين، حتَّى جاءهم في الحرَّة، وهم يستعدُّون للقتال، فَقَالَ: **(يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اللهَ اللهَ، أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمُ اللهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنْ الْكُفْرِ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا؟)**[(٣)].

فعرف القوم أنَّها نزغةٌ من الشَّيطان، وكيدٌ من عدوِّهم، فألقوا السِّلاح من أيديهم، وبكَوْا، وعانقَ الرِّجال من الأوس والخزرج بعضُهم بعضًا، ثُمَّ انصرفوا مع رَسول الله ﷺ سامعين مطيعين، وأنزل الله ﷻ قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، رقم الحديث: (٣٥١٨)، ٧٣٨، وأخرجه مسلم بنحوه، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، رقم الحديث: (٢٥٨٤)، ١٣٥١، ١٣٥٢، وعنده: **(دَعُوهَا. فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ)**.

(٢) يوم بُعاث: يوم من أيام الجاهلية اقتتل فيه الأوس والخزرج، وكان على الأوس حضير الكتائب بن سماك، وهو والد الصحابي الجليل أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياض، وكان الظفر فيه للأوس. انظر: الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، ٥٣٨/١، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره، جامع البيان من تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، خرَّج أحاديثه، أحمد محمد شاكر، رقم الحديث: (٧٥٢٤)، ٥٥/٧، ٥٦، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، بدون تاريخ.

إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ*وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠٠، ١٠١].

يتبيَّن من هذه النُّصوص أنَّ الإسلام أبقى على رابط العقيدة بين المسلمين على اختلاف أعراقهم وأجناسهم وألوانهم، وهدم ما دونها من روابط، فقد آخى بين عليٍّ بن أبي طالبٍ القرشيِّ، وصُهيبٍ الرُّوميِّ، وبلالٍ الحبشيِّ، وسلمان الفارسيِّ رضي الله عنهم أجمعين، وقد نعت رسول الله ﷺ الدَّعوات القوميَّة بالجاهليَّة، وحذَّر من الآثار الَّتي قد تترتب من جرَّاء الاستمساك بها، ومن خطر ذلك على وَحدة الأمَّة الإسلاميَّة.

المبحث الثالث

المـرأة

- المطلب الأوَّل: مكانة المرأة في الإسلام
- المطلب الثَّاني: قضايا مثارة حول المرأة وموقف الميدانيِّ منها

المطلب الأوَّل

مكانة المرأة في الإسلام

تُعتبر المرأة العنصر الأهمَّ في أيِّ مجتمعٍ من المجتمعات، فهي الأمُّ والأخت والزَّوجة والبنت، ولها تأثيرٌ كبيرٌ وواضحٌ على مَن في دائرتها من الرِّجال والنَّاشئة، فإنْ صلحت المرأة صلح هذا المجتمع بصلاحها، وإن فسدت فسد بفسادها، وظلَّت المرأة لقرونٍ الرُّكن الرَّكين للأمَّة الإسلاميَّة، إذ كانت بصدق إيمانها، وسلامة صدرها، ورجاحة عقلها، وسَعة أفقها وفقهها تقوم بتحصين أجيال المسلمين من عبث العابثين، وإرجاف المبطلين، وفي التَّاريخ الإسلاميِّ من النَّماذج الفذَّة لنساءٍ قُمن بهذا الدَّور، وحملن مثل هذه الأمانة ما لا حصر له، ولذا اختار أعداء الأمَّة المرأة لتكون وسيلةً من وسائل تغريب المجتمع الإسلاميِّ، لما لها من دور هامٍّ في التَّأثير على كافَّة عناصر المجتمع، فاستهدفوا المرأة استهدافاً فكريًّا، ليصرفوها عن دينها، ويشوِّشوا أفكارها، ويزحزحوا ثقتها بالدَّور العظيم الَّذي أولاه الإسلام لها، وحرصوا على إسقاطها في أتون الفحش والفساد، واستخدموا للوصول إلى ذلك شعاراتٍ مُنمَّقةً مُزخرفةً ليخدعوا بها المرأة، وحاولوا إقناعها بأنَّ الإسلام وراء تخلُّفها وسلب حقوقها والحطِّ من كرامتها، لذا فإنَّ الباحث سيظهر حال المرأة قبل الإسلام، وكيف رفع الإسلام قدرها، ورفع شأنها، وأعلى منزلتها من خلال المسائل التَّالية:

المسألة الأولى: وضع المرأة قبل الإسلام:

لم تحظَ المرأة عند المجتمعات القديمة بمكانةٍ كتلك الَّتي منحها لها الدِّين الإسلاميُّ، فقد كانت كرامة المرأة مهدرةً، ومكانتها الاجتماعية وضيعةً، ولم تنل حقوقها القانونيَّة الَّتي تستحقها والَّتي تتلاءم مع الرِّسالة العظيمة الَّتي اختصت المرأة للقيام بها وتأديتها[1]، ولمَّا جاء الإسلام صحَّح ما اعوجَّ من الأفكار المغلوطة تجاه المرأة، وقدَّم لها صورةً مغايرةً تماماً عن تلك الصُّورة الَّتي أراد القدماء وأهل الأديان السَّابقة للإسلام رسمها للمرأة، وأعاد للمرأة كامل حقوقها المسلوبة، وحرَّرها من القيود الَّتي فُرضت عليها بفعل جهل تلك الأمم بقدرها، وبهذا صار للمرأة شأنٌ ومكانةٌ لم تبلغها قبل الإسلام، ولا بعده حتَّى في زمن التَّنوير والتَّمدن والحضارة ودعوات تحرير المرأة؛ لأنَّ هذه الدَّعوات مغلَّفةٌ بنوايا خبيثةٍ تريد أن تُعيد المرأة إلى المربَّع الأوَّل حيث كانت مجرَّدَ سلعةٍ رخيصةٍ تُباع وتُشترى، يقول الشَّيخ محمد عبده رحمه الله: "هذه الدَّرجة الَّتي رفع النِّساء إليها – أي الإسلام – لم يرفعهنَّ إليها دينٌ سابقٌ ولا شريعةٌ من الشَّرائع، بل لم تصل إليها أمةٌ من الأمم قبل الإسلام ولا بعده، وهذه الأمم الأوربية الَّتي كان من

(١) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، ١٣، مكتبة الوراق – الرياض، ط٧، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

آثار تقدُّمها في الحضارة والمدنيَّة أن بالغت في تكريم النِّساء واحترامهنَّ، وعنيت بتربيتهنَّ وتعليمهنَّ العلوم والفنون، لا تزال دون هذه الدَّرجة الَّتي رفع الإسلام النِّساء إليها، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التَّصرف في مالها بدون إذن زوجها، وغير ذلك من الحقوق الَّتي منحتها إيَّاها الشَّريعة الإسلاميَّة من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف، وقد كان النِّساء في أوربا منذ خمسين سنةً بمنزلة الأرقَّاء في كلِّ شيءٍ كما كُنَّ في عهد الجاهليَّة عند العرب أو أسوأ حالاً"(١)، ويمكن إبراز هذه المعاني والتَّأكيد عليها بإلقاء الضَّوء على وضع المرأة ومكانتها عند الأمم والمجتمعات القديمة، وعند أصحاب الأديان الكبرى مثل اليهود والنَّصارى على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: وضع المرأة عند اليونان:

كان وضع المرأة في العصر البدائي لليونان في غاية الانحطاط من حيث الأخلاق والحقوق القانونيَّة، والسلوك الاجتماعيِّ، فقد كانت منزلة المرأة عندهم ممتهنةٌ جدًّا، ومع أوَّل عهد اليونان بالنَّهضة المدنيَّة لم يتغيَّر وضع المرأة كثيراً، باستثناء بعض التَّعديلات الَّتي حسَّنت قليلاً من وضع المرأة، وإن بقي وضعها القانونيُّ عندهم على حاله لم يتغيَّر(٢)، كما بقيت محرومةً من الثَّقافة، وليس لها أيُّ إسهامٍ في الحياة العامَّة، وحتى مع أول عهد المجتمع اليوناني بالحضارة ظلت نظرته للمرأة نظرة دونية محتقرة، وكانوا يُطلقون عليها رجساً من عمل الشَّيطان، أمَّا في أوج الحضارة اليونانيَّة فقد تحوَّلت المرأة إلى بضاعة مبتذلةٍ وسلعةٍ رخيصةٍ، بعد أن شاع الاختلاط مع الرِّجال، وانتشرت الفاحشة، وصار الزِّنى أمراً لا يُنكر(٣).

ثانياً: وضع المرأة عند الرُّومان:

ولم يكن وضع المرأة عند الرُّومان أحسن حالاً عنها من اليونان، فقد كان الرَّجل يملك في بيته سلطةً مُطلَقةً، وكان له حقوق الملك على أهله وأولاده، إلى حدٍّ أنَّه يجوز له قتل زوجته في بعض الأحيان، ولمَّا تقدم الرُّومان خطواتٍ نحو المدنيَّة والحضارة تقلَّصت سلطة الرَّجل، وبدأت الكفَّة تميل إلى الاعتدال شيئاً فشيئاً، إلَّا أنَّ نظام الأسرة ظلَّ على حاله(٤).

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، ٣٧٥/٢، ٣٧٦، مطبعة المنار – القاهرة، ط٢، ١٣٥٠هـ.

(٢) انظر: الحجاب، أبو الأعلى المودودي، ترجمة: محمد كاظم السمَّان، ١٢، دار الفكر – دمشق، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٣) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ١٣.

(٤) انظر: الحجاب، ١٧.

ثالثاً: وضع المرأة في شريعة حمورابي:

كانت المرأة في شريعة حمورابي تُعدُّ بمثابة الماشية المملوكة، ففي هذه الشَّريعة أنَّ من قتل امرأةً فإنَّ على قاتلها أن يقدِّم إلى وليِّها امرأةً غيرها، أو يدفع إليه بقيمتها(١).

رابعاً: وضع المرأة في الحضارة الهنديَّة:

كانت جميع حقوق المرأة عند الهنود منوطةً بزوجها بما في ذلك حقوقها الماليَّة، إلى درجة أنَّ حقَّها في الحياة كان مرهوناً بحياة زوجها، فإذا مات زوجُها حُكِم عليها بالموت، وأُحرقت معه(٢).

خامساً: وضع المرأة في الحضارة المصريَّة القديمة:

كان للمرأة عند قدماء المصريين حظٌّ من الكرامة، إذ أجازوا لها الجلوس على العرش، وكان لها حقُّ الرِّعاية داخل الأسرة، ولكن على الرَّغم من ذلك فقد شاعت عند قدماء المصريين ما تُسمَّى بعقيدة الخطيئة الأبديَّة، ويعتبرون أنَّ المرأة هي علة تلك الخطيئة، وأنَّها خليفة الشَّيطان، وشَرَك الغواية والرَّذيلة، وأنَّه لا نجاة للرُّوح إلَّا بالنَّجاة من حبائلها(٣).

سادساً: وضع المرأة عند اليهود:

كانت بعض قبائل اليهود تعتبر البنت بمرتبة الخادم، وكان لأبيها الحقُّ في أن يبيعها قاصرةً، والمرأة في الدِّيانة اليهوديَّة لا ترث إذا كان لها أخاً ذكراً أو أكثر، ولها عليه نفقتها ومهرها عند الزَّواج فقط، أمَّا إذا لم يكن لها أخٌ ذكرٌ فإنَّ الميراث يؤول إليها، على أنَّه لا يحقُّ لها أن تتزوَّج من سبط غير سبطها حتَّى لا ينتقل الميراث إليه، وينظر اليهود إلى المرأة على أنَّها لعنة على اعتبار أنَّها أغوت آدم(٤)، فقد جاء في كتاب اليهود المقدَّس التَّوراة المحرَّفة ما نصُّه: "المرأة أمرُّ من الموت، وإنَّ الصَّالح أمام الله ينجو منها، رجلاً واحداً بين ألف وجدتُ، أمَّا امرأة فبين كلِّ أولئك لم أجد"(٥).

---

(١) انظر: مجلة عالم الفكر، مكانة المرأة في التشريع الإسلامي، عبد الباسط محمد حسين، ٤٢، المجلد السابع، العدد الأول – ابريل، مايو، يونيو، ١٩٧٦م، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ١٧.

(٢) انظر: مجلة عالم الفكر، مكانة المرأة في التشريع الإسلامي، عبد الباسط محمد حسين، ٤٢.

(٣) انظر: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، ١٧٢، المكتبة العصرية – بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٤) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ١٧، ١٨.

(٥) المصدر السابق، ١٨.

سابعاً: وضع المرأة عند النَّصارى:

كانت نظريَّة النصارى الأوليَّة الأساسيَّة للمرأة أنَّها مصدر السَّيئة والفجور، وأنَّها للرَّجل بابٌ من أبواب جهنَّم؛ لأنَّها تحمله على الآثام، وأنَّها أصل مصائب الإنسانيَّة جمعاء، ويجب عليها أن تندم على كونها امرأة، وأن تخجل من حسنها وجمالها، باعتبارهما سلاح إبليس الأكبر، وعليها ألَّا تكفَّ عن أداء الكفَّارة لما حملته من الشَّقاء للأرض وأهلها[(١)]، يقول ترتوليان وهو أحد أقطاب المسيحيَّة وأئمتها عن المرأة: "إنَّها مدخل الشَّيطان إلى نفس الإنسان، وإنَّها دافعةٌ بالمرء إلى الشَّجرة الممنوعة، ناقضةٌ لقانون الله، ومشوِّهةٌ لصورة الله – أي الرَّجل –"[(٢)]، ويقول كرائي سوستام الَّذي يُعدُّ من كبار أولياء الدِّيانة النَّصرانيَّة في شأن المرأة: "هي شرٌّ لابدَّ منه، ووسوسةٌ جِبليَّةٌ، وآفةٌ مرغوبٌ فيها، وخطرٌ على الأسرة والبيت، ومحبوبةٌ فتَّاكةٌ، ورُزءٌ مطليٌّ مموَّهٌ"[(٣)].

أمَّا نظريَّة النَّصارى الثَّانية للمرأة فتتلخَّص في أنَّ العَلاقة الجنسيَّة بين الرَّجل والمرأة هي نجس في نفسها ويجب تجنُّبها، حتَّى لو كانت ضمن إطارٍ رسميٍّ شرعيٍّ، وكانوا يعدُّون حياة العزوبيَّة، وتجنُّب الزَّواج من أمارات التَّقوى والورع وزكاء الأخلاق[(٤)].

ثامناً: وضع المرأة عند عرب الجاهليَّة:

لقد كانت المرأة في البيئة العربيَّة أيام الجاهليَّة مهضومةٌ في كثيرٍ من حقوقها، كحقِّها في الإرث، وليس لها حقٌّ في اختيار زوجها، وليس لها على زوجها حقوقٌ، ولم يكن للطَّلاق عندهم حدودٌ، ولا لتعدُّد الزَّوجات حدٌّ معيَّنٌ، وقد كان العرب وقتئذٍ يتشاءمون من ولادة البنات[(٥)]، وكانت بعض القبائل العربيَّة مثل مُضَر وخزاعة وتميم تئد البنات وهنَّ أحياءً، إمَّا خوفاً من الفقر، أو بسبب الحميَّة من أن يقعن سبايا في أيدي أعدائهم، أو خشية أن يطمع فيهنَّ غير الأكفاء[(٦)]، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك حيث قال الله تعالى في حقِّ أحدهم إذا بُشِّر بأنثى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل:٥٨]، وفي وأد بعضهم البنات قال ﷻ: ﴿وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ*بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التَّكوير:٨، ٩].

---

(١) انظر: الحجاب، ٢١.

(٢) المصدر السابق، ٢١.

(٣) المصدر السابق، ٢٢.

(٤) انظر: المصدر السابق، ٢٢.

(٥) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ١٩، ٢٠.

(٦) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ٩٦/٤، دار الفكر – بيروت، بدون رقم الطبعة، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

ولم يكن للمرأة في الجاهليَّة حقٌّ الإرث، فإنه إذا مات الرَّجل ورثه ولده، فإن لم يكن له ولدٌ ورثه أقرب مَن وُجِد من أوليائه أباً كان أو أخاً أو عمَّاً، وتُضمُّ بنات الميِّت ونساؤه إلى بنات الوارث ونسائه، فيكون لهنَّ ما لهنَّ، وعليهنَّ ما عليهنَّ، وكانوا إذا مات الرَّجل وله أولادٌ من غيرها، كان الولد الأكبر أحقُّ بزوجة أبيه من غيره، فهي في نظره إرثٌ كبقيَّة أموال أبيه[1]، فالمرأة عند عرب الجاهليَّة لم تكن تعني شيئاً، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: **(وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ)**[2].

إذن فلقد كان وضع المرأة قبل الإسلام كارثيَّاً ومأساويَّاً، ولم تكن ذات قيمةٍ عند شركائها في المجتمع من الرِّجال، وقد يكون السَّبب في ذلك هجر ما صحَّ من الأديان السَّماويَّة والتَّعاليم الربَّانيَّة، والجهل بقدر المرأة بما تمثِّله من قوَّةٍ مساعدةٍ ومساندةٍ للرِّجال، أو التَّعصُّب للجنس والاغترار بالقوَّة، والرَّغبة في التَّسلط، أو غيرها من الأسباب الظَّالمة المنحرفة الَّتي تؤدِّي إلى فساد التَّصوُّرات الصَّحيحة، وفقد البوصلة، ومن ثَمَّ التِّيه في بحرٍ من الظُّلمات، وهنا يأتي دور العقيدة الإسلاميَّة لتصحيح ما فسد من هذه التَّصوُّرات والمفاهيم، ووضع الأمور في نصابها الصّضحيح.

فمن تصحيح العقيدة الإسلاميَّة للمفاهيم الخاطئة اعتبار القرآن الكريم أنَّ من رُزق بالأنثى أو من رُزق بالذكر فقد منحه الله منه هبةً، يقول ﷻ: ﴿**للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾ [الشُّورى:٤٩].

---

(١) انظر: المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية، محمد أحمد إسماعيل المقدِّم، ٥٧، دار ابن الجوزيِّ – القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التَّحريم:١]، رقم الحديث: (٤٩١٣)، ١٠٤٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم الحديث: (١٤٧٩)، ٧٥٥، ٧٥٦.

المسألة الثَّانية: منزلة المرأة في الإسلام:

أعاد الإسلام بعدله ضبط كفَّة الميزان من جديدٍ، فأنزل المرأة منزلتها التي تستحق، وحرَّرها من نِيَر العبوديَّة الَّتي كبَّلها بها الجاهلون أو الجاحدون لقيمتها، وأزاح عن كاهلها الضَّيْم والجور اللَّذيْن أوقعهما عليها مَن خربت عقولهم وشذَّت فطرهم، وقد أكرم الإسلام المرأة وكرَّمها أيّما تكريم، وكفى بالمرأة فخراً أن سمَّى الله تعالى سورةً من سور القرآن باسمها وهي سورة النساء، وسورةً أخرى باسم امرأةٍ وهي السَّيدة مريم العذراء عليها السلام، وأفرد سورةً كاملةً تتحدَّث عن حكمٍ يختصُّ بالمرأة وهي سورة الطَّلاق، وأنَّ رسول الله ﷺ قد أوصى بها خيراً في حجَّة الوداع فقال: **(وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)**(١)، وقد تعدَّدت مظاهر تكريم الإسلام للمرأة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أوّلاً: المساواة بين الرَّجل والمرأة:

أثبت الإسلام المساواة بين الرَّجل والمرأة في أمورٍ كثيرةٍ، وفرَّق بينهما في بعض الأمور مراعياً بذلك الخصائص الفطريَّة، والاستعدادات السَّيكولوجيَّة النَّفسيَّة، والحالة الفسيولوجيَّة الجسديَّة لدى كلا النَّوعين ليكمل بعضهما الآخر؛ ليتقاسما معاً أعباء الحياة ومسؤولياتها في ألفةٍ وتعاونٍ وتكافلٍ، ومن الأمور الَّتي سوَّى بها الإسلام بين الرَّجل والمرأة ما يلي:

١- أصل الخلق:

يقول الله تعالى مخاطباً المكلَّفين من النَّاس جميعاً الرِّجال والنِّساء على حدٍّ سواءٍ منبِّهاً لهم على أنَّ أصلَ خلقهم واحدٌ، وأنَّهم جميعاً خُلقوا من نفسٍ واحدةٍ، وهي نفس آدم عليه السلام فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

فأبان الله تعالى أنَّ أصل النَّاس جميعاً الرِّجال والنِّساء واحدٌ وهو آدم وحواء، لا كما زعم بعض الفلاسفة، وبعض أصحاب الملل والنِّحل أنَّ المرأة ليس لها روحٌ إنسانيَّةٌ أو حتَّى حيوانيَّةً، وعلى فرض أنَّ لها روحاً – في زعمهم – فهي ذات روحٍ خبيثةٍ شيطانيَّةٍ خُلقت للإفساد والإغواء(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، واللفظ له، رقم الحديث: (٥١٨٥)، ١١٠١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرَّضاع، باب الوصيَّة بالنساء، رقم الحديث: (١٤٦٨)، ٧٤٣.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٦٨، ٥٦٩، وانظر: الحجاب، ٢٤٥.

٢- الإنسانيَّة:

يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

يقول ابن كثير رحمه الله لدى شرحه هذه الآية: "يقول تعالى مخبراً للنَّاس أنَّه خلقهم من نفسٍ واحدةٍ، وجعل منها زوجها، وهما آدم وحوَّاء، وجعلهم شعوباً ... فجميع النَّاس في الشَّرف بالنِّسبة الطِّينيَّة إلى آدم وحوَّاء سواء، وإنَّما يتفاضلون بالأمور الدِّينيَّة، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ؛ ولهذا قال تعالى بعد النَّهي عن الغيبة واحتقار بعض النَّاس بعضاً، منبِّهاً على تساويهم في البشريَّة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾"[١].

فدلَّت هذه الآية على تساوي الرَّجل والمرأة في البشريَّة والإنسانيَّة، فكلاهما منسوبٌ إلى الأصل الطِّينيِّ الَّذي خُلق منه الإنسان الأوَّل، ثُمَّ تتابعهما من نسلٍ واحدٍ، وهو نسل آدم وحوَّاء، ويدلُّ على ذلك أيضاً ما ورته السَّيدة عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: (**إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**)[٢].

٣- حقُّ الحياة:

حارب الإسلام قتل الأولاد ذكوراً كانوا أو إناثاً، وأثبت لكلِّ إنسانٍ نفخ الله فيه الرُّوح حقَّه في الحياة، ولا يملك أحدٌ كائناً من كان أن يسلبه هذا الحقَّ، وقد حذَّر الله تعالى وأنذر الَّذين يُقدِمون على قتل أولادهم فقال ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٤٠].

وقد شنَّع الله على من يئد البنات، ويسلبهنَّ حقَّهنَّ في الحياة فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ*بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التَّكوير:٨، ٩].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ٢٤٦/٧، دار ابن الجوزي – القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، واللفظ له، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، رقم الحديث: (٢٣٦)، ٤٥، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطهارة، باب فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً، رقم الحديث: (١١٣)، ٣٨، وأخرجه أحمد في مسنده، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، تعليق شعيب الأرنؤوط، مسند السيد عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث: (٢٦٢٣٨)، ٢٦٥/٦، مؤسسة قرطبة – القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطبعة. قال الألباني: صحيح.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "فيوم القيامة تُسأل الموءودة على أيِّ ذنب قُتلت، ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإذا سُئل المظلوم فما ظنُّ الظَّالم إذاً؟!"(١).

٤- المسؤوليَّة الشَّخصيَّة:

سوَّى الله في القرآن الكريم بين الرَّجل والمرأة في الاستقلال بالمسئوليَّة الشَّخصيَّة، وقد تمثَّل ذلك في الأمور التَّالية(٢):

أ- تحمُّل المسؤوليَّة الجنائيَّة مثلها مثل الرَّجل تماماً: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨].

ب- ترتيب الجزاء في الآخرة على العمل الفرديِّ الَّذي كسبته يد الرَّجل أو يد المرأة من طاعةٍ أو معصيَّةٍ، فعن الطَّاعة قال الله ﷻ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:١٢٤].

وعن المعصية قال الله ﷻ: ﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٣].

٥- توجيه الخطاب الدِّينيِّ:

سوَّى الله بين الرَّجل والمرأة في توجيه الخطاب الدِّينيِّ، ومن ذلك دعوة القرآن لهما بالالتزام بالآداب العامَّة، مثل غضِّ البصر وحفظ الفرج، وإبداء الزِّينة وغيرها(٣)، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ*وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾ [النور:٣٠، ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ٨/٢١٠.
(٢) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ١/١١٣.
(٣) انظر: المصدر السابق، ١/١١٥.

وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

٦- استحقاق الإرث:

سوّى الإسلام بين الرَّجل والمرأة في مبدأ استحقاق الإرث بحكم الصِّلة الَّتي تربط كلّاً منهما بالمورِّث(١)، يقول الله ﷻ: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء:٧].

ثانياً: استقلاليَّة الذِّمَّة الماليَّة للمرأة:

جعل الإسلام للمرأة ذمةً ماليَّةً خاصَّةً بها، واعتبرها صاحبة حقٍّ على ملكها، وقرَّر لها حقَّ التَّملُّك، سواءً من خلال الميراث، أو المهر، أو كسب المال بالطُّرق المشروعة، ومنحها حقَّ التَّصرُّف في مالها تماماً كالرَّجل إذا كانت بالغةً راشدةً، وأعطاها الحرِّيَّة الكاملة في البيع والشِّراء، والصَّدقة، والهبة، والوقف، والوصيَّة، والعتق والتَّدبير، وغير ذلك، دون أيَّة قيودٍ عليها من قِبل زوجها أو وليِّها(٢).

فعن إباحة الكسب للمرأة بالطُّرق المشروعة قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٢].

وأمَّا عن حريَّتهنَّ في التَّصرُّف والإنفاق ممَّا يمتلكن من مالٍ فيدلُّ عليه قول ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما حيث يقول: **(خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ عِيدٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ ثُمَّ مَالَ عَلَى النِّسَاءِ وَمَعَهُ بِلَالٌ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ أَنْ يَتَصَدَّقْنَ فَجَعَلَتْ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْقُلْبَ وَالْخُرْصَ(٣))**(٤).

---

(١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ١/١١٤.

(٢) انظر: مظاهر تكريم المرأة في الشريعة الإسلامية، سعاد محمد صبحي داخل، ١٤٩، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ.

(٣) القُلْب: أي السوار، والخُرْص: أي الحلقة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، والشفاعة فيها، رقم الحديث: (١٤٣١)، ٢٩٧.

وأمَّا عن عدم جواز تصرُّف الرَّجل في مال زوجته – إلَّا برضاها –(١)، فقد دلَّ عليه قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء:٢٠]، وقوله تعالى، ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء:٤].

ثالثاً: أهليَّة المرأة:

حيث قرَّر الإسلام أهليَّتها للتَّديُّن، وتلقِّي التَّكاليف الشَّرعيَّة، ووعدها الجنَّة إن هي أحسنت، وأوعدها النَّار إن هي أساءت، فقد أشرك الله حوَّاء في الخطاب مع آدم ﵇ حين أمره أن يسكن الجنَّة، ونهاه عن الأكل من الشَّجرة(٢)، قال ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥]، وحين خالفا أنكر عليهما معاً، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف:٢٢].

وقد أخذ رسول الله من النِّساء بيعةً خاصَّةً ومستقلَّةً عن بيعة الرِّجال(٣)، ما يدلِّل على أهليَّة المرأة وتفرُّد شخصيَّتها واستقلاليَّتها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٢].

رابعاً: إكرام المرأة:

أمر الإسلام بإكرام المرأة واحترامها وتوقيرها أيَّاً كانت صفتها، فقد أوصى الإسلام بالمرأة ابنةً وزوجةً وأمَّاً، وذلك على النَّحو التَّالي:

١- إكرام المرأة ابنة:

فقد أمر الإسلام بالاهتمام بالبنات وإطعامهنَّ وكسوتهنَّ، ووعد من أحسن للبنات وصبر عليهنَّ بالنَّجاة من النَّار، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﵁ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: يَقُولُ **(مَنْ كَانَ لَهُ**

(١) انظر: مظاهر تكريم المرأة في الشريعة الإسلامية، ١٣٨.

(٢) انظر: قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري، صفاء عوني حسين عاشور، ٣٤، رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٣٤.

ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ(١) **كُنَّ لَهُ حِجَاباً مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**(٢).

٢- إكرام المرأة زوجة:

أكرم الإسلام الزَّوجة حيث قرَّر القرآن الكريم أنّها سكنٌ لزوجها، قال ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم:٢١]، وعدَّ رسول الله ﷺ المرأة الصَّالحة خير متاع الدُّنيا، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)**(٣).

وأوصى الله تعالى في القرآن الكريم بحسن معاشرتهنَّ فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩].

٣- إكرام المرأة أمَّاً:

لمَّا أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين والشُّكر لهما في القرآن الكريم في غير موضعٍ منه، خصَّ الأمَّ بذكر فضلها على أولادها فذكر ما عانته أثناء حملها بهم ووضعها لهم، وإرضاعها إياهم ثُمَّ فطامهم، فقال ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤].

ولذا أخبر رسول الله ﷺ أنَّ طاعتها والقيام على حاجتها سبباً مباشراً في دخول الجنَّة، فَعَنْ مُعَاوِيَةَ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ: **(هَلْ أُمُّكَ حَيَّةٌ؟)**، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: **(الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ)**(٤).

---

(١) جِدَتِه: أي غناه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب من عال جاريتين أو واحدة، رقم الحديث: (٧٦)، ٤١، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرَّضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، رقم الحديث: (١٤٦٧)، ٧٤٣.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، رقم الحديث: (٨١٦٢)، ٣١١/٨، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، وقد ذكره صاحب حقوق النساء في الإسلام وحظهن في الإصلاح المحمدي العام، محمد رشيد رضا، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ١٩٥، المكتب الإسلامي – بيروت، بدون رقم الطبعة، ١٤٠٤هـ. قال الألباني: صحيح.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: **(أُمُّكَ)**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **(ثُمَّ أُمُّكَ)**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **(ثُمَّ أُمُّكَ)**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **(ثُمَّ أَبُوكَ)**[١].

خامساً: تعليم المرأة:

حرص الإسلام منذ كان في مهده على التَّعليم، وحثَّ المسلمين على طلبه رجالاً كانوا أو نساءً، روى عددٌ من أصحاب رسول الله ﷺ[٢]عنه قوله: **(طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)**[٣].

وقد علَّق الحافظ السّخاويُّ على هذا الحديث بقوله: "قد ألحق بعض المصنِّفين بآخر هذا الحديث (ومسلمة) وليس لها ذكرٌ في شيءٍ من طرقه، وإن كان معناها صحيحاً"[٤].

سادساً: عمل المرأة:

الأصل في الشَّريعة الإسلاميَّة عدم تكليف المرأة بالعمل للإنفاق على نفسها؛ لأنَّ نفقتها واجبةٌ على وليِّها أو قيِّمها من أبٍ أو أخٍ أو زوجٍ أو غيره، وذلك لتتفرَّغ المرأة لِمَا هو أهمُّ، وهو بيتها وزوجها وأطفالها، ولذلك أثره الواضح في استقرار البيت وانتظام شؤونه، وحماية المرأة من ذوي القلوب المريضة من الرِّجال والمحافظة على سمعة المرأة في المجتمع[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من احق الناس بحسن الصحبة، رقم الحديث: (٥٩٧١)، ١٢٣٥، واخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، رقم الحديث: (٢٥٤٨)، ١٣٣٥.

(٢) منهم: علي بن أبي طالب، عبد الله بن عباس، أنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري ﷺ.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، بتعليق محمد ناصر الدين الألباني، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث: (٢٢٤)، ٥٦، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، بدون تاريخ، وأخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٠٤٣٩)، ١٠/١٩٥، وأخرجه في الأوسط، المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، رقم الحديث: (٢٤٦٢)، ٣/٥٧، دار الحرمين – القاهرة، بدون رقم الطبعة، ١٤١٥هـ، وأخرجه في الصغير، المعجم الصغير (الروض الداني)، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، رقم الحديث: (٢٢)، ١/٣٦، المكتب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. قال الألباني: صحيح.

(٤) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الله محمد الصّديق، ٢٧٧، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٥) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ١٣٨.

أمَّا إذا رغبت المرأة في العمل أو اضطرَّت إليه لعدم وجود من يُعيلها وينفق عليها، أو عدم قدرته على ذلك بسبب الفقر الشَّديد، فليس في الإسلام ما يمنع عمل المرأة إذا تقيَّدت بالضَّوابط الشَّرعيَّة، ومن الأدلَّة على مشروعيَّة عمل المرأة في الإسلام ما يأتي:

١- قول الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٢]، فدلَّ على مشروعيَّة الكسب والاكتساب للرِّجال والنِّساء معاً.

٢- قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣]، فقول المرأتان "وأبونا شيخٌ كبيرٌ" فيه تعذُّر إنفاقه عليهما لكبر سنِّه، فاضطرَّتا للعمل في رعي الغنم لسدِّ الحاجة، وفيه مشروعيَّة عمل المرأة.

٣- عَنْ أُمِّ صُبَيَّةَ خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ قَالَتْ: **(كُنَّا نَكُونُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ نِسْوَةٌ قَدْ تَخَالَلْنَ الرِّجَال وَرُبَّمَا غَزَلْنَ، وَرُبَّمَا عَالَجَ بَعْضُنَا فِي الْخُوصِ)**[1]، تقصد العمل في صنع الحصير.

سابعاً: تبرئة المرأة من فرية الإغواء:

دفع الإسلام الفرية الَّتي ألصقها رجال الدِّيانات السَّابقة بالمرأة، وهي إغواؤها لآدم، وأنَّها كانت السَّبب في طرده من الجنَّة، فقرَّر القرآن الكريم بأنَّ عقوبة الخروج من الجنَّة لم تكن ناشئةً من حوَّاء وحدها بل كانت ناشئةً من آدم وحوَّاء معاً[2]، فقال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة:٣٦]، وقال تعالى أيضاً: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف:٢٠] وقال أيضاً حكايةً عن توبتهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣].

بل إنَّ القرآن الكريم قد نسب الذَّنب في بعض آياته لآدم وحده[3]، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه:١٢١].

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، رقم الحديث: (٢٣١٣١)، ٣٢٦/٨، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م. قال ابن رجب: هذا الإسناد فيه ضعف. انظر: فتح الباري، عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي (ابن رجب)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، ٤٤٩/٢، دار ابن الجوزي – السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ٢٣.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٢٤.

ثامناً: بعض الفوارق بين المرأة والرَّجل:

فرَّق الإسلام بين الرَّجل والمرأة في بعض الأمور دون جورٍ أو تحيُّزٍ ضدَّ المـــرأة، ودون المساس بمبدأ مساواتها في الإنسانيَّة أو الأهليَّة مع الرَّجل، وإنَّما لأسباب ترجع إلى خصـــائصَ تُميِّز النَّوعين بعضهما عن بعض، ومن هذه الأمور:

١- **الشَّهادة:** حيث جعل الإسلام ثبوت الحقوق بشهادة رجلين عدلين أو رجلٍ وامرأتين[1]، قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة:٢٨٢].

٢- **الميراث:** حيث مُيِّزت المرأة عن الرَّجل في النَّصيب المستحَقِّ لها من المورِّث، وذلك حسب درجة القرابة الَّتي تربطها بالمورِّث، فتارةً تأخذ مثل الرَّجل، وتارةً تأخذ أقلَّ منه، وتارة تأخذ أكثر منه، وتارةً تأخذ نصفه، يقول الله ﷻ: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١١].

٣- **القِوامة:** فقد جعل الإسلام القوامة للرِّجال دون النِّساء، فقد قال الله ﷻ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء:٣٤].

وسيأتي الجواب عن هذه الأمور الثَّلاثة عند استعراض موقف الشَّيخ الميدانيِّ من بعض القضايا الَّتي أثيرت حول المرأة – ومن بينها هذه الفوارق – في المطلب الثَّاني من هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ٢٣.

المسألة الثَّالثة: نظرةٌ على مصطلح تحرير المرأة ونشأته:

إنَّ الوضع البائس للمرأة عند غير المسلمين بقي على حاله إلى أن قامت النَّهضة الأوروبيَّة في القرن الثَّامن عشر، حيث فطنت المرأة لحقوقها، فنهضت تنادي بها، وتدافع عن كرامتها، وبدأت المرأة بالتَّحرُّر من القيود المفروضة عليها، والمكبِّلة لحرِّيَّتها، فنالت كثيراً من حقوقها، وفُتحت أمامها أبواب العمل والتَّعليم والتَّربية، إلَّا أنَّ أوروبا أفرطت في ما سُمِّي بتحرير المرأة إلى حدٍّ مساواتها بالرَّجل مساواةً مُطلَقةً، فراج الاختلاط دون قيودٍ، دفع إليه بالدَّرجة الأولى التَّغيُّرات الَّتي أحدثتها الثَّورة الصِّناعيَّة، والَّتي نتج عنها الغلاء المعيشيُّ، والَّذي بدوره أجبر الجميع رجالاً ونساءً وأطفالاً على العمل لتوفير لقمة العيش(١).

وعلى الرَّغم من المكانة الَّتي رفع الإسلام المرأة إليها، وكم الحقوق الَّتي منحها لها، إلَّا أن بعض النِّساء المسلمات فُتنَّ بما حقَّقته المرأة الأوروبيَّة من نجاحٍ، فخُدعن بما حمله دعاة تحرير المرأة في المجتمعات الإسلاميَّة من دعواتٍ لتحريرها، وما رفعوه من شعاراتٍ، وانسقن خلفها إمَّا عن جهلٍ وسذاجةٍ، وإما رغبةً حقيقيَّةً بالتَّفلُّت من ضوابط الدِّين وقيوده، والتفت عددٌ من النِّساء المسلمات حول هؤلاء الحاملين لمعاول هدم الأخلاق، والمروِّجين للتَّحلل والانحلال؛ بهدف إفساد المجتمعات الإسلاميَّة، ونشر الفتنة في أوساطها، خدمةً مجانيَّةً للمتربِّصين بالأمَّة الإسلاميَّة من أعدائها.

أوَّلاً: مصطلح تحرير المرأة:

المقصود بمصطلح تحرير المرأة في أبسط معانيه هو "رسم مجرى حياة المرأة وَفق تطلُّعاتها، مع تحريرها من كلِّ ما يعرقل تلك التَّطلُّعات، خاصَّة الضَّوابط والتَّنظيمات الدِّينيَّة، معتبرةً إيَّاها قيوداً رجعيَّةً تعرقل طموحات المرأة، ومن ثَمَّ تحديد الهدف في محاربة تلك القيود وإضعاف شوكتها"(٢).

ثانياً: نشأة مصطلح تحرير المرأة:

لقد كانت الظُّروف الَّتي صاحبت نشأة الأفكار التَّحرُّريَّة المرتبطة بالمرأة هي نفسها تلك الظُّروف الَّتي أنتجت مصطلح العلمانيَّة، وهي اصطدام الغرب بالكنيسة، وعزل الدِّين عن شؤون الحياة، فمصطلح تحرير المرأة مصطلحٌ غربيٌّ النَّشأة، وقد انتقل هذا المصطلح وما حمل من

(١) انظر: المرأة المسلمة بين الغزو والتغريب، زيد بن محمد الرماني، ٢٨، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية، الهيثم زعفان، ٧٥، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية - القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

أفكارٍ إلى العالم الإسلاميِّ من خلال موجتين: الموجة الأولى هي تصديره من الغرب للشَّرق في نهاية القرن التَّاسع عشر ضمن منظومة الأفكار التَّغريبيَّة، أمَّا الموجة الثَّانية فهي صياغته ليدخل حقيبة مصطلحات العولمة، واشتماله على مضامين أكثر تحرُّريَّة من نسخة القرن التَّاسع عشر(١).

وقد حاول دعاة تحرير المرأة في بلدان العالم الإسلاميِّ خداع المرأة المسلمة ودفعها إلى ما وراء الحدود الإسلاميَّة؛ بغية إسقاطها في سوق الرَّذيلة، والزجِّ بها في أتون الخدمة والعمل والكدح الشَّاقِّ، وهذا ما وصلت إليه حرِّيَّة المرأة في كثيرٍ من البلاد الَّتي تتغنَّى بشعارات تحرير المرأة، فقد أمست المرأة لا تجد أباً ولا أخاً يُعيلها إن هي أصبحت قادرةً على الكدح والكسب، وساد في تلك البلدان شعورٌ بوجوب عمل المرأة حتَّى ولو بذلت في ذلك عفَّتها لأيِّ فاسقٍ(٢).

---

(١) انظر: المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية، ٧٥.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٧٧، ٥٧٨.

المطلب الثَّاني

قضايا مثارة حول المرأة وموقف الميدانيِّ منها

يعلم أعداء الإسلام كما كلُّ عاقلٍ ما للمرأة من تأثيرٍ في المجتمعات الإنسانيَّة، باعتبار أنَّ المرأة متداخلةٌ في معظم تفصيلات المجتمع، ولها أثرٌ بالغٌ في صناعة مستقبل الأمم والشُّعوب، وصوْغ هويَّتها الفكريَّة والثَّقافيَّة، فالأسرة هي نواة المجتمع، ومعلومٌ أنَّ المرأة غالباً ما تكون هي الموجِّه الأوَّل لأفراد الأسرة، لانشغال الرَّجل عادةً في دروب الحياة ومشاقِّها، واستجلاب الرِّزق، وغيرها من الأمور الَّتي يختصُّ الرِّجال بتحمُّل أعبائها، ومن هنا كانت المرأة المسلمة هدفاً من أهمِّ أهداف أعداء الأمَّة الإسلاميَّة، فوجَّهوا اهتماماتهم للمرأة مستغلِّين ضعفها الفطريَّ لتوهين الأمَّة الإسلاميَّة من خلالها، فعملوا بكلِّ جدٍّ من أجل تغريب المرأة المسلمة وإغوائها، من خلال تزيين شياطين الإنس من أدعياء الحرِّيَّة، ودعاة تحرير المرأة لها بعض الأفكار الملوَّثة، وإبهارها بها بزخرفٍ من القول، ومن ثَمَّ العمل ولو ببطءٍ على زعزعة انتمائها لدينها، وتحريضها على التَّمرُّد على الشَّريعة الإسلاميَّة، وآدابها وتعاليمها، وحثِّها على تغيير سلوكها الإسلاميِّ الرَّصين، وحضِّها على السُّفور والاختلاط والتَّبرُّج وغيره من أنواع الفساد ممَّا يُغضب الله ورسوله، ويثير حميَّة كلِّ مسلمٍ غيورٍ على دينه وعرضه.

وليت الآثار المدمِّرة لهذا اللَّغم تتوقَّف عند هذا الحدِّ، بل إنَّها تتعدَّاه بعد توالي فصول مسرحيَّتهم الهزْليَّة، حيث يطرقون آذان المرأة – موسوسين – بضرورة توعية مجتمعها سيَّما أفراد أسرتها بما جاد عليها دعاة تحريرها من تنويرٍ وتثقيفٍ وتوعيةٍ، فما تلبث أن تنتشر الثَّقافة الغربيَّة الصَّليبيَّة، وتنتقل من جيلٍ إلى جيلٍ، فتبتعد الأجيال شيئاً فشيئاً عن معينها الصَّافي ودينها القويم.

تصدَّى الميدانيُّ لكلِّ الدَّعاوى الملفَّقة الَّتي أطلقها أعداء الأمَّة على اختلاف أدوارهم ومهامِّهم، من مبشِّرين ومستشرقين، وتنويريين ودعاة التَّحضُّر والتَّمدُّن وتحرير المرأة وغيرهم من جيوش الغزو الفكريِّ والسَّلب الثَّقافيِّ المبثوثيْن في أوساط المجتمعات الإسلاميَّة، فناقشهم وأسقط دعاواهم وافتراءاتهم، وأبان موقف الإسلام الحقيقيَّ من تلك القضايا الَّتي أثاروها، وذلك على النَّحو التَّالي:

المسألة الأولى: دعوى ظلم الإسلام للمرأة:

زعم أعداء الإسلام بأنَّ الإسلام قد ظلم المرأة، لذا يتوجَّب استعراض مضـــمون شـــبهتهم، متبوعةً بجواب الميدانيِّ عليها، وذلك على نحو ما يلي:

أوَّلاً: مضمون الشُّبهة:

افترى أدعياء تحرير المرأة على الإسلام بأنَّه سلب إرادة المرأة، وهضم حقوقها، وحطَّ من قدرها، وكبت حرِّيَّتها، وهمَّش دورها[(١)]، وزعموا تفريق الإسلام بين الرَّجل والمـــرأة، وعـــدم مساواته للمرأة بالرَّجل مساواةً كاملةً، وغير ذلك من الاتِّهامات الباطلة السَّاقطة.

ثانياً: جواب الميدانيِّ:

أجلى الشَّيخ الصُّورة للمرأة توعيةً لها، وعقد مقارنةً بين نظرة الإسلام لها ونظرة غيره من المذاهب والملل لها، فأوضح أنَّ المرأة كانت محلَّ جدلٍ بين العلماء والفلاسفة، وأصحاب الملل والنِّحل، فكانت بحوثهم تحوم حول المسائل التَّالية[(٢)]:

١- هل للمرأة روحٌ أو ليس لها روحٍ؟
٢- إذا كانت لها روحٌ فهل هي روحٌ إنسانيَّة أو روحٌ حيوانيَّةٌ؟
٣- وعلى افتراض أنَّها ذات روحٍ إنسانيَّةٍ، هل وضعها الاجتماعيُّ والإنسانيُّ بالنَّسبة إلـــى الرَّجل كوضع الرَّقيق، أو أرفع قليلاً؟
٤- ثُمَّ هل هي ذات روحٍ خبيثةٍ شيطانيَّةٍ خُلقت للإفساد و الإغواء أو ماذا؟

ثُمَّ أوضح الشَّيخ أنَّه في الوقت الَّذي كانت فيه هذه هي نظرة أرباب وأئمة المذاهب والملل للمرأة، كان الإسلام يرسم أروع صورةٍ من صور تكريمها، حيث نادى الإسلام بأنَّ النِّساء شقائق الرِّجال، وأنَّ الأصل التَّكوينيَّ لكليهما واحدٌ، فقد بيَّن الإسلام أنَّ مبدأ وجود الإنسان هو خلق الله لآدم، ومن آدم خلق الشَّطر الثَّاني للإنسان، فاجتمع منهما الزَّوجان، ثُمَّ بثَّ الله منهما ذُكراناً وإناثاً، وَفق مشيئته وحكمته، يقول الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء:١]، ثُمَّ خلص الميدانيُّ إلى أنَّ إعلان الإسلام لهذه الحقيقة في وقتٍ لم تكن المرأة فيه إلَّا مجرَّد مخلوقٍ للمتعة أو الخدمة عند مختلف أمم الأرض لهو كافٍ في إثبات أنَّ الإسلام شريعةٌ ربَّانيَّةٌ تحكم بالعدل، وأنَّه بذلك قد أنقذ المرأة من مفاهيم النَّاس وظلمهم، فضلاً

---

(١) انظر: موسوعة بيان الإسلام (الرد على الافتراءات والشبهات، نخبة من كبار العلماء، إشراف: داليا محمد إبراهيم، (شبهات حول المرأة وحقوقها في الإسلام)، مج١١، ٨/١٨، دار نهضة مصر- الجيزة، ط١، ٢٠١١م.
(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٦٨، ٥٦٩.

عن أن يتورَّط هو في ظلمها والجور عليها، على عكس الأنظمة الإنسانيَّة الَّتي ينحاز فيها واضعوها إلى أهوائهم ليمنحوا أنفسهم ميزاتٍ تجعلهم سادةً وآلهةً، ويجعلوا الآخرين عبيداً لهم[١].
لهم[١].

وأبان الميدانيُّ أن الإسلام لم يَحْرِم المرأة من أيِّ حقٍّ يقتضيه تكوينها الفطريُّ، وأنَّه لم يُكلِّفها واجباً فوق طاقتها، وأنَّه لم يُقصها عن دائرة المسؤوليَّة الشَّخصيَّة والمسؤوليَّة الاجتماعيَّة، وأنَّه لم يَحُل بين المرأة وبين التَّمتُّع بالحقوق المدنيَّة الَّتي تؤهِّلها لها استعداداتها الفطريَّة الذَّاتيَّة، وظروفها الاجتماعيَّة، وأوضح الميدانيُّ أنَّض اختلاف بعض الأحكام المتعلِّقة بالمرأة عن تلك الَّتي تتعلَّق بالرَّجل، يرجع إلى اختلاف الخصائص الجسديَّة والنَّفسيَّة للمرأة عن تللك الَّتي مُنحت للرَّجل بوجهٍ عامٍّ، مراعاةً من الشَّارع للحكمة، فالتَّسوية في الأحكام من كلِّ وجهٍ مع وجود مثل هذا الاختلاف نقصٌ تأباه العقول السَّليمة، فضلاً عن الشَّرائع الرَّبَّانيَّة الحكيمة، لذا فقد نعت الميدانيُّ المروِّجين للتَّسوية التَّامَّة بين الرَّجل والمرأة في كلِّ شيءٍ بأنَّهم مضلِّلون، وأنَّهم الرَّجعيُّون الحقيقيُّون؛ لأنَّهم ينادون بالرَّجعة الفكريَّة والنَّفسيَّة والرُّوحيَّة، الفرديَّة والاجتماعيَّة إلى المنحدرات لا إلى القمم، وهم بذلك يهدفون إلى إفساد الأوضاع الاجتماعيَّة السَّليمة؛ لأنَّ الحكمة تقتضي الأخذ في الاعتبار بعض الفروق التَّنظيميَّة الَّتي تتناسب مع الفوارق التَّكوينيَّة بين جنسي الرِّجال والنِّساء[٢].

فالإسلام على عكس ما يفتريه عليه أعداؤه، قد استنقذ المرأة من براثن تراكمات عصورٍ جهلت قدْر المرأة فظلمتها، وأهدرت كرامتها، وألغت كيانها، فلمَّا جاء الإسلام أنصفها، وأعاد لها ما سُلب من حقوقها، فلم تنل المرأة من التَّكريم والرِّفعة مثل ما نالته تحت مظلَّة الإسلام، حتَّى في هذا العصر عند الغرب الَّذي يدَّعي المدنيَّة والتَّحضُّر والتحرر والمساواة، لا تزال المرأة تُضطهد وتُظلم، ويُستغلُّ ضعفها الفطريُّ، تحت مبرِّراتٍ دينيَّةٍ زائفةٍ، ومسوغاتٍ قانونيَّة واهيةٍ.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٦٩.
(٢) انظر: المصدر السابق، ٥٦٦-٥٦٨.

المسألة الثَّانية: ميراث المرأة:

أثار أعداء الإسلام شبهةً فيما يتعلَّق بميراث المرأة، فلزم استعراض مضمون شبهتهم، متبوعةً بجواب الميدانيِّ عليها، وذلك على نحو ما يلي:

أوَّلاً: مضمون الشُّبهة:

"يزعم دعاة المساواة بين الرَّجل والمرأة أنَّ الإسلام قد ظلم المرأة، وتعدَّى على حقوقها الماليَّة؛ إذ جعل نصيبها في الميراث نصف نصيب الذَّكر، ويستدلُّون بقول الله ﷻ: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، ويزعمون أنَّ في ذلك انتقاصاً من أهليَّة المرأة، وجعلها نصف إنسان"(١).

ثانياً: جواب الميدانيِّ:

حرص الميدانيُّ على التَّأكيد بأنَّ هذه الدَّعوى واحدةٌ من جملة الدَّعاوى والافتراءات الَّتي تجنى بها أعداء الإسلام على الإسلام؛ وذلك بهدف إثارة العواطف الأنانيَّة الصِّرفة عند الإناث، وأكَّد الميدانيُّ على أنَّ البحث العلميَّ المتجرِّد يقود الباحثين إلى عكس ذلك تماماً، من أنَّ الإسلام قد أغدق على المرأة في الميراث بسخاءٍ، وذلك إذا تمَّ وضع توزيع التَّركات في مقابل الأعباء والمسؤوليَّات الاقتصاديَّة الملقاة على كلٍّ من الرَّجل والمرأة، ووجَّه الميدانيُّ إلى أنَّ الميزان الحقَّ الَّذي يُقيَّم به أيُّ نظامٍ يوجب النَّظر إلى جوانبه كلِّها، دون النَّظر إلى أحد جوانبه دون الآخر، وإنَّ النَّظرة الفكريَّة والواقعيَّة الشَّاملة في موضوع الميراث لابدَّ فيها من ملاحظة الأمور التَّالية للوصول إلى الأحكام الصَّحيحة(٢):

الأمر الأوَّل: إنَّ من رحمة الإسلام بالمرأة وتكريمه لها، ومراعاته للأعباء الملقاة على كاهلها من حملٍ ورضاعٍ، وتربيةٍ للأبناء، وتدبيرٍ لشؤون البيت وغيرها من المهام، أن أعفاها الإسلام من واجبات السَّعي لطلب الرِّزق، ليصونها من متاعب العمل والكدح خارج بيتها، على أنَّ الإسلام لم يمنعها من العمل وَفق الضَّوابط الشَّرعيَّة إذا اختارت هي ذلك، وألزم الإسلام الزَّوج بنفقة زوجته وإن كانت غنيَّة، وأوجب نفقتها على ذوي قرابتها إن كانت فقيرة، أمَّا إذا لم يكن للمرأة زوجٌ أو ذوي قرابةٍ يُنفقون عليها، فنفقتها حينئذٍ واجبةٌ على بيت مال المسلمين.

---

(١) موسوعة بيان الإسلام (شبهات حول المرأة وحقوقها في الإسلام)، مج١١، ١٨/٢٢٤.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٨٧-٥٨٩.

الأمر الثَّاني: إنَّ الرَّجل هو من يتحمَّل أعباء دفع المهر، وغيره من النَّفقات الَّتي يستلزمها الزَّواج، في الوقت الَّذي تكون المرأة هي المستفيدة من ذلك، من خلال استحقاقها للمهر، وعَوْد معظم نفقات الزَّواج عليها غالباً.

الأمر الثَّالث: إنَّ الرجل مكلَّفٌ بالعمل والكدح لكسب الرِّزق، ومكلَّفٌ بالنَّفقة على زوجته وأولاده، وعلى بعض ذوي قرابته الفقراء، على النَّحو المفصَّل في كتب الفقه الإسلاميِّ، في حين أنَّ المرأة لا تُكلَّف شيئاً من هذه الأعباء.

وخلص الميدانيُّ عقب عرضه لهذه الأمور الثَّلاثة إلى أنَّه بهذا المقياس الشَّامل لجميع جوانب النِّظام يظهر أنَّ الأموال الَّتي تملكها المرأة تصبح مُعدَّةً في أغلب أحوالها لزينتها، ورفاهيَّتها الخاصَّة، الزَّائدة عن حدود النَّفقة الواجبة(١).

وهكذا هي طريقة أعداء الإسلام في الطَّعن على شرع الله الحكيم، فإنَّ كلَّ ما يفعلونه مجرَّد تلبيسٍ لخداع الجهَّال من النَّاس عامَّةً ومن المسلمين خاصَّةً، وهم بهذا الافتراء دلَّسوا على المرأة بأن أوهموها بظلم الإسلام لها، وأنَّه بهذه القسمة الضِّيزى – بزعمهم – قد أنزلها منزلة إنسانٍ ناقصٍ أو نصف إنسانٍ، وهنا يأتي منهج الشيَّخ في الرَّد على هذه الشُّبهات بطريقة البحث العلميِّ السَّليم البعيد عن الأغراض والهوى، والتَّدبُّر في الموضوع المراد تناوله، ثُمَّ استقصاء الحقيقة المجرَّدة، لذا فهي دعوةٌ للمتسرِّعين في إطلاق الأحكام أن يتريَّثوا، وألَّا يوزِّعوا التُّهم جزافاً، وألَّا يكتموا شهادة الحقِّ حتَّى لو كانت منصفةً لأعدائهم، وهذا ما أمر به الدِّين الإسلاميُّ أتباعه حين أمرهم بأن يشهدوا بالقسط، وألَّا يحملهم البُغض على ترك العدل، فقال ﷻ:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة:٨].

وكعادة أعداء الإسلام عندما تُقذف الحجج والبراهين في وجوههم، فتدمغ باطلهم وتزهقه، فإنَّهم يبحثون عن ثغرةٍ أخرى وهكذا، إلى أن يبهتهم نور الحقِّ بحجَّته البالغة، وبنفس هذا المنطق إذا ما أُجيبوا بمثل ما أجاب به الشَّيخ الميدانيُّ عن شبهة نصيب المرأة في الميراث في التَّشريع الإسلاميِّ، فمن المؤكَّد أنَّهم سيبحثون عن شبهةٍ أخرى من الجواب نفسه.

وممَّا عُرف به الشُّيخ الميدانيُّ تتبُّعه لكلِّ جزيئات الموضوع الَّذي يتناوله في بحثه، لذا فقد استبق ما يمكن أن يتصيَّده أعداء الإسلام في جوابه، من أنَّ الإسلام قد أنصف المرأة وأعطاها

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٨٩.

من الميراث ما لا تنفقه إلا على كماليَّاتها، فيدَّعوا – والحال هذه – أنَّ الإسلام إذن قد زاد في نصيب المرأة من الميراث، فسبق إلى الرَّدِّ على فريتهم المحتمَلة بأنَّ الميراث فيه معنيان(١):

المعنى الأوَّل: إنَّ الميراث غطاءٌ للتَّكافل الاجتماعيِّ داخل الأسرة الواحدة، حيث يكون غُرم النَّفقة الواجبة في مقابل غُنم الميراث. (وهذا إجمال جواب الميدانيِّ على الشُّبهة الأساسيَّة).

المعنى الثَّاني: إنَّ الميراث فيه دعمٌ للتَّرابط الاجتماعيِّ، الَّذي يُشعر بوَحدة الأسرة، فإنَّ فيه مواساةٌ للأقارب في مصابهم ممَّا تركه ميِّتهم. (وهذا جواب الميدانيِّ على الشُّبهة المحتمَلة).

ومن المُلاحظ في جواب الشَّيخ أنه اقتصره على تفسير جعْل نصيب المرأة نصف نصيب الرَّجل، وأرجع ذلك إلى الأعباء الماليَّة الَّتي أوجبها الإسلام على الرَّجل وأعفى المرأة منها، وبذلك تظهر حكمة الله وعدله في أحكام الميراث، وأنَّ الإسلام أكرم المرأة ولم يُنقص من حقِّها قطميراً، واكتفى الشَّيخ في هذا السِّياق بهذا الجانب على أنَّه ترك الاستطراد – ربما اكتفاءً بردِّ شُبهة أدعياء تحرير المرأة – في بسط نصيب المرأة في أحوالٍ كثيرةٍ لا يكون نصيب المرأة فيها نصف نصيب الرَّجل.

فمن خلال ملاحظة واستقراء حالات ومسائل الميراث تظهر بعض الحقائق الَّتي تُلجم خصوم الإسلام وتُفحمهم، ويمكن ضبط هذه الحقائق بما يلي(٢):

الحقيقة الأولى: هناك أربع حالاتٍ فقط ترث فيها المرأة نصف الرَّجل، وهي كما يلي:

١- البنت مع إخوانها الذُّكور، وبنت الابن مع ابن الابن.

٢- الأب والأمُّ، في حالة عدم وجود أولادٍ ولا زوجٍ أو زوجةٍ.

٣- الأخت الشَّقيقة مع إخوانها الذُّكور.

٤- الأخت لأب مع إخوانها الذُّكور.

الحقيقة الثَّانية: هناك أضعاف هذه الحالات ترث فيها المرأة مثل الرجل، ومنها ما يلي:

١- الأب والأمُّ في حالة وجود الفرع الوارث.

٢- الأخ والأخت لأمٍّ.

الحقيقة الثالثة: هناك حالاتٌ كثيرةٌ جداً ترث فيها المرأة أكثر من الرَّجل، ومنها ما يلي:

١- الزَّوج مع ابنته الوحيدة.

٢- البنت مع أعمامها.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٨٩.

(٢) انظر: البيان لما يشغل الأذهان، علي جمعة، ١/٣٧-٤١، المُقطَّم للنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

الحقيقة الرَّابعة: هناك حالاتٌ ترث المرأة فيها، ولا يرث نظائرها من الرِّجال، ومنها إذا نفدت التَّركة بعد أصحاب الفروض – ومنهم النِّساء – ولم يتبقَ للمعصِّبين من الرِّجال منها شيءٌ.

ويتبيَّن من ذلك أنَّ التَّشريع الإسلاميَّ لم يفرِّق بين الرَّجل والمرأة في الميراث على أساس النَّوع، بل إنه راعى بحكمته الأعباء الَّتي كلَّف بها الرَّجل وعفا المرأة منها، أمَّا في الأحوال الَّتي لا تتعلَّق بالأعباء الماديَّة فلا تفرقة بينهما، فيتفاوت نصيب كلٍّ واحدٍ منهما حسب درجة قرابته من المورِّث.

المسألة الثَّالثة: تعليم المرأة:

أثار أعداء الإسلام شبهةً فيما يتعلَّق بتعليم المرأة، فلزم استعراض مضمون شبهتهم، متبوعةً بجواب الميدانيِّ عليها، وذلك على نحو ما يلي:

أوَّلاً: مضمون الشُّبهة:

يتَّهم بعض المُغرضين وبعض الجاهلين الإسلام بالعمل على تجهيل المرأة المسلمة، وعدم تشجيعه لتعليمها؛ لأنَّه يفضِّل الإبقاء على المرأة جاهلةً أو أقرب إلى الجهل(١).

ثانياً: جواب الميدانيِّ:

هذه الدَّعوى من أوهى الدَّعاوى الَّتي وُجِّهت إلى صدر الإسلام، كونها مفتقرةً إلى أيِّ دليلٍ، فالتَّاريخ يشهد على كذبهم بإلصاق هذه الفرية بالإسلام، فما من دينٍ من الأديان أو مذهبٍ من المذاهب حثَّ على التَّعليم للرِّجال والنِّساء سواءً بسواءٍ كما حثَّ الإسلام، وقد أكَّد الميدانيُّ على حرص الإسلام على تعليم المرأة المسلمة، وأنَّه أذن باشتراكها في المجامع الإسلاميَّة العامَّة، حيث رغَّبها في حضور صلاة الجماعة، وشهود خطب الجمعة والعيدين، وأمرها بالحجِّ والعمرة، وحثَّها على حضور مجالس العلم، وخاطب الله تبارك وتعالى النِّساء في القرآن بمثل ما خاطب به الرِّجال، حرصاً منه على تعليمهنَّ وتثقيفهنَّ، وتعريفهنَّ بأمور دينهنَّ، فحكمة الشَّارع تقتضي ذلك، فأهميَّة صلاح المرأة لصلاح الأسرة أكثر من أهميَّة صلاح الرَّجل لصلاحها؛ لأنَّ المرأة تُحدِث أثراً فعَّالاً إيجابيًّا كان أو سلبيًّا في تكوين أخلاق الأطفال الصِّغار، وطبائعهم وعاداتهم أكثر من الرَّجل؛ وذللك لعدَّة أسبابٍ، منها: ما وهبها الله من عاطفةٍ متدفِّقةٍ، ولينٍ في الطَّبع، وقابليَّةٍ للاندماج في أمور الصِّغار على مقدار طبائعهم ونفوسهم، ممَّا له أثرٌ بالغٌ في اكتساب حبِّهم، وخطب ودِّهم، ونيل ثقتهم، فيتَّخذوها قدوةً لهم في أقوالها وأفعالها وأخلاقها، وسائر تصرُّفاتها، ولمَّا كان للمرأة كلُّ هذا الأثر في تربية الطُّفولة، وتوجيه النَّاشئة كان لابدَّ من العناية بتكوينها تكويناً راقياً، والعمل على جعلها قدوةً صالحةً(٢).

ثُمَّ أبان الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ ذلك لا يمكن أن يتحقَّق إلَّا بتعليمها وتثقيفها، وتربيتها تربيةً إسلاميَّةً صحيحةً؛ لتغذِّيَ بما امتلكته من مخزونٍ ثقافيٍّ وعلميٍّ الجيل الَّذي تنشئه وتربِّيه، من أجل ذلك حرص النَّبي ﷺ على أن يخصِّص للنِّساء يوماً يُعلمهنَّ فيه أمور دينهنَّ، وسيَّما ما تختصُّ النِّساء به من أحكامٍ دون الرِّجال، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمَاً نَأْتِيكَ فِيهِ

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٩٠.

(٢) انظر: روائع من أقوال الرسول ﷺ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ١٠٥، ١٠٦، دار القلم – دمشق، ط١١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، وانظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٩٢، ٥٩٣.

تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، قَالَ: **(اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وكَذَا)** فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: **(مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ)** فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(وَاثْنَيْنِ)**(١)(٢).

هكذا كان موقف الإسلام من تعليم المرأة كما أوضح الميدانيِّ، هذا ولم يقف المنهج الإسلاميُّ عند حدِّ الحثِّ والتَّشجيع على تعليم وتثقيف المرأة، بل إنَّه قدَّم عبر تاريخه نماذجَ رائدةً لمسلماتٍ عالماتٍ، أخذ عنهنَّ كبار علماء المسلمين، وعلى رأسهنَّ أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد أخرج الحاكم في المستدرك عن الزُّهريِّ أنَّه قال: "لو جُمع علم النَّاس كلِّهم ثُمَّ علم أزواج النَّبيِّ ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علماً"(٣)، وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: "ما رأيتُ أحداً أعلم بالحلال والحرام والعلم والشِّعر والطِّب من عائشة أمِّ المؤمنين"(٤)، وقد كان كبار الصَّحابة يرجعون إليها فيما يشكُل عليهم من مسائل، فقد قيل لمسروق: هل كانت عائشة تُحسن الفرائض؟ قال: "أي والَّذي نفسي بيده رأيت مشيخة أصحاب مُحمَّدٍ ﷺ يسألونها عن الفرائض"(٥)، ومن هذه النَّماذج أيضاً: عَمْرة بنت عبد الرّحمن بن سعد بن زُرارة، فقد روى أيُّوب بن سُوَيْدٍ، عن يونس، عن الزُّهريِّ، عن القاسم بن مُحمَّدٍ أنَّه قال لي: يا غلام أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلّك على وعائه، قلت: بلى. قال: "عليك بعَمْرة فإنَّها كانت في حجر عائشة، فأتيتها فوجدتُّها بحراً لا يُنْزَف"(٦)، ومن هذه النَّماذج أيضاً: وقاية، وهي "امرأةٌ عالمةٌ فاضلةٌ، كانت بإحدى مدن ليبيا، وكان يلجأ إليها أفاضل العلماء، ويقولون: تعالوا بنا نستشر وقاية، فعصابتها خيرٌ من عمائمنا"(٧)، وغيرهنَّ من النِّساء المسلمات العالمات اللَّائي لمعنَ في سماء العلم، ورفع

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برأي ولا تمثيل، رقم الحديث: (٧٣١٠)، ١٤٥٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، واللفظ له، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم الحديث: (٢٦٣٣)، ١٣٧٢.

(٢) انظر: روائع من أقوال الرسول ﷺ، ١٠٦، ١٠٧، ، وانظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٩٣، ٥٩٤.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، رقم الحديث: (٦٧٣٤)، ١٢/٤. قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، رقم الحديث: (٦٧٣٣)، ١٢/٤. سكت عنه الذهبي.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، رقم الحديث: (٦٧٣٦)، ١٢/٤، وأخرجه الطبراني في الكبير، باب ذكر أزواج النبي ﷺ، رقم الحديث: (١٩٢٤٥)، ١٨١/٢٣. قال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، رقم الحديث :(١٥٣١٦)، ٣٨٨/٩، دار الفكر – بيروت، بدون رقم طبعة، ١٤١٢هـ.

(٦) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ٤٤٣/٦، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٧) النساء أكثر أهل النار (الأسباب و طرق النجاة)، عصام محمد الشريف، ٧١، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية، ط٣، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

الله به قدْرهنَّ، فكنَّ ملء السَّمع والبصر، بفضل تلبيتهنَّ لدعوة الإسلام بالتَّعلم والتَّعليم، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، ويقول أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزُّمر:٩].

المسألة الرَّابعة: الشَّهادة:

أثار أعداء الإسلام شبهةً فيما يتعلَّق بشهادة المرأة، فلزم استعراض مضمون شبهتهم، متبوعةً بجواب الميدانيِّ عليها، وذلك على نحو ما يلي:

أوَّلاً: مضمون الشُّبهة:

يزعم دعاة المساواة بين الرَّجل والمرأة أنَّ الإسلام قد امتهن عقليَّة المرأة، باعتبار شهادتها تعدل نصف شهادة الرَّجل، وبالتَّالي اعتبار المرأة نصف إنسان، مُستدلِّين خطأً بقول الله ﷻ: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة:٢٨٢]؛ وذلك بهدف الطَّعن في أحكام المرأة في التَّشريع الإسلاميِّ(١).

ثانياً: جواب الميدانيِّ:

ربط الميدانيُّ بين الشَّهادة على الحقوق الماليَّة من جهةٍ وبين العاطفة والعقل من جهةٍ أخرى، وأوضح أنَّ اعتبار شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرَّجل في نظام الإسلام، إنَّما يرجع إلى ترجُّح الجوانب العاطفيَّة لدى المرأة على الجوانب العقليَّة لديها، وأكَّد على أنَّ الدِّراسات النَّفسيَّة والملاحظات المستمرة لطبائع النِّساء تؤكِّد على هذا الرَّجحان، لكنَّه في ذات الوقت أوضح أنَّ ذلك جزءٌ من كمال أنوثة المرأة، إذ يؤهِّلها للقيام بالوظائف الاجتماعيَّة الأساسيَّة على خير وجه، وأنَّه من الطَّبيعيِّ أن يكون هذا الرَّجحان على حساب خصائصَ نفسيَّةٍ أخرى، حيث تكون إرادة المرأة تحت تأثير عاطفتها أكثر من وقوعها تحت تأثير عقلها، وكذلك الرَّجحان العقليّ لدى الرَّجل يكون على حساب خصائصَ نفسيَّةٍ أخرى، حيث تكون إرادة الرَّجل واقعةً تحت تأثير عقله أكثر من وقوعها تحت تأثير عاطفته، لذا فإنَّ هذا التَّباين والاختلاف في هذه الخصائص يُحدث نوعاً من التَّكامل بين الرَّجل والمرأة، فيكمل الرَّجل ما نقص عند المرأة، وتكمل المرأة ما نقص عند الرَّجل، ويكون كلٌّ منهما أقدر على بعض وظائف الحياة من الآخر(٢).

ومن هنا خلص الميدانيُّ إلى أنَّ الإسلام قد راعى هذا الاختلاف في الخصائص بين الرّجل والمرأة، فجعل شهادة الرَّجل أثبت وأرجح من شهادة المرأة؛ وذلك خشية أن تُساهم عاطفة المرأة في الميل إلى أحد الخصمين فيُظلم الآخر، وفي ذلك ضمانٌ للحقوق الماليَّة، ومع هذا فإنَّ الإسلام قد أذن للمرأة بالشَّهادة، فجعل شهادة امرأتين تعدل شهادة رجلٍ واحدٍ؛ لاستبعاد اتفاق امرأتين في

---

(١) انظر: موسوعة بيان الإسلام (شبهات حول المرأة وحقوقها في الإسلام)، مج١١، ١٨/٢٥٤.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٥٩٨، ٥٩٩.

الميل نحو عاطفةٍ واحدةٍ، فتتكامل شهادتاهما، فتكون في قوَّة شهادةٍ واحدةٍ مُعتبَرةٍ، فإن جنحت إحداهنَّ بعاطفتها عن الحقِّ ذكَّرتها الأخرى، يقول الله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة:٢٨٢][(١)].

وأكَّد الميدانيُّ على أنَّ ذلك ليس فيه انتقاصٌ من قيمة المرأة، فهذه الخصائص الفطريَّة مُعدَّةٌ للقيام بوظائفَ اجتماعيَّةٍ، إذ لا تكون المرأة مثاليَّةً إلَّا إذا كانت الجوانب العاطفيَّة لديها غالبةً على الجوانب العقليَّة، لذا ففي الأمور الَّتي لا دخل للعاطفة فيها، قبلت التَّعاليم الإسلاميَّة الشَّهادة من المرأة واعتبارها شهادةً كاملةً تعدل شهادة الرُّجل في عدَّة أمورٍ، منها: رواية نصوص الشَّريعة وأخبارها في التَّاريخ والعلوم، وفي إثبات الولادة والرِّضاع[(٢)].

وبهذا يتبيَّن كذب مَن زعم أنَّ الإسلام يقف موقفاً عدائيَّاً تجاه المرأة، باعتباره شهادتها تعدل نصف شهادة الرَّجل، حيث أكَّد الميدانيُّ على أنَّه لولا مراعاة الإسلام للخصائص الفطريَّة لدى المرأة في هذا الجانب، لتعرَّض كثيرٌ من أصحاب الحقوق والمصالح للظُّلم والضَّيم، إذ قد تتدخَّل عاطفةُ المرأة في ما تنطق به عند الإدلاء بشهادتها، فتميل لغير صاحب الحقِّ فيُظلم، وهنا تظهر حكمة التَّشريع الإسلاميِّ.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٦٠٠، ٦٠١.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٦٠١.

المسألة الخامسة: القِوَامة:

أثار أعداء الإسلام شبهةً فيما يتعلَّق بموضوع القِوامة، فلزم استعراض مضمون شبهتهم، متبوعةً بجواب الميدانيِّ عليها، وذلك على نحو ما يلي:

أوَّلاً: مضمون الشُّبهة:

زعم بعض أدعياء تحرير المرأة أنَّ الإسلام قد ظلم المرأة، وجنح لجانب الرَّجل بمنحه القِوَامة، وادعوا أنَّ هذه القوامة ديكتاتوريَّةٌ واستبدادٌ(١)، لِمَا تتضمَّنه من إباحة ضرب الرَّجل زوجته بحكم قوامته عليها(٢)، واستشهدوا على زعمهم هذا بنصٍّ من القرآن الكريم، وهو قول الله ﷻ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا*وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤، ٣٥].

ثانياً: جواب الميدانيِّ:

أكَّد الشَّيخ الميدانيُّ على أنَّ التَّحليل المنطقيَّ والتَّجارب الواقعيَّة يُثبتان عظمة تعاليم القوامة الزوجيَّة، ويُثبتان كذلك كمالها ومثاليَّتها، فقد اقتضت الحكمة أن يكون الرَّجل قيِّماً على زوجته، كما اقتضت أن يكون لكلٍّ منهما حقوقٌ على الآخر وواجباتٌ نحوه، فمن حقوق الزَّوج على زوجته ألَّا تخرج عن طاعته، ما لم يأمرْها بما فيه معصيةٌ لله، أو هضمٌ لحقوقها الَّتي شرعها الله لها، ولتقريب الصُّورة ضرب الشَّيخ الميدانيُّ مثالاً كعادته في شرحه بعض المسائل أو ضمن أجوبته على بعض الشُّبهات، فقد شبَّه الأسرة بالمؤسَّسة الاجتماعيَّة، والزَّوج بصاحب الأمر فيها، وأنَّه من حقِّ صاحب الأمر في أيَّة مؤسَّسةٍ أن يكون في يده وسائلَ لضبط نظامها، حتَّى لا تكون عُرضةً للفوضى أو الفساد ومن ثَمَّ التَّفكُّك والانحلال، فمن أهم عناصر وَحدة هذه المؤسَّسة هو طاعة أعضائها لصاحب الأمر فيها، وإلَّا فمن حقِّه أن يلجأ إلى وسائل التَّربية والتَّأديب عند ظهور النُّشوز وبوادر الخروج عن طاعته، وكذلك الإسلام أرشد إلى وسائلَ للتَّربية والتَّأديب، لكنَّه ضبط هذه الوسائل وقيَّدها، وجعلها على مراتب(٣):

المرتبة الأولى: الموعظة، وهي درجاتٌ تبدأ بمعاريض القول، والإشارات الخفيَّة، ثُمَّ ترتقي إلى لفت النَّظر، وهكذا حتَّى تصلَ إلى درجة التَّوبيخ والإنذار.

(١) انظر: موسوعة بيان الإسلام، (شبهات حول أحكام الأسرة في الإسلام)، مج١١، ١٩/٩٩.
(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٦٠٦.
(٣) انظر: المصدر السابق، ٦٠٦-٦٠٩.

المرتبة الثَّانية: وهي الهجر في المضجع، ويتمُّ اللُّجوء إليها في حال عدم جدوى المرتبة الأولى، وللهجر في المضجع درجاتٌ أيضاً بعضها أقسى من بعضٍ، وقد أشار الإسلام إلى أنَّ المدَّة القُصوى للهجر لابدَّ ألَّا تزيد على أربعة أشهرٍ قياساً على (الإيلاء)[1].

المرتبة الثَّالثة: الضَّرب غير المبرِّح، ويُلجأ إلى هذه المرتبة عندما لا تُجدِ وسيلة الهجر، فالمرأة الَّتي تُوجَّه لها مثل هذه الوسائل التَّأديبيَّة، تُوعظ بكلِّ درجات الموعظة فلا تستقيم، ثُمَّ تُهجر بأقسى أنواع الهجر فلا تستقيم، لاشكَّ أنَّها تكون امرأةً بليدةَ الحسِّ، سيئة العِشرة، كريهة الطَّبع، لا تشعر بكرامة نفسها، فعندئذٍ تكون مستحقَّةً للتَّأديب بالضَّرب، على أنَّ لها الحقُّ في المطالبة بفراق زوجها قبل أن يلجأ إلى ممارسة هذه الوسيلة، وبذلك تحفظ كرامتها إن كانت ستظلُّ على عنادها، ومُصرَّةً على عدم الاستجابة لوسائل التَّربيَّة.

وأوضح الشَّيخ الميدانيُّ أنَّه لا يعني منح التَّشريع الإسلاميِّ الإذن للزَّوج بتأديب زوجته بالضَّرب في آخر مرتبةٍ إذا بقيت على نشوزها، لا يعني أنَّ كلَّ زوجٍ سيستخدم هذا الحقَّ، فمعظم الأسر المسلمة تتحلَّى بالتَّربيَّة الإسلاميَّة، والَّتي بدورها تَحُول دون الإفراط باستخدام الحقِّ؛ حتَّى لا يتدرَّج المسلم للجوْر على أخيه المسلم دون أن يشعر، وهذا يجعل الأسرة المسلمة باستمرار تتمتَّع بحياةٍ ملؤها الوئام والتَّفاهم والودُّ، فمن خلال استقراء السِّيرة العطرة للنَّبيِّ ﷺ نجد بأنَّه ﷺ لم يضرب في حياته زوجةً ولا خادماً، فَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: **(مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئَاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً)**[2][3].

ثُمَّ بيَّن الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الإسلام لم يُطلق يَدَ الزَّوج في استخدام هذه الوسيلة، بل قيَّدها وأحاطها بسياجٍ من الوصايا الَّتي تأمر الرِّجال بأن يُحسنوا معاملة النِّساء، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)**[4].

---

(١) الإيلاء شرعاً: "هو أن يحلف الرجل على ترك وطء زوجته أكثر من أربعة أشهر، كأن يقول: والله لا أقربك، أو لا أجامعك، أو أمثال هذه الكلمات". روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني، ٢٣٩/١، دار إحياء التراث العربي- بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، واللفظ له، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، رقم الحديث: (٢٣٢٨)، ١٢٢٨.

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٦١٠.

(٤) سبق تخريجه، ص١٧٧.

وعَنْهُ ﷺ أَيْضاً أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ)** أو قال: **(غَيْرَهُ)**(١).

وقد ألحَّ رسول الله ﷺ في خطبته في حجَّة الوداع موصياً بالنِّساء خيراً، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَداً تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرَّضاع، باب الوصيَّة بالنساء، رقم الحديث: (١٤٦٩)، ٧٤٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم الحديث: (١٢١٨)، ٦٠٩.

المسألة السَّادسة: الطَّلاق:

أثار أعداء الإسلام شبهةً فيما يتعلَّق بموضوع الطلاق، فلزم استعراض مضمون شبهتهم، متبوعةً بجواب الميدانيِّ عليها، وذلك على نحو ما يلي:

أوَّلاً: مضمون الشُّبهة:

تناول أدعياء المساواة بين الرَّجل والمرأة في قضيَّة الطَّلاق جانبين اثنين، وهما:

الجانب الأوَّل: التَّشكيك في حكمة مشروعيَّة الطَّلاق، حيث طعن البعض في أحكام الطَّلاق في الفقه الإسلاميِّ تحت ذريعة جملةٍ من الحجج الواهية، منها[1]:

١- أنَّ إباحة الطَّلاق تهدِّد استقرار الأسرة.

٢- أنَّ الطَّلاق استخفافٌ بالحياة الزَّوجيَّة؛ لأنَّه يقع بمجرد التَّلفُّظ بكلمةٍ واحدةٍ.

٣- أنَّ الطَّلاق يخضع في بعض الحالات للأهواء الشَّخصيَّة.

٤- أنَّ للطَّلاق مجموعةً من الآثار السَّلبيَّة على المجتمع.

الجانب الثَّاني: استنكار قَصْر حقِّ الطَّلاق على الرَّجل دون المرأة، فقد أنكرر بعض أدعياء المساواة بين الرَّجل والمرأة على الشَّريعة الإسلاميَّة قَصْرها حق الطَّلاق على الرجل وحده، ولم تجعلْه بيد الزَّوجين كليهما، واعتبروا ذلك مظهراً من مظاهر دونيَّة المرأة في الشَّريعة الإسلاميَّة، وجعل المرأة رهينةَ قرار زوجها ورأيه، فإن شاء طلَّقها، وإن كان على غير رغبةٍ منها، في حين أنَّها لا تملك حقَّ تطليقه إن رغبت هي بذلك[2].

ثانياً: جواب الميدانيِّ:

وقد أجاب الميدانيُّ على هذه الشُّبهة بكلا جانبيها بجوابٍ مُفحمٍ، وذلك على النَّحو التَّالي:

١- جواب الميدانيِّ على الجانب الأوَّل:

أبان الميدانيُّ في مستهلِّ جوابه على هذه الفرية أنَّ الإسلام بتشريع الطَّلاق لا يشجِّع على انفصال الأزواج، أو حلِّ عُقدة النِّكاح بين الزَّوجين، بل إنَّ الإسلام نظر إلى عَقد الزَّواج على أنَّه شركةٌ اجتماعيَّةٌ تهدف إلى بناء أسرةٍ من أسر المجتمع الإنسانيِّ المتكاثر، وحرص الإسلام على أن يكون عقد الزَّواج على سبيل التَّأبيد؛ وذلك حتَّى يتسنَّى لكلٍّ من الزَّوجين أن يقوم بما وُكِل إليه من مهامٍّ على خير وجهٍ وأكمله تجاه أسرته الَّتي تُمثِّل حلقةً من حلقات السِّلسلة الإنسانيَّة الكبرى، والَّتي تُكوِّن المجتمع الإنسانيِّ الكبير[3].

---

(١) انظر: موسوعة بيان الإسلام، (شبهات حول أحكام الأسرة في الإسلام)، مج١١، ١٤٦/١٩.

(٢) انظر: المصدر السابق، ١٦٩/١٩.

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٦١٢.

وأوضح الميدانيُّ أنَّ ضمان استمراريَّة هذه الشَّركة بين الزَّوجين لا يمكن أن يرافقها سعادةٌ زوجيَّةً، إلَّا إذا تضمَّن نظام هذه الشَّركة ما يُفضي إلى إنهائها في حال انسداد الأفق، وانقطاع السُّبل أمام الزَّوجين، وأكَّد الميدانيُّ على أنَّ الشَّركة بين الزَّوجين لا يمكن أن تستمرَّ بتأدية وظائفها الاجتماعيَّة كما يجب إلَّا ضمن شروطٍ نفسيَّةٍ وخُلقيَّةٍ وماديَّةٍ، وأهمُّها ما يلي(١):

الشَّرط الأوَّل: المودَّة والرَّحمة بين الزَّوجين، إذ بهما يمكن أن يؤدِّيَ الشَّريكان وظيفتهما الاجتماعيَّة تجاه أعضاء أسرتهما – وهذه الوظيفة هي الهدف الأكبر من الزَّواج – بشكلٍ مثاليٍّ، وقد يبدأ الزَّواج وهذا الشَّرط متوفِّرٌ فيه، ولكن ما يلبث أن يتحوَّلَ بعد حينٍ إلى نقيضه، فتمسي هذه الشَّركة منحلةً في الواقع النَّفسيِّ، وإن ظلَّت مرتبطةً ظاهريَّاً، لذا فقد منح الإسلام لمن هذه حاله فرصةَ الانفكاك الشَّكليِّ ضمن حدود النِّظام العامِّ، كحلٍّ مثاليٍّ لإنهاء هذه العَلاقة الَّتي هي في الأصل منحلةٌ، لِمَا قد ينجم عن استمرارها على حالها تلك من مشاكلَ قد تتطوَّر وتتكاثر مع مرور الزَّمن.

الشَّرط الثَّاني: التَّلاؤم الخُلقيُّ أو الطَّبعيُّ بين الزَّوجين، فقد تكون أخلاق الزَّوجين أو طبعاهما متنافرةً بحيث لا يمكنهما التَّكيُّف مع بعضهما، فلا يُحسن أحدهما أو كلاهما معاشرة قرينه بالمعروف، فإن بقيَ الوضع على هذه الحال، وتعذَّر الإصلاح، فعندها يقدِّم الإسلام الطَّلاق كحلٍّ لإنهاء هذا الوضع؛ لأنَّ انفصال الشَّركة في هذه الحالة خيرٌ من استمرارها، لِمَا قد يؤدِّي إليه استمرارها من فسادٍ اجتماعيٍّ خطيرٍ، ومشاكل تعصف بالزَّوجين، وأعضاء أسرتهما.

الشَّرط الثَّالث: تلبية مطالب كلا الزَّوجين المادِّيَّة، والَّتي تُعتبر من العناصر الأساسيَّة لهذه الشَّركة، فإذا لم يَجِد أحد الزَّوجين أو كلاهما عند الآخر ما يُلبِّي مطالبه المادِّيَّة، يكون الزَّواج عندها مجرَّد صداقةٍ، لا شراكة لبناء أسرة من أسر المجتمع، وفي هذه الحالة لا يفرض الإسلام على أحد الزَّوجين أن يتنازل عن مطالبه المادِّيَّة مقابل تنازل الآخر عن مطالبه المُناظرة لها، فإذا حدث هذا صار الزَّواج منحلَّاً غالباً، وإن ظلَّ قائماً صوريَّاً، لذا يقدِّم الإسلام فرصة الفكاك والانفصال بالمعروف كحلٍّ لهذه المُعضلة إلَّا إذا رأى الطَّرفان الاستمرار عن رضىً قلبيٍّ لمصلحةٍ يُقدِّرانها.

فمع توفُّر هذه الشُّروط الثَّلاثة ضمانٌ لنجاح الزَّواج واستمراره، لذا فقد خلص الميدانيُّ بعد استعراض هذه الشُّروط إلى أنَّه بسبب حدوث أيِّ اختلالٍ فيها أو في بعضها، أذن الإسلام بالطَّلاق والانفصال بالمعروف، وشبَّه الميدانيُّ إذن الإسلام بالطَّلاق وقتئذٍ مع كراهته له بالإذن ببتر أحد أعضاء الجسد إذا خُشيَ من بقائه ضررٌ أشدّ من فقده، ودلَّل على أنَّ الإذن بالطَّلاق هو

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٦١٢-٦١٤.

الحلُّ الأنفع والأمثل لجُلِّ المشاكل الَّتي قد تواجه الشَّراكة الزَّوجيــة، بتمــرُّد معظــم القــوانين الوضعيَّة الحديثة في أوروبا وأمريكا على تعاليم الكنيسة الَّتي تُحرِّم الطَّــلاق، فأباحــت هــذه القوانين الطَّلاق ولكن بإسرافٍ مُضرٍّ دون ضوابطَ أو قيودٍ أو حدودٍ منطقيَّــةٍ، فــي حــين أنَّ الإسلام قد وضع نظاماً صارماً للحدِّ من ظاهرة الطَّلاق إلى أدنى معــدَّلٍ ممكــنٍ، إذ وضــعت الشَّريعة الإسلاميَّة معوِّقاتٍ قبل الإذن بالطَّلاق، وبعض المغريات للرُّجوع عن الطَّلاق، وإعطاء فرصةٍ للإصلاح بين الزَّوجين قبل البتِّ في الطَّلاق بشكلٍ نهائيٍّ، فمن هذ المعوِّقات(١):

أ- النُّصوص الَّتي تتضمَّن كراهية الإسلام للطَّلاق، ومنها ما يلي:

١/ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **(أَبْغَــضُ الْحَــلاَلِ إِلَــى اللَّــهِ الطَّلاَقُ)**(٢).

(وهذا حديثٌ ضعيفٌ كان يحسن بالشَّيخ ألَّا يستشهد به في هذا الموضع، لشهرة الحديث بين العوامِّ؛ خشية توهُّم القارئ أنَّه صحيحٌ).

٢/ وعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاَقًا مِــنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ)**(٣).

ب- إلزام الزَّوج بعدم تطليق زوجته إلَّا في وقتٍ تستطيع فيه أن تباشر أيَّام عدَّتها، وذلك لا يكون إلَّا في أيَّام طهرها من الحيض، وقبل أن يمسَّها في طهرها هذا، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عُمَــرُ بْــنُ الْخَطَّابِ ﷺ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا**

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٦١٤، ٦١٥.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سُننه، واللفظ له، كتاب الطلاق، باب حثنا سويد بن سعيد، رقــم الحــديث: (٢٠١٨)، ٣٤٩، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب كراهية الطلاق، رقم الحديث: (٢١٧٨)، ٣٧٩، وأخرجه الدارقطني في سننه، سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني البغدادي، تعليق، محمد شــمس الحــق العظــيم آبادي، تحقيق: شُعيب الأرنؤوط وآخران، كتاب الطلاق والخُلع والإيلاء وغيره، رقم الحديث: (٣٩٨٤)، ٥/٦٣، مؤسسة الرسالة – بيروت، طــ١، ١٤٢٤هــ – ٢٠٠٤م، قال الألباني: ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي في سُننه، واللفظ له، كتاب الطلاق واللعان عن رسول الله ﷺ، باب في المُختَلِعــات، رقــم الحديث: (١١٨٧)، ٢٨٢، ٢٨٣، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب الخُلع، رقم الحديث: (٢٢٢٦)، ٣٨٨، وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الطلاق، باب كراهية الخُلع للمرأة، رقــم الحــديث: (٢٠٥٥)، ٣٥٤، وأخرجه الدارمي في سننه، سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، كتاب الطلاق، باب النهي عن أن تسأل المرأة زوجها طلاقها، رقم الحديث: (٢٣١٦)، ١٤٥٧، دار المغني للنشر والتوزيع – الرياض، طــ١ – ١٤٢١هــ – ٢٠٠٠م، وأخرجه أحمد في مُسنده، مُسند ثوبان ﷺ، رقم الحديث: (٢٢٤٣٣)، ٥/٢٧٧. قال الألباني: صحيح، وقال شُعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد رجالــه ثقــات رجال الصحيح.

حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ)(١).

وإلى جانب هذه المعوِّقات ذكر الميدانيُّ أنَّ التَّشريع الإسلاميَّ قد شرع أموراً تُعدُّ بمثابة مغرياتٍ لإغراء الأزواج للرُّجوع عن طلاق زوجاتهم إذا كان الطَّلاق رجعيًّا، وهذه الأمور هي(٢):

الأمر الأوَّل: جعْل طلاق المدخول بها على ثلاث مراحلَ، الأولى والثَّانية منها تُعدَّان فرصتان سانحتان للزَّوجين للعودة إلى رباط الزَّوجيَّة، وإصلاح ما وهن من بناء أسرتهما.

الأمر الثَّاني: نهي الأزواج عن إخراج زوجاتهم المُطلَّقات من بيوتهم في المرَّتين الأولى والثَّانية؛ لعلَّ بقاءهن يحرِّك عواملَ المودَّة، وتذكُّر الصِّلات الأولى، والإغراء بالعودة إلى رباط الزَّوجيَّة.

الأمر الثَّالث: إطالة مدَّة العدَّة، وجعلها ثلاثة (قروءٍ)(٣)، مع أنَّ براءة الرَّحم تتأكَّد في مدَّةٍ أقلّ، وذلك لمنح فرصة للزَّوجين للرُّجوع مرَّةً أخرى إلى الشَّراكة الزَّوجيَّة.

واستدلَّ الميدانيُّ على ما ذكره من وضع الإسلام لبعض العوائق أمام الطَّلاق، وتشريع بعض المغريات للرُّجوع عن الطَّلاق بآياتٍ من القرآن الكريم، وهي(٤):

أ- قول الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا*فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾ [الطَّلاق:١، ٢].

ب- وقول الله ﷻ: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب الطلاق، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ﴾ [الطَّلاق:١]، رقم الحديث: (٥٢٥١)، ١١١٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، رقم الحديث: (١٤٧١)، ٧٤٦.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٦١٥، ٦١٦.

(٣) قُروء: أطهار، واحدها قُرء. انظر: لسان العرب، ١/١٢٨.

(٤) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٦١٦.

مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ*الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:٢٢٨، ٢٢٩].

ت- ثُمَّ قال الله ﷻ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة:٢٣٠].

وختم الميدانيُّ جوابه على الجانب الأوَّل من هذه الشُّبهة بالتَّأكيد على أنَّ التزام هذه الحدود الرَّبانيَّة الَّتي شرعها الله تعالى، هو ضمانٌ للاستقرار الأسريِّ، وتشييد أسرٍ محكمة البناء، تؤدِّي وظائفها الاجتماعيَّة خير أداءٍ، وأنَّ الإعراض عن هذه الحدود سيؤدِّي حتماً إلى الإخلال في توازن الأسر الَّتي يتألَّف منها المجتمع الكبير، وهذا بدوره سيؤدِّي إلى فتنةٍ في الأرض وفسادٍ عريضٍ(١).

٢- جواب الميدانيِّ على الجانب الثَّاني:

أوضح الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ هدف أعداء الإسلام من ترديد هذه الفرية وترويجها، هو إثارة المرأة المسلمة ضدَّ تعاليم دينها الحنيف، وقد عالج الميدانيُّ هذه المسألة بشكلٍ منطقيٍّ وراقٍ، فقد وضع أمام القارئ جميع الاحتمالات الممكنة لمنح الإذن بحقِّ مباشرة الطَّلاق، وناقش هذه الاحتمالات بعقلانيَّةٍ ومنطقيَّةٍ، ليصل في النِّهاية إلى أنَّ الاحتمال الأصلح والأقوم هو ما اختاره التَّشريع الإسلاميُّ، وكانت هذه الاحتمالات على النَّحو التَّالي(٢):

الاحتمال الأوَّل: أن يكون حلُّ هذه الشَّركة مثل عقدها لا تتمُّ إلَّا بتطابق إرادتي الزَّوجين، ولهذا الاحتمال كثيرٌ من المعايب، إذ لو ألجأت الضَّرورة أحد الشَّريكين إلى الانفصال، اصطدم برفض الآخر لرغبته في الإضرار بشريكه الآخر، ما يعني بقاء هذه الشَّركة بموجب إرادةٍ مستمرَّةٍ من أحد الشَّريكين، مع أنَّ هذه الشَّركة لم تنعقد إلا بتطابق إرادتي الشَّريكين، وبذلك ستزداد عوامل الاحتيال والتَّهرُّب من الواجبات، وتنمو المشكلات بين الشَّريكين، وقد تصل إلى حدِّ ارتكاب الجرائم، لذا فهذا الاحتمال مُستبعدٌ ومرفوضٌ.

الاحتمال الثَّاني: أن يكون حلُّ هذه الشَّركة في يَدِ كلٍّ من الزَّوجين دون قيودٍ، وهذا الاحتمال كان من الممكن للتَّشريع الإسلاميِّ أن يأخذ به لولا جملةٌ من العيوب والشَّوائب الَّتي يحملها بين جنباته، منها:

أ- إنَّ للأسرة طابعٌ اجتماعيٌّ، لذا وجب أن يتوفَّر أهمُّ مقوِّماتها وهو الولاية، وهذه الولاية قد جعلها الإسلام للزَّوج، فلو تمَّ الأخذ بهذا الاحتمال لكان ذلك نقضاً لهذه الولاية؛ لأنَّ الزَّوج صاحب الولاية سيظلُّ مُهدَّداً بحلِّ هذه الشَّركة في أيَّة لحظةٍ من

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ٦١٧..

(٢) انظر: المصدر السابق، ٦١٦-٦١٩.

قِبل الطَّرف الآخر كلَّما همَّ بتوجيه أمرٍ يرى فيه مصلحةٌ، ولكنَّه لا يصادف هوى شريكه، وبالتَّالي تفقد الولاية بذلك معناها، وستعمُّ الفوضى الأُسَر، وسيستقلُّ بذلك كلُّ عنصرٍ فيها برأيه الموافق لأهوائه.

ب- إنَّ المرأة غالباً ما تقع تحت تأثير عواطفها، فلو كان حلُّ عُقدة النِّكاح بيدها، لكان الزَّواج عرضةً للحلِّ عند أيَّة حالةٍ انفعاليَّةٍ تنتاب المرأة.

ت- إنَّ معظم أعباء هذه الشَّركة الاجتماعيَّة المادِّيَّة منها والمعنويَّة تقع على عاتق الزَّوج وحده في النِّظام الإسلاميِّ، لذلك فهو أحرص على التَّأنِّي والتَّروي قبل البتِّ بحلِّ عقدة النِّكاح، فضلاً عن أنَّه أكثر تحكُّماً وسيطرةً على انفعالاته الآنيَّة الَّتي قد تُثيرها صغائر المشاكل الَّتي تكثر عادةً بين الزَّوجين، فيقدِّر ما يمكن أن يترتَّب على الطَّلاق من مسؤولياتٍ وأعباءٍ جسامٍ مادِّيَّةٍ ومعنويَّةٍ.

فهذه العيوب الثَّلاثة تُظهر خطورة الأخذ بهذا الاحتمال، بل وتوجب استبعاده ورفضه.

الاحتمال الثَّالث: أن يكون حلُّ هذه الشَّركة بيد كلٍّ من الزَّوجين، لكن ضمن قيودٍ تُجنِّب العيوب الَّتي شملها الاحتمال الثَّاني، وهذا ما أخذ به التَّشريع الإسلاميُّ الحكيم، وبمقتضى هذا فإنَّ للزَّوج باعتباره قَيِّم الأسرة وصاحب الولاية فيها سلطة حل عقدة النِّكاح بشكلٍ مباشرٍ، ودون التَّوجُّه للقضاء الشَّرعيِّ؛ وذلك صيانةً للمرأة من الفضيحة من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخرى لتخفيف الأعباء عن القضاء الشَّرعيِّ، مع تحميل الزَّوج جميع النَّفقات والأعباء الَّتي تستتبِع الطَّلاق، وكذلك أعطى التَّشريع الإسلاميُّ للمرأة حقَّ المطالبة بحلِّ هذه الشَّركة عن طريق القضاء الشَّرعيِّ، وليس للرَّجل أن يطالبها بمهرٍ أو غيره إن كانت مطالبتها بالطَّلاق تستند إلى مبرِّراتٍ مشروعةٍ، وإلا فللزَّوج أن يطالبها بردِّ المهر؛ حتَّى لا تتَّخذ المرأة من الزَّواج تجارةً لتحصيل مصالحَ مادِّيَّةٍ.

من الواضح أنَّ الميدانيَّ قد قرَّب الصُّورة كثيراً، وأزال الغشاوة الَّتي أراد أعداء الإسلام خداع المرأة المسلمة بها، وأوضح أنَّ الحلَّ الإسلاميَّ هو الحلُّ الأمثل لجميع مشكلات الحياة، بما في ذلك المشكلات الاجتماعيَّة، ولاسيَّما الطَّلاق، حيث تظهر حكمة الله في تشريعه، وفي طريقة إيقاعه وتنفيذه؛ للتَّقليل من الأضرار، والحدِّ من المشاكل الَّتي عادةً ما تنجم عن الطَّلاق، لذا فقلَّما يصحب الطَّلاق في المجتمع الإسلاميِّ الملتزم بالضَّوابط الشَّرعيَّة شحناء أو ضغائن، بل إنَّ الانفصال والمفارقة لا تكون إلَّا بالمعروف، كما قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطَّلاق:٢].

الفصل الثالث

موقف الميدانيِّ من بعض الفلسفات الإلحاديَّة

- تمهيد: تعريف الإلحاد وموقف الميدانيِّ منه
- المبحث الأوَّل: الشُّيوعيَّة وموقف الميدانيِّ منها
- المبحث الثَّاني: نظريَّة فرويد وموقف الميدانيِّ منها
- المبحث الثَّالث: الفلسفة الوجوديَّة وموقف الميدانيِّ منها



تمهيد

تعريف الإلحاد وموقف الميداني منه

- أولاً: تعريف الإلحاد

- ثانياً: موقف الميداني من الإلحاد



تمهيدٌ

تعريف الإلحاد وموقف الميدانيِّ منه

أوَّلاً: تعريف الإلحاد:

١- التَّعريف اللُّغويُّ:

الإلحاد من لحد، و"اللام والحاء والدَّال أصلٌ يدلُّ على ميلٍ عن استقامة"[١]، ولحد إلى الشَّيء يُلحد والتحد أي مال إليه، ولحد في الدِّين وألحد مال وعدل، وألحد الرَّجل أي ظلم في الحرم، وأصله من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥]، والإلحاد الميل عن القصد، والملحد العادل عن الحقِّ، المُدخل فيه ما ليس فيه[٢].

وهكذا فقد حدَّدت معاجم اللُّغة لفظة الإلحاد في الدِّين بمعنى الميل أو العدول عنه أو الكفر، وكذا فهمه المفسِّرون، وقد أوصلوه إلى درجة الكفر، إلَّا في موضع سورة الحجِّ فسَّروه بالمعصية في الحرم، أمَّا الكتب والمعاجم الحديثة فتستعمل كلمة الإلحاد بمعنى الكفر الَّذي هو ضدّ الإيمان[٣].

٢- التَّعريف الاصطلاحيُّ:

تعرَّض كثيرٌ من الباحثين لتعريف الإلحاد، وسيورد الباحث بعضاً منها ناسباً كلَّ تعريفٍ لصاحبه كما يلي:

أ- عرَّفه الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ بأنَّه: "إنكار وجود خالقٍ لهذا الكون، مُتصرِّف فيه، يدبِّر أمره بعلمه وحكمته، ويُجري أحداثه بإرادته وقُدرته، واعتبار الكون أو مادَّته الأولى أزليَّة، واعتبار تغيراته قد تمَّت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادَّة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة وما تستتبع من شعورٍ وفكرٍ حتَّى قمَّتها عند الإنسان، من أثر التَّطور الذَّاتيِّ في المادَّة"[٤].

ب- وعرَّفه الأستاذ مُحمَّد قطب بأنَّه: "إنكار وجود الله، والقول بأنَّ الكون وُجد بلا خالقٍ، أو أنَّ المادَّة أزليَّةٌ أبديَّةٌ، وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت"[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ١٩٠/٥.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة لحد، ٣٨٨/٣.

(٣) انظر: جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيَّار الإلحادي، محمود عبد الحليم عثمان، ٢٣، ٢٤، مكتبة المعارف – الرياض، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٤) كواشف زيوف، ٤٣٣.

(٥) مذاهب فكرية معاصرة، ٦٠٥.



ت- وجاء في الموسوعة الميسَّرة بأنَّه: "مذهبٌ فلسفيٌّ يقوم على فكرةٍ عدميَّـــةٍ أساســـها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى"[(١)].

ث- وعرَّفه الدُّكتور غالب عواجي بأنَّه: "كلُّ فكرٍ يتعلَّق بإنكار وجود خالقٍ هذا الكـــون سبحانه وتعالى"[(٢)].

ويتبيَّن من هذه التَّعريفات أنَّ الإلحاد يدور حول قضيَّتين أساسيَّتين، وهما:

الأولى: إنكار وجود خالقٍ لهذا الكون، ومتصرِّفٍ فيه.

الثانية: القول بأزليَّة المادَّة.

لذا يمكن تعريف الإلحاد بأنَّه: مذهبٌ فلسفيٌّ قائمٌ على أساسين، وهما إنكار وجـــود خـــالقٍ متصرِّفٍ في الكون، والقول بأزليَّة المادَّة.

---

(١) الموسوعة الميسَّرة، ٨٠٣/٢.

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة، ١٠٠٣/٢.

ثانياً: موقف الميدانيِّ من الإلحاد:

يتناول الفصل الثَّالث ثلاث (فلسفاتٍ)[1] إلحاديَّة، وهي الشُّيوعيَّة، ونظريَّة فرويد، والفلسفة الوجوديَّة، وجميعها تُقيم أسسها، وتُرجع أصولها إلى الإلحاد؛ لذا فقد آثر الباحث إدراج هذا العنوان في تمهيد الفصل الثَّالث لتجنُّب التَّكرار، وقد تناول الشَّيخ موضوع الإلحاد في بحثٍ مستقلٍّ، ثم استعرض الفلسفات والنَّظريَّات الإلحاديَّة، وردَّ عليها، وعلى أصحابها، وإذا انبرى للردِّ على الآراء والأُسس الإلحاديَّة في هذه الفلسفات أحال إلى البحث المستقلِّ الخاصِّ به، وهكذا فعل الباحث، ويتلخَّص موقف الميدانيِّ من الإلحاد في النِّقاط التَّالية:

١- عناصر مغالطات المُلحدين:

أرجع الميدانيُّ مغالطات المُلحدين وجدليَّاتهم إلى عناصرَ عدَّةٍ، وهي[2]:

أ- تعميم أمرٍ خاصٍّ، والمغالطة هنا تَنسب إلى بعض أفراد العامِّ ما ليس له من أحكامٍ؛ بُغية التَّضليل.

ب- تخصيص أمرٍ عامٍّ، والمغالطة هنا تنفي عن بعض أفراد العامِّ ما له من أحكامٍ؛ بُغية التَّضليل.

ت- ضمُّ زياداتٍ وإضافاتٍ ليست في الأصل.

ث- حذف قيودٍ وشروطٍ لازمةٍ ممَّا يؤدِّي إلى تغيير الحقائق.

ج- التَّلاعب في معاني النُّصوص لإبطال حقٍّ، أو إحقاق باطلٍ.

ح- طرح فكرة مُختلَقة ليس لها أصلٌ؛ بُغية التَّضليل.

خ- تصيُّد بعض الاجتهادات الضَّعيفة لبعض العلماء، واعتبارها هي الإسلام.

د- التقاط ما شذَّ من مفاهيم عند بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وإطلاقها على أنَّها مفاهيمٌ إسلاميَّةٌ مُسلَّمٌ بها عند المسلمين.

---

(١) الفلسفة لفظة يونانية الأصل، وتعني محبة الحكمة، وكلمة فيلسوف كلمة منحوتة من كلمتين وهما فيلا وسوفا، وكلمة فيلا تعني المحب، وكلمة سوفا تعني الحكمة، وعلى هذا فالفيلسوف هو المحب للحكمة. انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ٥٧/٣، دار المعرفة – بيروت، بدون رقم طبعة، ١٤٠٤هـ، وانظر: مقدمة في الفلسفة العامة، يحيى هويدي، ٢١، ٢٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة، ط٩، ١٩٨٩م، وانظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١٦٠/٢، دار الكتاب اللبناني – بيروت، بدون رقم طبعة، ١٩٨٢م، وانظر: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، عمر فرّوخ، ١٧، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٩٨٣م، وجاء في الموسوعة العربية الميسرة تعريف الفلسفة بأنها: "دراسة المبادئ الأولى للوجود والفكر دراسة موضوعية تنشر الحق، وتهتدي بمنطق العقل". الموسوعة العربية الميسَّرة، ٢٤٢٩/٥.

(٢) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، ١٦، ١٧، وانظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ٣١٢، ٣١٣، دار القلم – دمشق، ط٤، ١٤١٤ه – ١٩٩٣م.

ذ- نسبة أقوال إلى غير قائليها.

ر- كتمان أقوالٍ صحيحةٍ، على الرَّغم من علمهم بها لشهرتها.

ز- الإيهام بأنَّ العلوم المادِّيَّة مُلحدةٌ على خلاف ماهي عليه في الواقع.

٢- الردُّ على المُلحدين:

تتبَّع الميدانيُّ حجج الملحدين الواهية الَّتي أقاموا عليها إلحادهم، وبنوا عليها نظريَّاتهم الإلحاديَّة وناقشهم فيها وكشف عوارها وتهافتها، ثُمَّ هدمها من أساسها، ومن القضايا التي تتبَّعهم فيها قضيَّتا: انحصار الكون كلِّه في الكون المادِّيِّ، وقضيَّة إنكار الخالق، وقد عالجهما على النَّحو التَّالي:

أ- دعوى انحصار الكون كلِّه في الكون المادِّيِّ:

بيَّن الميدانيُّ أنَّ المادِّيين الملحدين ينكرون بغير دليلٍ كلَّ ما لم يتوصَّلوا إلى إدراكه بالحسِّ المباشر أو غير المباشر، وأوضح أنَّهم كانوا يُنكرون أشياءَ كونيَّةً كانت غيبيَّةً بالنِّسبة للحواسِّ البشريَّة، فلما توصَّل البحث العلميُّ إلى اكتشاف أجهزةٍ مكَّنتها من الإحساس بهذه الأشياء اضطرَّ الملحدون للاعتراف بوجودها، وكلَّما تطور العلم وأثبت وجود مزيدٍ من الأشياء كانت بالنِّسبة للبشر غيباً، دُفع الملحدون والمادِّيون مُرغمين للاعتراف بوجودها[(١)].

وقد تعجَّب الميدانيُّ من منطق المادِّيين الملحدين، فهم يُسلِّمون بما يتوصَّل إليه الاستنتاج العقليُّ ثُمَّ يُناقضون أنفسهم فيرفضون الاستنتاجات العقليَّة الَّتي تُوصِل إلى حتميَّة الإيمان بالخالق جلَّ وعلا، وأرجع الميدانيُّ سبب تناقضهم هذا مع أنفسهم وتحجُّرهم الفكريِّ إلى تعصُّبهم واتِّباعهم هواهم، وخشيتهم من أن يجرَّهم التَّسليم المُطلَق بصحَّة الاستنتاجات العقليَّة إلى قضيَّة الإيمان بالرَّبِّ الخالق[(٢)].

ثُمَّ ساق الميدانيُّ قولاً لكبار علماء الكون المعاصرين، يهدم مذهب المادِّيين الملحدين على رؤوسهم، وهو للعلَّامة الفلكيِّ الرِّياضيِّ البريطانيِّ السِّير جيمس جينز الَّذي قال: "إنَّ الكون كونٌ فكريٌّ. والكون لا يقبل التَّفسير المادِّيَّ في ضوْء علم الطَّبيعة الجديد، وسببه - في نظري - أنَّ التَّفسير المادِّيَّ قد أصبح الآن فكرةً ذهنيَّةً. إنَّ العلم الجديد يفرض علينا أن نعيد النَّظر في أفكارنا عن العالم، تلك الَّتي كنَّا قد أقمناها على عجلٍ. لقد اكتشفنا أنَّ الكون يشهد بوجود قوَّةٍ منظِّمةٍ أو مهيمنةٍ"[(٣)].

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) انظر: كواشف زيوف، ٤٣٧، ٤٣٨.

(٣) الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة: عبد الحليم عويس، ٧٤، ٧٥، ٧٧، دار النفائس - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

ب- إنكار وجود الخالق جلَّ وعلا:

أوضح الميدانيُّ أنَّ الملحدين قد رفضوا كلَّ الأدلَّة الَّتي تثبت بشكلٍ قطعيٍّ وجود الخالق ﷻ دون أن يقدِّموا هم في المقابل أيَّ دليلٍ تقبله العقول يؤيد ما ذهبوا إليه من إنكارٍ لوجـوده، وأنَّ أدلَّتهم قد انحصرت في إيهام ذوي المعارف السَّطحيَّة والمحدودة بأنَّ ما لا يمكن مشاهدة ذاته هو غير موجود، وبيَّن الميدانيُّ أنَّ ذلك قد ألزمهم القول بأن مادَّة الكون الأولى هي عديمة الإحساس والإدراك والفكر، وأنَّها قد ارتقت بالتَّطوُّر الذَّاتيِّ حتَّى نشأت الحياة(١).

كشف الشَّيخ الميدانيُّ عن أنَّ ما ادَّعاه المادِّيون المُلحدون بخصوص أزليَّـة المـادَّة أمـرٌ يرفضه المنهج العلميُّ، وتأباه البراهين العقليَّة، فقد أثبت المنهج العلميُّ المادِّيُّ أنَّ المادَّة الَّتي لا حياة فيها لا تتولَّد فيها الحياة بالتَّطوُّر الذَّاتيِّ، وأنَّ الكائن الحيَّ يستحيل وجوده إلَّا مـن طريـق نسلٍ حيٍّ سابقٍ عليه، وبالتَّالي فإنَّ المنهج العلميَّ نفسه الَّذي يعتمدون عليه قد كـذَّب دعـواهم، وألزمهم التَّسليم بأنَّ خالقاً عليماً قديراً حكيماً هو الَّذي نفخ نسمة الحياة في المادَّة، وهو الَّذي خلق الحياة، وأمَّا البرهان العقليُّ فقد قرَّر – بِحُكم البديهة – أنَّ مادَّة الكون الأولى الَّتي ليس فيها حياةٌ ولا إحساسٌ ولا وعيٌ، لا يمكن أن ترقى إلى الكمال ارتقاءً ذاتيًّا، ولا يمكنها أن تصنع ما هـو أكمل منها وأرقى، وبالتَّالي فإنَّ البراهين العقليَّة قد استبعدت ما ذهبوا إليه، وأكَّـدت علـى أنَّ المادَّة الصَّمَّاء العمياء الجاهلة عاجزةٌ عن إنتاج ما هو خيرٌ منها، فلزمهم التَّسليم بوجود موجودٍ أزليٍّ هو سبب ارتقاء المادَّة في سُلَّم الوجود، وأنَّه هو الَّذي خلق الأحياء وما تحمله من صـفاتٍ وما تتميَّز به من خصائصَ، كما أجاب الميدانيُّ على زعم المادِّيين المُلحدين بأنَّ هذه المُتقَنـات الرَّاقية الدَّقيقة المُعقَّدة قد وُجدت بالمصادفة، بأنَّ هذه الدَّعوى قد اتَّفقت على تكذيبها جميع الدَّلائل العلميَّة المادِّيَّة، والبراهين العقليَّة المنطقيَّة(٢).

وساق الميدانيُّ طائفةً من أقوال علماء الكون والفلاسفة الَّتي يُعلنون فيهـا وجـود الكـائن الأعظم والمدبِّر، وقد نقل الميدانيُّ هذه الأقوال من كتاب الله يتجلى في عصر العلم والَّذي يضمُّ ثلاثين مقالاً لثلاثين من كبار العلماء الأمريكيين في الاختصاصات العلميَّة المختلفة مـن علـوم الكون السَّائدة في العصر الحديث، وذلك ممَّا استخلصوه مـن خـلال ملاحظـاتهم وتجـاربهم واختباراتهم العلميَّة(٣)، وهذه بعض أقوالهم:

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٥٣٩، ٥٤٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٥٤٠-٥٤٢.

(٣) انظر: العقيدة الإسلامية وأُسُسُها، ٩٤.

١/ يقول عالم الطَّبيعة روبرت مويس بيدج، وهو أوّل من اكتشف الرَّادار سنة ١٩٣٤م: "إنَّ الإيمان بوجود الله من الأمور الخاصَّة الَّتي تنبت في شعور الإنسان وضميره، وتنمو في دائرة خبرته الشَّخصيَّة"(١).

٢/ ويقول عالم الطَّبيعة الفيلسوف ماريت ستانلي كونجدن: "إنَّ جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه، ويدلُّ على قدرته وعظمته. وعندما نقوم – نحن العلماء

٣/ بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها، – حتَّى باستخدام الطَّريقة الاستدلاليَّة – فإنَّنا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته. ذلك هو الله الَّذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلميَّة المادِّيَّة وحدها، ولكنَّنا نرى آياته في أنفسنا، وفي كلِّ ذرَّةٍ من ذرَّات هذا الوجود، وليست العلوم إلَّا دراسة خلق الله وآثار قدرته"(٢).

٤/ ويقول أستاذ الفيزياء التَّطبيقيَّة وكبير المهندسين بقسم البحوث بجامعة كاليفورنيا جورج هربرت بلونت: "إنَّني أؤمن بالله، بل وأكثر من ذلك، إنَّني أَكِلُ إليه أمري، ففكرة الألوهيَّة بالنِّسبة إليَّ ليست مجرَّد قضيَّةٍ فلسفيَّةٍ، بل إنَّ لها في نفسي قيمتها العلميَّة العُظمى، وإيماني بالله جزءٌ من صميم حياتي اليوميَّة"(٣).

٣- عقوبة العذاب النَّفسي للمُلحدين:

ذكر الميدانيُّ أمراضاً نفسيَّةً عدَّةً يُصاب بها الملحدون إلى جانب ما يُصيبهم من عقوباتٍ جسديَّة مُعجَّلةٍ في الحياة الدُّنيا، كنتيجةٍ طبيعيَّةٍ لعنادهم ولكفرهم بالله واليوم الآخر، وذلك بمقتضى سُنَّة الله في خلقه، وتَظهر الأمراض النَّفسية عند المُلحدين في صُورٍ متعدِّدةٍ، منها:

أ- القلق والاضطراب، والحرمان من طمأنينة النَّفس وراحة القلب.

ب- ضيق الصَّدر، والشُّعور بالسَّجن النَّفسيِّ.

ت- الغمُّ والهمُّ، وتكدُّر النَّفس، والحزن والأسى.

ث- الخوف الشَّديد من الأوهام، والرَّغبة بالانتحار؛ للتَّخلص من الحياة.

ج- التَّمزُّق النَّفسيُّ، والضَّجر من الحياة.

ح- جنون العظمة، والحسد والحقد، والعُزلة النَّفسيَّة.

ولعلَّ الميدانيُّ أراد من سرد هذه الأمراض النَّفسيَّة النَّاجمة عن الإلحاد، اختراق الجانب النَّفسيِّ عند الملاحدة، وذلك بلفت أنظارهم إلى أنَّ منهجهم الاعتقاديَّ الإلحاديَّ قادهم إلى إهلاك أرواحهم وأنفسهم، بإسكان كلِّ هذه الأمراض النَّفسيَّة فيها؛ لأنَّ ما يعتقدوه يخالف الفطر السَّويَّة

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، إشراف: جون كلوفرمونسيما، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، تحقيق: محمد جمال الدين الفندي، ٢٠، دار القلم – بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٢) المصدر السابق، ٢٦.

(٣) المصدر السابق، ٨٤.

والعقول السَّليمة، ومن ثَمَّ لا تنسجم الرُّوح معه، ولا يطمئن القلب له، ولا يسلِّم العقل له، ممَّا يورِّث اضطراباتٍ نفسيَّةً، قد تودي بأحدهم إلى قتل نفسه، وكأنَّ الميدانيُّ يدعوهم إلى علاج أنفسهم، والتَّخلُّص من أمراضهم النَّفسيَّة باتِّباع منهج الحقِّ، والإيمان بوجود خالقٍ لهذا الكون يدبِّر كلَّ أموره وشؤونه.

وقد استدلَّ الميدانيُّ على ذلك بجملةٍ من الآيات القرآنيَّة، وطائفةٍ من أقوال المُلحدين، وذلك على النَّحو التَّالي(1):

أ- القرآن الكريم:

١/ قول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

٢/ وقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

٣/ وقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى*قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا*قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى*وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآَيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٢٤-١٢٧].

ب- شواهد من أقوال المُلحدين:

عرض الميدانيُّ إلى طائفةٍ من أقوال ومواقف للملحدين تُظهر حجم العنت والعناء والشَّقاء الَّذي يحيونه، ومن هذه الشَّواهد ما يلي:

١/ يقول الفيلسوف الألمانيُّ المُلحد فريدريك نيتشه: "إنَّني أعلم جيِّد العلم لماذا كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الَّذي يضحك؟ لأنَّه وحده الَّذي يُعاني أشدَّ العناء، فاضطرَّه ذلك أن يخترع الضَّحك"(2).

٢/ يرى الفيلسوف اليهوديُّ الوجوديُّ الملحد جان بول سارتر الوجود كلَّه من دوائر القلق والغثيان والمتاعب والآلام، وصوَّر الحياة في القصص والمسرحيَّات الَّتي كتبها بأنَّها حياةٌ تافهةٌ حقيرةٌ مُخيفةٌ مملوءةٌ بالمُشقيات، مشحونةٌ بالآلام(3).

(1) انظر: كواشف زيوف، ٥٥٤-٥٥٧.

(2) كواشف زيوف، ٥٦٠. نقلاً عن: قصة الفلسفة الحديثة، لأحمد أمين، وزكي نجيب محمود.

(3) انظر: كواشف زيوف، ٥٦٢.

المبحث الأوَّل

الشُّيوعيَّة وموقف الميدانيِّ منه

- المطلب الأوَّل: الشُّيوعيَّة وتعريفُها وأُسُسُها وأهدافُها
- المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من الشُّيوعيَّة

المطلب الأوَّل

الشُّيوعيَّة وتعريفها وأُسُسها وأهدافها

تُعدُّ الشُّيوعيَّة من أخطر الفلسفات الإلحاديَّة الَّتي ظهرت على الإطلاق؛ وذلك لاعتبارين، أولاهما ما تحمله من تصوُّراتٍ مادِّيَّةٍ فاسدةٍ، وما أخذت به من وسائلَ استبداديَّةٍ ديكتاتوريَّةٍ إباحيَّةٍ لتحقيق أهدافها الخطيرة، وثانيهما: نجاح الشُّيوعيين في الوثوب على حكم روسيا القيصريّضة، ومن خلال هذا المطلب – إن شاء الله – سيتبيَّن تعريفها، وتوضيح الأُسُس الَّتي قامت عليها، والأهداف الَّتي سعت لتحقيقها، وذلك من خلال المسائل التَّالية:

المسألة الأولى: تعريف الشُّيوعيَّة:

أوَّلاً: التَّعريفُ اللُّغويُّ:

لفظة الشُّيوعيَّة مأخوذةٌ من مادَّة شَيَعَ، والشِّين والياء والعين أصلان يدلُّ أحدهما على معاضدةٍ ومساعفةٍ، والآخر على بثٍّ، وإشادةٍ، فمن الأوَّل قولهم: آتيك غداً أو شيعه، أي اليوم الَّذي بعده، ومن الثَّاني قولهم: شاع الحديث إذا ذاع وانتشر، وقولهم: له سهمٌ شائعٌ، إذا كان غير مقسومٍ(١)، وشاع الشَّيب شيعاً وشياعاً وشيعاناً وشيوعاً وشيعوعةً ومشيعاً، أي ظهر وتفرَّق، وشاع الخبر في النَّاس يشيع شيعاً وشيعاناً ومشاعاً وشيعوعةً فهو شائعٌ أي انتشر وافترق وظهر، وأشعت المال بين القوم إذا فرَّقته فيهم، ونصيب فلانٍ شائعٌ في جميع هذه الدَّار ومشاعٌ فيها أي ليس بمقسومٍ ولا معزولٍ(٢)، واشتاعا في كذا اشتركا فيه، وتشايع الرَّجلان في الشَّيء تشاركا فيه ولم يقتسماه(٣).

ثانياً: التَّعريفُ الاصطلاحيُّ:

تعرَّض كثيرٌ من الباحثين والمفكِّرين لتعريف الشُّيوعيَّة، وسيورد الباحث بعضاً منها ناسباً كلَّ تعريفٍ لصاحبه كما يلي:

١- عرَّفها الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ بأنَّها: "عقيدةٌ جبريَّةٌ مادِّيَّةٌ إلحاديَّةٌ غيرُ أخلاقيَّةٍ استبداديَّةٌ (ديكتاتوريَّةٌ) شاملةٌ تحت ستار مصلحة المجتمع، وأنَّ الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد، أنانيَّةٌ استئثاريَّةٌ بامتلاك كلِّ شيءٍ، حتَّى الكتل البشريَّة الَّتي تستطيع أن تُخضعهم لسلطانها"(٤).

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ١٨٣/٣.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة شيع، ١٨٨/٨.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، ٥٠٣/١.

(٤) الكيد الأحمر (دراسة واعية للشيوعية وجذورها وخرافة حتمياتها وأحلام وعودها الكاذبة وواقع تدميرها الثوري الحقود الحسود وجحيم تطبيقاتها)، ١٣، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم – دمشق، ط٣، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٢- وعرَّفها الشَّيخ مُحمَّدٌ الغزاليُّ بأنَّها: "مذهبٌ في الحياة يُغيِّر كلَّ شيءٍ ويُقيم عالماً جديداً على أنقاض عالمٍ بائدٍ، ومن أبجديَّاته صرف النَّاس عن تعاليم الله كلها، ما كان منها قِيَماً روحيَّةً – بتعبير العصر – وما كان منها تفصيلاً للمعاملات والنُّظم والقوانين المختلفة"(١).

٣- وعرَّفها الأستاذ مُحمَّد قطب بأنَّها: "تصوُّرٌ شاملٌ للكون والحياة والإنسان ولقضيَّة الألوهيَّة كذلك، وعن هذا التَّصوُّر الشَّامل ينبثق المذهب الاقتصاديُّ، ثُمَّ إنَّها من جهةٍ أخرى مذهبٌ اقتصاديٌّ واجتماعيٌّ وسياسيٌّ وفكريٌّ مترابطٌ متشابكٌ لا يمكن فصل بعضه عن بعض"(٢).

٤- وجاء في الموسوعة الميسَّرة بأنَّها: مذهبٌ فكريٌّ يقوم على الإلحاد، وأنَّ المادَّة هي أساس كلِّ شيءٍ، ويُفسِّر التَّاريخ بصراع الطَّبقات، وبالعامل الاقتصاديِّ"(٣).

٥- وعرَّفها الشَّيخان: ناصر القفاري وناصر العقل بأنَّها: "حركةٌ فكريَّةٌ واقتصاديَّةٌ يهوديَّةٌ إباحيَّةٌ، وضعها كارل ماركس، تقوم على الإلحاد، وإلغاء الملكيَّة الفرديَّة، وإلغاء التَّوارث، وإشراك النَّاس كلِّهم في الإنتاج على حدٍّ السَّواء"(٤).

٦-وعرَّفها الدُّكتور صالح الرِّقب بأنَّها: "تنظيمٌ يهوديٌّ، ذو هيمنةٍ عقائديَّةٍ، هدفه تحقيق جانب من المخطَّط اليهوديِّ العالميِّ الرَّامي إلى تدمير الأمم والشُّعوب، والأديان، والقِيَم، والأخلاق، تمهيداً لإقامة الدَّولة اليهوديَّة العالميَّة"(٥).

وقد ذكرت بعض هذه التَّعريفات من أساسيَّات ومبادئ الشُّيوعيَّة ما لم يُشر إليها بعضها الآخر، لذا يمكن الجمع بين ما افترق منها، وذلك بتعريفها بأنَّها: مذهبٌ فلسفيٌّ فكريٌّ، يحمل تصوُّراً إلحاديَّاً ماديَّاً شاملاً عن الإله والكون والحياة والإنسان.

---

(١) الإسلام في وجه الزحف الأحمر، محمد الغزالي، ١٥، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون رقم الطبعة، ٢٠٠٥م.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، ٢٥٩.

(٣) الموسوعة الميسَّرة، ٩١٩.

(٤) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر عبد الله القفاري، وناصر عبد الكريم العقل، ٩٠، دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٥) واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ٢٥٤.

المسألة الثَّانية: أُسُس الشُّيوعيَّة الماركسيَّة:

اقترنت الشُّيوعيَّة باسم مبتدعها وواضع أُصولها وأُسُسها وهو كارل ماركس؛ لذا فلابدَّ من التَّعريف بصاحب النَّظريَّة أوَّلاً، ومن ثَمَّ سرد الأُسُس الَّتي قامت عليها، وذلك على نحو ما يلي:

أوَّلاً: التَّعريف بكارل ماركس:

كارل ماركس هو مؤسِّس الشيُّوعيَّة المعاصرة أو ما يُطلق عليها الاشتراكيَّة العلميَّة، وهو يهوديٌّ ألمانيٌّ، وُلد سنة ١٨١٨م(١)، كان أبواه يهوديين، ثمَّ تنصَّر والده نِفاقاً، وقد كان ماركس فقيراً، وكان والده يُنفق عليه، فلمَّا مات اتَّكأ على أمِّه وأُخته فأنفقتا عليه حتَّى كلَّتا فامتنعتا عن الإنفاق عليه، وعلى الرَّغم من حاجته للمال، ليُنفق على نفسه وأولاده، إلَّا أنَّه لم يكن يعمل أو يُحبُّ العمل، فقد أقعده عنه كسلُه وخمولُه وحبُّه للنَّوم، فتضوَّر أولاده من الجوع، وألهبهم البرد، وأمعن في أجسادهم المرض، لكنَّ ذلك بدل أنْ يدفعه إلى العمل ملأ قلبه حقداً على الإنسانيَّة، فشنَّ عليها حرباً فتَّاكةً، أهلكت القِيَم، ودمَّرت المُثُل، واقتلعت صروح الدِّين(٢).

فقد قام برفقة صديقه ورفيق دربه الألمانيِّ (فريدريك إنجلز)(٣) بتأسيس الشُّيوعيَّة، وقد ظهرت الشُّيوعيَّة الماركسيَّة الحديثة في القرن التَّاسع عشر الميلاديِّ، حين صدع كارل ماركس بآرائه وأفكاره، وقد شاركه إنجلز في صياغتها(٤)، وهي تقوم على إنكار وجود ربٍّ خالقٍ لهذا الكون، وأنَّ المادَّة هي كلُّ الوجود، ، وأنَّ أحداثها وتغيُّراتها مع أحداث التَّاريخ الإنسانيِّ خاضعةٌ لقانونٍ جبريٍّ في المادَّة، وأساس ذلك كلِّه فكرةٌ فلسفيَّةٌ تُسمَّى المادَّية الجدليَّة(٥).

قام ماركس بتأليف كتابي المسألة اليهوديَّة، ورأس المال، فتعرَّض بسببهما إلى هجومٍ من اليهود والنَّصارى معاً، فدافع عنه أستاذُه موسى هس رائد الصُّهيونيَّة، مُنبِّهاً على أنَّ التُّراث اليهوديَّ موجودٌ في صلب مذهبه، وفي ذلك دليلٌ على أنَّ تأسيس الشُّيوعيَّة كان بتوجيهٍ مباشرٍ من قيادة الحركة الصُّهيونيَّة الخفيَّة، مات ماركس سنة ١٨٨٣م(٦).

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٤٦٣.

(٢) انظر: الشيوعيَّة والإسلام، عبَّاس محمود العقَّاد، وأحمد عبد الغفور عطَّار، ٢٧، ٣٠، ٣١، مطابع دار الأندلس للطباعة والنشر – بيروت، طـ٢، ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م.

(٣) فردريك إنجلز، الصديق الحميم لكارل ماركس، ولد سنة ١٨٢٠م، ساعد ماركس في نشر مذهبه، وظل ينفق عليه وعلى عائلته إلى أن مات، له عدة مؤلفات، منها: أصل الأسرة، الثنائية في الطبيعة، والاشتراكية الخرافية والاشتراكية العلمية، مات سنة ١٨٩٥م. انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٢/٩١٩.

(٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة في ميزان الإسلام، ٦٢. نقلاً عن: المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، ١٠٩-١١٤.

(٥) انظر: كواشف زيوف، ٤٦٣، ٤٦٤.

(٦) انظر: المصدر السابق، ٤٦٣، ٤٦٤.

ثانياً: الأُسس التي قامت عليها الشُّيوعيَّة الماركسيَّة:

أقام الشُّيوعيُّون الماركسيُّون بنيانهم الفكريَّ والسُّلوكيَّ الشَّامل لكلِّ جوانب الحياة على أساس الزَّعم بأنَّ المادَّة هي كلُّ الوجود، وأن لا شيء غيرها، ولا شيء وراءها، وأنَّها تتحرَّك وتتطوَّر صعوداً نحو الارتقاء، وَفق ما سموْه قانون الجدليَّة أو (الدِّيالكتيك)، وزعموا أنَّ هذا القانون هو المهيمن على حركة الوجود – الَّذي هو في نظرهم وجوديٌّ فقط – كلِّه، وزعموا أنَّ الحياة والفكر ما هما إلَّا نتاج هذا الوجود الماديِّ، وهما خاضعان أيضاً لقانون الجدليَّة(١).

لذا فإنَّه يمكن ضبط الأُسس الَّتي قامت عليها الشُّيوعيَّة في أساسين رئيسين، وهما:

١- المادِّيَّة الدِّيالكتيكيَّة:

أ- المادِّيَّة:

والمادِّيَّة تعني أنَّ الوجود كلَّه مادِّيٌّ، والإحساس به مادِّيٌّ، والمادَّة كائنٌ محسوسٌ به قائمٌ في حدود الزَّمان والمكان، والعقل عبارةٌ عن مجموعة المدركات الحسِّيَّة، وكلُّ ما ينتج عنه إنَّما هو عبارةٌ عن مجموعة المدركات الحسِّيَّة، وهو من عمل الدِّماغ الَّذي هو في الأصل مادِّيٌّ(٢)، فالعقل كالنُّور من المصباح، لذا فالشُّيوعيُّون ينظرون إلى الفكر – وهو من نتاج العقل – على أنَّه نتاج المادَّة الأعلى(٣)، والشُّيوعيُّون لا يؤمنون بما وراء المادَّة فهم ينكرون الرُّوح؛ باعتبارها تُباين المادَّة، الَّتي جعلوها بديلاً عن الله(٤).

ب- الدِّيالكتيكية:

الدِّيالكتيكيَّة مأخوذةٌ من الكلمة اليونانيَّة دياليغو، وتعني المحادثة، أو المناظرة، ثُمَّ صارت مصطلحاً علميَّاً يدلُّ على حركة التَّغيُّر والتَّطوُّر في أشياء الكون(٥)، والمعنى الخاصُّ للكلمة هو دراسة المتناقضات في ماهيَّة الأشياء نفسها(٦)، وقد أخذ ماركس فكرة الدِّيالكتيكيَّة عن الفيلسوف الألمانيِّ (هيجل)(٧)، فقد زعم ماركس أنَّه قد أوقف آراء هيجل على قدميها بعد أن كانت تقف على رأسها، باعتبار أنَّ هيجل كان يرى في جدليَّته أنَّها مُنطلقةٌ من الله إلى الأكوان، وأنَّ الفكرة

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٥٦٣.

(٢) انظر: الشيوعية والإسلام، ٣٦.

(٣) انظر: كواشف زيوف، ٥٦٤.

(٤) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ١٠٨٢/٢.

(٥) انظر: كواشف زيوف، ٥٦٤.

(٦) انظر: دراسات في العقائد (الرأسمالية – الاشتراكية – الشيوعية – الصهيونية)، أحمد الشيباني، ١٠٠، دار الكتاب العربي – بيروت، ومكتبة النهضة – بغداد، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٧) جورج ولهلم فريدريك هيجل، فيلسوف ألماني مثالي، ولد سنة ١٧٧٠م، وهو صاحب المنطق الجدلي، مات سنة ١٨٣١م. انظر: كواشف زيوف، ٥٦٤.

هي الأصل، والمادَّة ناتجةٌ عنها، بخلاف ماركس الَّذي يزعم أنَّ فكرة الله من اختراع الفكر الإنسانيِّ وخيالاته(١).

وقد عرَّف الميدانيُّ المادِّيَّة الجدليَّة (الدِّيالكتيكيَّة) بأنَّها: "المبدأ الاعتقاديُّ الجذريُّ العامُّ الَّذي اتَّخذه ماركس والماركسيُّون أساساً لكلِّ أفكارهم ونظمهم الفرعيَّة، فهي قاعدةٌ الإلحاد، والشُّيوعيَّة، أو ما يُسمَّى بالاشتراكيَّة العلميَّة، والحكم الدِّيكتاتوريِّ القائم على ديكتاتوريَّة الطَّبقة الكادحة، وصراع الطَّبقات، والدَّارونيَّة، وغير ذلك من أفكارٍ ونظمٍ يؤمن بها الشُّيوعيُّون الماركسيُّون"(٢).

٢- المادِّية التَّاريخيَّة:

تعتبر المادِّيَّة التَّاريخيَّة إحدى الأُسُس الَّتي أقام عليها الشُّيوعيُّون مذهبهم، وهي متفرِّعةٌ عن المادِّيَّة الجدليَّة (الدِّيالكتيكيَّة)، وتختصُّ بالبحث في تطوُّر المجتمعات، ورسم خطِّ سير التَّاريخ(٣)، وهي قائمةٌ على أنَّ التَّاريخ في جميع حوادثه خاضعٌ لقانون المادِّيَّة الجدليَّة الَّتي تخضع له كلُّ التَّغيُّرات الَّتي تحدث في الكون، وَفق قانونٍ جبريٍّ لا دخل لإرادة الإنسان فيه(٤).

وعلى وَفق هذا القانون زعم الشُّيوعيُّون الماركسيُّون أنَّ انتصار البروليتاريا، وتحقُّق الدَّولة الاشتراكيَّة، ومن ثَمَّ المجتمع الشُّيوعيُّ أمرٌ محتومٌ، بحكم التَّطوُّر والتَّحوُّلات الكيفيَّة الَّتي تطرأ على أساليب الإنتاج وتبادله(٥).

---

(١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ١٠٨٦/٢.

(٢) انظر: كواشف زيوف، ٥٧٠.

(٣) انظر: دراسات في العقائد، ١٢٤.

(٤) انظر: كواشف زيوف، ٥٧٢، ٥٧٣، وانظر: الكيد الأحمر، ٣٦٢.

(٥) انظر: دراسات في العقائد، ١٢٤.

المسألة الثَّالثة: أهداف الشُّيوعيَّة:

تسعى الشُّيوعيَّة ومِن خلفها الصُّهيونيَّة العالميَّة من خلال ما تحمله من أفكارٍ إلحاديَّةٍ وإباحيَّةٍ إلى تحقيق جملةٍ من الأهداف، ومنها ما يلي:

أوَّلاً: القضاء على الدِّين والأخلاق:

تنظر الشُّيوعيَّة إلى الدِّين على أنَّه وهمٌ توارثته الأجيال، وقد ارتبط الدِّين بظروفٍ وأسبابٍ دعت لوجوده، فإذا ما زالت هذه الظروف والأسباب تحقَّق زوال الدِّين، وبظهور التَّطور ووجود المجتمع الشُّيوعيِّ فلا حاجة – بزعمهم – للمجتمع في الدِّين، ولهذا فقد أولى الشُّيوعيُّون اهتماماً كبيراً للتَّربية الإلحاديَّة؛ وذلك تمهيداً لإلغاء الدِّين والقضاء عليه(١).

وإنَّ المُتتبِّع لأقوال القادة الشُّيوعيين وتصريحاتهم، والمطَّلع على كتبهم، سيجد أقوالاً كثيرةً تعلن حربها على الدِّين والأخلاق، وسائر القِيَم(٢)، ومنها ما يلي:

١- جاء في البيان الشُّيوعيُّ الَّذي أصدره ماركس ورفيقه إنجلز ما نصُّه: "إنَّ القوانين والقواعد الأخلاقيَّة والأديان أوهامٌ بورجوازيَّةٌ تتستَّر خلفها مصالح بورجوازيَّةٌ ... والدِّين هو الأفيون الذي يخدِّر الشعب لتسهل سرقته، وإنَّ الدِّين كان وسيلة الإخضاع الرُّوحيِّ، كما كانت الدَّولة وسيلة الإخضاع الاقتصاديِّ ... أمَّا ما وجه للشيوعية من تهم دينية وفلسفية وأخلاقية فلا يستحق بحثاً عميقاً ..."(٣).

٢- ويقول إنجلز: "إنَّنا نرفض شتَّى المحاولات الَّتي تحاول أن تفرض علينا أخلاقاً تستند إلى المثاليَّات، ذلك لأنَّنا نؤمن أنَّ الأخلاق هي نتاج الأوضاع الاجتماعيَّة، ولمَّا كانت الأوضاع الاجتماعيَّة مُتغيِّرةً، فإنَّ مفاهيم الأخلاق الَّتي نؤمن بها هي كلُّ عملٍ يؤدِّي إلى تحقيق انتصار مبدئنا مهما كان هذا العمل مُنافياً للأخلاق"(٤).

٣- وقال **(لينين)**(٥) في خطابٍ له ألقاه في المؤتمر الثَّالث لمنظَّمة الشَّباب الشُّيوعيِّ، الَّذي انعقد سنة ١٩٢٠م ما نصُّه: "إنَّنا لا نؤمن بإلهٍ، ونحن نعرف كلَّ المعرفة أنَّ أرباب

---

(١) انظر: أسباب سقوط الشيوعية الماركسية، أحمد الغامدي، ١٩٩، ٢٠٠، رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤١٦هـ-١٤١٧هـ.

(٢) انظر: كواشف زيوف، ٨٥، ٨٦.

(٣) المصدر السابق، ٨٦.

(٤) المصدر السابق، ٨٦.

(٥) لينين، اسمه الحقيقي: فلاديمير أليتش بوليانوف، ولد سنة ١٨٧٠م، وهو قائد الثورة البلشفية الدامية التي اندلعت في روسيا سنة ١٩١٧م، وهو الذي وضع الشيوعية موضع التنفيذ، تقول بعض الدراسات أن أصله يهودي، له عدة مؤلفات وخطب ونشرات، أهمها ما جُمع تحت اسم: مجموعة المؤلفات الكبرى، مات سنة ١٩٢٤م. انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٢/٩١٩، ٩٢٠.

الكنيسة والإقطاعيين والبورجوازيين، لا يخاطبوننا باسم الإله، إلَّا استغلالاً ومحافظةً على مصالحهم، إنَّنا نُنكر بشدَّة جميع الأُسُس الأخلاقيَّة التي صدرت من طاقات وراء الطَّبيعة غير الإنسان، والَّتي لا تتَّفق مع أفكارنا الطَّبقيَّة"[١].

فالشُّيوعيون لا يؤمنون بإلهٍ، ولا بيومٍ آخر ولا حسابٍ، فهم يعتقدون أنَّ المُدَّة الواقعة بين المهد واللَّحد هي مُدَّة العمل والجزاء، ثُمَّ يموت الإنسان ويتحوَّل إلى ذرَّاتٍ، ويندثر ويتلاشى إلى غير رجعة، فلا إله – بزعمهم – ولا كتبٌ سماويَّةٌ، وما الوحيُ إلا خرافةٌ، والأنبياء مجرَّد عصابةٍ كَذَبَةٍ، ومن ثَمَّ فلا مكان عندهم لصُور العبادات، ولا معاني للحلال والحرام والفضيلة والرَّذيلة، ولا أيَّة قيمةٍ إنسانيَّةٍ تعارف عليها النَّاس[٢].

ثانياً: الوصول للسُّلطة والاستئثار بالحُكم:

إنَّ الوُصول إلى السُّلطة والاستئثار بالحكم هو الغاية الحقيقيَّة لزعماء الحركة الشُّيوعيَّة، فقد كانت السُّلطة على الدَّوام هي هدفهم المكتوم، مهما تستَّروا وراء شعارات أخرى[٣]، يقول دجيلاس: "ولكنْ علينا أنْ نوضِّح هنا أنَّ السُّلطة كانت منذ الأساس وما زالت غاية الزُّعماء الشُّيوعيين، بالرَّغم من ادِّعائهم بأنَّهم يستخدمون السُّلطة كوسيلةٍ لتحقيق غايَةٍ مثاليَّةٍ، بدون أنْ يُعلنوا عمَّا في دخائل نُفوسهم، من أنَّ السُّلطة هي غايةٌ نهائيَّةٌ بالنَّسبة إليهم ..."[٤].

ثُمَّ أبان دجيلاس أهميَّة السُّلطة بالنِّسبة للقادة الشُّيوعيين ومدى حاجتهم إليها، فقال: "وبما أنَّ الحركة الشُّيوعيَّة قد انكفأت على نفسها كعقيدةٍ، فإنَّها عملت على إبقاء السُّلطة وتوطيدها للهيمنة على الشَّعب؛ لكسب معركة البقاء ... وهذا ما يجعل من السُّلطة المدخل الأساسيَّ للحركة الشُّيوعيَّة ونهايتها المحتومة، حتَّى وإن أرادت وقف ذلك فلن تستطيع ... إنَّ جميع أساليب الحُكم هي هدف أولئك الَّذين يرغبون في تسلُّم السُّلطة، إلى جانب كونها وسيلة. أمَّا بالنِّسبة إلى الحركة الشُّيوعيَّة فإنَّ السُّلطة تُعتبر هدفاً بحدِّ بذاتها؛ لأنَّها تشكِّل ضمانةً للقادة، لحماية مصالحهم وامتيازاتهم المادِّيَّة، وتملُّكهم للثَّروة القوميَّة، وعن طريق السُّلطة يعمد الزُّعماء إلى السَّيطرة على الفكر، وتقويم الآراء، وقمع الاتِّجاهات المُعاديَة"[٥].

---

(١) كواشف زيوف، ٨٧.
(٢) انظر: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، ١٨.
(٣) انظر: الكيد الأحمر، ٢١.
(٤) المصدر السَّابق، ٢١
(٥) المصدر السَّابق، ٢٢.

ثالثاً: إشاعة الفوضى الاجتماعيَّة:

تهدف الشُّيوعيَّة إلى إغراق المجتمعات في مستنقع الغريزة، ومن ثَمَّ تحويل النَّاس إلى عبيدٍ لشهواتهم يلهثون خلفها، وهم مسلوبي الإرادة، كنوعٍ من أنواع إلهاء الشُّعوب وتخدير وعيها إزاء القضايا الكبرى، فعمدت الشُّيوعيَّة لتحقيق هذا الهدف بإشاعة الإباحيَّة الجنسيَّة، وشُيوعيَّة النِّساء، ونسبة الأبناء الشَّرعيين منهم وغير الشَّرعيين إلى الدَّولة، وهي وإن لم تنجح في ذلك باعتبار أنَّ ذلك مصادرةٌ للفطرة والطَّبيعة البشريَّة، إلَّا أنَّها نجحت في مجال العَلاقة بين الرِّجال والنساء في الوصول بها إلى حدٍّ حيوانيٍّ شهوانيٍّ بحت[١].

يقول ماركس ورفيقه إنجلز: "مع تحوُّل وسائل الإنتاج إلى ملكيَّةٍ عامَّةٍ اجتماعيَّةٍ، لا تبقى العائلة، وتغدو العناية بالأطفال وتربيتهم من شؤون المجتمع، فإنَّ المجتمع سيعنى بالقدر ذاته بجميع الأطفال سواءً كانوا شرعيين أو غير شرعيين. وبفضل هذا يزول هَمُّ العواقب الَّذي يشكِّل في الوقت الحاضر أكبر سببٍ اجتماعيٍّ أخلاقيٍّ اقتصاديٍّ يمنع الفتاة من الاستسلام بلا تحفُّظٍ للرَّجل الَّذي تحبُّه. ألن يكون هذا سبباً كافياً لكي نقوم تدريجيَّاً بمزيدٍ منَ الحريَّة في العَلاقات الجنسيَّة ولكي يتكون بالتَّالي رأيٌ عامٌّ أكثر تساهلاً حيال شرف العَذارى وحشمة النِّساء"[٢].

ثُمَّ اتَّجهت الشُّيوعيَّة إلى تجريد المجتمعات من جميع القِيَم والرَّوابط الاجتماعيَّة الطَّبيعيَّة، وذلك بالقضاء على الرَّوابط الأُسريَّة، وتفكيك التَّماسك بين أفرادها، فلا طاعة، ولا ولاء، ولا تدخُّل لأبٍ ولا أمٍّ في سُلوك أبنائهم وبناتهم، فلا ولاء إلا للدَّولة الشُّيوعيَّة[٣]، يقول لينين: "نحن لا نؤمن بالأفكار المثاليَّة عن الأسرة التي تُنادي بجعل الأسرة ذا كيانٍ خاصٍّ له استقلاله. نحن لا نؤمن بهذه المثاليَّة التي تشجِّع على جعل الوطن مجموعةً من الأُسرات المستقلَّة. إنَّ الأسرة في نظرنا ليست سوى أفراد مستقلِّين، نحدِّد لكلٍّ منهم دوره في المجتمع"[٤]، ويقول (ستالين)[٥]: "دعوني أذكر لكم بصراحةٍ، إنَّه منَ الخطر على حياتنا السِّياسيَّة تشجيع ذلك المفهوم الخاطئ للأسرة، وأقصد بذلك الآراء القائلة بأنَّ هناك ما يُسمَّى الولاء للأسرة، فالولاء الوحيد المسموح به في مجتمعنا هو الولاء للدَّولة"[٦].

---

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ١٦٧.

(٢) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ٢١١، ٢١٢.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٢١٢.

(٤) المصدر السابق، ٢١١.

(٥) ستالين، اسمه الحقيقي جوزيف فاديونوفتش زوجا شفلي، ولد سنة ١٨٧٩م، وهو سكرتير الحزب الشيوعي ورئيسه بعد لينين، اشتهر بالقسوة والديكتاتورية، وقد ناقشته زوجته مرة فقتله، مات سنة ١٩٥٤م. انظر: الموسوعة الميسَّرة، ٢/٩٢٠.

(٦) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ٢١١.

رابعاً: إخضاع العالم للحُكم الشُّيوعيِّ:

بعد نجاح الثَّورة البلشفيَّة، وإسقاط القيصريَّة الرُّوسيَّة، ووثوب الشُّيوعيُّون على مقاليد الحكم فيها، استشرى فيهم داء جنون العظمة وحبُّ الذَّات، ما جعلهم يطمعون في إخضاع العالم لسيطرتهم، ولو كان الثَّمن إبادة ثلاثة أرباع العالم، يقول لينين: "إنَّ هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيءٍ، إنَّما الشَّيء المهمُّ هو أن يصبحَ الرُّبع الباقي شيوعيَّاً"(١).

فالشُّيوعيُّون لن يتورَّعوا عن ارتكاب أيِّ عملٍ مهما بلغت فظاعته من أجل تحقيق هذه الغاية، وقد طبَّقوا هذه القاعدة بالفعل أيَّام الثَّورة في روسيا، وطبَّقوها كذلك في الصِّين، وغيرها، حيث أبادوا ملايين البشر، كما وينضوي تحت هذه القاعدة أيضاً ما أقدموا عليه من اكتساحٍ لأفغانستان وما حولها من جمهوريَّاتٍ إسلاميَّةٍ مثل بُخارى، وسمرقند، وبلاد الشِّيشان، والشّركس(٢).

هذه الأهداف تعكس مدى حقد الشُّيوعيَّة على الأديان وأتباعها – لاسيَّما المسلمين –، وحرصها على تدمير كلِّ الأخلاق والقِيَم الرَّاقية، كما وتعكس هذه الأهداف نهم الشُّيوعيين الواضح لالتهام العالم، وإخضاعه لسلطانهم، وتعكس مدى انحطاط الأهداف والغايات الَّتي يسعون لتحقيقها هم ومَن وراءهم من اليهود.

---

(١) الموسوعة الميسَّرة، ٩٢١/٢.

(٢) انظر: المصدر السَّابق، ٩٢١/٢.

المطلب الثَّاني
موقف الميدانيِّ من الشُّيوعيَّة

فضح الميدانيُّ الوجه الحقيقيَّ للشُّيوعيَّة، وعرَّى مبادئها وردَّ على أربابها ودُعاتها، وكشف وسائلها التَّسلُّطيَّة واللَّاأخلاقيَّة، وعلاقتها بالماسونيَّة والصُّهيونيَّة العالميَّة، ويمكن إبراز ذلك من خلال المسائل التَّالية:

المسألة الأولى: وسائل الشُّيوعيَّة:

لقد اعتمد قادة الحركة الشُّيوعيَّة وسائلَ تتَّصف بالمنهج العلميِّ للوصول إلى الأهداف الَّتي خطَّطوا لها، وقد لخَّص الميدانيُّ هذه الوسائل في النِّقاط التَّالية(١):

أوَّلاً: إقامة المُنظَّمات الشُّيوعيَّة في مختلف بلدان العالم وَفق أرقى التَّنظيمات الحزبيَّة الانضباطيَّة، الخاضعة لرؤسائها خُضوعاً تامَّاً، وتعتمد هذه المُنظَّمات بدورها وسائلَ عدةً في الاستدراج إلى التَّنظيم، منها: تهييج المطامع بالوعود، وشراء الضَّمائر، وإثارة الحسد والحقد الطَّبقي، وزرع العداوة والبغضاء، وطمس معالم الدِّين والأخلاق من أعماق النُّفوس.

ثانياً: اعتماد وسيلة الثَّورات الدَّمويَّة العنيفة لقلب أنظمة الحُكم، والاستيلاء عليه، ونظراً لعدم قُدرة المنظَّمات الشُّيوعيَّة في العالم على القيام بذلك بنفسها، فإنَّها تقوم باستغلال عناصرَ غير شُيوعيَّةٍ وتدفعها للقيام بالثَّورة ضدَّ نظام الحُكم القائم، ثُمَّ إذا بدا لها نجاحها زحفت إلى مراكز الصَّدارة في هذه الثَّورة؛ لتسرقها بوسائل المكر والكيد، ثُمَّ تأخذ هذه المُنظَّمات في إبعاد العناصر غير الشُّيوعيَّة، وكلِّ المُعارضين لها من جماهير الشَّعب.

ثالثاً: تعمل المُنظَّمات الشُّيوعيَّة بعد وصولها للحُكم على تصفية العناصر المضادَّة لحكمها، ثُمَّ العناصر غير ذات الولاء التَّام له، ثُمَّ العناصر المُنافسة، وذلك تحت سلطان حكمٍ ديكتاتوريٍّ لا يعرف الرَّحمة الإنسانيَّة.

رابعاً: محاربة جميع الاديان لاسيَّما الإسلام باستثناء الدِّين اليهوديِّ؛ وذلك لوجود نُفوذٍ سريٍّ لليهود داخل معظم أنظمة الحُكم الشُّيوعيِّ.

خامساً: القضاء على رجال الدِّين ودُعاته، وخاصَّةً من المسلمين، وذلك بالنَّفي، أو القتل، أو السَّجن، وكذلك التَّخلص من الأشراف، ومِن كلِّ من له مكانةٌ اجتماعيَّةٌ في قومه.

(١) انظر: الكيد الأحمر، ١٤-١٨.

سادساً: فرض ضرائبَ باهظةٍ على أفراد الشَّعب؛ وذلك لإرهاق الشَّعب مادِّيّاً، فيضطرَّ مُرغماً لقَبول الحُكم الشُّيوعيِّ، باعتبار أنَّ ضروريَّات العيش مرتبطةٌ بالحُكم، وكلٌّ من يتأخَّر عن أداء هذه الضَّرائب تتمُّ مصادرة جميع أمواله المنقولة منها وغير المنقولة.

سابعاً: القضاء على الملكيَّة الفرديَّة للأراضي الزِّراعيَّة، وإخضاع القطاع الزِّراعيِّ للحُكم الشُّيوعيِّ، وقد أنشأت الحكومة الشُّيوعيَّة هيئاتٍ لإدارة المزَّارع الجماعيَّة.

ثامناً: امتلاك المصانع، وجعلها تحت إدارة الدَّولة، والتَّصرف بها وَفق أهواء السُّلطة الشُّيوعيَّة المباشرة، أو العليا تسلسلاً حتَّى القِمَّة.

تاسعاً: الاستيلاء على التِّجارة بشكلٍ كاملٍ، وجعلها تحت سُلطة الحُكم الشُّيوعيِّ، فتُسيطر على الاستيراد والتَّصدير، وهي الَّتي تفرض أسعار البيع والشِّراء؛ لعدم وجود المُنافس، وتُقيم مراكزَ للتَّوزيع، وعلى المُستهلِك قَبول ما تقدِّمه له من سِلَعٍ جيِّدةٍ كانت أو رديئةٍ إذ لا بديل له.

عاشراً: القضاء على الأخلاق الفاضلة، وإقامة أخلاقٍ حزبيَّةٍ تخدم مصالح قادة الحُكم الشُّيوعيِّ، وتوجب الطَّاعة للسُّلطة الشُّيوعيَّة الدِّيكتاتوريَّة من أفراد الحزب، وجميع أفراد الشَّعب.

حادي عشر: إشاعة الإباحيَّة الجنسيَّة، ودفع المرأة إلى البِغَاء والتَّحلُّل من ضوابط العفَّة، ونزع النَّخوة والغيرة من رؤوس الرِّجال.

ثاني عشر: تقسيم الشَّعب إلى طبقتين: طبقة السَّادة، وهم الشُّيوعيُّون، ومن قَبِل حكمهم، أو خضع لسلطانهم، وطبقة المنبوذين، وهم غير المُنتظِمين في الحزب الشُّيوعيِّ، ولم يُعلنوا ولاءهم التَّام له.

ثالث عشر: الاستيلاء على التَّعليم، فلا يُسمح بتعليمٍ إلا عن طريق الحزب الشُّيوعيِّ الحاكم، ولابدَّ أنْ يكون التَّعليم ضمن ما وضعه الحزب من خُطط ومناهج، والقضاء على جميع صُور التَّعليم الدِّينيِّ وخاصَّةً التَّعليم الإسلاميِّ.

رابع عشر: القضاء على المعابد الدِّينيَّة بشكلٍ شبه كليٍّ، فما تركوه منها إنَّما يكون بغرض الدِّعاية الخارجيَّة، أو التَّغطيَة السِّياسيَّة.

خامس عشر: إقامة السِّياسة الدِّيكتاتوريَّة المُستبدَّة بكلِّ شيءٍ، وبهذه السِّياسة تتمُّ مصادرة الحريَّات الفرديَّة والجماعيَّة، باستثناء الحريَّات الشَّخصيَّة الضَّيِّقة، والَّتي منها الإباحيَّة الجنسيَّة.

سادس عشر: إنشاء شبكة تجسُّسٍ واسعةٍ لكلِّ أفراد الشَّعب، وتكليف جميع أفراد الشَّعب بشكلٍ قانونيٍّ أنْ يبلِّغ عن كلِّ من يرى أنَّه مناهضٌ لسياسة الدَّولة حتَّى لو كان والده، أو أمَّه، أو

ولده، أو أخاه، وإلا جُرِّم وعُوقب بالسَّجن.

سابع عشر: نشر الشُّيوعيَّة بكلِّ الوسائل المُمكنة من ترغيبٍ أو ترهيبٍ أو غيرها بين أفراد الشَّعب، والشُّعوب الخاضعة للحُكم الشُّيوعيِّ، والتَّحريض على القيام بثوراتٍ شُيوعيَّةٍ في كلِّ بلدان العالم؛ لإسقاط الحكومات غير الشُّيوعيَّة.

ثامن عشر: العمل على تحويل العالم إلى دولةٍ شُيوعيَّةٍ واحدةٍ خاضعةٍ لسلطان الأيدي القابضة على الأنظمة الشُّيوعيَّة من وراء السِّتار.

ثم أكَّد الميدانيُّ عقب سرده لوسائل الشُّيوعيَّة على أنَّ مثل هذه الوسائل من المستحيل أن تحقِّق أهدافاً تحمل الخير للإنسانيَّة كما يزعم الشُّيوعيُّون، فهذه الوسائل قائمةٌ على عنصري الاستبداد المطلق، والوسائل غير الأخلاقيَّة، وهي لا عَلاقة لها بتحقيق أهدافٍ ساميةٍ(١).

وبتتبُّع الميدانيِّ لما استخدمه الشُّيوعيُّون من وسائلَ قمعيَّةٍ واستبداديَّةٍ وإباحيَّةٍ قد عرَّى ما يرفعه الشُّيوعيُّون من شعاراتٍ برَّاقةٍ يخدعون بها الشُّعوب، وأنَّ مثل هذه الوسائل لا يمكن أن تحمل الخير لأحدٍ، وأنَّ مآل حكمٍ يستخدم مثل هكذا وسائل إلى الفشل والسُّقوط.

لذا وعلى الرَّغم من أنَّ الشَّيخ الميدانيَّ قد انتهى من كتابة مؤلَّفه الكيد الأحمر سنة ١٩٧٩م، أي قبل سقوط الشُّيوعيَّة بأكثر من عشر سنواتٍ، إلَّا أنَّه كان يستيقن سقوطها، فقد تنبَّأ في مقدِّمة هذا الكتاب بذلك، فقال: "وإذا كان لنا أن نتنبَّأ عن المستقبل فإنَّ لنا أن نقول: إنَّ الشُّيوعيَّة وأنظمتها ستتساقط في كلِّ أرجاء العالم، طال الزَّمن أو قصر، متى وهنت القبضة الحديديَّة الخانقة لرقاب الشُّعوب المحكومة بها، أو متى استنفذ الذين دفعوا إليها وأقاموا أنظمتها أغراضهم منها، وغدت عبئاً عليهم، أو تعمل ضدَّ مصالحهم (يعني اليهود)"(٢).

---

(١) انظر: الكيد الأحمر، ١٩.

(٢) المصدر السابق، ٥.

المسألة الثَّانية: عَلاقة الشُّيوعيَّة بالماسونيَّة:

فضح الميدانيُّ العَلاقة الحميميَّة بين الشُّيوعيَّة من جهةٍ والماسونيَّة واليهوديَّة العالميَّة من جهةٍ أخرى، وكشف عن تحرُكات اليهود الَّتي مهَّدت للثَّورة البلشفيَّة، وأوضح أنَّ اليهود حاكوا الدَّسائس، وأنشأوا منظَّماتٍ سرِّيَّةً لتقويض نظام الحكم القيصريِّ القائم، وإقامة النِّظام الشُّيوعيِّ في أوروبا الشَّرقيَّة، وأبان الميدانيُّ أنَّ المنظَّمات اليهوديَّة السِّريَّة اعتمدت لإنجاز هذه المهمَّة على وسيلتين، وهما(١):

الوسيلة الأولى: تأجيج عوامل الثَّورة ضدَّ نظام الحكم القيصريِّ الرَّأسماليِّ القائم في روسيا، وذلك من خلال بثِّ النَّظريَّات الشُّيوعيَّة الَّتي نادى بها كارل ماركس وصديقه فريدريك إنجلز ومؤسِّس الصُّهيونيَّة الحديثة موسى هيس، ومن ثَمَّ اجتذاب طبقة العمال والكادحين لتأييد هذه الحركة اليهوديَّة المُقنَّعة.

الوسيلة الثَّانية: الاتِّصال بكبار أصحاب رؤوس الأموال في العالم من الرَّأسماليين اليهود؛ لتمويل الحركة الشُّيوعيَّة اليهوديَّة.

وبالفعل بدأت الاضطرابات والقلاقل في روسيا القيصريَّة ضدَّ نظام الحكم، ونجحت الحركة الشُّيوعيَّة في إسقاطه سنة ١٩١٧م، والاستيلاء على حكم روسيا(٢).

وقد أورد الميدانيُّ في كتابه الكيد الأحمر جملةً من الوثائق والشَّواهد والأدلَّة الَّتي تؤكِّد على الدَّور المحوريِّ الَّذي لعبه اليهود لإنجاح هذه الثَّورة، والوصول بالشُّيوعيين إلى الحكم(٣).

وأورد طائفةً من أقوال قادة الماسونيَّة، وبعض ما جاء في بروتوكولات حكماء بني صهيون الَّتي تدلِّل على عَلاقة الشُّيوعيَّة باليهوديَّة، وهذه الأقوال على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: جاء في بيان المشرق الأعظم الفرنسيِّ الماسونيِّ لعام ١٩٠٤م ما نصُّه: "إنَّ الماركسيَّة واللَّاقوميَّة هما وليدتا الماسونيَّة؛ لأنَّ مؤسِّسيْها كارل ماركس وإنجلز هما من ماسونيي الدَّرجة الحادية والثَّلاثين، ومن منتسبي المحفل الإنكليزيِّ، وإنَّهما وإن كانا من الَّذين أداروا الماسونيَّة السِّرِّيَّة، وبفضلها أصدرا البيان الشُّيوعيَّ المشهور"(٤).

---

(١) انظر: الكيد الأحمر، ٨٥-٨٧.
(٢) انظر: المصدر السابق، ٩٢.
(٣) انظر: المصدر السابق، ٨٨-٩٠.
(٤) مكايد يهودية عبر التاريخ، ٢٩١، وأيضاً: كواشف زيوف، ٨٣.

ثانياً: وجاء في مجلَّة أكاسيا الماسونيَّة عام ١٩٠٣م ما نصُّه: "إنَّ الماسونيَّة الَّتي هيَّأت الجوَّ لثورة سنة ١٧٨٩م (أي الثَّورة الفرنسيَّة) عليها أن تهيِّئ الجوَّ للثَّورة الماركسيَّة، وعلى الماسونيَّة أن يعملوا بالاشتراك مع العمَّال؛ لأنَّ الماسونية تملك القُوَى الفكريَّة والإمكانات العقليَّة، وإنَّ العمَّال يكوِّنون عدداً هائلاً، ويملكون القُوَى التَّدميريَّة، وباجتماع هاتين القوَّتين يتولَّد الاضطراب الاجتماعيُّ"[١].

ثالثاً: وقد جاء في البروتوكول الثَّالث من بروتوكولات حكماء صهيون ما نصُّه: "إنَّنا نقصد أن نظهر كما لو كنَّا المحرِّرين للعمَّال جئنا لنحرِّرهم من هذا الظُّلم حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشُّيوعيين، ونحن على الدَّوام نتبنَّى الشُّيوعيَّة ونحتضنها، متظاهرين بأنَّنا نساعد العمَّال طوْعاً لمبدأ الأُخوَّة والمصلحة العامَّة للإنسانيَّة، وهذا تبشِّر به الماسونيَّة الاجتماعيَّة"[٢].

رابعاً: جاء في البروتوكول الثَّاني من بروتوكولات حكماء صهيون ما نصُّه: "ولاحظوا هنا أنَّ نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتَّبناه من قبل"[٣].

ومن خلال السَّرد السَّابق لأقوال قادة الماسونيَّة والصُّهيونيَّة العالميَّة يتبيَّن صدق المقولة الشَّهيرة الَّتي قالها الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ: "الشُّيوعية وليدة الصُّهيونيَّة"[٤]، كما ويتبيَّن حجم الدَّعم والمساندة الَّتي قدمها اليهود للشُّيوعيين لإنجاح ثورتهم، ويكشف عن حجم التَّآزر والتَّعاضد بينهم لتحقيق أهدافهم المشترَكة.

---

(١) مكايد يهودية عبر التاريخ، ٢٩٢، وأيضاً: كواشف زيوف، ٨٣، ٨٤.

(٢) الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، ١٢٧.

(٣) المصدر السابق، ١٢٣.

(٤) الشيوعية وليدة الصهيونية، أحمد عبد الغفور عطار، ٥، المكتبة العصرية – بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

المسألة الثَّالثة: نقض جذور العقيدة الشُّيوعيَّة:

أوَّلاً: زيف مبادئ الشُّيوعيَّة:

كشف الميدانيُّ أوجه المغالطات والزِّيوف الَّتي تعجُّ بها مبادئ الشُّيوعيَّة الماركسيَّة، وقام بتتبُّعها ونقضها، وذلك على النَّحو التَّالي[١]:

١- زعم الشُّيوعيُّون الماركسيُّون أنَّ المادَّة هي أساس الوجود وجوهره، ولا شيء في الوجود غير المادَّة، وما ينبثق عنها فهو من نتاجها.

جواب الميدانيِّ:

أكَّد الميدانيُّ على أنَّ جدليَّات الماركسيين في هذا المبدأ تعتمد على ما يلي:

أ- المغالطات والأكاذيب، وتحوير دلالات أقوال مخالفيهم عن مقاصدهم.

ب- الإنكار بدون دليلٍ لكلِّ ما يخالف مقرَّراتهم المفتقرة إلى الدَّليل.

ت- التَّشكيك بأدلَّة المثبتين لوجود الله.

ث- تصيُّد أضعف أدلَّة المؤمنين بالله، واعتبارها أنَّها الأدلَّة الوحيدة، ومن ثَم توجيه المطاعن لها.

ج- اتِّخاذ بعض المكتشفات العلميَّة ذرائعَ لدعم معتقداتهم زوراً وبهتاناً.

ح- تقديم مقرَّراتهم أحكاماً تقريريَّةً غير مقترنةٍ بحججٍ وأدلَّةٍ تثبتها.

٢- زعم الشُّيوعيُّون الماركسيُّون أنَّ الطَّبيعة كلٌّ واحدٌ متماسكٌ، وأنَّها سرمديَّةٌ لا بداية لها ولا نهاية.

جواب الميدانيِّ: وهو من شقَّين:

الأوَّل: كون الطَّبيعة كلٌّ واحدٌ متماسكٌ ترتبط فيه الأشياء والحوادث ارتباطاً تامَّاً، فظاهرةٌ تدلُّ أنَّ الخالق المهيمن على الكون واحدٌ.

الثَّاني: وأمَّا أنَّ الطَّبيعة سرمديَّةٌ، فهو ادِّعاءٌ ينقضه العقل، وتنفيه الدَّلائل العلميَّة، الَّتي تثبت حدوث الكون، وأنَّ مصيره إلى الفناء.

٣- زعم الشُّيوعيُّون الماركسيُّون أنَّ كلَّ الأشياء وحوادثها تحوي تناقضاتٍ داخليَّةً، مجتمعةً متزاحمةً في وحدةٍ يُسمُّونها وحدة الأضداد أو وحدة المتناقضات، وهي تتصارع مع بعضها وَفق نظام جدليَّة هيجل، فيدفع بها الصَّراع إلى التَّطوُّر الصَّاعد.

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٥٧٨-٥٨٩.

جواب الميدانيِّ:

أكَّد الميدانيُّ على أنَّ الأصول العقليَّة المقرَّرة عند الفلاسفة والمناطقة وجميع العقلاء على خلاف ذلك، ومن هذه الأصول ما يلي:

أ- استحالة اجتماع النَّقيضين كالوجود والعدم في شيءٍ واحدٍ ووقتٍ واحدٍ، فاجتماعهما يُحيله العقل، كما أنَّهما لا يرتفعان معاً من شيءٍ واحدٍ في وقتٍ واحدٍ، فارتفاعهما معاً يُحيله العقل.

ب- استحالة اجتماع الضِّدين كالأبيض والأسود في شيءٍ واحدٍ ووقتٍ واحدٍ، فاجتماعهما يُحيله العقل، لكنَّهما قد يرتفعان معاً في وقتٍ واحدٍ، فيكون الجسم لا أبيض ولا أسود في وقتٍ واحدٍ، فقد يكون أحمر أو أصفر أو غير ذلك من ألوانٍ.

٤- زعم الشُّيوعيُّون الماركسيُّون أنَّ تغيُّرات المجتمع البشريِّ، وجميع ظواهره، وأنماط حياة النَّاس فيه، تتعلَّق بأسلوب الإنتاج، وأنَّ تاريخ المجتمع البشريِّ لابدَّ أن يمرَّ حتماً بالمشاعيَّة الابتدائيَّة، فالرِّق، فالإقطاع، فالرَّأسماليَّة، فالاشتراكيَّة، فالشُّيوعيَّة الأخيرة الَّتي تختفي بعدها الطَّبقات.

جواب الميدانيِّ:

كشف الميدانيُّ أنَّ هذا المبدأ يحوي مغالطتين، وهما:

الأولى: اعتبار تغيُّرات المجتمع، وأنماط سلوكه من آثار أسلوب الإنتاج، مع أنَّ وقائع التَّاريخ البشريِّ تُظهر بأنَّ هناك أسباباً أخرى غير أسلوب الإنتاج قد كان له تأثيرٌ في حركة تطوُّر المجتمع البشريِّ، وذلك مثل المذاهب الفكريَّة الفلسفيَّة، والرِّسالات الدِّينيَّة، وغيرها.

الثَّانية: ادِّعاء تسلسل التَّاريخ الإنسانيِّ صعوداً بَدءاً من المشاعيَّة الابتدائيَّة، ومروراً بالرَّأسماليَّة، وصولاً إلى الشُّيوعيَّة.

وقد فنَّد الميدانيُّ هذا الزَّعم من خلال استدلاله بالواقع، فإنَّ المجتمعات الرَّأسماليَّة لم تتحوَّل إلى الاشتراكيَّة في البلدان الرَّأسماليَّة الصِّناعيَّة الغربيَّة، بل إنَّ الثَّورة الاشتراكيَّة في روسيا قامت في وقتٍ لم تكن فيها صناعاتٌ كثيرةٌ، ولا رأسماليَّة.

ثانياً: تناقض شعارات الشُّيوعيَّة وتطبيقاتها:

كشف الميدانيُّ عن الفجوة الكبيرة الواقعة ما بين أفكار الشُّيوعيَّة الماركسيَّة النَّظريَّة وبين تطبيقاتها العمليَّة على أرض الواقع، ومن ضمن هذه الشِّعارات ما يلي(١):

١- ادِّعاء الشُّيوعيَّة بأنَّها تتنقل في مراحلها المقرَّرة داخل المجتمع البشريِّ تنقُّلاً ذاتيَّاً، وتدَّعي أنَّ القوانين الاجتماعيَّة تُفضي حتماً إلى التَّغيير إلى الاشتراكيَّة، كما وتزعم الشُّيوعيَّة أنَّ الطَّبقات ستُلغى في ظلِّ حكم ديكتاتوريَّة الطَّبقة العاملة (البروليتاريا)، ثُمَّ سينشأ بعد ذلك مجتمعٌ غير طبقيٍّ.

وقد أجاب الميدانيُّ على ذلك بأنَّ الشُّيوعيين قد مارسوا الإرهاب على الأرض لفرض سلطانهم، فلو أنَّهم مؤمنين أنَّ التَّطوُّر سيقود حتماً إلى مجتمعٍ شيوعيٍّ لم يعمدوا إلى مثل هذه الوسائل الاستبداديَّة، أمَّا عن الزَّعم بأنَّ مصير الطَّبقيَّة إلى الزَّوال فيكذِّبه الواقع التَّطبيقيُّ، إذ لم تُلغَ الطَّبقات في حكم ديكتاتوريَّة الطَّبقة العاملة (البروليتاريا).

٢- تنبُّؤ الشُّيوعيَّة بأنَّ أوضاع الطَّبقة العاملة في أوروبا الغربيَّة ستتدهور، وسيزداد فقرها، ثُمَّ ستقوم فيها الثَّورة الشُّيوعيَّة حتماً.

وقد دلَّل الميدانيُّ على بطلان هذا التَّنبؤ بأنَّ التَّطوُّرات الَّتي حدثت للمجتمعات في أوروبا تثبت كذب هذه المزاعم، فقد سار الغرب نحو التَّطوُّرات التَّطبيقيَّة للعلوم المادِّيَّة (التِّكنولوجيَّة)، وتطوُّر القدرة الإنتاجيَّة، فتحسَّنت أوضاع الطَّبقة العاملة على خلاف ما زعمه ماركس وأتباعه.

٣- زعم الشُّيوعيُّون أنَّ الله فكرةٌ من اختراع النَّاس في حين أنَّ زعماء الشُّيوعيَّة قد نصَّبوا أنفسهم آلهةً لا رادَّ ولا معقِّب على قولهم وحكمهم، وقد اتَّخذ الشُّيوعيُّون من ماركس ولينين وستالين أرباباً من دون الله.

إنَّ حجم التَّناقضات بين الشِّعارات الَّتي يرفعها أرباب الشُّيوعيَّة ودعاتها وبين تطبيقاتها العمليَّة على أرض الواقع أكثر من أن تُحصر، وهذا يعكس مدى زيف هذه الشِّعارات، ومدى استخفاف القادة الشُّيوعيين بعقول أتباعهم، إذ لو تفكَّر أحدهم في هذا التَّناقض لظهر له بشكلٍ جليٍّ عمليَّات الخداع وتغييب الوعي، الَّتي يمارسها قادتهم؛ لتحقيق أهدافهم غير النَّبيلة وغير الإنسانيَّة.

---

(١) انظر: الكيد الأحمر: ١٦٨-٢٠٦.

المبحث الثاني

نظريَّة فرويد وموقف الميدانيِّ منها

- المطلب الأوَّل: نظريَّةُ فرويد وتعريفُها وأُسُسُها وأهدافُها
- المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من نظريَّة فرويد

المطلب الأوَّل

نظريَّة فرويد وتعريفها وأُسُسها وأهدافها

تتلاقى الرُّؤى والأفكار الَّتي تطرحها نظريَّة فرويد مع ما كان يحلم به حكماء بني صهيون كما عبَّروا عنه في بروتوكولاتهم الشَّهيرة، ومن المعلوم أنَّ أمثال هـذه الـدَّعوات والفلسـفات القائمة على الإلحاد والإباحيَّة، إنَّما تخرج من مشكاةٍ واحدةٍ، ولها منبـعٌ وحيـدٌ، ويتمثَّـل فـي اليهوديَّة العالميَّة الَّتي تسعى لإغراق أهل الأرض بالضَّلالات والأباطيل الكفريَّة واللَّاأخلاقيَّـة، وهذا المطلب يسلِّط الضَّوْء على نظريَّة فرويد، من حيث تعريفها، وتوضيح أُسُسـها، وكشـف أهدافها، وذلك من خلال المسائل التَّالية:

المسألة الأولى: التَّعريف بنظريَّة فرويد:

اقترنت هذه النَّظرية باسم مبتدعها وهو فرويد؛ لذا فلابدَّ من التَّعريف بصـاحب النَّظريَّـة أوَّلاً، ومن ثَمَّ التَّعريف بنظريَّته، وذلك على نحو ما يلي:

أوَّلاً: التَّعريف بفرويد:

هو سيجموند فرويد، نمساويٌّ، يهوديٌّ من أبوين يهوديين، ولد في مدينة فريبرج بمقاطعـة مورافيا بتشيكوسلوفاكيا في السَّادس من مايو سنة ١٨٥٦م، نزح برفقة أسرته إلى فيينا وهو في سنِّ الرَّابعة، وتلقَّى تعليمه بأسره فيها[١].

يُعتبر فرويد مؤسِّس مدرسة التَّحليل النَّفسيِّ، فقد اشترك مع جوزيف برويـر فـي عـلاج الهستيريا بواسطة النُّوام، وفسَّر أعراضها بأنَّها تعبيراتٌ عضـويَّةٌ مـن صـدماتٍ مكبوتـةٍ، وصراعاتٍ نفسيَّةٍ لا شعوريَّةٍ ترجع إلى الطُّفولة[٢]، حيث يقول: "فالشُّـذوذ الجنسـيُّ والتَّهـور العصبيُّ والاضطرابات العاطفيَّة والانحرافات النَّفسيَّة مردُّها الطُّفولة"[٣].

عمل بعد ذلك بمفرده، وترك العلاج بالنُّوام، واستبدلها بطريقة التَّداعي الحرِّ، وأكَّد على أنَّ الطَّاقة المسبِّبة لأعراض الهستيريا التَّحوليَّة هي طاقةٌ جنسيَّةٌ، له عدَّة مؤلَّفاتٍ، منهـا: تفسـير الأحلام، وثلاث رسائل في نظريَّة الجنس، ومدخل إلى التَّحليل النَّفسيِّ، والقلق، وغيرها، مـات سنة ١٩٣٩م[٤].

---

(١) انظر: حياتي والتحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: مصطفى زيور، وعبد المنعم المليجـي، ٢٠، دار المعارف – القاهرة، طـ٤، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٢) انظر: كواشف زيوف، ٢٨٩.

(٣) الكبت تحليل نفسي، سيجموند فرويد، ووليم شتيكل، ترجمة: علي السيد حضـارة، ١٣، المكتبـة الشـعبية القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

(٤) انظر: كواشف زيوف، ٢٨٩.

ثانياً: التَّعريف بنظريَّة فرويد (الفلسفة الفرويديَّة):

تأثَّر فرويد بنظريَّة داروين(١) والَّتي يعتبرها التَّاريخ الأوروبيُّ نقطة تحــوُّلٍ فــي تــاريخ العلوم، وأنَّها ذات أثرٍ واضحٍ على كلِّ ما أنتجه العلماء في العهد الأخير، وظهر تأثُّر فرويد بهذه النَّظريَّة من خلال نظرته إلى الإنسان، حيث ينظر إليه فرويد على أنَّه مخلوقٌ أرضيٌّ، ويحصر عالمه في هذا النِّطاق الضَّيِّق، ويعتبر أن رعاية الله للإنسان وتكريمه له مجرَّد خرافةٍ كبيــرةٍ، وظهر تأثُّره بهذه النَّظريَّة من خلال متابعته لِمَا يراه داروين من أنَّ غرائز الإنسان هي امتــدادٌ طبيعيٌّ لغرائز الحيوانات السَّابقة له في سُلَّم الصُّعود، مُضافاً إليه قدرٌ من التَّطوُّر، وهذا التَّطوُّر قد نتج عن الظُّروف الَّتي صادفت الجدَّ الأعلى للإنسان، فأثَّرت فيه ونتج عن ذلك هذا الكــائن البشريُّ بمرور الأيام؛ لذا يمكن اعتبار نظريَّة فرويد الامتداد الطَّبيعــيَّ لنظريَّــة داروــن، أو تخصيصٌ لها في ميدان الإنسان(٢).

ويمكن تعريف نظريَّة فرويد في التَّحليل النَّفسيِّ بأنَّها "مدرسةٌ في التَّحليل النَّفســيِّ أسَّســها اليهوديُّ سيجموند فرويد، وهي تفسِّر السُّلوك الإنسانيَّ تفسيراً جنسيَّاً، وتجعل الجنس هو الــدَّافع وراء كلِّ شيءٍ، كما أنَّها تَعُدُّ القِيَم والعقائد حواجزَ وعوائقَ تقف أمام الإشباع الجنســيِّ، ممَّــا يورِّث الإنسان عُقَداً وأمراضاً نفسيَّةً"(٣).

---

(١) تشارلس داروين، بريطاني، وُلد سنة ١٨٠٨م، كان شغوفاً بالرحلات العلمية الاستكشافية وراء البحار، تعلق بالبحث في عالم الأحياء، له عدة مؤلفات، منها: أصل الأنواع، وأصل الإنسان، مات سنة ١٨٨٢م، توصل بعــد ربع قرن من الأبحاث والملاحظات إلى فكرة تطور الأحياء بعضها من بعض، وتتلخص فكرته في أن الكائنات الحية تتطور وترتقي من أدنى الأحياء إلى الأعلى فالأعلى، وأن الإنسان قد كان قمة تطورها، وأرجع ظــاهرة بقاء بعض الكائنات وانقراض بعضها إلى ظاهرة الصراع من أجل البقاء، وأن البقاء للأقوى، وأن العضو الذي يُهمل ولا يُستعمل يضمر حتى لا يبقى منه إلا أثر يدل عليه، وقد لا يبقى له أي أثر، يرى العلماء المعاصــرون أن هذه الفكرة ما هي إلا فرضية لا ترقى لدرجة النظرية. (انظر: كواشف زيوف، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢١).

(٢) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ٢٤، دار الشروق، طــ١٠، ١٤٠٩هـــ – ١٩٨٩م.

(٣) الموسوعة الميسَّرة، ٨٢٢/٢.

المسألة الثَّانية: أُسس نظريَّة فرويد:

أقام فرويد مدرسته في التَّحليل النَّفسيِّ على أساسين اثنين، وهما:

أوَّلاً: الإلحاد بالله:

فقد أنكر فرويد وجود الخالق سبحانه وتعالى، وأنكر جميع الغيبيَّات، كما أنكر الدِّين والأخلاق، واعتبر الإنسان كائناً مادِّيَّاً ناتجاً عن تطوُّر البيئة تطوُّراً ذاتيَّاً، وأنَّه غير مكلَّفٍ من قوىً غيبيَّةٍ بأيَّة مسؤوليَّةٍ، وغير ملاحَقٍ من قِبلها بأيِّ نوعٍ من أنواع المُحاسبة، وقام باختلاق قصَّةٍ زعم أنَّها قد حدثت في التَّاريخ، وزعم أنَّها أصلٌ في ظهور الدِّين والأخلاق، وأنَّ تأثيرها لا يزال سارياً في حياة البشريَّة من مخزونات ما وراء الشُّعور في النَّفس(١).

وتتلخَّص هذه القصَّة في أنَّ الأولاد في العائلة القديمة شعروا بالرَّغبة الجنسيَّة نحو أُمِّهم، لكنَّ أباهم كان عقبةً أمام تحقيق رغبتهم، فاجتمعوا عليه فقتلوه، ليستمتعوا بأمِّهم، ثُمَّ أحسُّوا بعد ذلك بالنَّدم لقتلهم أبيهم، فقدَّسوا ذكراه، وتحوَّل هذا التَّقديس إلى عبادة، ومن ثَمَّ نشأت أولى العبادات الَّتي عرفتها البشريَّة، وهي عبادة الأب، وزعم أنَّ ذلك هو أصل نشوء الأديان في الحضارات الَّتي ظهرت في النَّاس فيما بعد(٢).

ثانياً: الإباحيَّة الجنسيَّة:

اعتمدت نظريَّة فرويد في التَّحليل النَّفسيِّ على تفسير السُّلوك الإنسانيِّ تفسيراً جنسيَّاً، واعتبار الجنس هو الدَّافع وراء أيِّ سلوكٍ، إلى درجة أنَّ فرويد قد اعتبر أنَّ علاقة الجنين بأمِّه أثناء الرَّضاعة عَلاقةٌ جنسيَّةٌ، وأنَّ الطِّفل يستعيض بأصبعه عن ثدي أمِّه حين تنزعه عنه، رغبةً في استمرار اللَّذة الجنسيَّة الَّتي يشعر بها، حيث يقول فرويد: "ويتركَّز الإحساس الجنسيُّ في الطِّفل في الفم، فالرَّضيع يحسُّ بشعورٍ جنسيٍّ وهو يمتصُّ لبن أمِّه، ويتلذَّذ بثدي أمِّه، ويغار عليه، ويبغض كلَّ من يقترب منه، فكأنَّ الفم في الطَّوْر الأوَّل هو المحور الجنسيُّ، وهو إذا سحبت أمُّه ثديها من فمه وضع أصبعه بدلاً منه؛ ليحاول أن يستجلب اللَّذة الهاربة منه"(٣).

واعتبر فرويد أن الكبت وحبس الرَّغبات الجنسيَّة يورِّث عُقداً وأمراضاً نفسيَّةً مثل القلق والاضطراب، وقد يدفع الإنسان إلى الانتحار، فيقول: "لا شكَّ أنَّ القلق والاضطراب مردُّه

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٢٩٤، وانظر القصة: الطوطم والتابو (بعض المطابقات في نفسية المتوحشين والعصابيين)، سيجموند فرويد، ترجمة: بو علي ياسين، ١٧٤ وما بعدها، دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية، ط١، ١٩٨٣م.

(٣) الكبت تحليل نفسي، ٢٥.

النَّاحية الجنسيَّة المكبوتة، فعوامل الكبت تخلق في الإنسان روح التَّمرد والانفعال والثَّورة على ناموس الحياة، ممَّا يؤدِّي به إلى الانهيار التَّامِّ فالانتحار"(١).

ففي قصَّة العائلة القديمة الَّتي اختلقها فرويد أنَّ الأولاد بعد قتلهم لأبيهم وشعورهم بالنَّدم، نزعت نفسُ كلِّ واحدٍ منهم للاستئثار بأمِّه، فوجدوا أنَّ ذلك لن يتمَّ إلَّا إذا اقتتلوا، فاتَّفقوا على تحريمها على أنفسهم، فكان ذلك أوَّل تحريمٍ في العَلاقات الجنسيَّة في تاريخ البشريَّة، وهو تحريم الأمِّ، فنتج الكبت عن هذا التَّحريم، وبالتَّالي نشأ ما يُعرف بعُقدتي أوديب – وهي ميل الطِّفل الذَّكر جنسيًّا لأمِّه – وأليكترا – وهي ميل البنت جنسيًّا لأبيها(٢).

وتقتضي نظريَّة الكبت الَّتي قال بها فرويد القول بوجود رقيبٍ حارسٍ يقف ما بين الشُّعور واللَّاشعور، سمَّاه الأنا الأعلى وسمَّى اللَّاشعور الهو(٣)، واللَّاشعور عبارةٌ عن مستودع الدَّوافع البدائيَّة الجنسيَّة، وهو مقرُّ الرَّغبات المكبوتة، أمَّا الهو فهو عبارةٌ عن مجموعةٍ الدَّوافع الغريزيَّة الموجودة لدى الطِّفل منذ ولادته، وهذه الدَّوافع يشترك فيها الجنس البشريُّ بأسره، وهي ناتجةٌ عن الأنا الَّتي تشمل القُوَى الغريزيَّة الدَّافعة، أمَّا الأنا الأعلى فهي الضَّمير الَّذي يوجِّه سلوك الفرد(٤).

لذا فقد حذَّر فرويد من كبت الإنسان لرغباته الجنسيَّة، وحثَّه على ممارستها، وإطلاق العنان لها دون الالتزام بأيِّ نوعٍ من أنواع القيود دينيَّةً كانت أو أخلاقيَّةً، أو عاداتٍ وتقاليد اجتماعيَّةٍ، أو غيرها(٥).

ولا يخفى ما في ذلك من نوايا شيطانيَّةٍ واضحةٍ متفقةٍ ومنسجمةٍ مع ما قرَّرته قيادة اليهوديَّة العالميَّة، وهو زرع الأفكار الإباحيَّة في نفوس الجوييم (غير اليهود) ، وإغراق الأرض بالرذائل والفواحش؛ وذلك بهدف إحكام السَّيطرة على العالم من خلال تحويل شعوب الأرض وأممها إلى بهائمَ تسوقها شهواتُها، وتقودها رغباتُها الجنسيَّة إلى حيث يمكن لليهود القبض على نواصيها، والتَّحكم في مصائرها، وقد انخدعت كثيرٌ من أمم الأرض وشعوبها ببعض النَّظريَّات الإباحيَّة الَّتي بثَّها اليهود من أجل تحقيق هذا الغرض.

---

(١) الكبت تحليل نفسي، ٣٧.

(٢) انظر: كواشف زيوف، ٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) انظر: بافلوف وفرويد دراسة نقدية، هاري ويلز، ترجمة: شوقي جلال، ١٩/٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٧٨م.

(٤) انظر الموسوعة الميسَّرة، ٨٢٦/٢.

(٥) انظر: كواشف زيوف، ٢٩٢.



المسألة الثَّالثة: أهداف نظريَّة فرويد:

يستطيع المتمعِّن في سيرة فرويد وآرائه أن يستشفَّ الأهداف الَّتي سعى هو أو مَن وراءه إلى تحقيقها، هذا ولم يُفلح الباحث في الفصل بين أيٍّ من أهداف هذه النَّظريَّة وبين مصالح اليهود، وهذا من الشواهد الَّتي تُرجِّح لدى الباحث أنَّ فرويد كان مُوجَّهاً من قِبل اليهود للعب دورٍ بعينه، ضمن سلسلةٍ من الأدوار التَّكامليَّة الَّتي تهدف إلى تنفيذ المخطَّط اليهوديَّ في السيطرة على العالم بشتَّى الوسائل والطُّرق، ويمكن إجمال أهداف نظريَّة فرويد فيما يلي:

أوَّلاً: نشر الإلحاد:

عندما قرَّرت المنظَّمات الماسونيَّة الصهيونيَّة إقامة جدارٍ صلب بين الشُّعوب غير اليهوديَّة وبين الأديان السَّماويَّة؛ وذلك خدمةً لمصالح اليهود في العالم، اتَّخذت هذه المنظَّمات من مادَّة الإلحاد بالله، والكفر بجميع الأمور الغيبيَّة جداراً هو الأقرب لتحقيق ذلك الهدف، وحرصوا على أن تكون الدِّيانة اليهوديَّة بمعزلٍ عن هذا المخطَّط، وإن تظاهروا أمام الأمم بمحاربتهم لجميع الأديان بلا استثناءٍ؛ وذلك لخداع النَّاس وتضليلهم، وقد ساروا ضمن هذا المخطَّط وَفق مراحلَ مدروسةٍ بعنايةٍ، تبدأ ببثِّ النَّظريَّات الإلحاديَّة الَّتي تنكر وجود الله، وتنتزع الأفكار الدِّينيَّة من عقول النَّاس وقلوبهم(١)، وفي هذا السِّياق يُفهم توجيه حكماء صهيون في بروتوكولاتهم بما يجب على اليهود فعله، فقد جاء في البروتوكول الرَّابع قولهم: "وهذا هو السَّبب الذي يُحتِّم علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليَّاتٍ حسابيَّةً وضروريَّةٍ مادِّيَّةً"(٢).

ونظريَّة فرويد واحدةٌ من هذه النَّظريَّات الَّتي ابتدعها اليهود، لتكون ضمن هذا المخطَّط الكبير لاجتثاث الدِّين، ونشر الإلحاد؛ وذلك لتمكين اليهود من ناصيته، وتوطيد حكمهم وسلطانهم عليه، وعندها فلن يسمحوا بقيام أيِّ دينٍ بخلاف اليهوديَّة، فقد جاء في البروتوكول الرَّابع عشر قولهم: "حينما نمكِّن لأنفسنا فنكون سادةَ الأرض لن نبيح قيام أيِّ دينٍ غير ديننا ... ولهذا السَّبب يجب علينا أن نحطِّم كلَّ عقائد الإيمان"(٣).

ثانياً: إشاعة الفساد في الأرض:

لم يدعُ فرويد صراحةً إلى الانحلال والتَّحلُّل الأخلاقيِّ، لكنَّه ألمح إلى ذلك من خلال تحليلاته ومعالجاته لموضوع الكبت، فقد أشاع فرويد أنَّ كبت الرَّغبات الجنسيَّة والامتناع عن الاتِّصال الجنسيِّ قبل الزَّواج قد يؤدِّي إلى تعطيل هذه الغرائز عند الزَّواج، ولا يخفى ما في

---

(١) انظر: مكايد يهودية عبر التاريخ، ٣٠٢، ٣٠٣.
(٢) الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، ١٣١.
(٣) المصدر السابق، ١٦٩.

ذلك من توجيه نحوٍ ارتكاب الفواحش والموبقات وعدم المُبالاة بتأنيب الضَّمير الفطريِّ الَّذي ينتاب الجنس البشريَّ لدى ارتكابه الفاحشة، وبدورها استغلَّت وسائل الإعلام الصُّهيونيَّة آراء فرويد الإباحيَّة فقامت بترويجها وتزيينها للعالم؛ وذلك بهدف نشر الرَّذيلة والفساد في الأرض، وتهوين ذلك على الضَّمائر البشريَّة؛ ليسهل على اليهود بعد ذلك قيادة قطيع الشُّعوب اللَّاهثة خلف شهواتها، المتحلِّلة من القيم والقيود الأخلاقيَّة(١).

وإشاعة الفساد ونشر التَّحلل الخُلقي من أكبر الأهداف الَّتي سعى اليهود إلى تحقيقها، من أجل تخدير وعي الأجيال غير اليهوديَّة وسوْقها كالنِّعاج وتوجيهها إلى حيث يريد اليهود؛ وذلك لإحكام سيطرتهم بذلك على مقدَّرات العالم بأسره، والقبض على ناصية البشريَّة جمعاء، وقد جاء في البروتوكول التَّاسع من بروتوكولات حكماء صهيون قولهم: "ولقد خدعنا الجيل النَّاشئ من الأُمميين (غير اليهود) وجعلناه فاسداً متعفِّناً، بما علمناه من مبادئ ونظريَّات معروفٌ لنا زيفها التَّام، ولكنَّنا نحن أنفسنا الملقِّنون لها"(٢).

ثالثاً: خدمة المخطَّطات اليهوديَّة الصُّهيونيَّة:

أثبت المتتبِّعون لـــ فرويد وآرائه أنَّه يهوديٌّ متعصِّبٌ ليهوديَّته، وأنَّه صديقٌ حميمٌ لـــ تيودور هيرتزل مؤسِّس الصُّهيونيَّة الحديثة، وأثبتوا أنَّ ما قدَّمه من تحليلاتٍ نفسيَّةٍ إنَّما صاغها على هذا الوجه لتخدم القضيَّة اليهوديَّة الصُّهيونيَّة في العالم، ولم يكن الإلحاد الَّذي أعلنه إلَّا رداءً ليفتن به غير اليهود؛ لينسلخوا من أديانهم، ويتبنُّوا الإلحاد، كما فعل هو بزعمه، لكنَّه في حقيقة وجدانه يهوديٌّ متمسِّكٌ بيهوديَّته، بل متعصِّبٌ لها، وهو صهيونيٌّ يخدم أغراض الصُّهيونيَّة من خلال دعاوى البحث العلميِّ المتجرِّد(٣).

وقد استغلَّ فرويد مدرسته في التَّحليل النَّفسيِّ لخدمة المخطَّطات اليهوديَّة والحركة الصُّهيونيَّة العالميَّة، ومن ذلك تناوله لموضوع معاداة السَّامية (وهي مزاعم ظاهرة كراهية اليهود)، فقد كان له في ذلك تحليلاته الَّتي لا تخلو من ميوله وأهوائه الصُّهيونية اليهوديَّة(٤)، حيث أرجع فرويد أسباب كراهية الشُّعوب الأخرى لليهود إلى عدَّة أسبابٍ، وقد جعلها قسمين(٥):

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة في ميزان الإسلام، ٢١٣.
(٢) الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، ١٤٧.
(٣) انظر: كواشف زيوف، ٣٠٩
(٤) انظر: المصدر السابق، ٣١٣.
(٥) انظر: موسى والتوحيد، سيجموند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، ١٢٦-١٢٨، دار الطليعـــة للطباعـــة والنشر – بيروت، طـــ٤، ١٩٨٦م.

القسم الأوَّل: الأسباب المستنبطة من الواقع، وذكر منها سببين، وهما:

١- كون اليهود أجانب وغرباء في كلِّ مكانٍ يقطنوه.

٢- كون تجمُّع اليهود على شكل أقليَّاتٍ، فإنَّ الشُّعور بالتَّضامن المتين بين الجماهير لا يكتمل إلَّا بتوجيه شيءٍ من العداء والبغضاء تجاه الأقليَّات الأجنبيَّة.

القسم الثَّاني: الأسباب العميقة، وزعم أنَّ هذه الأسباب تعود إلى أزمنةٍ سحيقةٍ، وتتبعث في النَّفس من اللَّاشعور، وذكر منها ما يلي:

١- غيرة الشُّعوب الأخرى من اليهود، كون اليهود أبناء الله وأحباؤه.

٢- عادة الخِتان عند اليهود.

٣- اعتناق الشُّعوب الأخرى للمسيحيَّة في وقتٍ متأخِّرٍ، وقد أُكره أكثرها على اعتناقها تحت الوعيد بالموت، فولَّد ذلك عند هذه الشُّعوب بُغضاً على دينهم الجديد، وعلى مصدره ومنبعه، وهو الدِّين اليهوديُّ.

المطلب الثَّاني

موقف الميدانيِّ من نظريَّة فرويد

عاب الميدانيُّ على فرويد طريقته غير المتجرِّدة في البحث، حيث وضع لنظريَّته أساسين بشكلٍ مسبقٍ، وهما الإلحاد بالله والإباحيَّة الجنسيَّة، وهذا يخالف المنهجيَّة الصَّحيحة والنَّزيهة للبحوث والدِّراسات، فقد انطلق فرويد من هذين الأساسين محاولاً إثباتهما، والبناء عليهما، وحاول جاهداً أن يُدعِّمهما بالتَّزيين والتَّضليل(١)، وقام الميدانيُّ بتفنيد أساسي نظريَّة فرويد وهدمهما، وتتبَّع آراءه المضلِّلة وناقشها بأسلوبٍ نقديٍّ وعلميٍّ راقٍ، وأوضح موقف الإسلام من التَّحليل النَّفسي، وذلك على النَّحو التالي:

المسألة الأولى: موقف الميدانيِّ من أُسُس نظريَّة فرويد:

أوَّلاً: الإلحاد:

سبق إبراز موقف الميدانيِّ من الإلحاد في تمهيد هذا الفصل(٢).

ثانياً: الدَّوافع الجنسيَّة:

بيَّن الميدانيُّ زيف الطَّريقة الَّتي انتهجها فرويد في التَّعامل مع الدَّوافع الجنسيَّة لحماية الإنسان من الأعراض النَّاجمة عن الكبت، ثُمَّ أتبع ذلك بتوضيح الطَّريقة الحكيمة الَّتي انتهجتها الشَّريعة الإسلاميَّة في معالجة الكبت عند الإنسان، وضبط دوافعه الجنسيَّة، وذلك على النَّحو التَّالي:

١- فرويد والدَّوافع الجنسيَّة:

يرى فرويد أنَّ الإباحيَّة الجنسيَّة هي الطَّريقة الوحيدة لحماية النَّفس البشريَّة من الكبت وما يستتبعه من آثارٍ مَرضيَّةٍ، وقد انبرى الشَّيخ الميدانيُّ لإبراز زيف هذا الطَّرح، وذلك من عدَّة وجوهٍ، وهي(٣):

أ- لقد فشت الإباحيَّة الجنسيَّة في شعوب الغرب المادِّيِّ والشَّرق الشُّيوعيِّ المادِّيِّ، فلم تخلِّصها من أعراضها النَّفسيَّة القديمة، بل ازدادت أمراضها وعُقدها النَّفسيَّة حتَّى غدت واحدةً من العلامات البارزة في البيئات الاجتماعيَّة الَّتي يكثر فيها الإلحاد، وتشيع فيها الإباحيَّة الجنسيَّة.

ب- ركَّز فرويد في نظريَّته على أنَّ الإباحيَّة الجنسيَّة تحمي الإنسان من الإصابة بالأمراض العصبيَّة جرَّاء كبت دوافعه الجنسيَّة، في حين أنَّه تجاهل ما ينجم عن

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٢٩٢.

(٢) راجع البحث، ص٢١٣.

(٣) انظر: كواشف زيوف، ٢٩٦، ٢٩٧.

الفوضى الجنسيَّة من أمراضٍ خطيرةٍ وفتَّاكةٍ تعصف بالمجتمع البشريِّ كمرض الزّهري ومرض الإيدز، فضلاً عن الأضرار الاجتماعيَّة الخطيرة الَّتي تسبِّبها الفوضى الجنسيَّة كاختلاط الأنساب، وتفكُّك الرَّوابط الأُسريَّة الحقيقيَّة.

ت- الإباحيَّة الجنسيَّة من الموبقات الَّتي توجب غضب الرَّبِّ جلَّ وعلا، فالزِّنا من الرَّذائل الَّتي اتَّفقت جميع الشَّرائع الرَّبَّانيَّة على تحريمها.

٢- الإسلام والدَّوافع الجنسيَّة:

أ- فوائد الضَّبط الجنسيِّ في الإسلام:

أكَّد الميدانيُّ على أنَّ الإسلام قد ضمن بشريعته الرَّبَّانيَّة الحكيمة للمسلم الملتزم بأحكامها سعادة الدَّارين، وعدَّد الميدانيُّ الفوائد الَّتي يجنيها المسلم بالتزامه شريعة الله على النَّحو التَّالي(١):

الفائدة الأولى: سعادته في الآخرة بطاعته لله ﷻ.

الفائدة الثانية: حمايته في الدُّنيا من الكبت، وذلك بحثِّه على الزَّواج، وحضِّ المجتمع الإسلاميِّ على تهيئة السُّبل له.

الفائدة الثالثة: حمايته من الفوضى الجنسيَّة الَّتي ينجم عنها أمراضٌ صحيَّةٌ واجتماعيَّةٌ وخيمةٌ.

الفائدة الرابعة: تهيئة الظُّروف الَّتي تُحقِّق له الأمن والطَّمأنينة النَّفسيَّة، وذلك بأمرين:

الأمر الأوَّل: الإيمان بالله، ورجاء ثوابه، والحذر من عقابه، والتَّطلع لمرضاته.

الأمر الثَّاني: التَّربية الخُلُقيَّة الَّتي تغرس في نفس المؤمن فضائل الأخلاق، وتحمله على تقويم سلوكه.

ب- منهج الإسلام في ضبط الدَّوافع الجنسيَّة:

أوضح الميدانيُّ أنَّ منهج الإسلام في ضبط الدَّوافع الجنسيَّة يشتمل على عنصرين، وهما(٢):

العنصر الأوَّل: الحثُّ على الزَّواج؛ وذلك لتلبية الدَّوافع الجنسيَّة بأفضل، وأسلم الصُّور.

العنصر الثَّاني: حماية المسلم من الكبت وآثاره السَّلبيَّة في حال تعذُّر الزَّواج المشروع، وذلك من خلال الأمور التالية:

الأمر الأوَّل: الثِّقة بحكمة الله في قضائه وقدره، والتَّسليم لمقاديره، والأمل بنيل ثواب العفَّة والصبر عن المعصية، وهذا من شأنه أن يمنح المسلم الطَّمأنينة والرِّضى.

الأمر الثَّاني: التَّصعيد، وذلك بتوجيه النَّفس لعبادة الله، وفعل الخير.

الأمر الثَّالث: معالجة الجسد، وذلك بتخفيف مُثيرات الجنس فيه، كالصِّيام.

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٢٩٧، ٢٩٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٢٩٧، ٢٩٨.

الأمر الرَّابع: إبعاد المسلم عن كلِّ ما يُحرِّك الغرائز، وذلك بأمره بغضِّ البصر، وتحريم الاختلاط.

لم يورد الميدانيُّ هنا أيَّة أدلَّةٍ أو شواهدَ من القرآن الكريم أو السُّنة المُطهَّرة، ولعلَّه ترك ذكرها لشُهرتها، ويرى الباحث أنَّه كان من المفيد ذكر بعضها في هذا الموضع إيضاحاً وتعضيداً لموقف الإسلام، ويمكن توضيح بعض هذه النصوص على النَّحو التَّالي:

النَّصُّ الأوَّل: أشار القرآن الكريم إلى بعض فوائد الزَّواج، وما فيه من استقرارٍ نفسيٍّ وعاطفيٍّ فقال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم:٢١].

النَّصُّ الثَّاني: بيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ الزَّواج سُنَّةٌ من سننه، وحذَّر من لم يتَّبع سُنَّته بالخروج من دائرة اتِّباع الهدي الشَّريف، فَعَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)**(١).

النَّصُّ الثَّالث: حثَّ النَّبيُّ ﷺ الشَّباب الميسورين والقادرين على الزَّواج ورغَّبهم فيه، ونصح من لم يستطع الزَّواج بالصَّبر، وحثَّه على الصَّوم تحصيناً لفرجه، وتخفيفاً من هيجان شهوته، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **(يَا مَعْشَرَ الشَّبَاب مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)**(٢).

النَّصُّ الرَّابع: نهى القرآن الكريم عن مقدِّمات الزِّنا، وهو كلُّ ما من شأنه أن يثير غريزة الإنسان، ويحرِّك شهوته، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث: (٥٠٦٣)، ١٠٧٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم الحديث: (١٤٠١)، ٦٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، رقم الحديث: (٥٠٦٦)، ١٠٨٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم الحديث: (١٤٠٠)، ٦٩٥.

المسألة الثَّانية: مناقشة بعض آراء فرويد:

أوَّلاً: الرُّؤى المناميَّة:

يُنكر فرويد الرُّؤى المناميَّة الَّتي تستشفُّ تنبُّؤاتٍ من الغيب، إذ إنَّه ينكر ما وراء المادَّة، فهو يرى أن لا صلة للنَّفس الإنسانيَّة بأيٍّ من الأمور الغيبيَّة، ويَعتبر أنَّ ما يُطابق الواقع من هذه الرُّؤى ما هو إلَّا مجرَّد مصادفةٍ، وفسَّر كلَّ ما يراه الإنسان في منامه بأنَّه تعبيرٌ عن رغباتٍ جنسيَّةٍ مكبوتةٍ في داخله، وقَصَرَ الأحلام على بعض أنواعها، وأنكر الأحلام الَّتي تُنبئ عن بعض الأمور المستقبليَّة(١).

وقد أجاب الميدانيُّ على مزاعم فرويد هذه من وجهين(٢):

الوجه الأوَّل: وجود هذه الظَّاهرة لدى معظم النَّاس قديماً وحديثاً، وانطباق كثيرٍ منها على الواقع المستقبليِّ الَّذي أنبأت عنه هذه الرُّؤى مُسبقاً، فوجود هذه الظَّاهرة وتكرُّرها على مرِّ العصور، لا ينبغي أن يُفَسَّر بأنَّه مجرَّد مصادفةٍ كما زعم فرويد، وأكَّد الميدانيُّ على أنَّ هذا النَّوع من الرُّؤى الَّتي تُنبئ بأمورٍ مستقبليَّةٍ، ثُمَّ تقع بعد ذلك، يُعَدُّ بمثابة برهانٍ من الله على قضائه وقدره، وشمول علمه، وأنَّه عالم الغيب على وجه الحقيقة، وفي ذلك هداية إلى الإيمان بالله، ومن ثَمَّ إلى الإيمان بكتبه ورسله.

الوجه الثَّاني: ما جاء في البيانات الدِّينيَّة حول موضوع الرُّؤى المناميَّة، فقد ساق الميدانيُّ كثيراً من الأدلَّة الشَّرعيَّة من القرآن والسُنَّة، لدحض مزاعم فرويد المُنكرة للرُّؤى الَّتي تُنبئ ببعض الأمور الغيبيَّة، وقَصرِه الأحلام على بعض أنواعها، ونفي بعضها الآخر، ومن هذه الأدلَّة ما يلي:

١- الأدلَّة من القرآن الكريم:

ساق الميدانيُّ جملةً من الآيات والمواقف القرآنيَّة الَّتي تُثبت الرُّؤى المناميَّة المُنبئة عن بعض الأمور الغيبيَّة المستقبليَّة، ثم تحقُّقها جميعاً بعد ذلك، وهي كما يلي:

أ- قول الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ*قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: ٤، ٥].

ب- قول الله ﷻ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٣٦].

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٢٩٥.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٢٩٩-٣٠٢.

ت- قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:٤٣].

ث- قول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧].

٢- الأدلَّة من السُّنَّة النَّبويَّة:

ساق الميدانيُّ طائفةً من الأحاديث النَّبويَّة التي تُثبت الرُّؤى المناميَّة، وتكشف عن تعدُّد أنواعها، ومنها ما يلي:

أ- أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(لَمْ يَبْقَ مِنْ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ)** قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: **(الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ)**[١].

ب- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنْ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنْ الشَّيْطَانِ فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفِثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلَاثًا وَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ)**[٢].

ت- عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ وَمَا كَانَ مِنْ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لَا يَكْذِبُ)**[٣].

ث- عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ. قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: **(إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاس)**[٤].

ج- عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ)**[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب المبشِّرات، رقم الحديث: (٦٦٩٠)، ١٤٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب التعبير، الرؤيا الصالحة جزء من اربعين جزءاً من النبوة، رقم الحديث: (٦٩٩٥)، ١٤٠٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، رقم الحديث: (١٣)، ١٢٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، رقم الحديث: (٧٠١٧)، ١٤٠٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، رقم الحديث: (٦٢٦٣)، ١٢٠١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب لا يخبر بتلعُّب الشيطان في المنام، رقم الحديث: (٢٢٦٨)، ١٢٠٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب من كذب في حُلمه، رقم الحديث: (٧٠٤٣)، ١٤١٢.

ح- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ)**(١).

خ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: **(وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ)**(٢).

وبعد استعراض الميدانيِّ لهذه الأدلَّة من القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة خلُص إلى أمرين اثنين يُناقضا ما ذهب إليه فرويد بخصوص الرُّؤى المناميَّة، وهذان الأمران هما(٣):

الأمر الأوَّل: إثبات الرُّؤى المناميَّة الَّتي تُنبئ عن بعض الأمور الغيبيَّة المستقبليَّة، وأنَّ التَّكذيب بها إنكارٌ لحقيقةٍ من الحقائق الكونيَّة، وإنكارٌ لظاهرةٍ إنسانيَّةٍ موجودةٍ في الأُمم عبر العصور المختلفة.

الأمر الثَّاني: أنَّ أنواع الرُّؤى المناميَّة متعدِّدةٌ، وردَّ بذلك على فرويد الَّذي قصر الرُّؤى على بعض أنواعها، ونقل الميدانيُّ رأي الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ من أنَّ قول النَّبيِّ ﷺ: "الرُّؤيا ثلاثةٌ" لا يفيد الحصر لثبوت أنواعٍ أخرى(٤)، ثمَّ لخَّص الميدانيُّ أنواع الرُّؤى كما ثبتت في السُّنَّة النَّبويَّة، وأبان أنَّها سبعة أنواعٍ، وهي(٥):

النَّوع الأوَّل: الرُّؤيا الحقُّ، وهي من الله، وهي جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءاً من النُّبوَّة، ويُطلق عليها الرُّؤيا الصَّالحة، أو بُشرى من الله.

النَّوع الثَّاني: الرُّؤيا الَّتي يُحدِّث الإنسان بها نفسَه.

النَّوع الثَّالث: الرُّؤيا الَّتي هي حُلْمٌ، وهي تحزين من الشَّيطان، وتُنذر بشرٍّ.

النَّوع الرَّابع: ما يهمُّ الرَّجل في يقظته فيراه في منامه.

النَّوع الخامس: تلاعبٌ من الشَّيطان بالإنسان.

النَّوع السَّادس: رؤيا ما يعتاده الرَّائي في اليقظة.

النَّوع السَّابع: رؤيا الأضغاث.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب من كذب في حُلمه، رقم الحديث: (٧٠٤٢)، ١٤١١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، رقم الحديث: (٧٠١٧)، ١٤٠٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، واللفظ له، كتاب الرؤيا، رقم الحديث: (٢٢٦٣)، ١٢٠١.

(٣) انظر: كواشف زيوف، ٣٠٢-٣٠٤.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤٠٧/١٢.

(٥) انظر: كواشف زيوف، ٣٠٢، ٣٠٣.

ثانياً: معاداة السَّاميَّة:

سخر الميدانيُّ من تحليل فرويد لما يُسمَّى ظاهرة معاداة السَّاميَّة، وممَّا ذكره فرويد من أسباب كراهية الأُمم الأخرى لليهود، وأجاب عليها على النَّحو التَّالي(١):

١- **فأمَّا السَّبب الأوَّل:** فزعْم فرويد أنَّ من أسباب كراهية الأمم لليهود كونهم غرباء في الأوطان الَّتي يُقيمون فيها، فمردودٌ من وجهين:

الأوَّل: أنَّ اليهود مكروهين حتَّى لو كانوا هم الأُصلاء لا الغُرباء.

الثَّاني: أنَّ كثيراً من الغرباء من الشُّعوب الأخرى محبوبين وغير مكروهين.

فليست الغربة إذن من أسباب كراهية الأمم الأخرى لليهود، بل بسبب ما ضمَّوه لغربتهم من سوء أخلاقٍ وفسادٍ، كالاستغلال بالحيلة والمكر والكيد، والأنانيَّة المُفرطة، إلى جانب عُقدة الاستعلاء الَّتي يُغلِّفوها بالتَّظاهر بالمسكنة، وكذلك حقدهم على الأمم والشُّعوب الأخرى.

٢- **وأمَّا السَّبب الثَّاني:** وهو كون اليهود أقليَّة، فيتوجَّه العداء نحوهم، فما ذهب إليه فرويد من تحليلٍ يكذِّبه الواقع، فالواقع يشهد بعكس ذلك، حيث يتوجَّه العداء عادةً من الأقليَّة تجاه الأكثريَّة بدافع الحسد.

وقد سخر الميدانيُّ أيضاً ممَّا سمَّاه فرويد أسبابَاً عميقةً دفعت الأمم لكراهية اليهود، وأجاب عليها على النَّحو التَّالي(٢):

١- فأمَّا زعم فرويد أنَّ الأمم الأخرى تغار من اليهود باعتبارهم أكبر أبناء الله وأحبُّهم إليه، فذلك متوقِّفٌ على اعتراف الأمم الأخرى لهم بهذا الفضل والتَّميُّز، الأمر الَّذي لم تُقرُّه أو تعترف به أيَّة أُمَّةٍ من الأمم، فكيف تغار منهم إذن؟!

٢- وأمَّا زعمه أنَّ من أسباب كراهية الأمم لليهود تمسُّكهم بعادة الختان، فهذا زعمٌ يُثير الضَّحك والسُّخرية في آنٍ معاً، ثُمَّ إنَّ الختان ليس بقاصرٍ على اليهود، فكثيرٌ من الأمم تختتن، ومنهم المسلمون، ومع هذا لا تكرههم الأمم بسبب ذلك.

٣-وأمَّا زعمه أنَّ حقد الأمم على أديانها، ومن ثَمَّ إسقاط هذا الحقد على اليهوديَّة باعتبارها أصل الأديان – بزعمهم – فتحليلٌ خُرافيٌّ يأتي في سياق دعم اليهوديَّة العالميَّة ليس أكثر.

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٣١٤، ٣١٥.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٣١٥.

المسألة الثَّالثة: موقف الإسلام من التَّحليل النَّفسيِّ:

أبان الميدانيُّ موقف الإسلام من التَّحليل النَّفسيِّ، ولخَّصه في النِّقاط التَّالية(١):

أوَّلاً: لم يُنكر الإسلام فكرة التَّحليل النَّفسيِّ، وتأسيس مدارسَ له، فالإسلام يمجِّد البحث ويحضُّ عليه، ولا شكَّ أنَّ الدِّراسات النَّفسيَّة العلميَّة، القائمة على الملاحظة والتَّجربة والإحصاءات الإنسانيَّة أحد أهم ميادين البحث؛ لتعلُّقها بأكرم مخلوقات الله وهو الإنسان، ولِما لها من أهميَّةٍ تصبُّ في خدمة المجتمع البشريِّ كلِّه.

ثانياً: حثَّ القرآن الكريم على دراسة النَّفس، ووجَّه نظر الباحثين إلى أعماقها؛ وذلك بهدف التَّعرَّف على صفاتها وعناصرها الدَّاخليَّة الَّتي تَهدي بدورها إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى الَّذي أتقن كلَّ شيءٍ خلقه، حيث يقول الله ﷻ: ﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ*وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات:٢٠، ٢١].

ثالثاً: عرض القرآن الكريم عدداً كبيراً من صفات النَّفس، تُشكِّل في مجموعها كنزاً علميَّاً ثميناً يفيد منه الباحثون من علماء النَّفس، ومن ذلك ما بيَّنه القرآن من أنَّ النَّفس قد أُوتيت القدرة على التَّمييز بين الخير والشَّضر، فقد قال الله ﷻ: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [الشمس:٧، ٨].

رابعاً: يُعتبر علماء التَّربية الإسلاميَّة الَّذين قاموا بتأديب جماهير المسلمين بآداب الإسلام، منطلِقين من هدي كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، أوَّل من غاص في أعماق النَّفس البشريَّة، وحلَّل دوافعها، وروَّضها على الأخلاق والآداب الإسلاميَّة، وأنقذها من العُقَد النَّفسيَّة، ونقلها إلى عالمٍ نفسيٍّ ربَّانيٍّ ملؤه السَّعادة والطَّمأنينة.

وقد ظهر من خلال بيان الشَّيخ الميدانيِّ هذا أنَّ الإسلام لا يرفض فكرة التَّحليل النَّفسيِّ المُقيَّد بالضَّوابط الإسلاميَّة المستمدَّة من القرآن والسُّنَّة، والمرهون بنفع الجنس البشريِّ لا لمجرد الجدل السُّفسطائيِّ العقيم الَّذي لا خير فيه ولا نفع، أمَّا مدرسة التَّحليل النَّفسيِّ الَّتي أرادها فرويد فهي على النَّقيض من ذلك، فهي دعوةٌ تقوم على أساسي الإلحاد، والإباحيَّة الجنسيَّة، وكلاهما ممَّا تلفظه الفِطَر السَّليمة، ولا تستسيغه العقول الصَّحيحة، فكيف يكون بإمكانه تحقيق السَّعادة للإنسان؟!

إنَّ السَّعادة بحقٍّ مرتبطةٌ بالتَّوحيد واتِّباع منهج الله، وفي ذلك ملاءمةٌ للفطرة السَّليمة، وإقناع للعقول الصَّحيحة، وأمنٌ للقلوب المتعطِّشة للطَّمأنينة، وفي ذلك سعادةٌ للإنسانيَّة قاطبةً،

(١) انظر: كواشف زيوف، ٢٩١.

يقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله واصفاً طريق السَّعادة الحقيقيَّة: "وليس للقلوب سرورٌ ولذَّةٌ تامَّةٌ إلَّا في محبَّة الله تعالى، والتَّقرُّب إليه بما يحبُّه"(١).

(١) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزَّار، ٣٢/٢٨، دار الوفاء – المنصورة، طـ٣، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

المبحث الثالث

الفلسفة الوجوديَّة وموقف الميدانيِّ منها

❖ المطلب الأوَّل: الفلسفة الوجوديَّة وتعريفُها وأُسُسُها وأهدافُها

❖ المطلب الثَّاني: موقف الميدانيِّ من الفلسفة الوجوديَّة

المطلب الأوَّل

الفلسفة الوجوديَّة وتعريفها وأُسُسها وأهدافها

الفلسفة الوجوديَّة فلسفةٌ عرفها الفلاسفة منذ القدم، وكانت تعترف بوجود قوَّةٍ مهيمنةٍ على هذا الكون، إلى أن جاء الفيلسوف جان بول سارتر، وجرَّدها من فكرة وجود خالقٍ للكون، وأقامها على الإلحاد، ومن خلال هذا المطلب يسلِّط الباحث الضَّوْء على تعريف هذه الفلسفة، والأُسُس الَّتي قامت عليها، والأهداف الَّتي سعت إلى تحقيقها، وذلك من خلال المسائل التَّالية:

المسألة الأولى: التَّعريف بالفلسفة الوجوديَّة:

لضبط مفهوم الفلسفة الوجوديَّة لابدَّ أوَّلاً من تسليط الضَّوْء على قضيَّة الوجود والعدم، ومعناها عند الفلاسفة، ومن ثَمَّ تعريف الوجوديَّة، وذلك على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: الوجود والعدم:

لم تكن قضيَّة الوجود لتحتاج إلى تفسيرٍ أو توضيحٍ لولا إقحام الفلاسفة لخيالاتهم فيها، فقد كان النَّاس بفطرهم السَّليمة ودون أيِّ تعقيدٍ يحكمون على الموجود بأنَّه موجودٌ، وعلى المعدوم بأنَّه معدومٌ، دون الحاجة لشرحٍ من أحدٍ، إلى جانب أنَّ القرآن الكريم لم يتطرَّق إلى فكرة الوجود والعدم بالمعنى الَّذي ذهب إليه الفلاسفة(١).

فالوجود عند الفلاسفة "مقابلٌ للماهيَّة؛ لأنَّ الماهيَّة هي الطَّبيعة المعقولة للشَّيء، والوجود هو التَّحقُّق الفعليُّ له، وكون الشَّيء حاصلاً في التَّجربة غير كونه ذا طبيعةٍ معقولةٍ"(٢)، ومعنى ذلك أنَّ الوجود هو المعنى الَّذي يجعل الكائن متَّصفاً بالواقعيَّة، أمَّا الماهيَّة فلا تتضمَّن أيَّة إشارةٍ إلى الواقعيَّة، بل هي تعبيرٌ لِمَا يمكن أن يكون عليه جوهر هذا الكائن سواءً كان واقعيَّاً أو ممكناً، وعلى هذا يكون الوجود عند الفلاسفة أسبق من الماهيَّة(٣).

و الوجود ينقسم إلى قسمين، وهما:

١- **وجودٌ خارجيٌّ:** وهو عبارةٌ عن كون الشَّيء في الأعيان، وهو الوجود المـاديُّ(٤)، أي "الموجودات المشاهدة والمحسوسة"(٥).

---

(١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ٨٥٨/٢.

(٢) المعجم الفلسفي، ٥٥٩/٢.

(٣) انظر: الوجودية في الميزان، مصطفى غلوش، ٢٠، ٢١، وزارة الأوقاف المصرية، بدون رقم طبعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) انظر: المعجم الفلسفي، ٥٥٩/٢.

(٥) مذاهب فكرية معاصرة في ميزان الإسلام، خالد حسين حمدان، ١٥٣، كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية بغزة، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢- **وجودٌ ذهنيٌّ:** وهو عبارةٌ عن كون الشَّيء في الأذهان، وهو الوجود العقليُّ أو المنطقيُّ[١]، أي الموجودات غير المشاهدة وغير المحسوسة[٢].

أمَّا العدم فهو ضدُّ الوجود، والعدم إمَّا أن يكون سابقاً، أي أنَّه متقدِّمٌ على وجود الممكن، وإمَّا أن يكون لاحقاً، أي أنَّه يكون متأخِّراً على وجود الممكن[٣].

والعدميُّ: "هو المنسوب إلى العدم، ويُطلق على كلِّ حدٍّ يدلُّ على فقدان الشَّيء لإحدى الصِّفات الَّتي تقتضيها طبيعته كالعمى للإنسان، وكلِّ شيءٍ مصيره إلى الزَّوال كالسَّماء المظلَّة، والأرض، والمال، والجاه، والملك، فهو عدميٌّ"[٤].

وتُعرَّف العدميَّة بأنَّها "مذهبٌ أدبيٌّ وفلسفيٌّ ملحدٌ، اهتمَّ بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود، بل هو نهاية الوجود، وبه نعرف حقيقة الحياة بعيداً عن النَّظرة المثاليَّة، والنَّظرة الواقعيَّة السَّطحيَّة"[٥].

وتنقسم العدميَّة إلى ثلاثة أقسامٍ، وهي[٦]:

١- **العدميَّة الفلسفيَّة:** وهي بدورها نوعان، وهما:

أ- **العدميَّة الفلسفيَّة المُطلقة:** وتتميَّز بإنكار كلِّ شيءٍ.

ب- **العدميَّة الفلسفيَّة النَّقديَّة:** وتتميز بإنكار قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة.

٢- **العدميَّة الأخلاقيَّة:** وهي نوعان أيضاً، وهما:

أ- **العدميَّة الأخلاقيَّة كمذهبٍ نظريٍّ:** وتدلُّ على إنكار القِيَم الأخلاقيَّة، وإبطال مراتبها.

ب- **العدميَّة الأخلاقيَّة كنزعةٍ فكريَّةٍ:** وتدلُّ على خلوِّ العقل من تصوُّر هذه القِيَم.

٣- **العدميَّة السِّياسيَّة:** وهي عبارةٌ عن اصطلاحٍ سياسيٍّ غرضه انتقاد الأوضاع السِّياسيَّة والاجتماعيَّة، والامتناع عن الاعتراف بشرعيَّة القيود القانونيَّة المفروضة على الأفراد، وهي مرادفةٌ للفوضويَّة.

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي، ٥٥٩/٢.
(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة في ميزان الإسلام، ١٥٣.
(٣) انظر: المعجم الفلسفي، ٦٢/٢.
(٤) المصدر السَّابق، ٦٦/٢.
(٥) الموسوعة الميسَّرة، ٨٧٨/٢.
(٦) انظر: المعجم الفلسفي، ٦٦/٢، ٦٧.

ثانياً: تعريف الوجوديَّة:

ويمكن القول بأنَّ الوجوديَّة ذات وجهين، الوجه الأوَّل يرتكز على الإلحاد بالله، وهي وجودية سارتر، وهي المعنيَّة بالبحث في هذا المبحث، أمَّا الوجه الثَّاني فهي الوجوديَّة الَّتي سبقت سارتر.

فأمَّا الوجوديَّة الإلحاديَّة فتُعرَّف بأنَّها: "مذهبٌ فلسفيٌّ أدبيٌّ ملحدٌ، وهو أشهر مذهب استقرَّ في الآداب الغربيَّة في القرن العشرين"[(١)].

ويركِّز هذا المذهب على فكرة أنَّ الوجود الإنسانيَّ هو الحقيقة اليقينيَّة الوحيدة، وأنَّه لا يوجد شيءٌ سابقٌ عليها، ولا شيءٌ بعدها، وترى بأنَّ الإنسان قادرٌ على صُنع ذاته وكيانه بإرادته، وتولِّي خلق أعماله وتحديد صفاته وماهيَّته باختياره الحرِّ دون ارتباطٍ بخالقٍ أو بِقَيَمٍ خارجةٍ عن إرادته، ويجب عليه أن يختار القِيَم التي تُنظِّم حياته[(٢)]، ويُعتبر سارتر رائد هذه الوجوديَّة كما سيتَّضح عند إبراز آرائه في الوجوديَّة.

وأمَّا الوجوديَّة قبل سارتر فقد كانت مجرَّد رأيٍ فلسفيٍّ، عُرف من عهد فلاسفة اليونان، وفي مقدِّمتهم سقراط، ولم يكن هذا الرَّأي ملازماً للإلحاد بالله، ولا قائماً عليه، ولا ركيزةً من ركائزه بل كان مذهباً لفلاسفة مؤمنين بالله، ومنهم دينيُّون مسيحيُّون[(٣)]، حيث يقول بول فولكييه في كتابه هذه هي الوجوديَّة: "إنَّ الوجوديَّة الدِّينيَّة أقدم تاريخاً من سائر الوجوديَّات"[(٤)].

لذا فإنَّ بعض علماء الفلسفة والمفكِّرين – ومنهم الميدانيّ – يُقسِّمون الفلسفة الوجوديَّة إلى ثلاث شُعبٍ، وهي:

١- **الوجوديَّة المسيحيَّة:** ويُمثِّلها المسيحيُّ (كير كجارد)[(٥)]، وخلاصتها أنَّ قلق الإنسان يزول بالإيمان بالله تعالى[(٦)].

---

(١) الموسوعة الميسرة، ٨٨٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٨٨٨.

(٣) انظر: كواشف زيوف، ٣٦٠.

(٤) المصدر السابق، ٣٦٠. نقلاً عن: هذه هي الوجودية، ٧٠.

(٥) سون كير كجارد، فيلسوف دانماركي ولد سنة ١٨١٣م، كتب بحوثاً خرج فيها عن المألوف، فاختلف مع الكنيسة، وهو من رواد المذهب الوجودي المعاصر، له عدة مؤلفات أشهرها: (أما أو) و (مراحل طرق الحياة)، مات سنة ١٨٥٥م، (انظر: كواشف زيوف، ٣٦١).

(٦) انظر: كواشف زيوف، ٣٦١، وانظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ٨٥٩/٢.

٢- **الوجوديَّة الَّتي يُمثِّلها جاك مارتيان**(١): ويُقيمها على فلسفة توما الأكويني(٢)، الَّذي يرى أنَّ الفلسفة تعتمد على العقل وحده، أمَّا اللَّاهوت فهو يعتمد على الوحي دون أن يُنكر العقل، وبناءً على ذلك زعم مارتيان أنَّ الإيمان بالله يَحِدُّ من الرَّغبة في الوجود، ويَحِدُّ من الخوف من العدم(٣).

٣- **الوجوديَّة الإلحاديَّة:** ويُمثِّلها كلّاً من هيدجر وسارتر، وخلاصتها أنَّها تجعل للإنسان مُطلَق الحرِّيَّة في الاختيار، ممَّا يترتَّب عليه قلقه ويأسه(٤).

والأساس الَّذي أقام عليه أقطاب الوجوديَّة - ولا سيَّما سارتر - مفهومهم للوجوديَّة هو أن يحقِّق الإنسان ذاته، وأن لا يردَّ نفسه عن أيِّ شيءٍ تشتهيه؛ ليحقِّق بذلك الشَّخصيَّة الَّتي ينتهي إليها دون رقيبٍ؛ ليشعر هذا الإنسان بوجوده حرَّاً طليقاً، ويجدر التَّأكيد هنا على أنَّ ثمَّة فوارقَ كبيرةٍ بين الوجوديين بالنِّسبة لنظرتهم إلى أنفسهم، أو إلى الله تعالى، أو إلى الدِّين، ولكنَّ الملحد جان بول سارتر يُعدُّ أكثرهم خطراً، وأشدُّهم شرَّاً(٥).

ثالثاً: وجوديَّة سارتر:

لابدَّ قبل التَّعريف بفلسفة سارتر الوجوديَّة من التَّعريف بسارتر الَّذي اقترنت باسمه هذه الفلسفة، ومن ثَمَّ تعريف وجوديَّته وذلك على نحو ما يلي:

١- التَّعريف بالفيلسوف سارتر:

هو جان بول سارتر فيلسوفٌ وأديبٌ يهوديٌّ فرنسيٌّ، من فلاسفة القرن العشرين، وُلد سنة ١٩٠٥م بباريس، اقترنت باسمه الفلسفة الوجوديَّة الإلحاديَّة المعاصرة، عمل بالتَّدريس، ثُمَّ انخرط في الجيش، أَسَرَه الألمان سنة ١٩٤٠م، وبعد إطلاق سراحه انضمَّ إلى حركة المقاومة، قام بإنشاء مجلَّة العصور الحديثة سنة ١٩٥٠م، والَّتي تتضمَّن أبحاثاً وجوديَّةً في الأدب والسِّياسة، أطلق كلمة وجوديَّة على فلسفته فقط، دون سائر فلسفات الوجوديَّة، وحقَّقت مؤلَّفاته نجاحاً جعله الممثِّل الأوَّل للوجوديَّة في فرنسا، وقد نشرت الصُّحف عن مشاركته في مظاهراتٍ

---

(١) جاك ماريتان، فيلسوف فرنسي معاصر، ولد سنة ١٨٨٢م، عُين سفيراً لفرنسا بالفاتيكان سنة ١٩٤٥م، حاول تطبيق فلسفة توما الأكويني على أوجه الحياة المختلفة، فسميت فلسفته بالتوماوية الجديدة، له كتاب تمهيد للفلسفة، والنزعة الإنسانية الحقة، (انظر: كواشف زيوف، ٣٦١).

(٢) توما الأكويني، فيلسوف لاهوتي إيطالي، من فلاسفة القرن الثالث عشر الميلادي، وُلد سنة ١٢٢٥م، يعتبر من أهم وأشهر ممثلي الفكر الكاثوليكي، له عدة مؤلفات تناول فيها الفلسفة واللاهوت، تعتبر فلسفته عُمدة في التعليم الديني الكاثوليكي، مات سنة ١٢٧٤م، (انظر: المصدر السابق، ٣٦١).

(٣) انظر: المصدر السابق، ٣٦١.

(٤) انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ٧/٣٥٨٢.

(٥) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ٢/٨٦٠.

يهوديَّةٍ صهيونيَّةٍ في فرنسا، وحملات تبرُّعٍ للكيان الصُّهيونيِّ في السِّتينات، وكان من بين شعاراتها: ادفع فرنكاً فرنسيَّاً تقتل عربيَّاً (أي مسلماً)، فهو على ما يبدو يهوديٌّ وصهيونيٌّ، استخدم سارتر الأدب لنشر أفكاره الوجوديَّة الملحدة المسرفة في اللَّامعقول، له عدَّة مؤلَّفاتٍ، أهمُّها: الكينونة والعدم (أي الوجود والعدم) صدر سنة ١٩٤٣م، وله رواياتٌ وقصصٌ أدبيَّةٌ ومسرحيَّاتٌ ضمَّنها آراءه، منها: الغثيان ١٩٣٨م، وسُبُل الحرِّيَّة، ومسرحيَّة الفاضلة ١٩٤٨م، ومسرحيَّة موتي بلا دفن ١٩٤٦م، ومسرحيَّة الذُّباب ١٩٤٣، وتُعتبر من أشهر مسرحيَّاته، ومسرحيَّة الأيدي القذرة ١٩٤٨م، مات بباريس سنة ١٩٧٩م(١).

وحين حضره الموت سأله من كان عنده: تُرى إلى أين قادك مذهبك؟ فأجاب في أسىً عميقٍ ملؤه النَّدم: إلى هزيمةٍ كاملةٍ(٢).

٢- الوجوديَّة عند سارتر:

وخلاصة آراء سارتر في وجوديَّته الإلحاديَّة أنَّ هناك نوعين من الوجود(٣):

النَّوع الأوَّل: وجود الأشياء الخارجيَّة، وسمَّاه (وجودٌ في ذاته)، فالشَّيء الموجود في الخارج هو موجودٌ في ذاته.

فسارتر يرى أنَّ كلَّ موجودٍ خارجيٍّ أي موجودٍ في الواقع لا في التَّصوُّرات الذِّهنيَّة هو كائنٌ بالفعل لا بالقوَّة، وله ذاتيَّةٌ مستقلَّةٌ كاملةٌ، وليس فيه مجالٌ للإمكان، أي لا يحتمل غير الواقع الَّذي وُجد فيه، فلا يمكن أن يكون على خلاف هذا الواقع.

النَّوع الثَّاني: وجود الأشياء في الشُّعور، وقد عُرف هذا النَّوع في الفلسفة القديمة باسم (الوجود الذِّهنيّ)، ويُطلق عليه سارتر (الموجود لذاته)، أي أنَّه موجودٌ في الشُّعور ليحِّق ذاته فقط، لا ليحقِّق ماهيَّةً خارجةً عنه.

فسارتر يرى أنَّ الموجود لذاته هو أقرب إلى مشروع وجودٍ منه إلى الوجود المكتمل الثَّابت؛ لأنَّه متغيِّرٌ قائمٌ على النُّزوع المستمر نحو المستقبل، والتَّنصُّل المستمر من الماضي، فهو موجودٌ له في كلِّ لحظةٍ حالةٌ غير حالة اللَّحظة السَّابقة، على خلاف الأشياء المادِّيَّة ذوات الذَّاتيَّة الثَّابتة، ولمَّا كان الشُّعور بطبيعته غير مستقرٍّ، كان من المُحال أن تتحدَّد ماهيَّته، كما تتحدَّد ماهيَّات الأشياء الخارجيَّة، ومن هنا كانت حرِّيَّة الإنسان هي صميم وجوده الشُّعوريِّ القلق، فهو حرٌّ لأنَّه

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٣٥٩، ٣٦٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٣٥٩، من محاضرة للدكتور رشدي فكار، تلخيص الدكتور نعمات أحمد فؤاد، عن جريدة الأهرام المصرية في ١٩٨٣/٧/١٥، ص١٣.

(٣) انظر: كواشف زيوف، ٣٦٣، ٣٦٤، بتصرف.

يخلق نفسه بنفسه كلَّ لحظةٍ، فليس هناك طبيعةٌ بشريَّةٌ فُرضت من الأزل، وليس هناك تعريـــفٌ ثابتٌ للإنسان كيف ينبغي أن يكون، بل إنَّ الإنسان يوجد أوَّلاً، ثُمَّ يظلُّ يخلق ماهيَّته، بما يختار لنفسه من شعورٍ، فليس الإنسان إلَّا ما يختاره لنفسه أن يكون، وهو يرى أنَّ حريَّة الإنسان هــذه مرادفةٌ لزعمه بأنَّ الله غير موجودٍ.

المسألة الثَّانية: الأُسُس الَّتي أقام عليها سارتر وجوديَّته:

قامت الفلسفة الوجوديَّة الإلحاديَّة التي يُمثِّلها الفيلسوف جان بول سارتر على مجموعةٍ من الأُسس والمبادئ الَّتي تعتبر قوام الوجوديَّة الإلحاديَّة، وقد تميَّزت أُسُس وجوديَّة سارتر عن غيرها من أنواع الوجوديَّات الأخرى، ومن أهمِّ هذه الأُسُس ما يلي:

أوَّلاً: الإلحاد:

لقد أقام سارتر فلسفته في الوجوديَّة على الإلحاد، واقترنت الوجوديَّة الإلحاديَّة باسمه حيث يُطلق عليها اسم وجوديَّة سارتر، وقد فاخر بأنَّه يُمثِّلها، فيقول: "لكنَّ الوجوديَّة الملحدة – والَّتي أمثِّلها أنا – تعلن في وضوحٍ وجلاءٍ تامَّين، أنَّه إذا لم يكن الله موجوداً، فإنَّه يوجد على الأقل مخلوقٌ واحدٌ قد تواجد قبل أن تتحدَّد معالمه وتبين، وهذا المخلوق هو الإنسان"(١).

ويقول أيضاً: "توجد هناك فلسفتان للوجوديَّة، وليست فلسفةٌ واحدةٌ، يعتنقها صنفان من الوجوديين، وليس صنفاً واحداً منهم، فهناك الوجوديُّون المسيحيُّون وعلى رأسهم جابرييل مارسيل ويسبرز، والاثنان مسيحيَّان كاثوليكيَّان مخلصان لكاثوليكيَّتهما، وهناك الوجوديُّون الملحدون، وعلى رأسهم هيدجر، والوجوديُّون الفرنسيُّون، وأنا"(٢).

ثانياً: تمجيد الفعل:

تُمجِّد الفلسفة الوجوديَّة الإلحاديَّة من الفعل الَّذي يقوم به الفرد، بل ويُعتبر ذلك من المبادئ الأساسيَّة فيها، حيث لا يوجد في نظرها حقيقةٌ واقعيَّةٌ إلَّا في الفعل، ولا وجودٌ حقيقيٌّ للإنسان إلَّا بقدر ما يحقِّق نفسه، وأنَّ الإنسان لا شيء آخرَ غير مجموع أفعاله، وحتَّى العبقريّ نفسه لا شيء إلَّا ما عبَّر به عن نفسه فعلاً في أفعاله الفنيَّة أو العلميَّة، فعبقريَّة (شكسبير)(٣) هي مجموع مؤلَّفاته المسرحيَّة والشِّعريَّة ليس أكثر(٤)، يقول سارتر: "والإنسان ليس سوى ما يصنعه هو بنفسه، هذا هو المبدأ الأوَّل من مبادئ الوجوديَّة"(٥).

---

(١) الوجودية مذهب إنساني، جان بول سارتر، ترجمة: عبد المنعم الحفني، ١٣، ١٤، ط١، ١٩٦٤م.

(٢) المصدر السابق، ١١.

(٣) وليم شكسبير، من أبرز شخصيات الأدب العالمي، ويُعد أعظم الشعراء والكتَّاب المسرحيين الإنجليز، وُلد سنة ١٥٦٤م، له العديد من المؤلفات المسرحية والشعرية، منها: ترويض النمرة، وتاجر البندقية، وقصة الشتاء، وريتشارد الثاني، وغيرها، تُرجمت معظم مسرحياته إلى العربية وغيرها من اللغات، وقُدِّمت في المسرح والسينما والإذاعة، تُوفي سنة ١٦١٦م. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ٢٠٦٤/٤، ٢٠٦٥.

(٤) انظر: دراسات في الفلسفة الوجودية، عبد الرحمن بدوي، ٢٦٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

(٥) الوجودية مذهب إنساني، ١٤.



وبذلك فتح سارتر طريقاً للزَّعم بأنَّ الإنسان هو من يخلق ماهيَّته بحريَّته الاختياريَّة، وأنَّه كائنٌ أوَّلاً، ثُمَّ يصير أخيراً هذا أو ذاك بحسب أفكاره الحرَّة الَّتي تصنع ماهيَّته(١)، حيث يقول: "إنَّ الإنسان يوجد ثُمَّ يريد أن يكون، ويكون ما يريد أن يكون بعد القفزة الَّتي يقفزها إلى الوجود"(٢).

ثالثاً: نسبة مقاييس الحقِّ والخير والجمال للإنسان:

زعم سارتر أنَّ الإنسان هو من يضع مقاييس الحقِّ والخير والجمال، وخالف في ذلك الفلاسفة الَّذين يؤمنون بالله، (كديكارت)(٣) الَّذي يرى أنَّ الخير هو ما أراده الله وخلَقه، وأنَّه من المُحال أن ينتج عن قراره إلَّا الخير المُطلَق، لكنَّ سارتر أنكر ذلك على ديكارت، وعكس قوله لينسجم مع فكرته الإلحاديَّة(٤)، فقال: "إنَّ ديكارت بوصفه حريَّة إلهه المُطلَقة، لم يقم إلَّا بوصف المحتوى الضِّمني لفكرة الحرِّيَّة، فأعطى لله ما للنَّاس بخاصَّةٍ"(٥).

وفيما يبدو أنَّ سارتر قصد بلفظة الله هنا الإله المُفترض أو المزعوم على سبيل السُّخرية والاستهزاء، إذ إنَّ سارتر يؤمن بغياب الله أو موته أو عدم وجوده، وهو إنَّما أراد بذلك أن تُسند مقاييس الخير والشِّر والحقِّ والباطل والجمال والقُبح للإنسان نفسه، ولا يخفى ما في ذلك من مكرٍ يهدف إلى إخضاع أفعال الإنسان وسلوكه لأهوائه وشهواته، فما استحسنه الإنسان فهو حسنٌ، وإن كان قبيحاً في ميزان الحقِّ، وما استقبحه فهو قبيحٌ، وإن كان حسناً في ميزان الحقِّ، وبذلك تعمُّ الفوضى، ويكثر الخبث، وتنتشر الفواحش والرَّذائل، وربَّما لهذا السَّبب أطلق البعض على الوجوديَّة اسم الفوضى أو الفوضويَّة.

رابعاً: النَّزعة الفرديَّة الأنانيَّة:

فالفلسفة الوجوديَّة عبارةٌ عن نزعةٍ فرديَّةٍ متطرِّفةٍ، تحصر الإنسان في ذاتيَّته الفرديَّة، ولا تُبدي أيَّ اهتمامٍ بالمجموع أو الإنسان بوصفه إنساناً، وهذه الحقيقة يفرُّ منها الوجوديُّون أنفسهم، ولكنَّهم يُفسِّرونها تفسيراً مختلفاً عمَّا يمكن أن يُفهم من معنى الذاتيَّة(٦)، فيقول سارتر: "إذا ما

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٣٦٤.

(٢) الوجودية مذهب إنساني، ١٤.

(٣) رينيه ديكارت، فيلسوف ورياضي فرنسي، ولد سنة ١٥٩٦م، يُلقب بأبي الفلسفة الحديثة، وكان أول فيلسوف يصف الكون المادي من حيث المادة والحركة. انظر: ماذا قدَّم المسلمون للعالم – إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية –، راغب السرجاني، ١٧٢/١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة – القاهرة، ط٣، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

(٤) انظر: كواشف زيوف، ٣٦٥.

(٥) المصدر السابق، ٣٦٥.

(٦) انظر: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، محمد مهران رشوان، ١١٩، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

كانت الذَّاتيَّة منطَلَقاً لنا، فإنَّ ذلك يرجع لأسبابٍ فلسفيَّةٍ بحتةٍ، وليس لأنَّنا برجوازيُّون، إنَّنا نريد نظرةً مستنِدةً إلى الحقيقة، لا مجرَّد نظريَّاتٍ جميلةٍ مليئةٍ بالأمل ينصدم بها الأساس الواقعيُّ"[1].

وهذا اعترافٌ صريحٌ من سارتر يؤكِّد فيه على أنَّ مُنطلق الوجوديَّة هو الذَّاتية الَّتي يدَّعي أنَّها تستند إلى الحقيقة، وكأن هذه الفلسفة تبدأ بافتراضٍ أوليٍّ وهو أن الحقيقة الواقعيَّة الوحيدة هي الذَّاتيَّة، وفي ذلك تنكُّرٌ لأيَّة حقيقةٍ يمكن أن يُقال عنها أنَّها إنسانيَّةٌ عامَّةٌ، طالما كانت كلُّ الحقائق عنده لابدَّ أن تكون فرديَّةً ذاتيَّةً، ولا يمكن أن تُقام على الفلسفة الذَّاتيَّة الإنسانيَّة فلسفةٌ تعبِّر عن حقيقة الإنسان وطبيعته[2].

هذه النَّزعة الذَّاتيَّة الأنانيَّة الفرديَّة قادت سارتر وغيره من الوجوديين الإلحاديين إلى نظرةٍ متطرِّفةٍ تجاه الآخرين، نظرةٍ تتجاهل شعور الآخرين وأحاسيسهم، بل وتُلغي أيَّ تأثيرٍ إيجابيٍّ لهم على ذاتيَّة الإنسان، بل إنَّها تعتبرهم – أي الآخرين – نقمةً تعكِّر صفو حياة الذَّات، وسيفاً مُشرعاً في وجهها لسلبها سعادتها واستقرارها.

لذلك فسارتر يزعم أنَّ الفرد بحاجةٍ إلى الحبِّ في سبيل رفع قيمة ذاته عن طريق الآخر، وفي سبيل رفع قيمة ذاته؛ لأنَّه يوجد إنسانٌ آخر يقدِّره، لذلك فهو يرى أنَّ من ينظر إليه بحبٍّ إنَّما يريد أن يسلبه عالمه الخاصَّ به[3]، فيقول سارتر: "إنَّنا منذ الآونة الَّتي نشعر فيها بأنَّ إنساناً آخرَ ينظر إلينا، إنَّما نشعر أيضاً بأنَّ الآخر يسلبنا عالمنا على نحوٍ من الأنحاء هذا العالم الَّذي كنَّا نمتلكه وحدنا حتَّى هذه اللَّحظة"[4].

ويقول أيضاً: "إنَّني ابتداءً من الآونة الَّتي أشعر فيها أنَّ أحداً ينظر إليَّ، أشعر أنَّني سُلبتُ عن طريق نظر الآخر الموجَّه إليَّ وإلى العالم. إنَّ العَلاقة بيننا وبين الآخرين هي الَّتي تخلق شقاءنا"[5]، ويقول أيضاً: إنَّ الآخرين هم الجحيم"[6].

(١) مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ١١٩.

(٢) المصدر السابق، ١١٩.

(٣) انظر: كواشف زيوف، ٣٦٧، ٣٦٨.

(٤) المصدر السابق، ٣٦٨. نقلاً عن: الفلسفة الوجودية، جان فال، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، ١٧٦.

(٥) كواشف زيوف، ٣٦٨. نقلاً عن: الفلسفة الوجودية.

(٦) كواشف زيوف، ٣٦٨. نقلاً عن: الفلسفة الوجودية.

المسألة الثَّالثة: أهداف الفلسفة الوجوديَّة الإلحاديَّة:

يعمد الوجوديُّون ومَن وراءهم من اليهود لنشر الفكرة الوجوديَّة بين أوساط المجتمعات الدِّينيَّة، وذلك لتحقيق جملةٍ من الأهداف، يمكن إجمالها فيما يلي:

أوَّلاً: القضاء على القِيَم الرُّوحيَّة:

وذلك باستبعادها للدِّين ومبادئه، واكتفائها بالإنسان وحرِّيَّته، وإنزاله منزلة الإله كامل الألوهيَّة، فقد نادى سارتر وغيره من الوجوديين الملحدين بموت الإله، ومن المعلوم مدى خطورة ترسيخ فكرة غياب الإله أو موته في الفكر والوجدان الإنسانيِّ، فحينها تغيب روح المسؤوليَّة، والشُّعور بالمراقبة الفوقيَّة، وبالتَّالي استباحة كلِّ شيءٍ، ومن ثَمَّ يتمُّ القضاء على الفطرة السَّليمة والخُلُق السَّويِّ، وتنعدم جميع القِيَم الرُّوحيَّة النَّبيلة في النَّفس الإنسانيَّة(١).

ثانياً: المساهمة في تنفيذ المخطَّطات الماسونيَّة:

فرائد هذه الفلسفة ومُنظِّرها الأوَّل يهوديٌّ صهيونيٌّ كما مرَّ في ترجمته، فهو واحدٌ من قافلة حملة رسالة إضلال النَّاس وإغوائهم على منهج إبليس؛ لتحقيق أهداف اليهود العالميَّة، والَّتي رسمت معالمها بروتوكولات مشيختهم(٢)، ونصَّت عليها أقوال الماسونيين، وقد كان الإلحاد بالله، والقضاء على الأديان وأتباعها أسمى غاياتهم، وأغلى أحلامهم؛ لذا فقد أعلنوها حرباً على الله وعلى كلِّ من يدين بدين، فقد جاء في المحفل الماسونيِّ الأكبر سنة ١٩٢٢م قولهم: "وسوف نعلنها حرباً شعواء على العدوِّ الحقيقيِّ للبشريَّة الَّذي هو الدِّين، وهكذا سوف ننتصر على العقائد الباطلة وعلى أنصارها"(٣).

وقد جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسونيِّ لسنة ١٩٢٢م ما نصُّه: "ويجب أن لا ننسى بأنَّنا نحن الماسونيين أعداءٌ للأديان، وعلينا أن لا نألوا جهداً في القضاء على مظاهرها"(٤).

ولا شكَّ أنَّ وجوديَّة سارتر القائمة على الإلحاد بالله، والتنكُّر للأديان وازدرائها، تدخل في جملة ما اتَّخذته الماسونيَّة من وسائل لتنفيذ مخطَّطاتهم الرَّامية إلى سلب البشريَّة أهم عناصر قوَّتها وهو الدِّين، وأنَّ سارتر هذا قد لعب واحداً من الأدوار الَّتي أوكلتها المنظَّمات الماسونيَّة لطائفةٍ من خُدَّامها، ويبدو أنَّه نجح في إقناع بعض المغفَّلين ببعض آرائه الَّتي لا حظَّ لها في دينٍ أو عقلٍ أو علمٍ.

---

(١) انظر: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ١٢٥.

(٢) انظر: كواشف زيوف، ٣٦٠.

(٣) مكايد يهودية عبر التاريخ، ٢٣٦.

(٤) المصدر السابق، ٢٣٧.

المطلب الثَّاني

موقف الشَّيخ الميدانيِّ من الفلسفة الوجوديَّة

تصدَّى الميدانيُّ للأفكار الوجوديَّة، وردَّ على أربابها ودعاتها، وألزمهم الحجَّــة، ونســف الأُسُس الَّتي قامت عليها من جذورها، ويمكن إبراز جهود الميدانيِّ في الردِّ على الوجوديين من خلال المسائل التَّالية:

المسألة الأولى: موقف الميدانيِّ من أُسُس الوجوديَّة:

كشف الشَّيخ الميدانيُّ عن سوءة الأسس الَّتي أقام عليها سارتر فلســفته، فقــد تتبَّعهــا وردَّ عليها، ونقضها، وذلك على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: موقفه من الإلحاد:

سبق إبراز موقف الميدانيِّ من الإلحاد بالتَّفصيل في تمهيد هذا الفصل[(١)].

ثانياً: موقفه من الأنانيَّة:

اعتبر الميدانيُّ أنانيَّة سارتر أنانيَّةً عجيبةً كونها لا توجد إلا عند الشاذِّين من البشــر؛ لأنَّ سارتر قد جعل الحبَّ – الَّذي هو أسمى الرَّوابط الاجتماعيَّة في الحياة – من باب سلب المُحــبِّ لذاتيَّة محبوبه، وتجاهَل ما في الحبِّ من معانٍ جميلةٍ مثل العطاء والتَّضحية، وتساءل الميــدانيُّ عن الحبِّ الفطريِّ الجبليِّ الَّذي تشعر به الأمُّ تجاه طفلها، هل يُعتبر أيضاً من قبيل ســلب الأمِّ لعالم طفلها وذاتيَّته؟![(٢)]

وأرجع الميدانيُّ السَّبب وراء هذا الطَّرح الوجوديِّ هو تقطيع سائر الرَّوابط الاجتماعيَّــة، وتنمية الرُّوح الفرديَّة والأنانيَّة؛ لتكون سبباً في تفتيت المجتمعــات الإنســانيَّة؛ وذلــك خدمــةً للمخطَّطات اليهوديَّة الصُّهيونيَّة الرَّامية إلى تحويل شعوب الأرض إلى لقمةٍ سائغة ليسهل علــى اليهود التهامها[(٣)].

---

(١) راجع البحث، ص٢١٣.

(٢) انظر: كواشف زيوف، ٣٧٥.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٣٧٦.

المسألة الثَّانية: إلغاء المُسلَّمات العقليَّة:

ليس من العقلاء من يُلغي المسلَّمات العقليَّة، الَّتي تُعتبر الأساس لأيَّة حقيقةٍ مجرَّدةٍ، وعليها تُبنى الأحكام، فبإنكارها ضياعٌ لموازين التَّحاكم والتَّخاطب بين العقلاء من بني البشر، وقد أثبت الميدانيُّ أنَّ سارتر قد ألغى من التَّصوُّر المسلَّمات العقليَّة المتَّفق عليها بين جميع العقلاء، وذلك على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: إلغاء قواعد العقل الكبرى:

أوضح الشَّيخ الميدانيُّ أنَّ سارتر أقدم على إلغاء المُسلَّمات العقليَّة أو ما يُطلق عليها أحكام العقل الأولى والكبرى، والَّتي اتَّفق عليها جميع العقلاء والفلاسفة، وهذه الأحكام تنقسم إلى ثلاثة أقسامٍ، وهي[1]:

القسم الأوَّل: واجب الوجود عقلاً، وهو الأزليُّ الأبديُّ، وهو لا ينطبق إلَّا على الله ﷻ.

القسم الثَّاني: ممكن الوجود، وهو كلُّ موجودٍ حادثٍ، وكلُّ ما لا يُحيل العقل إمكانيَّة وجوده إذا توافرت شروط إيجاده من العدم.

القسم الثَّالث: مستحيل الوجود عقلاً، وهو ما يحكم العقل بوجوب بقائه في العدم من الأزل إلى الأبد، وذلك مثل استحالة وجود ربٍّ آخر غير الله.

ثُمَّ أوضح الميدانيُّ أنَّ سارتر بآرائه الوجوديَّة قد نسف هذه الأحكام العقليَّة التي تُعتبر من المسلَّمات المُجمَع عليها بين جميع العقلاء، فقد ألغى سارتر من التَّصوُّر القسم الأوَّل وهو واجب الوجود عقلاً، ولم يتعرَّض له مُطلقاً؛ لأنَّه يريد أن يُقيم فلسفته على الإلحاد، وإنكار خالقٍ لهذا الكون، وألغى من التَّصوُّر كذلك القسم الثَّالث وهو مستحيل الوجود عقلاً ولم يتعرَّض له؛ لأنَّ إثبات مستحيل الوجود يجرُّ إلى إثبات واجب الوجود بالضَّرورة، وألغى كذلك من التَّصوُّر صفة الإمكان من القسم الثَّاني وهو ممكن الوجود، وأبقى فقط على شيءٍ واحدٍ دون وصفٍ، واسمه وجود، فصار أمراً واجباً لا إمكان فيه ما دام أنَّه قد وُجد[2].

وأكَّد الميدانيُّ أنَّ سارتر لم يقدِّم أيَّ دليلٍ على ما طرحه من تحليلٍ، وأنَّه قصد من ذلك أن يحجب آراء من استجاب لآرائه عن كلِّ تفكيرٍ في الإمكان القائم في الكون؛ لأنَّ من شأن التَّفكير في الإمكان أن يجرَّ بالضَّرورة إلى ما يُلزم بإثبات واجب الوجود، الَّذي حوَّل الممكنات من العدم إلى الوجود، ولفت الميدانيُّ إلى أنَّ سارتر لمَّا اصطدم بما لدى أفكار النَّاس من قدرةٍ على تخيُّل أمورٍ ممكنة غير موجودةٍ، ومن ثَمَّ محاولة اختراعها بالتَّغيير والتَّحويل في مادَّة الكون، زعم

(١) انظر: كواشف زيوف، ٣٦٩.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٣٧٠.

حينها أنَّ الفكر عبارةٌ عن مشاعرَ متغيِّرةٍ غير ثابتةٍ، وليس لها ماهيَّةٌ، وأنَّ الأشياء توجد أوَّلاً في الواقع، والذِّهن بعد ذلك يصنع ماهيَّاتها(١).

وأرجع الميدانيُّ مغالطة سارتر في إلغائه أحكام العقل الكبرى إلى عدَّة أمورٍ، وهي(٢):

١- إهمال حقائق فكريَّة إهمالاً يُشعر ببطلانها.
٢- ادِّعاءات غير مقترنة بأيِّ دليلٍ عقليٍّ أو علميٍّ.
٣- طمس الأدلَّة العقليَّة والعلميَّة التي تُسقط تخيُّلاته وادِّعاءاته، وتثبت وجود الرَّب الخالق سبحانه وتعالى وصفاته العظمى.
٤- حصر النَّظر بجانبٍ جزئيٍ واحدٍ، وهو مدلول كلمة وجود فقط، وحجب باقي الحقائق.

ثانياً: إلغاء صفة الإمكان:

أثبت الميدانيُّ زيف ما ذهب إليه سارتر من إلغاءٍ لصفة الإمكان في الأشياء الموجودة، وزعمه بأنَّ الشَّيء يوجد أوَّلاً ثُمَّ يصنع الشُّعور الإنسانيُّ له ماهيَّته، بتكذيب الواقع له، فالإمكان قائمٌ في كلِّ شيءٍ من هذا العالم، وبسببه يتصرَّف النَّاس ضمن ما وهبهم الله من قدراتٍ ذهنيَّةٍ وعلميَّة بالتَّغيير والتَّبديل، والاختراع والابتكار، والعمران والهدم، ولولا صفة الإمكان لَمَا حدث شيءٌ من ذلك، فلولا صفة الإمكان في قطعة الحديد لَمَا استطاع الصَّانع أن يصنع منها سكِّيناً، أو سيفاً، أو مسماراً، أو غير ذلك، ولولا صفة الإمكان في الصَّخر، لما تمكَّن أن يصنع منه الإنسان قصْراً(٣).

وعزا الميدانيُّ إلغاء سارتر لصفة الإمكان في الأشياء إلى حاجةٍ في نفسه، وهي إلغاء قيمة الفكر حين يتخيَّل صورةً، ويرسم حدودها، والغاية منها، ثُمَّ يطبِّق صنعها من موادِّ الكون، فتصير وَفق الصُّورة الَّتي رسمها في خياله مسبقاً، وهذا ما يفعله مهندسو العمران، ومهندسو السَّيَّارات والطَّائرات، حيث يرسمون الصُّورة في أذهانهم ثُمَّ يحولونها إلى واقعٍ ملموسٍ، لذا فقد أكَّد الميدانيُّ أنَّ ما ادَّعاه سارتر من أفكارٍ لا يقبلها العقل السَّليم الخالي من الأمراض الفلسفيَّة، وأنَّ غاية سارتر من إلغاء قيمة الفكر هو صرفه عن التَّفكر في الإتقان العجيب والمعجز في خلق السَّماوات والأرض والإنسان؛ حتَّى لا يتنبَّه إلى أنَّ ذلك الإتقان إنَّما هو أثرٌ لصفة خالقٍ قادرٍ عليمٍ حكيمٍ يتقن ما يخلق، وأنَّ هذه المُتقنَات الكونيَّة محالٌ أن توجد من تلقاء نفسها، بعد أن كانت عدماً دون سابق خطَّةٍ حكيمةٍ يقدِّرها عليمٌ حكيمٌ قادرٌ(٤).

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٣٧٠.
(٢) انظر: المصدر السابق، ٣٧١.
(٣) انظر: المصدر السابق، ٣٧١.
(٤) انظر: المصدر السابق، ٣٧٢، ٣٧٣.

المسألة الثَّالثة: إلغاء حقيقتي الخير والشَّرِّ:

يرى الميدانيُّ أنَّ سارتر خالف موازين العقول السَّليمة والفطر السَّويَّة، حينما ألغى حقيقتي الخير والشَّرِّ، والحقِّ والباطل، والجمال والقُبح، وكأنَّه يدعو من يصدِّقه إلى عمل كلِّ ما تشتهيه نفسه أو يمليه عليه هواه مهما كان شرًّا، دون أن يكون لأحدٍ عليه سلطانٌ؛ لأنَّ ذلك بزعم سارتر ليس شرًّا، فالشَّرُّ عنده ما يراه الإنسان شرًّا ولو لم يكن كذلك، فهو يزعم أنَّ الإنسان هو من يصنع فكرة الخير والشَّرِّ حسب مزاجه، فالخير ما يراه خيراً، والشَّرُّ ما يراه شرًّا، دون النَّظر لأيَّة اعتباراتٍ يمكن التَّحاكم إليها؛ لذلك فقد شبَّهه الميدانيُّ بالشَّيطان الَّذي يوسوس للإنسان ليُغويَه[1].

واستنكر الميدانيُّ اعتبار سارتر الشُّعور الإنسانيَّ التَّابع للهوى ونوازع النُّفوس هو الَّذي يخلق قِيَم الخير والحقِّ والجمال، وأنَّها ليست قِيَماً في ذاتها، وتساءل الميدانيُّ عن العلوم الرِّياضيَّة، والحقائق المجرَّدة، والقضايا المنطقيَّة الكبرى، هل هي من خلق الفكر الإنسانيِّ، وما هي إلَّا مجرَّد أوهام؟![2].

وهل ما يرتكبه المجرمون والمفسدون والظَّالمون من جرائمَ وإفسادٍ وظلمٍ ليس في الواقع كذلك إلَّا حين يعتبره هؤلاء أنفسهم كذلك دون أن يكون لأحدٍ عليهم سلطانٌ، أو دون وجود حقائق مجرَّدة يمكن التَّحاكم إليها؟![3].

وكأنَّ الميدانيُّ يجيب نفسه عمَّا طرحه من تساؤلاتٍ بتعليلٍ مُقنعٍ حينما أرجع ما عرضه سارتر من طرحٍ إلى كونه يهوديًّا صهيونيًّا، وفكره مليءٌ بالسُّموم والأفكار الَّتي هي ضمن المخطَّطات اليهوديَّة الرَّامية إلى تدمير البشريَّة من الأمم غير اليهوديَّة[4].

وأكَّد الميدانيُّ على أنَّ جميع ما طرحه سارتر من آراءٍ وأفكارٍ وجوديَّةٍ جاءت على شكل أحكامٍ تقريريَّةٍ، غير مستندةٍ لأيِّ دليلٍ من الفكر، أو الحسِّ، أو الواقع، أو حتَّى من المشاعر النَّفسيَّة، لذا فهي أفكارٌ غير ذات قيمةٍ، فأيُّ صاحب خيالٍ يمكنه أن يقول أيَّة فكرةٍ تخطر في وهمه، ويصيغها بمعسول القول، ويجعلها مذهباً فكريًّا[5].

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٣٧٤، ٣٧٥.
(٢) انظر: المصدر السابق، ٣٧٤، ٣٧٥.
(٣) انظر: المصدر السابق، ٣٧٥.
(٤) انظر: المصدر السابق، ٣٧٥.
(٥) انظر: المصدر السابق، ٣٧٦، ٣٧٧.

واستدعى الميدانيُّ – تعضيداً لموقفه من أفكار سارتر – ما قاله بوخينسكي أستاذ الفلسفة بجامعة فريبورج بسويسرا عن الفلسفة الوجوديَّة، وما طرحه سارتر من أفكارٍ، حيث يقول: "وليس في وسعنا هنا سوى الاقتصار على ذكر النَّتائج الأخلاقيَّة الَّتي ترتَّبت على هذه الفلسفة ... والَّتي تمثَّلت في نكران كلِّ القِيَم، وكلِّ القوانين الموضوعة، وفي ادِّعاء عدميَّ – واستحالة وعدم جدوى الحياة الإنسانيَّة، بل إنَّ الوجوديَّة قد أَفرغت حتَّى ظاهرة الموت نفسها من معناها على يدي سارتر. ومن نتائج الوجوديَّة أيضاً، دعوتُها إلى التَّشكيك في جدوى قيام ما يتَّسم بروح الجدِّ وطابعه، فهي فلسفةٌ انحلاليَّةٌ عدميَّةٌ تماماً"(١).

وختم الميدانيُّ ردوده على سارتر ووجوديَّته بذكر موقفٍ لسارتر يدلِّل على تعصُّبه ضدَّ الإسلام، وضعف حجَّته، حيث يذكر الميدانيُّ أنَّ الأستاذ مُحمَّد العفيفي وهو أديبٌ مصريٌّ حدَّثه بأنَّه سمع من الدُّكتور علي عبد المنعم رئيس قسم التَّفسير والحديث بكليَّة الشريعة بجامعة الكويت، أنَّه جلس مرَّةً مع سارتر، فطرح عليه مجموعةً من الأسئلة، وأحرجه بها، فسأل سارتر: من هذا؟، فقيل له: عالمٌ أزهريٌّ، فقال سارتر لمن عنده: أتُجلسونني مع رجلٍ من رجال مُحمَّدٍ فكيف أناقشه؟ وانصرف عن المجلس ...!(٢).

---

(١) انظر: كواشف زيوف، ٣٧٧. نقلاً عن: تاريخ الفلسفة، بوخينسكي، ترجمة: محمد عبد الكرم الوافي.
(٢) انظر: كواشف زيوف، ٣٧٨.

الخاتمة

وبعد أنْ منَّ الله سبحانه وتعالى على الباحث إنجاز هذا البحث وإتمامه، خلُص إلى جملة من النَّتائج والتَّوصيات، وقد كانت على النَّحو التَّالي:

أوَّلاً: أهم النَّتائج:

١- كان للعصر الَّذي عاشه الشَّيخ الميدانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عظيم الأثر في نشأته، فقد راجت في سُوريَّا بعض الأفكار الكفريَّة والإلحاديَّة، فنشأ الميدانيُّ ثائراً على كلِّ أنواع البِدَع والضَّلالات الفكريَّة.

٢- أبرزت الدراسة دور الشيخ الميداني وجهوده الكبيرة في مواجهة ومحاربة أخطر المذاهب الفكرية التي كانت سائدة في عصره، كالعلمانية والشيوعية والقومية، وغيرها.

٣- كان لوالده العالم المجاهد الشَّيخ حسن حبنَّكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفضل في تربيته وتعليمه وتأديبه، وكان قدوةً لولده الَّذي شبَّ مُتأثِّراً بسلوك والده، مُتأسيًّا بأخلاقه، وجهاده في مقارعة الباطل، فكان بحقٍّ خير خلفٍ لخير سلف.

٤- أبرزت الدراسة سعة أفق الشيخ الميداني واطلاعه، وتميزه في عدة فنون، وتبحره في عدة فنون، مثل التفسير، والشعر، والبلاغة، والمنطق، والفلسفة، والفكر، والعقيدة، وغيرها من فنون.

٥- لم يترك أعداء الله وسيلةً من وسائل محاربة الإسلام، وتفتيت وَحدة الأُمَّة الإسلاميَّة، وتشويه العقيدة والثَّقافة الإسلاميَّة إلا استنفذوها، ونجحوا من خلال السَّيطرة على عقول الأجيال المسلمة في القبض على ناصية الأُمَّة الإسلاميَّة، والتَّحكُّم بها عن بُعدٍ لزمنٍ ليس بالقصير، إلى أنْ أذن الله بظهور الصَّحوة الإسلاميَّة التي كان الميداني أحد روَّادها، والَّتي كان لها الفضل في تحرير العقول الإسلاميَّة من نيرِ الضَّلالات الفكريَّة والبِدَعيَّة التي غزتها لسنواتٍ، ومن ثَمَّ تقلَّصت حدَّة التَّبعيَّة للغرب الكافر.

٦- لقد كان اليهود عبر التَّاريخ الإسلاميِّ الطَّويل المُمتدِّ من زمن بعثة المصطفى ﷺ وحتَّى يومنا هذا وراء جُلِّ المكر والمؤامرات والخُطط الكيديَّة التي حيكت للقضاء على أعظم الأديان، وعلى خير أمةٍ أخرجت للناس.

٧- ثبت من خلال التَّجربة والواقع فشل كلِّ المذاهب والأفكار والأنظمة الكفريَّة والإلحاديَّة المنحرفة، في تحقيق السَّعادة والطَّمأنينة للبشريَّة، ولم تنجح في ري ظمأها، فقد عجزت عن الوصول إلى تصورٍ صحيحٍ حول الربِّ الخالق، والكون والطَّبيعة، والإنسان، فكان من البديهيِّ أنْ يسقط معظمها، والباقيات على إثرها.

٨- إنَّ المنهج الوحيد القادر على تخليص البشريَّة من مُستنقع الإباحيَّة والإلحاد والشذوذ والتِّيه الفكريِّ والثقافيِّ، هو المنهج الإسلاميُّ الرَّبانيُّ، فهو وحده من يملك التَّصور الصَّحيح لكلِّ شيء، والقادر على قيادة الإنسانية جمعاء إلى سعادتها ونجاتها في الدنيا والآخرة.

ثانياً: التَّوصيات:

١- العمل على إنشاء مؤسَّساتٍ وجمعيَّات ذات إمكانيَّاتٍ مادِّيَّةٍ وفكريَّة وبحثيَّة كبيرةٍ في مختلف البلدان الإسلاميَّة، وخاصَّة في المناطق النَّائية والفقيرة؛ للتَّصدِّي للإرساليَّات التَّنصيرية فيها، وذلك يحتاج إلى التَّعاون بين الدُّول الإسلاميَّة، والتَّنسيق بين حكوماتها.

٢- أن تقوم المؤسَّساتُ والحركات الإسلاميَّة في العالم الإسلاميِّ بتنظيم وعقد دوراتٍ مُكثَّفةٍ تُدعى إليها النِّساء خاصَّة؛ لتوعيتهنَّ بأمور دينهنَّ، وتنبيههنَّ على حجم المكر الذي يُحاك لإسقاطهنَّ في مستنقع الرَّذيلة والإلحاد، ومن ثَمَّ إسقاط الأجيال المسلمة تَبَعَاً لهنَّ.

٣- القيام بعمل دراساتٍ علميَّة ترصد جهود العلماء والمفكِّرين المسلمين في مواجهة الحملات الصَّليبيَّة الفكريَّة الموجَّهة نحو العالم الإسلاميِّ؛ لتبصير الأُمَّة بجهودهم، والثَّناء عليهم وتقديرهم على ما بذلوه في سبيل الذَّود عن دينهم وأمتهم.

٤- ضرورة تبنِّي مؤسَّسات التَّعليم العالي في البلاد الإسلاميَّة تدريس مادَّة الغزو الفكريِّ كمتطلَّبٍ جامعيٍّ لجميع التَّخصُّصات؛ وذلك للتَّصدِّي لحملات الغزو الفكريِّ الَّذي تقوده بعض التَّيارات المنحرفة، وتحصيناً لشباب الأُمَّة الإسلاميَّة من سمومها الفتَّاكة.

الفهارس العامَّة

- ❖ فهرس الآيات القرآنيَّة
- ❖ فهرس الأحاديث النَّبويَّة
- ❖ فهرس الأعلام المُترجم لها
- ❖ قائمة المصادر والمراجع
- ❖ فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... ﴾	البقرة	٣٥	١٨١
٢	﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾		٣٦	١٨٤
٣	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ ... ﴾		١٧٧	٩٩
٤	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ... ﴾		٢١٧	٧٨
٥	﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا ... ﴾		٢٣٠	٢٠٧
٦	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ... ﴾		٢٢٨، ٢٢٩	٢٠٦
٧	﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ... ﴾		٢٨٢	١٨٥، ١٩٨، ١٩٩
٨	﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ... ﴾	آل عمران	١٨	١٢٨
٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ... ﴾		١٠٢	١
١٠	﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ... ﴾		١٠٣	١٦٢
١١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا ... ﴾		١٠١، ١٠٢	١٦٩
١٢	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ ... ﴾		١٩٥	١٧٩
١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ... ﴾	النِّساء	١	١، ١٧٧، ١٨٩
١٤	﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ... ﴾		٤	١٨١
١٥	﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ... ﴾		٧	١٨٠
١٦	﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ... ﴾		١١	١٨٥
١٧	﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾		١١	١٩١
١٨	﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾		١٩	١٨٢
١٩	﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ ... ﴾		٢٠	١٨١
٢٠	﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ... ﴾		٣٢	١٨٠، ١٨٤
٢١	﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ... ﴾		٣٤	١٨٥

٢٢	﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ... ﴾		٣٤، ٣٥	٢٠٠
٢٣	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ... ﴾		٩٢	٩٨
٢٤	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ... ﴾		١٢٤	١٧٩
٢٥	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ ... ﴾	المائدة	٣	١١٩
٢٦	ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ... ﴾		٨	١٩٢
٢٧	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ... ﴾		٣٨	٩٦، ١٧٩
٢٨	﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾	الأنعام	٦٦	١٤٢
٢٩	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... ﴾		٨٢	٢٥٢
٣٠	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ... ﴾		١٢٥	٢١٧
٣١	﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾		١٤٠	١٧٨
٣٢	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ ... ﴾		١٦٢، ١٦٣	٦٢
٣٣	﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ... ﴾	الأعراف	٢٠	١٨٤
٣٤	﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ... ﴾		٢٢	١٨١
٣٥	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ... ﴾		٢٣	١٨٤
٣٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ... ﴾	الأنفال	٣٦	أ
٣٧	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ... ﴾		٦٢	٩٠
٣٨	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ ... ﴾	التَّوبة	٣٢	٩٠
٣٩	﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾		٣٤	٣٥
٤٠	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ... ﴾		٦٠	٩٩
٤١	﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ﴾		١١١	٣٥
٤٢	﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	يونس	١٠١	١٢٨
٤٣	﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ ... ﴾	يوسف	٤، ٥	٢٤٧
٤٤	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ... ﴾		٣٦	٢٤٧
٤٥	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ... ﴾		٤٣	٢٤٨

٤٦	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	الحِجر	٩	٧٣
٤٧	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ...﴾	النَّحل	٥٨	١٧٥
٤٨	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ...﴾		١٠٣	٦٠
٤٩	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	الإسراء	٣٢	٢٤٦
٥٠	﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾	طه	١٢١	١٨٤
٥١	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ...﴾		١٢٤ـ١٢٧	٢١٧
٥٢	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ...﴾	الأنبياء	٢٢	١٢٩
٥٣	﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	الحج	٢٥	٢١١
٥٤	﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ...﴾		٣١	٢١٧
٥٥	﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ...﴾	المؤمنون	٩١	١٢٩
٥٦	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ ...﴾	النُّور	٢	٩٦
٥٧	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ ...﴾		٤	٩٦
٥٨	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ...﴾		٣٠، ٣١	١٧٩
٥٩	﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ...﴾		٣٣	٩٨
٦٠	﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾	الشُّعراء	١٠٥	١٤٢
٦١	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ ...﴾	القَصص	٢٣	١٨٤
٦٢	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾	العنكبوت	٢٠	١٢٩
٦٣	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ...﴾	الرُّوم	٢١	١٨٢، ٢٤٦
٦٤	﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾	لُقمان	١٢	ت
٦٥	﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا ...﴾		١٤	١٨٢
٦٦	﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...﴾	الأحزاب	٢٦	٩٧
٦٧	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...﴾		٣٥	١٧٩
٦٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا ...﴾		٧٠، ٧١	١
٦٩	﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ ...﴾		٧٣	١٧٩

٧٠	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	فاطر	٢٨	١٢٠
٧١	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ...﴾	الزُّمر	٩	١٢٠، ١٩٧
٧٢	﴿للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ...﴾	الشُّورى	٤٩	١٧٦
٧٣	﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ...﴾	الأحقاف	١٥	١٨٢
٧٤	﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ...﴾	مُحمَّد	٤	٩٧
٧٥	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ...﴾		١٩	١
٧٦	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ...﴾	الفتح	٢٧	٢٤٨
٧٧	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	الحُجرات	١٠	١٥٢، ١٦٧
٧٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ ...﴾		١١	١٤٢، ١٨٠
٧٩	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ...﴾		١٣	١٦٧، ١٦٨، ١٧٨
٨٠	﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ*وَفِي أَنْفُسِكُمْ ...﴾	الذَّاريات	٢٠، ٢١	١٢٩، ٢٥١
٨١	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾	الطُّور	٣٥	١٢٩
٨٢	﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾	القمر	٣٥	ت
٨٣	﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ...﴾	المجادِلة	١١	١٩٧
٨٤	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ...﴾	الممتحنة	١٢	١٨١
٨٥	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ...﴾	الطَّلاق	١	٢٠٦
٨٦	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ...﴾		١، ٢	٢٠٦
٨٧	﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ...﴾		٢	٢٠٨
٨٨	﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	التَّحريم	١	١٧٦
٨٩	﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ*بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾	التَّكوير	٨، ٩	١٧٨
٩٠	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾	الشَّمس	٧، ٨	٢٥١

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام المترجم لها

قائمة المصادر والمراجع

***القرآن الكريم**

أوّلاً: كتب الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ:

١- أجنحة المكر الثَّلاثة وخوافيها (التَّبشير – الاستشراق – الاستعمار)، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط٩، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٢- بصائر للمسلم المعاصر، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط٣، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٣- التَّحريف المعاصر في الدِّين (تسلُّلٌ في الأنفاق بعد السُّقوط في الأعماق)، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٤- روائعٌ من أقوال الرَّسول ﷺ، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط١١، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

٥- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط٤، ١٤١٤ه – ١٩٩٣م.

٦- العقيدة الإسلاميَّة وأُسُسُها، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط١٦، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٧- غزوٌ في الصَّميم، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٨- الغزو الفكريُّ والتيَّارات المعادية للإسلام، (مجموعة بحوث – القسم السَّادس)، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، إدارة الثَّقافة والنَّشر بجامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة – الرِّياض، بدون رقم الطَّبعة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٩- كواشف زيوف في المذاهب الفكريَّة المعاصرة، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط٤، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

١٠- الكيد الأحمر (دراسةٌ واعيةٌ للشُّيوعيَّة وجذورها وخرافة حتميَّاتها وأحلام وعودها الكاذبة وواقع تدميرها الثَّوريِّ الحقود الحسود وجحيم تطبيقاتها)، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط٣، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

١١- مكايدٌ يهوديَّةٌ عبر التَّاريخ، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط٢، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

١٢- الوالد الدَّاعية المربِّي الشَّيخ حسن حبنَّكة الميدانيّ قصَّة عالمٍ مجاهدٍ حكيمٍ شُجاعٍ، عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢

ثانياً: الكتب العربيَّة:

١٣- الاتِّجاهات الفكريَّة المعاصرة، علي جريشة، دار الوفاء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع – المنصورة، ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١٤- الاتِّجاهات الوطنيَّة في الأدب المعاصر، مُحمَّد مُحمَّد حُسين، مؤسَّسة الرِّسالة – بيروت، ط٧، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
١٥- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدِّين السَّيد صالح، مكتبة الصَّحابة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٦- الأدب المفرد، مُحمَّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مُحمَّد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلاميَّة – بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٧- الإذاعات التَّنصيريَّة المُوجَّهة إلى المسلمين العرب، كرم شلبي، مكتبة التُّراث الإسلاميِّ، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
١٨- أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، بشر بن فهد البشر، دار المسلم للنَّشر والتَّوزيع، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٩- أساليب الغزو الفكريِّ للعالم الإسلاميِّ، علي جريشة، ومُحمَّد الزِّيبق، دار الاعتصام، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٠- أسباب سقوط الشُّيوعيَّة الماركسيَّة، أحمد الغامدي، رسالة ماجستير مقدَّمة لقسم العقيدة بجامعة أمِّ القرى بمكَّة المكَّرمة، ١٤١٦هـ-١٤١٧هـ.
٢١- الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصِّراع الحضاريِّ، دار المعارف – القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطِّضبعة.
٢٢- الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، مصطفى السِّباعي، دار الورَّاق، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
٢٣- الإسلام في وجه الزَّحف الأحمر، مُحمَّد الغزالي، نهضة مصر للطَّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بدون رقم الطبعة، ٢٠٠٥م.
٢٤- الإسلام والحضارة الغربيَّة، مُحمَّد مُحمَّد حُسين، دار الفرقان، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
٢٥- الإسلام والعلمانيَّة وجهاً لوجهٍ، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٧م.
٢٦- إسهامات المستشرقين في نشر التُّراث العربيِّ الإسلاميِّ، علي إبراهيم النَّملة، مكتبة الملك فهد الوطنيَّة – الرِّياض، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٧- إظهار الحقِّ، رحمة الله الهندي، تحقيق: مُحمَّد أحمد ملكاوي، الرِّئاسة العامَّة لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدَّعوة والإرشاد، بدون رقم الطَّبعة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٢٨- الأعلام، خير الدِّين بن محمود بن مُحمَّد بن علي بن فارس، الزِّركلي، دار العلم للملايين - بيروت، طـ١٥، ٢٠٠٢م.
٢٩- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، جمع وترتيب، سيِّد بن حُسين العفَّاني، دار ماجد عسيري للنَّشر والتَّوزيع - جدَّة، طـ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٣٠- الإنسان بين المادِّيَّة والإسلام، مُحمَّد قطب، دار الشُّروق، طـ١٠، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣١- البداية والنِّهاية، اسماعيل بن كثيرٍ الدِّمشقيِّ، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلميَّة - لبنان، طـ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨.
٣٢- البيان لما يشغل الأذهان، علي جمعة، المُقطَّم للنَّشر والتَّوزيع - القاهرة، طـ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٣- تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام، مُحمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، تحقيق: عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربيِّ - بيروت، طـ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٤- تاريخ الفكر العربيِّ إلى أيَّام ابن خلدون، عمر فرُّوخ، دار العلم للملايين - بيروت، طـ٤، ١٩٨٣م.
٣٥- التَّبشير والاستعمار في البلاد العربيَّة، مصطفى خالدي، وعمر فرُّوخ، المكتبة العصريَّة - صيدا - بيروت، بدون رقم طبعة، طـ ١٩٨٦م.
٣٦- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار - القاهرة، طـ٢، ١٣٥٠هـ.
٣٧- تفسير القرآن العظيم، عماد الدِّين إسماعيل بن كثيرٍ القرشي الدِّمشقيِّ، دار ابن الجوزيِّ - القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣٨- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين إسماعيل بن كثيرٍ القرشي الدِّمشقيِّ، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع - الرِّياض، طـ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٩- التَّنصير خطَّة لغزو العالم الإسلاميِّ (التَّرجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التَّبشيري الَّذي عُقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة سنة ١٩٧٨م، ونشرته دار MARC للنشر)، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
٤٠- التَّنصير في فلسطين، أمل عاطف الخضري، رسالة ماجستير مقدَّمة لقسم العقيدة بالجامعة الإسلاميَّة بغزة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤١- جامع البيان من تأويل آي القرآن، مُحمَّد بن جريرٍ الطَّبري، تحقيق: محمود مُحمَّد شاكر، خرَّج أحاديثه، أحمد مُحمَّد شاكر، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، بدون تاريخ.

٤٢- الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحُسين البيهقي، تحقيق: مختار أحمد النَّدوي، مكتبة الرَّشيد ناشرون، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤٣- الجامع الصَّحيح، مُحمَّد بن عيسى أبو عيسى التِّرمذيّ السُّلميّ، تحقيق وتعليق، إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي وأولاده – مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤٤- الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، مُحمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، تحقيق: طه عبد الرَّؤف ، مكتبة الإيمان، ط ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م

٤٥- جذور العلمانيَّة (الجذور التَّاريخيَّة للصِّراع بين العلمانيَّة والإسلاميَّة منذ البداية وحتَّى عام ١٩٤٨م)، السَّيد أحمد فرج، ١٣٣، دار الوفاء – المنصورة، ط٤، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٤٦- جذور الفكر القوميِّ والعلمانِّي، عدنان مُحمَّد زرزور، المكتب الإسلاميُّ، ط٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٧- جهود المفكِّرين المسلمين المحدثين في مقاومة التَّيَّار الإلحاديِّ، محمود عبد الحليم عثمان، مكتبة المعارف – الرِّياض، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.

٤٨- حاضر العالم الإسلاميِّ، تاج السِّرِّ أحمد حران، مكتبة الملك فهد الوطنيَّة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٩- حركاتٌ ومذاهبٌ في ميزان الإسلام، فتحي يكن، مؤسَّسة الرِّسالة – بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٠- حركة التَّغريب في السَّعوديَّة ... تغريب المرأة أنموذجاً، عبد العزيز بن أحمد البداح، المركز العربيُّ للدِّراسات الإنسانيَّة – القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.

٥١- الحضارة الإسلاميَّة مقارنة بالحضارة الغربيَّة، توفيق يوسف الواعي، دار الوفاء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع – المنصورة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٢- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عبَّاس محمود العقَّاد، المكتبة العصريَّة – بيروت، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.

٥٣- حقائق عن التَّبشير، عماد شرف، المختار الإسلاميُّ – القاهرة، ط١، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
٥٤- حقوق النِّساء في الإسلام وحظُّهنَّ في الإصلاح المُحمَّديِّ العامِّ، مُحمَّد رشيد رضا، تحقيق: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيِّ، المكتب الإسلاميُّ – بيروت، بدون رقم الطَّبعة، ١٤٠٤هـ.
٥٥- حقيقة القوميَّة العربيَّة واسطورة البعث العربيِّ، مُحمَّد الغزاليُّ، نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط٣، ٢٠٠٥م.
٥٦- درء تعارض العقل والنَّقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: مُحمَّد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبيَّة – الرِّياض، بدون رقم طبعة، ط١٣٩١هـ.
٥٧- دراساتٌ في العقائد (الرَّأسماليَّة – الاشتراكيَّة – الشُّيوعيَّة – الصُّهيونيَّة)، أحمد الشَّيباني، ١٠٠، دار الكتاب العربيِّ – بيروت، ومكتبة النهَّضة – بغداد، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
٥٨- دراساتٌ في الفلسفة الوجوديَّة، عبد الرَّحمن بدوي، المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
٥٩- دراسةٌ في تاريخ سُوريَّا السِّياسيِّ المعاصر، أمل ميخائيل بشور، ٢١، ٢٢، توزيع جروس برس، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
٦٠- الرَّدُّ على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الصَّمد شرف الدِّين الكبتي، مراجعة، مُحمَّد طلحة بلال منيار، مؤسَّسة الرَّيَّان للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع – بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٦١- روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، مُحمَّد علي الصَّابونيُّ، دار إحياء التُّراث العربيِّ- بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٦٢- سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيءٌ من فقهها وفوائدها، مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع – الرِّياض، بدون رقم طبعة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٦٣- سُنن ابن ماجة، مُحمَّد بن يزيد القزوينيُّ، بتعليق مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيِّ، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع – الرِّياض، ط١، بدون تاريخ.
٦٤- سُنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السِّجستانيُّ، بتعليق مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ، دار المعارف للنَّشر والتَّوزيع – الرياض، ط١، بدون تاريخ.
٦٥- سُنن التِّرمذي، مُحمَّد بن عيسى التِّرمذيُّ، تعليق، مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع – الرياض، ط١، بدون تاريخ.

٦٦- سُنن الدَّارقطني، علي بن عمر الدَّارقطني ، تعليق، مُحمَّد آبادي، تحقيق: شُعيب الأرنؤوط وآخران، مؤسَّسة الرِّسالة – بيروت، طـ١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
٦٧- سُنن الدَّارميِّ، عبد الله بن عبد الرَّحمن الدَّارميُّ، تحقيق: حُسين سليم أسد الدَّارانيّ، دار المغني للنَّشر والتَّوزيع – الرِّياض، طـ١ – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٦٨- سُوريَّا ١٩١٨ – ١٩٥٨ (التَّحدِّي والمواجهة)، وليد المعلِّم، مطبعة عكرمة – دمشق، طـ١، ١٩٨٥م.
٦٩- سُوريَّا مزرعة الأسد، عبد الله الدَّهامشة، دار النَّواعير – بيروت، طـ٢، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
٧٠- سِيَر أعلام النُّبلاء، مُحمَّد بن عثمان الذَّهبيُّ، تحقيق: شُعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسَّسة الرِّسالة – بيروت، طـ٣، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٧١- شُبهاتٌ حول الإسلام، مُحمَّد قطب، دار الشُّروق، طـ٢١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
٧٢- شُبهاتٌ في الفكر الإسلاميِّ، أنور الجنديّ، الاتِّحاد الوطنيُّ لطلبة الإمارات، بدون رقم الطَّبعة، طـ ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.
٧٣- الشُّيوعيَّة والإسلام، عبَّاس محمود العقَّاد، وأحمد عبد الغفور عطّار، مطابع دار الأندلس للطَّباعة والنَّشر – بيروت، طـ٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
٧٤- الشُّيوعيَّة وليدة الصُّهيونيَّة، أحمد عبد الغفور عطَّار، ٥، المكتبة العصريَّة – بيروت، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
٧٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مُحمَّد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التَّميميُّ البستيُّ، تحقيق: شُعيب الأرنؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة – بيروت، طـ٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
٧٦- صحيح مسلم، مسلم بن الحجَّاج القُشيريُّ النَّيسابوريُّ، ترقيم، مُحمَّد فؤاد عبد الباقي، دار ابن رجب، طـ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٧٧- الصِّراع على السُّلطة في سُوريَّا – الطَّائفيَّة والإقليميَّة والعشائريَّة في السِّياسة ١٩٦١ – ١٩٩٥ –، نيقولاوس فان دام، مكتبة مدبولي – القاهرة، طـ٢، ١٩٩٥م.
٧٨- عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ العالم المفكِّر المفسِّر (زوجي كما عرفته)، عائدة راغب الجرَّاح، دار القلم – دمشق، طـ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٧٩- علماء ومفكِّرون عرفتُهم، مُحمَّد المجذوب، دار الشواف – الرِّياض، طـ٤، ١٩٩٢م.
٨٠- العلمانية (جذورها وأصولها)، محمد علي البار، دار القلم – دمشق، طـ١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٨١- العلمانيَّة (نشأتها وتطوُّرها وآثارها في الحياة الإسلاميَّة المعاصرة)، سَفر الحـوالي، دار الهجرة، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
٨٢- العلمانيَّة وثمارها الخبيثة، مُحمَّد شاكر الشَّريف، دار الـوطن للنَّشـر - الرِّيـاض، ط ١، ١٤١١هـ.
٨٣- الغارة على العالم الإسلاميِّ، ا.لُ شاتليه، لخَّصها ونقلها إلى اللُّغة العربيَّـة، مسـاعد اليافي، ومحبُّ الدِّين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ، ط ٢، ١٣٨٧هـ.
٨٤- الغزو الفكريُّ والتَّيَّارات المعادية للإسلام، (مجموعة بحوث - القسم الأوَّل)، علـي عبد الحليم محمود، إدارة الثَّقافة والنَّشر بجامعة الإمام مُحمَّد بن سـعود الإسـلاميَّة - الرِّياض، بدون رقم الطَّبعة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٨٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاريِّ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسـقلانيُّ، دار المعرفة - بيروت، ط ١٣٧٩هـ.
٨٦- فتح الباري، عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي (ابن رجب)، تحقيق: طارق بـن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي - السعودية، ط ٢، ١٤٢٢هـ.
٨٧- في ظلال القرآن، سيِّد قطب، دار الشُّروق - بيروت، القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢م.
٨٨- الفكر الإسلاميُّ الحديث وصلته بالاستعمار الغربيِّ، مُحمَّد البهي، مكتبـة وهبـة - القاهرة، ط ٤، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٨٩- فلسطين .. التَّاريخ المُصوَّر، طارق السَّويدان، الإبداع الفنيُّ، ط ٣، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٩٠- القاموس المحيط، مُحمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي الشِّرازي، الهيئة المصريَّة العامَّـة للكتاب، ط ٣، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٩١- قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري، صفاء عوني حسين عاشور، رسالة ماجستير مقدَّمةٌ لقسم العقيدة بالجامعة الإسلاميَّة بغزة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٩٢- الكامل في التَّاريخ، مُحمَّد بن مُحمَّد بن عبد الكريم الشَّيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلميَّة - بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٩٣- كنز العمَّال في سُنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدِّين المتَّقي الهنديُّ البرهـان فوري، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السَّقا، مؤسَّسـة الرِّسـالة - بيـروت، ط ٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٩٤- لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل (تفسير الخازن)، علي بن مُحمَّد بن إبراهيم البغداديُّ الشَّهير بالخازن، دار الفكر - بيروت، بدون رقم الطَّبعة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٥- لسان العرب، مُحمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقيُّ المصريُّ، دار صادر – بيروت، ط١، بدون تاريخ.
٩٦- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن النَّدويُّ، ١٧٤، مكتبة الغيمان – المنصورة، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
٩٧- ماذا قدَّم المسلمون للعالم – إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانيَّة –، راغب السِّرجانيُّ، مؤسَّسة اقرأ للنَّشر والتَّوزيع والتَّرجمة – القاهرة، ط٣، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
٩٨- مجالات انتشار العلمانيَّة وأثرها في المجتمع الإسلاميِّ، مُحمَّد زين الهادي، دار العاصمة – الرِّياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
٩٩- مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثميُّ، دار الفكر – بيروت، بدون رقم طبعة، ١٤١٢هـ.
١٠٠-مجموعة رسائل الإمام الشَّهيد حسن البنا، حسن البنا، دار الدعوة للطَّبع والنَّشر والتَّوزيع – الإسكندرية، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
١٠١-مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزَّار، دار الوفاء – المنصورة، ط٣، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٠٢-مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، مُحمَّد مهران رشوان، دار الثَّقافة للنَّشر والتَّوزيع – القاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
١٠٣-المذاهب والأفكار المعاصرة في التَّصوُّر الإسلاميِّ، مُحمَّد الحسن، دار البشير للثَّقافة والعلوم، ط٤، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
١٠٤-مذاهبٌ فكريَّةٌ معاصرة في ميزان الإسلام، خالد حُسين حمدان، كليَّة أصول الدِّين – الجامعة الإسلاميَّة بغزة، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
١٠٥- مذاهبٌ فكريَّة معاصرةٌ، مُحمَّد قطب، دار الشُّروق – القاهرة، ط٧، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
١٠٦- المذاهب الفكريَّة المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف الإسلام منها، غالب عواجي، الدَّار العصريَّة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع ، بدون رقم الطَّبعة، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م.
١٠٧- المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهليَّة، مُحمَّد أحمد إسماعيل المقدِّم، دار ابن الجوزيِّ – القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٠٨- المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السِّباعيُّ، مكتبة الورَّاق – الرِّياض، ط٧، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١٠٩- المرأة المسلمة بين الغزو والتَّغريب، زيد بن محمد الرّمانيُّ، دار الصميعي للنَّشر والتَّوزيع، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
١١٠- المستدرك على الصَّحيحين، عبد الله الحاكم النَّيسابوريُّ، مُذيَّل بتلخيصٍ للحافظ الذَّهبيِّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
١١١- المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف – القاهرة، ط٣، بدون ١٩٦٤م.
١١٢- مستقبل الثَّقافة في مصر، طه حُسين، ٣٩، دار المعارف – القاهرة، ط٢، بدون تاريخ.
١١٣- المسلمون بين العلمانيَّة وحقوق الإنسان الوضعيَّة، عدنان علي رضا النَّحويُّ، دار النَّحويِّ للنَّشر والتَّوزيع، ط١، ١٤١٨م – ١٩٩٧م.
١١٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشَّيبانيُّ، مؤسَّسة قرطبة – القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
١١٥- المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير، أحمد بن مُحمَّد بن علي المقري الفيوميُّ، المكتبة العلميَّة – بيروت، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
١١٦- المصطلحات الوافدة وأثرها على الهويَّة الإسلاميَّة، الهيثم زعفان، مركز الدِّراسات والبحوث الإنسانيَّة – القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
١١٧- مظاهر تكريم المرأة في الشَّريعة الإسلاميَّة، سعاد مُحمَّد صبحي داخل، دار ابن الجوزيِّ للنَّشر والتَّوزيع – السَّعوديَّة، ط١، ١٤٣٠هـ.
١١٨- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ، طارق بن عوض الله بن مُحمَّد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحُسيني، دار الحرمين – القاهرة، بدون رقم الطَّبعة، ١٤١٥هـ.
١١٩- المعجم الصَّغير (الرَّوض الداني)، سليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ، تحقيق: مُحمَّد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلاميُّ – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
١٢٠- المعجم الفلسفيُّ، جميل صليبا، دار الكتاب اللُّبنانيِّ – بيروت، بدون رقم طبعة، ١٩٨٢م.
١٢١- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطَّبرانيُّ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السَّلفيُّ، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

١٢٢- معجم مقاييس اللُّغة، أحمد بن فارس، اتِّحاد الكُتَّاب العرب، بدون رقم الطَّبعة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٢٣- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللُّغة العربيَّة، مكتبة الشُّروق الدَّوليَّة، ط٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٢٤- المقاصد الحسنة في بيان كثيرٍ من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، مُحمَّد بن عبد الرَّحمن السّخاويُّ، تحقيق: عبد الله مُحمَّد الصّديق، دار الكتب العلميَّة - بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٥- مقدِّمة في الفلسفة العامَّة، يحيى هويدي، دار الثَّقافة للنَّشر والتَّوزيع - القاهرة، ط٩، ١٩٨٩م.

١٢٦- الملل والنِّحل، مُحمَّد بن عبد الكريم بن أحمد الشَّهرستانيُّ، تحقيق: مُحمَّد سيِّد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، بدون رقم طبعة، ١٤٠٤هـ.

١٢٧- من تاريخ سُوريَّا المعاصر (١٩٤٦م - ١٩٦٦م)، غسَّان مُحمَّد رشاد حدَّاد، مركز المستقبل للدِّراسات الاستراتيجيَّة - عمان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٢٨- المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد بن نصر أبو مُحمَّد الكسيُّ، تحقيق: صبحي البدري السَّامرائيُّ، ومحمود مُحمَّد خليل الصَّعيديُّ، مكتبة السُّنَّة - القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢٩- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة، عثمان علي حسن، مكتبة الرُّشد ناشرون - الرِّياض، ط٦، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٣٠- موسوعة بيان الإسلام (الرَّدُّ على الافتراءات والشُّبهات)، نخبةٌ من كبار العلماء، إشراف: داليا محمد إبراهيم، دار نهضة مصر- الجيزة، ط١، ٢٠١١م.

١٣١- موسوعة المستشرقين، عبد الرَّحمن بدوي، دار العلم للملايين - بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

١٣٢- الموسوعة العربيَّة الميسَّرة، المكتبة العصرية - بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

١٣٣- الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ.

١٣٤- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر عبد الله القفاري، وناصر عبد الكريم العقل، دار الصميعي للنَّشر والتَّوزيع - الرِّياض، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٣٥- نقد القوميَّة العربيَّة على ضوءْ الإسلام والواقع، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرِّئاسة العامَّة لإدارة البحوث العلميَّة والإفتاء والدَّعوة والإرشاد – إدارة الطَّبع والتَّرجمة –، ط٦، ١٤١١هـ.

١٣٦- النِّساء أكثر أهل النَّار (الأسباب و طرق النَّجاة)، عصام مُحمَّد الشَّريف، دار الإيمان للطَّبع والنَّشر والتَّوزيع – الإسكندريَّة، ط٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٣٧- النَّوازل الكبرى في التَّاريخ الإسلاميِّ، فتحي زغروت، الأندلس الجديدة للنَّشر والتَّوزيع – مصر، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٣٨- الوجوديَّة في الميزان، مصطفى غلوش، وزارة الأوقاف المصريَّة، بدون رقم طبعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٣٩- واقعنا المعاصر، مُحمَّد قطب، ١٨٢، دار الشُّروق – القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ٩٩٧م.

١٤٠- واقعنا المعاصر والغزو الفكريُّ، صالح الرِّقب، ٤٣ ، دار رحمة للنَّشر والتَّوزيع ، بدون رقم طبعة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٤١- وفيَّات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان، أحمد بن مُحمَّد بن خلّكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١٤٢- يقظة العرب – تاريخ حركة العرب القوميَّة، جورج أنطونيوس، ترجمة: ناصر الدِّين الأسد، وإحسان عبَّاس، دار العلم للملايين – بيروت، ط٨، ١٩٨٧م.

ثالثاً: الكتب الأجنبيَّة المُترجمة:

١٤٣- أحجارٌ على رقعة الشَّطرنج، وليام غاي كار، ترجمة: سعيد جزائرلي، دار النَّفائس، ط١، ١٩٧٠م.

١٤٤- الكتاب المقدَّس، إنجيل متَّى، الإصحاح: ٢٢، الفقرة: ٢١.

١٤٥- بافلوف وفرويد دراسةٌ نقديَّةٌ، هاري ويلز، ترجمة: شوقي جلال، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب – القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٧٨م.

١٤٦-الحجاب، أبو الأعلى المودوديُّ، ترجمة: مُحمَّد كاظم السَّمَّان، دار الفكر – دمشق، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٤٧- حياتي والتَّحليل النَّفسيُّ، سيجموند فرويد، ترجمة: مصطفى زيور، وعبد المنعم المليجيُّ، دار المعارف – القاهرة، ط٤، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

١٤٨- الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، تحليل: محمد خليفة التونسي، ترجمة: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٤، بدون تاريخ طبعة.

١٤٩- الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة في الجامعات الألمانيَّة، رودي بارت، ترجمة: مصطفى طاهر، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
١٥٠- الدِّين في مواجهة العلم، وحيد الدِّين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة: عبد الحليم عويس، دار النَّفائس - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٥١- الطُّوطم والتَّابو (بعض المطابقات في نفسيَّة المتوحِّشين والعصابيين)، سيجموند فرويد، ترجمة: بو علي ياسين، دار الحوار للنَّشر والتَّوزيع - اللَّاذقيَّة، ط١، ١٩٨٣م.
١٥٢- قاموس الكتاب المقدَّس، ترجمة وتأليف: جورج بوست، المطبعة الأميركانيَّة - بيروت، بدون رقم طبعة، ط١٨٩٤م.
١٥٣- الكبت تحليلٌ نفسيٌّ، سيجموند فرويد، ووليم شتيكل، ترجمة: علي السَّيد حضارة، المكتبة الشَّعبيَّة القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
١٥٤- الله يتجلَّى في عصر العلم، نخبةٌ من العلماء الأمريكيين، إشراف: جون كلوفرمونسيما، ترجمة: الدِّمرداش عبد المجيد سرحان، تحقيق: مُحمَّد جمال الدِّين الفندي، دار القلم بيروت، بدون رقم وتاريخ الطَّبعة.
١٥٥- موسى والتَّوحيد، سيجموند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطَّليعة للطِّباعة والنَّشر - بيروت، ط٤، ١٩٨٦م.
١٥٦- الوجوديَّة مذهبٌ إنسانيٌّ، جان بول سارتر، ترجمة: عبد المنعم الحفنيُّ، ط١، ١٩٦٤م.

رابعاً: المجلَّات والمقابلات والمواقع الإلكترونيَّة:

١٥٧- شبكة طريق السَّلف، الواقع المعاصر، مقال لمُحمَّد بن عبد الرَّحمن اليحي، http://www.alsalafway.com/cms/topic.php?action=topic&id=10926، تاريخ الاقتباس: ١٠/٠٢/٢٠١٣م.
١٥٨- لقاءٌ تليفزيوني سُجِّل مع الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ بتاريخ ٣٠/١٠/٢٠٠١م، ضمن برنامج (علماء مبدعون)، موقع يوتيوب، http://www.youtube.com/watch?v=aX1KORDfdcU، تاريخ الاقتباس: ٢٢/١١/٢٠١٢م.
١٥٩- مجلَّة عالم الفكر، مكانة المرأة في التَّشريع الإسلاميِّ، عبد الباسط مُحمَّد حُسين، المجلَّد السَّابع، العدد الأوَّل - إبريل، مايو، يونيو، ١٩٧٦م.

١٦٠- موقع الإسلام في سُوريًّا، ركن تراجم العلماء - علماء مفسِّرون، مقال لمجد مكّي بعنوان: العلَّامة المُفكِّر المُفسِّر الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيُّ، http://www.islamsyria.com/cvs.php?action=details&CVID=14، تاريخ الاقتباس: ٢٦/٠١/٢٠١٣م.

١٦١- موقع بوابة الفجر الإلكترونية، http://new.elfagr.org/Detail.aspx?secid=43&nwsId=326120&vid=2، تاريخ الاقتباس: ٢١/٠٧/٢٠١٣م.

١٦٢- موقع الجزيرة - المعرفة - ملفات خاصة - مُصطفى كمال أتاتورك، http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/55db14d4-b82e-4666-9b19-3b54eff01b78، تاريخ الاقتباس: ٠٦/٠٢/٢٠١٣م.

١٦٣- موقع صيد الفوائد، إعداد: النَّدوة العالميَّة للشَّباب الإسلاميِّ، http://www.saaid.net/feraq/mthahb/54.htm، تاريخ الاقتباس: ١٤/٠٢/٢٠١٣م.

١٦٤- موقع نسيم الشَّام، تراجم وأعلام، مقال لكريم راجح، http://www.naseemalsham.com/ar/Pages.php?page=readTragm&pg_id=25360، تاريخ الاقتباس: ٢٣/١١/٢٠١٢م.

١٦٥- موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AB%D9%8A%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1_%D9%87%D8%B1%D8%AA%D8%B2%D9%84، تاريخ الاقتباس: ٢٢/٠٧/٢٠١٣م.

خامساً: المراسلات مع نجل الميدانيِّ:

١٦٦- اتِّصالٌ هاتفيٌّ بالطَّبيب وائل عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ نجل الشَّيخ عبد الرَّحمن يوم الأحد الموافق ٢٦/٠٥/٢٠١٣م، السَّاعة ٠٦:٥٢ وحتَّى السَّاعة ٠٦:٥٩ مساءً.

١٦٧- رسالةٌ من نجل الشَّيخ عبد الرَّحمن حبنَّكة الميدانيِّ إلى الباحث عبر حسابه على الفيس بوك، يوم الأحد الموافق ٢٦/٠٥/٢٠١٣م، السَّاعة السَّابعة مساءً.

فهرس الموضوعات

ملخَّص البحث

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وبعد:

فهذا بحثٌ بعنوان: موقف الشَّيخ عبد الرَّحمن حسن حبنَّكة الميدانيّ من الغزو الفكريِّ، وقد اشتمل البحث على مقدِّمةٍ، وفصلٍ تمهيديٍّ، وثلاثة فصولٍ، وخاتمة.

فأمَّا المقدِّمة: فقد تناول فيها الباحث أهميَّة الموضوع وسببَ اختياره، والدِّراسات السَّابقة في هذا الموضوع، ومنهجَ البحث، وطريقة التَّوثيق، إلى جانب خطَّة البحث.

وأمَّا الفصل التمهيدي: فقد تناول فيه الباحث التَّعريف بالشَّيخ عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميدانيِّ، وعصره وحياته الشَّخصيَّة والعلميَّة، وكذلك التَّعريف بالغزو الفكريِّ وأهدافه، ونظرة الشَّيخ الميدانيِّ له.

وأمَّا الفصل الأوَّل: فقد تناول فيه الباحث موضوعي التَّبشير والاستشراق، فعرَّفهما وأبان وسائلهما، وكشف عن أهدافهما، ثُمَّ أوضح موقف الشَّيخ الميدانيِّ منهما.

وأمَّا الفصل الثَّاني: فقد تناول فيه الباحث موضوع التَّغريب، فعرَّفه وعدَّد أهدافه في تمهيدٍ خاصٍّ بهذا الفصل، ثُمَّ كشف عن أهمِّ وسائله في مباحث هذا الفصل، وهي العلمانيَّة والقوميَّة وبعض القضايا المُثارة حول المرأة، فقد قام الباحث بالتَّعريف بالعلمانيَّة ونشأتها، وكشف عن أهدافها، ثُمَّ أوضح موقف الميدانيِّ منها، كما قام بالتَّعريف بالقوميَّة ونشأتها، وكشف عن أهدافها، ثُمَّ أوضح موقف الميدانيِّ منها، كما قام بتناول موضوع المرأة فبيَّن وضعها قبل الإسلام، ومكانتها في الإسلام، ثُمَّ تحدَّث عن بعض ما أثير حول المرأة من قضايا، وجواب الشَّيخ الميدانيِّ عليها.

وأمَّا الفصل الثَّالث: فقد تناول فيه الباحث بعض الفلسفات الإلحاديَّة، وقدَّم لهذا الفصل بتمهيدٍ خاصٍّ عرَّف فيه الإلحاد وأوضح موقف الميدانيِّ منه، وقد تناول الباحث في مباحث هذا الفصل الشُّيوعيَّة ونظريَّة فرويد والفلسفة الوجوديَّة، فعرَّف كلاً منها، وأبان الأُسُس الَّتي قامت عليها كلُّ فلسفةٍ منها، وكشف عن أهداف كلٍّ منها، كما أوضح موقف الشَّيخ الميدانيِّ من كلِّ فلسفةٍ من هذه الفلسفات، وطريقته في الرَّدِّ على أربابها، وتفنيد أسسها ومبادئها.

وأمَّا الخاتمة: فقد دوَّن فيها الباحث أهمَّ النَّتائج الَّتي توصَّل إليها، وأهمَّ التَّوصيات النَّابعة من الدِّراسة.

Abstract

Praise be to God, prayer and peace be upon the Messenger of Allah, and after:

This research titled: Sheikh Abdul Rahman's position Hassan Hapannakah EL. Maidani of intellectual invasion, has included research on the front, and an introductory chapter, three chapters, and a conclusion.

Either provided: the researcher which he addressed the importance of the subject and the reason for his choice, and previous studies on this topic, and research methodology, through documentation, along with the research plan.

The introductory chapter: has dealt with the definition researcher Sheikh Abdul Rahman Hapennakah EL. Maidani, and his time and his personal life and scientific, as well as the definition of intellectual invasion and its objectives, and how the field is seen Sheikh.

The first chapter: the researcher dealt with the themes of evangelization and Orientalism, Custom them and term that goals, revealing their objectives, then explained the position of Sheikh EL. Maidani respective.

The second chapter: dealt with the researcher subject of alienation, foreknew and the number of goals in paving special this chapter, and then detect the most important liquid in the Investigation of this chapter, a secular, nationalist and some of the issues raised about the women, it was the researcher definition of secularism and origins, revealing their objectives, then he explained the position of EL. Maidani which, as the definition of nationalism and origins, revealing their objectives, then explained the position of EL. Maidani which, as he addressed the issue of women Between placed before Islam, and its place in Islam, then talked about some of what was raised about women's issues, and A Sheikh EL. Maidani's responses.

The third chapter: dealt with the researcher some philosophies atheistic, and made this chapter boot particular knew where atheism and explained the position of EL. Maidani of it, has dealt a researcher at the philosopher of this chapter communism and Freud's theory and the philosophy of existentialism, he knew both of them, and has shown the foundations upon which all philosophy which, He revealed the objectives of each of them, as explained position Sheikh EL. Maidani from each of these philosophies philosophy, and his way of responding to their masters, and refute the foundations and principles.

As conclusion: the researcher without most important findings, the most important of the recommendations stemming from the study.